

# رسائل ابن عربي

القطب والنقباء وعقلة المستوفز  
ورسالة الأنوار والتدبيرات الالهية ورسائل أخرى

(٢)



تحقيق وتقديم

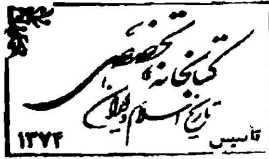
سعيد عبد الفتاح



سعيد عبد الفتاح

# رسائل ابن عربي

القطب والنقباء وعقلة المستوفز  
ورسالة الأنوار والتدبيرات الالهية  
ورسائل أخرى



Arab Diffusion Company

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

# رسائل ابن عربي

القطب والنقباء وعقلة المستوفز  
ورسالة الأنوار والتدبيرات الالهية  
ورسائل أخرى

تحقيق وتقديم

سعيد عبد الفتاح

المجلد الثاني



ص. ب. 113/5752 ر. ب. 1103 2070  
Email: arabdiffusion@hotmail.com

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى ٢٠٠٢



## المحتويات

---

٩	.....	نسخ الكتاب الخطية
١٣	.....	منهج الكتاب
١٥	.....	منهج التحقيق

### كتاب القطب والنقباء

١٨	.....	صور المخطوطات
٢٩	.....	باب الإشارة
٣٢	.....	باب في أسماء النقباء الذين كانوا في عهد رسول الله (ص)
٣٦	.....	باب حال قطب النقباء وهو الأول
٣٨	.....	باب النقيب الثاني من اثني عشر
٤٠	.....	باب النقيب الثالث
٤٢	.....	باب النقيب الرابع
٤٥	.....	باب النقيب الخامس
٤٧	.....	باب النقيب السادس
٤٩	.....	باب النقيب السابع
٥١	.....	باب النقيب الثامن
٥٢	.....	باب النقيب التاسع
٥٤	.....	باب النقيب العاشر
٥٦	.....	باب النقيب الحادي عشر
٥٨	.....	باب النقيب الثاني عشر
٦٠	.....	فصل

## عقلة المستوفز

٦٢	..... صور المخطوطات
٦٥	..... نسخ الكتاب
٧٢	..... باب في نظم ما يحتوي عليه هذا الكتاب
٧٤	..... باب الكمال الإنساني
٧٧	..... باب في خلق الأرواح المهمة والعنصر الأعظم
٨١	..... باب في خلق العقل الأول وهو القلم الأعلى
٨٤	..... باب في ذكر العروش
٨٦	..... باب في العرش العظيم وهو اللوح المحفوظ
٨٩	..... باب العرش الرحماني الجامع للموجودات الأربعة وهي الطبيعة، والهواء، والجسم، والفلك ...
٩٢	..... باب العرش الكريم وهو الكرسي موضع القدمين
٩٤	..... باب فلك البروج وهو الأطلس
٩٩	..... باب فلك الكواكب الثابتة
١٠٤	..... باب خلق الدنيا
١١٣	..... باب في الاستحالات
١١٦	..... تنبيه
١١٩	..... باب في النكاح والتوالد
١٢٥	..... باب نشأة الإنسان الأول
١٣١	..... رسالة الدرّة البيضاء

## رسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار

١٤٦	..... صور المخطوطات
١٦٥	..... الإعلام بإشارات أهل الإلهام
١٦٦	..... صور المخطوطات
١٦٩	..... نسختنا الكتاب
١٧٢	..... باب في الرؤية
١٧٣	..... باب في السماع
١٧٥	..... باب في الكلام
١٧٦	..... باب في التوحيد
١٧٨	..... باب المعرفة

١٧٩	..... باب الحب
١٨٠	..... باب في إشاراتهم في أنواع شتى
١٨٩	..... كنه فيما لا بد للمريد منه
١٩٧	..... فصل
٢٠١	..... رسالة ابن عربي إلى الفخر الرازي
٢٠٢	..... صور المخطوطات
٢٠٥	..... نسخة المخطوط
٢٠٧	..... نص رسالة الإمام محيي الدين بن عربي إلى الإمام الفخر الرازي
٢١٣	..... رسالة الجلال والجمال

### تاج الرسائل ومنهاج الوسائل

٢٣٣	..... صور المخطوط
٢٣٣	..... نسخ الكتاب الخطية
٢٣٥	..... تاج الرسائل ومنهاج الوسائل المودعة في المعاني الروحانية
٢٣٩	..... ١ - الرسالة الإلهية توسل بها عبد الحي إليها ونزل بها عليها
٢٤٨	..... ٢ - الرسالة القدسية توسل بها عبد الحي إليها ونزل بها عليها
٢٥٣	..... ٣ - الرسالة الاتحادية توسل بها عبد العليم إليها ونزل بها عليها
٢٥٨	..... ٤ - الرسالة السريانية توسل بها عبد الشكور إليها ونزل بها عليها
٢٦٥	..... ٥ - الرسالة المشهدية توسل بها عبد البصير إليها ونزل بها عليها
٢٧١	..... ٦ - الرسالة الفردوسية توسل بها عبد السميع إليها ونزل بها عليها
٢٧٦	..... ٧ - الرسالة العذرية توسل بها عبد الودود إليها ونزل بها عليها
٢٨١	..... ٨ - الرسالة الوجودية توسل بها عبد القادر إليها ونزل بها عليها
٢٨٤	..... سماعات الكتاب

### كتاب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية

٢٨٨	..... صور المخطوط
٢٩٥	..... تمهيد الكتاب
٣٠١	..... مقدمة الكتاب
٣٠٥	..... فصل من ذلك
٣٠٧	..... فصل في فهرسة الأبواب
	..... الباب الأول: في وجود الخليفة الذي ملك البدن وأغراض الصوفية - (رض) - فيه
٣١٠	..... وتعبيرهم عنه، وهو الروح الكلي

- الباب الثاني: في الكلام على ماهيته وحقيقته ..... ٣١٨
- الباب الثالث: في إقامة مدينة الجسم وتفصيلها من جهة كونها ملكاً لهذا الخليفة ..... ٣٢٠
- الباب الرابع: في ذكر السبب الذي لأجله وقع الحرب بين العقل والهوى ..... ٣٢٦
- الباب الخامس: في الاسم الذي يخص الإمام وفي صفاته وأحواله ..... ٣٣١
- باب: لا يخلو الإمام أن يكون واحداً من الأربعة وبالجمود أظهر الوجود ودام ..... ٣٣٩
- الباب السادس: في العدل ..... ٣٤٢
- الباب السابع: في ذكر الوزير وصفته وكيف يجب أن يكون ..... ٣٤٤
- الباب الثامن: في الفراسة الشرعية والحكمية ..... ٣٤٨
- الباب التاسع: في معرفة الكاتب وصفاته وكتبه ..... ٣٥٩
- الباب العاشر: في المسددين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج ..... ٣٦٥
- الباب الحادي عشر: في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهية ..... ٣٦٧
- الباب الثاني عشر: في السفراء والرسل المتوجهين إلى الثائرين بمدينة البدن ..... ٣٧٠
- الباب الثالث عشر: في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم ..... ٣٧٢
- الباب الرابع عشر: في سياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء ..... ٣٧٥
- الباب الخامس عشر: في ذكر السر الذي يغلب عليه أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه ..... ٣٧٧
- الباب السادس عشر: في ترتيب الغذاء الروحاني على فصول السنة لإقامة هذا الملك الإنساني وبقائه ..... ٣٧٩
- الباب السابع عشر: في خواص الأسرار المودعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله ..... ٣٨٥
- الباب الأول من الباب السابع عشر وهو الباب الثامن عشر من أبواب الكتاب في معرفة إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب ..... ٣٩٤
- الباب الثاني من الباب السابع عشر وهو الباب التاسع عشر من أبواب الكتاب في الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت ..... ٣٩٦
- الباب الثالث من الباب السابع عشر هو الباب الموفي عشرين من أبواب الكتاب في اللوح المحفوظ الذي هو الإمام المبين ولوح المحو والانباء ..... ٣٩٧
- الباب الرابع من الباب السابع عشر وهو الباب الحادي والعشرون من أبواب الكتاب في أسباب الزفريات والوجبات والتحرك عند السماع ..... ٣٩٨
- الباب الخامس من الباب السابع عشر في الوصية للمريد السالك وهو على فصول وبه ختم الكتاب ..... ٤٠٠

## نسخ الكتاب الخطية

اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسختين مخطوطتين واحدة من مكتبة (ولي الدين) بتركيا تحت رقم (١٨٢٦) ضمن المجموع الذي يحمل هذا الرقم والنسخة الثانية في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢١٦ تصوف) ضمن مجموع أيضاً. وستحدث عن هذه النسخ بتفصيل أكثر.  
النسخة الأولى:

وهي نسخة مكتبة (ولي الدين) وهذه النسخة كما قلنا آنفاً ضمن مجموع كتبت في سنة ٨٢٣هـ وبها فيما بين الورقتين ٩٨، ٩٩ بياض كثير في الأصل. وفي آخرها نقص. وقد اعتمدنا على نسخة مصورة من معهد المخطوطات العربية تحت رقم (٧١ تصوف) وجاءت تحت عنوان (بعض أحوال النقباء)، وطبعاً الصحيح ما يمكن أن يكون (بعض أحوال النقباء). ويبدو أن الذين صوروا النسخة ميكروفيلماً، وهذه النسخة منقولة عن الأصل (فيينا ١٩١٠ (٥٥٥ - ٦٢٢ب)) وله عناوين ثلاثة (كتاب النقباء)، أو (رسالة القطب والنقباء)، أو (كتاب بعض أحوال النقباء)<sup>(١)</sup>.

وهذه النسخة تقع في أربع ورقات ينقطع معها النص عند النقيب الخامس السطر السابع منه. وتبقى ورقتان ونصف بهما بياض بالأصل ثم ثلاثة أسطر من النقيب السابع ويبدأ النقيب الثامن وسطران معه ثم ينقطع النص تماماً حتى النقيب الثاني عشر والفصل الأخير والخاتمة وهكذا.

وهذه النسخة بيانها كالتالي.

\* مقاسها ٢٠ × ١٦ سم.

\* كتبت بخط نسخي جميل.

\* مسطرتها ٢١ سطرأ في الصفحة الواحدة.

(١) انظر في ذلك: عثمان يحيى. مؤلفات ابن عربي تحت رقم (٩٥١) ص ٦١٥، ٦١٦ وفيه أنه صنّف في بيت المقدس عام ٦٠٢ هـ انظر نسخ ولي الدين ٧٥/٥١ - ٨٣ ب. وقد ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي وذكر نسخه ٥٧٧/١ /٦٦/٤٠ برلين القاهرة أول ٣٤٦.

\* السطر به من (١٥ - ١٩) كلمة.  
\* عناوين الأبواب والنقباء بخط أكبر منتصف الأسطر.  
\* شأن هذا المجموع كله توجد تعقبية.  
\* تبدأ الرسالة أو الكتاب:  
بالآتي [بسم الله الرحمن الرحيم. (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم) الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى].

ليس لها خاتمة بسبب النقص الموجود بها، ولذا لم نعتبرها أصلاً.. ورمزنا لها بالرمز (م) أثناء التحقيق، وكان لا بد من نسخة أخرى للمقابلة وهي النسخة الآتي الحديث عنها.  
النسخة الثانية

وهذه النسخة هي رقم (٢١٦ تصوف) دار الكتب المصرية - كما ذكرنا آنفاً - اعتمدت على صورة لها بالميكروفيلم رقم (٣٧٣٩٣) تحت عنوان (القطب والنقباء).  
\* كتبت بخط معتاد.

\* مقاسها القطع الكبير.  
\* مسطرتها ثلاثون سطرًا في الصفحة الواحدة.  
\* عدد الكلمات بالسطر الواحد (١٥ - ١٧) كلمة.  
\* عناوين الأبواب والنقباء بخط أكبر داخل السطر.  
\* توجد تعقبية.  
تبدأ النسخة بهذا المفتح.

[كتاب رسالة القطب والنقباء لمولانا سيدي الشيخ محيي الدين بن عربي رحمننا الله تعالى به. بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد...].

أما خاتمة النسخة فجاءت كالتالي:

تمّ كتاب القطب والنقباء بحمد الله وعونه

وحسن توفيقه والحمد لله وحده

وصلّى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

تسليماً كثيراً

ويبدو أنها كانت الرسالة (١٢) ضمن مجموع فاقتلعت منه وظلت مع رسالة وحيدة هي كتاب الحق. ورمزنا لهذه النسخة بالرمز (د) تمييزاً لها فهذه نسخة دار الكتب المصرية. انظر الصور المرفقة للمخطوط.





## منهج الكتاب

بنى ابن عربي كتابه هذا على فكرة النقاء الاثني عشر، وهي فكرة موجودة وقائمة. لكن الفرق بين وجودها ظاهراً ووجودها باطناً، أن النقاء الظاهرون يمكن معرفتهم أما النقاء الباطنون لا يمكن معرفتهم إلا إذا أظهرهم الله لك، بأمر ما من الأمور فقسم الكتاب على بابين ومفتح ثم اثني عشر باباً أخرى كل باب فيها لنقيب من النقاء ثم فصل أخير كخاتمة للكتاب كله.. وشرح حال كل نقيب ودلالته، ومهمته، وإشارة إلى ما من به الله عليه من الأسرار والعلوم والمعارف. وإشارات إلى قدر كل نقيب ومهابته. والكلام على أن هؤلاء النقاء هم الذين استخرجوا خبايا وأسرار النفوس.

أما البابين اللذين في المقدمة بعد المفتح فالباب الأول إشارة إلى معنى كلمة (نقيب) في الظاهر والباطن اعتماداً على نص الآية في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وفكرة المعية الإلهية في أنه ليس منهم وإنما هو ثالث الاثني عشر ورابع الثلاثة، وخامس الأربعة وهكذا. لأن مدار العالم مبني على الحقائق الاثني عشر والحق هو الذي أسس هذه الحقائق فتكون معيته سبحانه وتعالى ليست من الاثني عشر وهي دائماً نظرة فوقية من الحق إلى الحقائق جميعاً. والباب الثاني هو النظرة إلى السنة النبوية وذكر نقاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بيعة العقبة وكيف جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كل نقيب منهم كفيل على قومه كما قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «كل واحد منكم كفيل على قومه وأنا كفيل على المسلمين».

(١) الآية رقم (١٢) من سورة المائدة.



## منهج التحقيق

تحدثت عن نسخ الكتاب الخطية وذكرت النقص الذي مُنيت به نسخة مكتبة ولي الدين، وهي التي تمّ الاعتماد على نسخ (صورة) لها من معهد المخطوطات العربية ورمزت لها بالرمز (م) أما نسخة دار الكتب فهي نسخة كاملة تامة بالبداية والخاتمة وقد رمزت لها بالرمز (د).

وقد ظهر لنا أثناء المقابلة أنه بالرغم من أن النسخة (م) أقدم إلا أن بها نقصاً كبيراً حتى أن الباب الذي يتحدث عن نقيب الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد سقط بكامله. ويبدو أن هذه النسخة لاقت مشكلة عند الناسخ لذا فقد ترك هذا الباب وترك صفحات بيضاء داخل النسخ. فتمّ تدارك كل ذلك من النسخة (د).

وقابلنا عن سقط بعض الكلمات في النسخة (د) مع النسخة (م) نظرنا باعتمادنا على فهم نص ابن عربي والسياق وما في النسخة (م) من تصحيح بعض الأخطاء التي منيت بها النسخة (د) ولكن هي لحسن الحظ قليلة بل يمكن أن تكون نادرة.

وبعد أن تداركنا مشكلات النص تمّ ضبطه ضبطاً تاماً يمكن أن يقال: كما أراد له مؤلفه.

وبعد تأكدنا من ضبط الكتاب وضعنا له علامات التقييم اللازمة وقمنا بتحقيق النص، وشرح بعض المصطلحات الصوفية، وتخريج الآيات والأحاديث، والأعلام التي وجدت بالنص. وقمنا بتقسيم وتبويب وتوضيح ما أراده المؤلف بـإبراز العناوين والفقرات اللازمة. والتزمنا قدر الإمكان بمنهج الكتاب. ولم نتدخل في النص بأي شيء وإن حدث إضافة سقط يقتضيه السياق وضعناه بين معقوفتين ثم أشرنا إلى ذلك في الهامش.

ثم وضعنا في نهاية الكتاب مجموعة من الفهارس يتطلبها منهج التحقيق الحديث. وهي كالتالي. وبعد، أرجو أن ينفع الله بهذا الكتاب كل من يبغي منه علماً ويحتسب ذلك في صحيفة عملي، وأرجو وحده أن يعفو عن الدلل والنقصان وما عرف به الإنسان إنه ولي ذلك والقادر عليه. سبحانه.

المحقق

سعيد عبد الفتاح



## كتاب القطب والنقباء



من ذلك المجرى بقولي ويعزك ويعطى ويمنع كمن اذا اراد ان يلازمه والعزيب والعطاء والنع فيه فينظر المصنف  
 في مقامه به حتى لا يثبت له هذا الحكم الذي حكوا ان من هذا الاحكام لم ينظر في العالم بحيث ما وجد ذلك الصفة  
 ووجه عليها الحكم الذي في الصفة الحق بمعنى قامت بنفس هذا النقيب فمما انظر هذا النقيب العالم والى كان  
 في هذا المقامر واما الوقت الاخر فهو بعد تراهي اعمى واما منه واستقصاء الخلق في طائفة مرجع الى  
 الادب ويقول مبي اني عليهم فيقول من ان الله لم يزل يطرا عليه حتى لم يكن عند حصر هذا المقام  
 ام لا فاد اطر اعلم ان الحال منه كان وان لم ينظر ويكون جهات مقامة محفوظة عرفك مراد الحق الجاني ما  
 طر منهم فمثل هذا النقيب اذا كان حاله هذه يغلب عليه الخوف والنعيب ويمثل كانه بين يديه  
 وشدايد ما ومكارهها ويرى منقولة للعدا والاشقام وخواب هذه العار فلا يزال الكثر واليكما  
 شامدا المصنع والابتهال خابنا وحلا مثل يحيى عليه السلام **باب النقيب السابع**  
 هذا النقيب ارقب الالما بالله الخالق والعزير وهو كبر المشاهدة لنفسه ونصرت في عالم الأولاد قليل  
 والغال عليه مشاهد الحضرة الالهية والحضرة الانسانية فوفا بنا دى بالمعرفة بتلك الصفة  
 بلكان المنزل ونسبه فيقال له اعرف لا تعرف ووقنا بنا دى طلة لحو والافتقار فنادى بالمرتب  
 على ابابور يزد عدلت من ابواب كمين مثل الجهاد والملافة والصيام والركاة وافعال البر فوجدت  
 على ابوابها الرذائل كثيرا واما وجدت لنفسى هناك موضع تدمر فقتلت بمقتله لا ادري بما القوت اليد  
 فناديت اللى بما القرب لك فقال ما ليس لي فقلت وما ليس لك قال لذة والافتقار كان  
 فدخلت من باب الذة والافتقار فما وجدت عليه الا عقلا من العار فمر ان هذا النقيب  
 الملك له نفوذ في القوي الرومانية النارية وله نصريف في النفوس ويكون اكثر علمه الطب  
 والطلاسم العظيمة التي تعرف على كل الطاق ويكون له قصر من اجل الاجل العزير الذي ينظر اليه حتى  
 على هذا النقيب كرامات مثل الخطورة والهوى والماء والكشف ان الكرامات ليس من شياك معارف  
 النقيب مقامها ولا ياتي احد فله هذا النقيب لا همة ويعرف ما اني تدوم ان تدوم القوي  
 وما ايدع الله به من القوي غير ان هذه الامور التي تكون لهذا النقيب مخالفة مما تكون النقيب الا انما  
 من ساكوي طريق الله فانها تكون له من جهة المطالب انما تقوية كما تدوم المراد ان تقوية  
 محتنة بمقام الطبيعة فليس لها النظر الا الى جانب نرايا والمراد انما تظن في الله انما تظن  
 من الاحوال ومن احوال هذا النقيب حاله كالحب فيه حيلة فنة لمرى ما طلة الى طريق  
 وحال ريدية الرخصة على انما حفته وقد تقام في الجانب وقد تقام في الجانب فان انما تقام  
 الحيرة كان عزير السلطان ساعى الحكام في هذا النقيب في تصدق اولئك ساعى انما تقام  
 في حال طلب الرخصة لتما والهمة فانه ينسج في الطريقة العظمى التي يتوافق فيها العسا وكنت نرايا  
 الوطن الذي يبي على عدم طلب الرخصة على انما اجتمعت من اجل هذا النقيب في هذا النقيب  
 العالم عليه فان عصم بعد ويحسب انما تقام في الجانب من الاخط بمنه انذروا انما تقام في الجانب  
 فقولتي في بنوع نوجه ما عصمنا الله من الاخط بمنه انذروا انما تقام في الجانب

صفحة داخلية من المخطوط (د) من كتاب القطب والنقباء توضح مسطرة الكتاب وخطه وعناوينه.









سدض عن المرتبة العظمى التي يتنافس فيها النقباء ذلك من اجل الموطن الذي بُني على عدم طلب  
الرفعة تلى ابنا الجنس ومن لحوال هذا النقيب حب المسحونات هو الغالب عليه فان عصم منها  
فقد اوزن خبرا كثيرا وهذا الذي يطرا عليه من مميزات السنين الناظرين اليه العزيز والخالق فهو يتبع  
بتنوع نوجها عصمنا الله ملاقات بمنه انه ولي كريم بابس النقيب النائم  
اذا كان مجير النقيب مدع كايته ونظرا اليه وروها ينزها موكله فانه يكون ظاهرا في الدنيا واسطفا  
قويا في الامر بالعرف والنهي عن المنكر والذبت عن عي الله ويكون منصورا عرنا عند الخلق شيئا



## بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم<sup>(١)</sup> الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

---

أما بعد،

حَفِظَ اللهُ سرائِرَ إخواننا الأصفياء، فإنه لما كانت أرواحُ مُكْرَمَة في أجساد مطهرة، قد اختصها الله تعالى من بين سائر عباده، وجعل مدار فلك العالم<sup>(٢)</sup> عليهم، وشَمُوا أقطاباً، لأنهم بمنزلة قطب الفلك من الفلك، وهي النقطة التي يتحرك الفلك عليها، وهي لا تتحرك فلها الثبوت، مع أنها<sup>(٣)</sup> جزء من الفلك.

كذلك<sup>(٤)</sup> هؤلاء، وإن كانوا من العالم، فإن العالم قام بهم<sup>(٥)</sup>، ولما كان<sup>(٦)</sup> للفلك قطبان كذلك مدار العالم على قطبين:

- قطب روحاني، وهو جنوبي.
- وقطب جسماني، وهو شمالي.
- فالروحاني دائم الوجود. هذا وحده الله تعالى لم يزل؛

---

(١) المفتاح في النسخة (د) هكذا:

[كتاب رسالة القطب والقباء لمولانا سيدي الشيخ محيي الدين بن عربي، رحمننا الله تعالى به.. بسم الله الرحمن الرحيم. وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم].

ثم يستمر في الرسالة من أول (الحمد لله وسلام على عباده...).

(٢) في النسخة (د): (ذلك العالم عليه).

(٣) في النسخة (د): (مع أنه).

(٤) في النسخة (د): (مع أنه).

(٥) غير واضحة في النسخة (د).

(٦) في النسخة (م) (وكما).

وقد ذكرناه في الفتوحات المكية<sup>(١)</sup> في كتاب مفرد منها.

- والقطب الجسماني: يموت عند انقضاء مدّته، ويقيم الله عبداً آخر مقامه<sup>(٢)</sup>.

ولا يوجد في زمان [واحد]<sup>(٣)</sup> قطبان، وقد يكون خليفتان.

ثم دون هؤلاء الأقطاب الأوّل الذين هم الخلفاء على الحقيقة، رؤساء<sup>(٤)</sup> أخر، هم كالسندنة لهؤلاء هم أقطاب لجماعاتهم وأصحابهم لما كان مدار<sup>(٥)</sup> أمرهم عليهم وهم كثيرون في الزمان الواحد. ولا بد لكل قطب من الأقطاب الأوّل من إمامين<sup>(٦)</sup>:

- رباني.

- وملكي<sup>(٧)</sup>.

ولا بد له من أوتاد أربعة<sup>(٨)</sup>، ولا بد له من أمناء<sup>(٩)</sup> سبعة.

(١) (الفتوحات المكية) هي الموسوعة الصوفية الكبرى لسيد محي الدين بن عربي، وهي أعظم وأرقى عمل صوفي قُدم، اشتمل على خمسمائة وستين باباً، قال ابن عربي في كتاب العظمة له: قدمنا خمسمائة وستين كتاباً ضمنها أبواب الفتوحات المكية. طبعت عدة طبعات، واشتهرت شهرة واسعة.

(٢) في النسخة (د): (مكانه).

(٣) ما بين المعرفتين سقط من النسخة (م).

(٤) في النسخة (د): (رأساً).

(٥) كلمة (مدار) سقطت من (د).

(٦) الإمامان: هما شخصان، أحدهما عن يمين الغوث (القطب) ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره ونظره في الملك وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف القطب.

انظر: لطائف الأعلام معجم المصطلحات الصوفية ٢٣٧/١ بتحقيقنا، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦.

(٧) في النسخة (م) (مالكي).

(٨) الأوتاد: هم أربعة رجال من إزام القطب، وأركان دولته في ولاية التدبير، منازلهم على المنازل الأربعة أركان من العالم شرق، وغرب، وشمال، وجنوب، مقام كل واحد منهم مقام تلك الجهة، بمعنى: أن يكون كل رجل منهم مورد الفيض الوارد من عندية الحق إلى عندية الغوث اللائق بتلك الجهة، والوافي لما فيها من أصناف الخلائق، لا بمعنى أن يكون كل منهم بنفسه من جهة تعينت له بالمناسبة الإلهية، والروحانية، والطبيعية وتوزيع هذه الأقسام من أركان الكعبة، فإنها مطمح قرار القطب، وإن تشرف أو تقرب، فإنها قلب جامع مستند إلى اسم (الله) كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ لتوحيداً، والقطب عند الله تعالى، إن عصم عن التكبر، والخفاء عن الخليفة من حجاب الصون، وهو من بعض وجوه الفوائد والرسوم المعهودة بينهم، وعند الإله إن لم يُعصم عن ذلك. فالاسم قلب الأسماء، والكعبة قلب الأرض والقطب قلب الكون. فجمع القلب بين القلبين بالنسبة الذاتية انظر رشح الزلال للقاشاني بتحقيقنا.

(٩) الأمناء: هم الملامتية، الذين لم يظهر على ظواهرهم أثر مما في بواطنهم البتة، كمن ألقى إليه سر الكمال الجمعي في أنهى مراتب العروج إلى ربه الذي ينتهي إليه المنتهى فلم يظهر أثره على ظاهره قطعاً، ومن ألقى إليه روح التكليم من وراء حجاب في عروجه إلى أفق من آفاق الكون المحسوس ظهر أثره على وجهه حتى صان الأَبصار من ابتهار نوره، وهم أعلى الطائفة لاقتدارهم على سر الأسرار الجلية الإلهية وإخفائها، كما ينبغي، تلامذتهم يتقبلون في أطوار الرجولية، لأنهم يؤثرون حظ الغير على حظوظ أنفسهم ولا يمينون عليه، فعليهم تدور أفلاك الفتوة. انظر: رشح الزلال، ولطائف الأعلام ٢٣٦/١

- فالقطب الروحاني الدائم: كالعقل الأول.
- والقطب الجسماني: كالنفس.
- والإمامان: كالقوتين اللتين لهما<sup>(١)</sup> العلامة والفعالة.
- والأوتاد الأربعة: كوتد<sup>(٢)</sup> المشرق والمغرب، والاستواء والحضيض.
- وكالطبيعة التي دون النفس، والأركان<sup>(٣)</sup> التي دون الفلك، وكالأخلاق التي بها ظهور البدن.
- والسبعة: كالكوكب السبعة للأقاليم السبعة.
- فكل<sup>(٤)</sup> بدل يحفظ إقليمياً بحكم الأمانة.
- والأوتاد يحفظون الجهات، والإمامان يحفظان عالم الأمر وعالم الخلق، والغيب والشهادة، والملك والملكوت.
- والقطب ينظر إلى الكل، وينظر إليه الكل. فإنه مرآة الحق، ومنتزل الأمر. غير أن الأقطاب يفضل بعضهم على بعض، وإن جمعهم مقام القطبية. ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾<sup>(٥)</sup>.
- وقد جمعتهم الرسالة.
- فلم تزل الأقطاب من بعد أن ولد<sup>(٦)</sup> آدم (عليه السلام) واحداً بعد واحد يتوارثون، ولكل مقام معلوم ينفق منه. إلى أن بعث الله محمداً (صلى الله عليه وسلم)، واستدار الزمان كهيفة يوم خلقه الله تعالى<sup>(٧)</sup>، فحصل في مدة أمته ما حصل من زمان آدم إلى وجود محمد (عليه الصلاة والسلام)<sup>(٨)</sup>، وكانت أقطاب أمته على هذا المنهج ليس لأحد منهم حد يقف عنده
- 
- (١) في النسخة (د): (لها).
- (٢) في النسخة (د): (كريح).
- (٣) في النسخة (د): (وكالأركان).
- (٤) في النسخة (د): (بل كل).
- (٥) الآية رقم (٢٥٣) من سورة البقرة.
- (٦) في النسخة (د): (وجد).
- (٧) انظر حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): (إن الزمان قد استدار كهيفة يوم خلق الله السموات والأرض. السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُم: ثلاثة متواليات....).
- الحديث أورده السيوطي فلي جامع الأحاديث تحت رقم (٧٠٦١) ٦٥١/٢ وقال: رواه الإمام البخاري، والإمام مسلم، والإمام أحمد بن حنبل والإمام أبو داود.. كلهم عن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما.
- (٨) في النسخة (م): (عليه السلام).

وهذه<sup>(١)</sup> خصوصية هذه الأمة إكراماً لهم على سائر الأمم ﴿كنتم خير أمة﴾<sup>(٢)</sup> فهم الشهداء عليهم كأنبياهم فيجمعهم صف واحد فلهم السبق على سائر الأمم، وإن كانوا متأخرين. قال (صلى الله عليه وسلم): «نحن الآخرون الأولون»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) في النسخة (د): (وهذا خصوصية بهذه).

(٢) في النسخة (د) أكمل ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. وهي الآية رقم (١١٠) من سورة آل عمران.

(٣) حديث (نحن الآخرون الأولون) أورده الإمام السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه ابن النجار عن ابن مسعود رضي الله عنه.

انظر الحديث رقم (٢٣٧٨٣) ٧٢٤/٦ وله روايات أخرى انظرها في الأحاديث أرقام (٢٣٧٨٢)، (٢٣٧٧٢).



## باب الإشارة

بقوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>  
فهو ثالث اثنا عشر<sup>(٢)</sup>، لا ثالث ثلاثة عشر، جُلُّ الحَقُّ عن ذلك.

اعلم

أن مدار العالم على اثني عشر حقيقة، سُمُّوا نقباء<sup>(٣)</sup> لإخراجهم ما في العالم من الأسرار،

(١) لفظ (بعثنا) مكرر في النسخة (م).

والآية هي رقم (١٢) من سورة المائدة.

(٢) في النسخة (م): (رابع ثلاثة عشر) تحريف

(٣) (النقباء) يقول القاشاني في كتابه (شرح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأزواق والأحوال): هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهي على ثلاثة أقسام:

نفوس علوية، وهي الحقائق الأمرية.

نفوس سفلية، وهي الحقائق الخلقية.

نفوس وسيطة، وهي الحقائق الإنسانية.

وللحق تعالى من كل نفس منها أمانة منظوية على أسرار إلهية وكونية، مكنونة إذا ظهرت من طي فطرتها، بسطتها باسطة الوجود إلى لا غاية فقسم الوجود العام المقاض عليها المسمى بالرحمة (مائة) ودرجات عالم الأمر، ودرجات عالم الخلق، ومدارج الإنسان ثلاث مائة عالم هي لكل عالم مائة وقسم الرحمة المائة الحاملة الأسرار الإلهية والكونية رحمة منظوية من الدرجات والمدارج، والنقباء هم الواقفون على الخبرة بكل ما كمن فيها كشفاً وشهوداً على القوة في استخراج ما بطن من مطاويها.

ويقول ابن عربي في الفتوحات: النقباء اثنا عشر نقيباً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك الاثني عشر برجاً، كل نقيب عالم بخاصية كل برج، وبما أودع الله في مقامه من الأسرار، والتأثيرات، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها. حتى إن إبليس فمكشوف عندهم، يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم أثر وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي، مثل العلماء بالآثار والقيافة. انظر شرح الزلال ٦٥، الفتوحات المكية طبعة الهيئة ٢٨١/١١.

بحكم الأمر الإلهي في التصريف. وهي مقامات للروح الواحد. فهو روح الأرواح، ونفس الأنفس، وأصل الأصول، وصورة الصور، وشكل الأشكال، وركن الأركان، وكون الأكوان، ومادة المواد، وعنصر الحياة<sup>(١)</sup>، وجمع الجمعيات، وعلم العلوم<sup>(٢)</sup>، وعمل الأعمال. فهذه اثنا عشر حقيقة، عليها مدار العالم من أوله إلى آخره. وما من حقيقة من هذه الحقائق إلا ولها وجهان:

- وجه تقابل به من فوقها لتستفيد<sup>(٣)</sup>.

- ووجه تقابل به من تحتها لتُفيد.

إلا الأخيرة فليس لها من تفيده، فهي وجه كلها كالكرة، فصح لها الشرف على العالم وحقائقه، فإنها على الصورة، فإن الصورة التي خلقت عليها ليس لها سوى وجه، ليس فوقها من يقبل فتقبل على من دونها، وليس دون هذه من يقبل فتقبل نحو الصورة فيحترق النوران. هذه الحقائق قد تسري في العالم عند التقائهما فيتحرك العالم كله من أوله إلى آخره، فلا يسكن إلا الآن، ثم حركة تكون في الوسط حول مركزها كحركة الأرض، وحركة في الوسط، وحركة إلى الوسط.

وهذه الحركات كلها من التقاء النورين:

\* النور الهاوي سفلًا.

\* والنور الصاعد علوًا.

- فعن<sup>(٤)</sup> الأولى تنبعث الأرواح.

- وعن<sup>(٥)</sup> الثانية تنبعث النفوس.

- وعن الثالثة تنبعث الأعراض.

- وعن الرابعة تنبعث الذوات المركبة.

- وعن الخامسة تنبعث الصور<sup>(٦)</sup>.

(١) في النسخة (د): (وعنصر الحيرة).

(٢) في النسخة (م): (وعلم العلم).

(٣) هذه الفقرة (وجه تقابل به من فوقها لتستفيد) سقطت من النسخة (د).

(٤) في النسخة (د): (فن الحقيقة الأولى).

(٥) في النسخة (د): (وعن الحقيقة الثانية).

(٦) في النسخة (م): الصورة.

- وعن السادسة تنبعث الأشكال.
- وعن السابعة تنبعث الأعمدة.
- وعن الثامنة تنبعث التكوينات.
- وعن التاسعة تنبعث الأرزاق.
- وعن العاشرة تنبعث الإدراكات النورية.
- وعن الحادية عشرة تنبعث المعارف [والأسرار]<sup>(١)</sup>.
- وعن الثانية عشرة تنبعث الحركات لبقاء العالم بفناء صور وجود آخر على الدوام. ولذلك<sup>(٢)</sup> الحَمَلَة ثمانية، والعرش أربعة. اثنا عشر. فإن العرش: عقل، ونفس، وهباء، وجسم. والحَمَلَة: إسرافيل، وجبريل، وميكائيل، ورضوان، ومالك، وآدم، وإبراهيم، ومحمد عليهم السلام<sup>(٣)</sup>.
- فأدم وإسرافيل للصور.
- وجبريل ومحمد للأرواح.
- وميكائيل وإبراهيم للأرزاق.
- ومالك ورضوان للوعد والوعيد.

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (د).

(٢) في (م) (وكذلك).

(٣) في (د): (عليهم الصلاة والسلام).

## باب (٥) في أسماء النقباء الذين كانوا في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم اثنا عشر نقيباً كلهم من الأنصار<sup>(٥٥)</sup>

(٥) هذا الباب بأكمله سقط من النسخة (م).

(٥٥) اختلفت المصادر التي تؤرخ لسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) في أسماء الاثني عشر نقيباً، ولكن اتفقت المصادر تقريباً على أن النقباء كلهم من الأنصار، وقد ذكرت المصادر أسماء مختلفة سنذكر هنا منها ما ذكره ابن اسحاق في سيرته لشهرتها من بين سائر السير. ونعدهم.

فهم: (من الخزرج) فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي:

١ - أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار.

٢ - وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج.

٣ - عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس.

٤ - رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق.

٥ - البراء بن معمر بن صخر .. بن جشم بن الخزرج.

٦ - عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة والد جابر بن عبد الله.

٧ - عباد بن الصامت بن قيس بن أصرم... بن عوف بن الخزرج.

٨ - سعد بن عباد بن دليم... بن طريف بن الخزرج.

٩ - المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة.. بن كعب بن الخزرج

(ومن الأوس).

١٠ - أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن عبد الأشهل

١١ - سعد بن خثمة بن الحارث بن مالك.

١٢ - رفاع بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية... من الأوس. هؤلاء هم الذين ذكرهم ابن اسحاق في السيرة. ولم يذكر فيهم (أبو الهيثم بن التيهان: وقد أسقط صاحب النسخة (د) ثلاثة من أسماء النقباء هم (أسيد بن حضير)، (رفاعة ابن عبد المنذر بن زبير) و(أبو أمامة أسعد بن زرارة). وقد ذكرهم كعب بن مالك في قصيدة.

فذكر فيهم (أبا الهيثم بن التيهان) ولم يذكر (رفاعة بن عبد المنذر).

وهؤلاء هم الذين أخذ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبياً، لنمنعك مما تمنع منه أُرزنا (أي: نساءنا) فبإيعنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، وقد عددناهم ثم قال ابن اسحاق في سيرته: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال للنقباء: وأنتم على قومكم بما فيهم كُفلاء، ككفالة الحواريين لميسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي - يعني المسلمين - قالوا: نعم.

- ١ - سعد بن خيشمة<sup>(١)</sup>.
- ٢ - سعد بن الربيع<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - سعد بن عبادة<sup>(٣)</sup>.
- ٤ - عبد الله بن رواحة<sup>(٤)</sup>.

= انظر ابن إسحاق السيرة النبوية ٤٤٣/١ - ٤٤٦ وانظر من أول أمر العقبة الثانية ٤٣٨/١.

وانظر الروض الأنف للسبيلي ١٨٩/١، الديار بكرى في: تاريخ الخميس من أحوال أنفس نفيس ٣١٦/١، ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢١٥/١ - ٢٢٢، ابن كثير: البداية والنهاية ١٤٨/٣/٢.

(١) (سعد بن خيشمة) بن الحارث بن مالك بن كعب بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس. يكنى أبا خيشمة، وكان أحد النقباء بالعقبة روى البخاري في تاريخه من طريق رباح بن أبي معروف سمعت المغيرة بن حكيم سألت عبد الله بن سعد بن خيشمة: هل شهدت بدرًا؟ قال: نعم، والعقبة، ولقد كنت رديف أبي وكان نقيباً.

وقال ابن إسحاق في المغازي: نزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقاء على كلثوم بن الهدم، وكان إذا خرج منه جلس للناس في بيت (سعد بن خيشمة) وكان يقال له (بيت العزّاب)، استشهد سعد بن خيشمة يوم بدر وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: استهم يوم بدر (خيشمة) وابن سعد، فخرج سهم سعد فقال له أبوه: يا بُني أثرتني اليوم. فقال له سعد: يا أبت لو كان غير الجنة فعلت. فخرج سعد إلى بدر فقتل بها، وقتل أبوه يوم أُحُد. انظر ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة ٥٦/٣/٢ ترجمة رقم (٣١٤٢).

(٢) (سعد بن الربيع) بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري أحد نقباء الأنصار.. روى البخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف قال: لما قدمنا المدينة أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) بني وبين سعد بن الربيع فقال سعد: إنني أكثر الأنصار مالاً فأقسامك نصف مالي (الحديث).. وفي الصحيحين من حديث أنس نحوه.

وقال مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد: لما كان يوم أحد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يأتيني بخير سعد بن الربيع فقال رجل: أنا يا رسول الله فجعل يطوف بين القتلى فلقبه فقال: أقرئ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مني السلام، وأخبره أنني طُعِثْتُ انتي عشرة طعنة، وإنني أنقذت مقاتلي، وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قُتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأحد منهم حيّ.

انظر ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة ٧٧/٣/٢ ترجمة رقم (٣٤١٧).

(٣) (سعد بن عبادة) بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمية بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج سيد الخزرج، يكنى أبا ثابت، وأبا قيس، وأمّه عمرة بنت مسعود لها صحبة وماتت في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) سنة خمس وشهد سعد العقبة وكان أحد النقباء، واختلف في شهوده بدرًا وقال ابن سعد: كان يكتب بالعربية ويحسن العوم، والرمي، وكان مشهوراً بالجوّد. وكان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) رايتان. راية المهاجرين مع علي بن أبي طالب، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة خرج إلى الشام فمات ببحوران سنة ١٥هـ، وقيل سنة ١٦هـ، روى عنه بنوه: قيس، وسعيد، وإسحاق، وحفيده شرحبيل بن سعيد، وروى عنه من الصحابة ابن عباس وغيرهم.

انظر: ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة ٨٠/٣/٢ ترجمة رقم (٣١٦٧) المزي: تهذيب الكمال: ٩٢/٧ ترجمة رقم (٢١٩٦).

(٤) (عبد الله بن رواحة) بن ثعلبة بن امرئ القيس... بن كعب بن الخزرج شهد بدرًا، والعقبة، وهو أحد النقباء بها، وشهد المشاهد كلها إلا الفتح فإنه قُتل يوم مؤتة، وهو أحد الأمراء فيها روى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن بلال المؤذن. =

- ٥ - أبو الهيثم بن التيهان<sup>(١)</sup>.  
 ٦ - البراء بن معرور<sup>(٢)</sup>.  
 ٧ - رافع بن مالك الزرقني<sup>(٣)</sup>.  
 ٨ - عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر<sup>(٤)</sup>.

= وروى عنه من الصحابة كثير منهم أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة وغيرهم. قال عروة بن الزبير: لما ودّع المسلمون عبد الله بن رواحة في خروجه إلى مؤتة دعوا له ولمن معه من المسلمين أن يردهم الله سالمين فقال ابن رواحة: لكنتي أسأل الرحمن مففرة وطعمنة ذات فرع تقذف الزبدا أو طعمنة بيدي حران مجهزة بحرية تنفذ الأحشاء والكبدا حتى يقولوا إذا مرؤوا على جدلي يا أرشد الله من غايز وقد رشدا قال الواقدي: كانت مؤتة سنة ٨٨.

انظر: المزي: تهذيب الكمال ١٣٥/١٠ ترجمة رقم (٣٢٥١).

ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٨٧/٥.

ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة ٦٦/٤/٢ ترجمة رقم (٤٦٦٧).

(١) (أبو الهيثم بن التيهان) بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عامر الأنصاري الأوسي، يقال: التيهان لقب، واسمه ملك، وهو مشهور بكنيته، وكان نقيب بني عبد الأشهل أسيد بن حضير وأبو الهيثم بن التيهان. وأخى النبي (صلى الله عليه وسلم) بينه وبين عثمان بن مظعون شهد المشاهد كلها - قيل إنه توفي سنة ٢١هـ وقيل: إنه شهد صفين مع علي رضي الله عنهما. انظر ترجمته في ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة ٢٠٨/٧/٤ ترجمة رقم (١١٨٨) ابن كثير: البداية والنهاية ١٥٠/٣١٢. السهيلي: الروض الأنف ١٩٤/٢.

(٢) (البراء بن معرور) بن صخر بن سابق بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم... ابن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السلمي، أبو بشر، وهو من النفر الذين بايعوا البيعة الأولى بالعقبة وهو أول من بايع في قول ابن اسحاق، وأول من استقبل القبلة، وأول من أوصى بثلاث ماله، وهو أحد النقباء، وهو أحد الذين أكلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الشاة المسمومة فمات، والبراء ممن صلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على قبره وكبر أربعاً، ورويت من طرق كثيرة قاله أحمد بن حنبل وذكر كل هذه الطرق ابن عبد البر في التمهيد.

انظر ابن حجر: الإصابة ١٤٩/١/١، السهيلي: الروض الأنف ٢٠٢/١.

(٣) (رافع بن مالك) بن المجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الزرقني، شهد العقبة وكان أحد النقباء، وهو أول من أسلم من الخزرج، وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن عمر بن حفظة أن مسجد بني زريق أول مسجد قرىء فيه القرآن، وأن رافع بن مالك لما لقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت. فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه، فقرأ عليهم في موضعه قال: وعجب النبي (صلى الله عليه وسلم) من اعتدال قلبه. انظر: ابن تقي الدين القسطنطيني: كتاب الوفيات ٣٩. انظر ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ترجمة رقم (٧٣٨)، انظر: ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة ١٨٩/٢/١ ترجمة رقم (٢٥٤٠).

(٤) (عبد الله بن عمرو بن حرام) بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي والد الصحابي المشهور (جابر بن عبد الله الأنصاري) معدود في أهل العقبة، ويدر، كان من النقباء واستشهد بأحد، ثبت ذكره في الصحيحين من حديث ولده.

انظر ابن حجر: الإصابة ١١٠/٤/٢ ترجمة رقم (٤٨٢٩).

- ٩ - عبادة بن الصامت<sup>(١)</sup>.  
١٠ - أسيد بن حضير<sup>(٢)</sup>.  
١١ - رفاعة بن عبد المنذر بن زبير<sup>(٣)</sup>.  
١٢ - أبو أمامة أسعد بن زرار<sup>(٤)</sup>.  
فهؤلاء النباء الاثني عشر الذين كانوا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

- (١) (عبادة بن الصامت) بن قيس بن صرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو الوليد. شهد بدرًا، وكان أحد نباء العقبة، وشهد سائر المشاهد، وحضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين روى ١٨١ حديثاً أكثر الروايات أنه توفي سنة ٣٤ هـ. المزي: تهذيب الكمال ٤٣٨/٩ ترجمة رقم (٣٠٩١)، انظر: ابن حجر: الإصابة ٢٧/٤/٢ ترجمة رقم (٤٤٨٨).
- ابن قنفذ القسطنطيني: كتاب الوفيات ٥٤، ابن العماد: شذرات الذهب ٤٠/١، ابن عبد البر: الاستيعاب ترجمة رقم (٣٣٤٠).
- (٢) (أسيد بن حضير) بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي، يكنى أبا يحيى. كان شريفاً في الجاهلية والإسلام شهد العقبة الثانية وكان أحد النباء الاثني عشر، وشهد أحداً فخرج سبع جراحات وثبت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين انكشف عنه الناس، ومن الحديث (نعم الرجل أسيد بن الحضير) توفي بالمدينة سنة ٢٠ هـ. انظر ترجمته في ابن حجر: الإصابة ٤٨/١/١ ترجمة رقم (١٨٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢٠١/١، المزي: تهذيب الكمال ٢٦٠/٢ ترجمة رقم (٥١٠) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣٠٤/١ ابن قنفذ القسطنطيني: كتاب الوفيات ٤٨.
- (٣) (رفاعة بن عبد المنذر) بن زبير بن زبير بن أمية الأنصاري الأوسي أخو أبي لبابة. ذكره أبو الأسود عن عروة من أهل العقبة، وموسى بن عقبة في البدرين. شهد العقبة وقتل بخير.
- انظر: ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة ٢١٠/٢/١ ترجمة رقم (٢٦٦٤).
- (٤) أبو أمامة (أسعد بن زرار) بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي (أبو أمامة) قديم الإسلام شهد العقبتين وكان نقيباً على قبيلته، ولم يكن في النباء أصغر سناً منه، ويقال إنه أول من بايع، وأول من صلى الجمعة بالمدينة مات قبل بدر سنة إحدى من الهجرة في شهر شوال ودفن بالبقيع. وهو أول من دفن به.
- انظر المزي: تهذيب الكمال ٤٤١/٢ المستدرک للحسيني ترجمة رقم (٣٩٧) ابن حجر: الإصابة ٣٢/١/١ ترجمة (١١١).

## باب حال قطب النُّقباء وهو الأول

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«أفضل ما قُلْتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»<sup>(١)</sup>.

اعلم

أن الحق تجلّى إلى قلوب الخاصة من العباد المصطفين على ثلاث مراتب:

- يتجلّى لهم ثم يجلى.

- وطبقة يتجلّى ويجلى معاً.

- وطبقة ثالثة يجلى ثم يتجلّى.

ومقام القطب يتوالى فيه التجليات.

قالت عائشة «رضي الله عنها»: «كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يذكر الله على كل

أحيانه»<sup>(٢)</sup> وهذا ذكر محل الدعاوى محله لا غير.

(١) حديث: «أفضل ما قُلْتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله» هو جزء من حديث أوله (أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قُلْتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له) رواه مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كريب مرسلًا، وأخرجه الترمذي وحسنه عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وزاد له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ورواه البيهقي عن أبي هريرة بلفظ «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل قولِي وقول الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله» الحديث وزاد بعد، «وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير...».

انظر العجلوني: كشف الحفاء ١٥٣/١ رقم (٤٥٦) وانظر السيوطي: جامع الأحاديث ٦٧٤/١ حديث رقم (٣٥١١).

(٢) حديث: (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يذكر الله على كل أحيانه). أورده الإمام صلاح الدين التجاني في كتاب جوامع الكلم من أحاديث سيد العرب والعجم تحت رقم (١٨٤١) ص ٢٧٣ وقال فيه:

رواه الترمذي، والنسائي، ومسلم، وابن ماجه، وابن حبان، وأبو داود، والحاكم. كلهم عن عائشة - رضي الله عنها - =



وهو من حق الخواص نفي الأسماء لا نفي الشركاء، ولأن كل اسم تحت حيطه اسم<sup>(١)</sup> (الله) والأشياء إنما تظهر عند أسمائها الظاهرة بها. فإذا تجلّى له ذلك الاسم، والعارف تحقق بحقائق الجمع بالاسم (الله) قال: لا إله إلاّ الله ينفي ذلك الاسم أن يملكه بوقته فيحول بينه وبين جمعيته، ولهذا جاءت بها<sup>(٢)</sup> الأنبياء أول دعوتها، وكل ذكر بعده إنما هو نتيجة عنه، وذلك إذا قلت: الله أكبر، أو سبحان الله.

أو ما ذكرت، وإنما يكون هذا الثناء بعد ثبوت المثني عليه، وإثباته يستدعي نفي ما سواه [فيصح له الثناء المطلق فإذن ولا بد من اقتران نفي ما سواه]<sup>(٣)</sup> معه من أجل الحقائق التي تعطي ذلك.

فإن الشريك لا حقيقة له، [والاسم له حقيقة]<sup>(٤)</sup>، والمنفي لا ينفي والشريك لا ينفي، فإنه ما هو ثم، والاسم ينفي فإنه ثم، فلا بد أن يكون الذكر نفيًا وإثباتًا: لا إله إلاّ الله. وأما أهل (الله)، و(الهو)، و(الأنت)، و(الأنا) فهي أحوال في (لا إله إلاّ الله). وكلامنا في المقام الذي يجمع الأحوال لا على الأحوال، وحال هذا الشخص الصمت والشغل بالله دائماً، وله التمكين، والقوة، والتصريف، وليس له باب مسدود، والمفاتيح كلها بيده.

= وقال: حديث صحيح.

انظر جوامع الكلم ٢٧٣ وانظر الإمام السيوطي: جامع الأحاديث ٢١٥/٥ الحديث رقم (١٦٦٧٣).

(١) في النسخة (د): (الاسم).

(٢) من النسخة (د): (ه).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من النسخة (م)

(٤) ما بين المعقوفين سقط من النسخة (د).

## باب النقيب الثاني من اثني عشر<sup>(١)</sup>

وحالهُ النفوذ عند التصادم، وذلك إذا انبعث النوران<sup>(٢)</sup> ثُمَّ انعكسا<sup>(٣)</sup> في الوسط صارت مصادمة، فمن شاهد هذا المشهد، فذكره التكبير، ومشاهدته الكبرياء كبرياء لا مقابل له ولا مفاضلة فيه، وإن تضمن النقيض فهكذا هي جميع الأشياء، وإنما الخوف في هذه الطريقة من إثبات المشارك في الصفة، وليس الجزع من إثبات الكبير والحقير، لكن من كبير وأكبر.

فقولك: الله أكبر، وأجلُّ، وأعظم. هو ردُّ الاسم إليه، ووصف الذات، فوقتاً يكون لمجرد الثناء الحسن والمدح. ووقتاً يكون للوقاية والعصمة من الاشتراك. وهذه الأوقات ليست براجعة لنفس المذكور، وإنما ترجع لخلقهِ، وهذا الذكر يتضمَّنُها.

قال: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري. من نازعني واحداً منهما قصمته..»<sup>(٤)</sup>.

وقال: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾<sup>(٥)</sup>.

ففي هذا الوقت هو الكبرياء وقاية للجناب الأقدس، لن يتحقق به أحدٌ إلاَّ الله. وهذا النقيب حالُّ الغيرة ومشاهدة المنازعين، ولا تُعطيه مشاهدة الكبرياء أن يتمتع في زينة

(١) في النسخة (د): (من اثني عشر نقيباً).

(٢) في النسخة (د): (التصوران).

(٣) في النسخة (د): (ثم انعكسا فالتقيا في الوسط).

(٤) حديث: (الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري...).

انظر الأحاديث أرقام (٢٦٩)، (٢٧٠)، (٢٧١)، (٢٧٢) من كتاب الأحاديث القدسية، وكلها ليس فيها (قصمته) ولكن (عذبتَه)، (قدفته في النار)، (ألقيته في جهنم) انظر باب حديث الكبرياء ردائي ٢٧٠/١.

(٥) الآية رقم (٣٥) من سورة غافر.

الدنيا، إلا أن هذا النقيب يظهر بصورة حق فيكون مهوباً ولو كان الرائي له لا يعرف حاله. لكنه يجد على قلبه منه سلطاناً، وسبب<sup>(١)</sup> ذلك أنه ما من إنسان في غير هذا الموضع إلا وللحظ النفسي فيه مدخل. وهذا حقٌ صرف، فإذا رأى من هذا مقامه دحض الكل، وزهق تحت قهر الحق. والحكم للأحوال. والفضل فيها لا للرجال.

---

(١) في النسخة (د): (ومثبت ذلك).

## باب النقيب الثالث

هذا النقيب هو مَنْ تجلّى الحق تعالى له الأشياء، ثم يتجلّى له<sup>(١)</sup> لمعانٍ يعرفها أهل الكشف، وهذه مرتبة الطبقة الثالثة، وديدنه التسبيح والتنزيه، وذلك لأن الأشياء مراتبها على مراتب الأسماء، فما من شيء ولا حكم في الوجود إلا واسم ينظر إليه. والمسبح لهذا القطب إنما هو (الله) ليس الاسم (الرب) فعليه أتكلم<sup>(٢)</sup>.

### فاعلم

أن الأشياء لما أوقعها الله تعالى بعضها على بعض في مراتب الوجود إلا الأسباب الأول فإنها لا عن مثلها فصار كل سبب له على مسببه ربوية ما وللمسبب إليه نظر ما، واقتدار. قال تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولهذا ثبت في العالم سلطان لولا، فإذا كوشف هذا النقيب على هذه الرتبة السببية<sup>(٤)</sup> العرضية، ورأى ما بينها وبين مسبها من الارتباط والتعشق والتوجه على الغيبة على القدرة المطلقة، والعجز المطلق الذي هم عليه. ويسمع عند الكشف الأولوية المنسوبة إلى هؤلاء يكون عند ذلك في أحد مقامين:

- إما في مقام مشاهدة الاسم الجامع، ويرى الأشياء تنسب إلى أسمائها، وليس لها مقام الجمعية، وتنسب بالاسم إلى الله، فيسبح هذا النقيب: (الله) [تنزيهاً عن التقييد بحكم ما دون غيره.

(١) في النسخة (د): (لهم).

(٢) في النسخة (د): (التكلم).

(٣) الآية رقم (١٤) من سورة لقمان.

(٤) في النسخة (د): (الرتبة السنية).

- وإما أن يكون في مقام مشاهدة نقص الأسباب، ونسبة الألوهية إليها. فيقول: (سبحان الله) تنزيهاً<sup>(١)</sup> عن هذا النقص الذي في الأسباب. وعلى هذا يمضي تسييح كل شيء<sup>(٢)</sup>. ثم اعلم أن حال هذا النقيب الحياء من الله. لأن الحياء إنما يقع من أجل رؤية الأغيار، وهي تلازمه ملازمة<sup>(٣)</sup> شديدة، وإن كانت وضعية، أعني صفة الحياء من الله تعالى. فإذا أقيم هذا النقيب في أول سكره حاله، ورأى أن التسييح المخلوق لا يليق به لأنه أنزه من ذلك، فيراه عائداً عليه، وله مقام الجمع وليس ثمَّ ما يدل على هذا المقام إلا الاسم (الله). وهو لا يريد أن يسمع التسييح لنفسه لما فيه من الشنعة كقول أبي يزيد البسطامي<sup>(٤)</sup>:  
(سبحاني)

أعطاه قوة الحال<sup>(٥)</sup> أي: يكتفى عن مقامه بالاسم الجامع، ويوقع التسييح عليه، وذلك أن التسييح ذكر من الأذكار الإيجابية، وهذا النقيب في مقام الأمر، فيريد<sup>(٦)</sup> التسخير بكل وجه في كل عالم. فيلزم<sup>(٧)</sup> التسييح لهذا المعنى.  
وأحوال هذا النقيب رقيقة المنار، حميدة [الآثار]<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د).
  - (٢) في النسخة (د): (كل اسم).
  - (٣) في النسخة (د): (وهو ملازمه ملازمة).
  - (٤) (أبو يزيد البسطامي).
  - انظر ترجمته داخل هذا المجلد.
  - (٥) في النسخة (د): (اعظام قوى الحال أن يكتفى).
  - (٦) في النسخة (د): (فريد).
  - (٧) في (د): (فيلرمة).
  - (٨) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (د).

## باب النقيب الرابع

حال هذا النقيب حال جمعية، لأن التحميد له [والتحميد]<sup>(١)</sup> على ربتين: حَمْدٌ مطلق، وْحَمْدٌ مُقَيَّد. والمقَيَّد على قسمين:

- مقيد بصفة تنزيه.

- ومقيد بصفة فعل.

\* فالحمد لله مرسلأ هو الحمد المطلق، وينطق به شخصان:

- شخص أقيم في مقام الجمع، وأحاطت به الأمور، فلم يتقيد فقال: (الحمد لله) بالاسم الجامع.

- وشخص نطق به عن غير قصد منه.<sup>(٢)</sup> على الحقيقة ما ثمَّ حَمْدٌ مطلق، إلا لفظاً لا معنى.

\* وأما المتقيد بصفة التنزيه فقولُه:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً﴾<sup>(٣)</sup> وَشَبَّهَهُ

\* وأما المقَيَّد بصفة فعل، فكقولُه:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) ما بين معقوفتين سقط من النسخة (د).

(٢) هنا زائد في النسخة(د): (على أن على).

(٣) الآية رقم (١١١) من سورة الإسراء.

(٤) الآية رقم (١) من سورة الأنعام.

ولهذا النقيب التفاتة إلى حمدِ الحمد. وذلك أن الحامدين ثلاثة:

- الحامد الحق.

- والحامد الخلق.

- والحامد المجاهد، وهو الحمد الصحيح، ولو سكتوا ثبت عليك الحقائق. ولهذا قال بعضهم:

الحمد لله حمداً يوافي هو نفسه.

فالضمير يعود على الحمد

\* وقتاً يلتفت هذا النقيب إلى حمد الحق نفسه:

فيكون في ذلك الوقت ينظر من الورث المحمدي الحقيقة الموسوية، ومن الورث الكلبي الحقيقة الأولى صاحبة البحار السنية. فتغشاه الأنوار<sup>(١)</sup> المذهبة للأبصار، وفي هذا المقام يناديه الحق اثنا عشر ألف نداء، باثني عشر ألف تجلٍ يعطيه فيه اثني عشر ألف حكمة.

\* وقتاً يلتفت إلى حمد الخلق إياه:

فيرى في هذا المقام<sup>(٢)</sup> لغات العالم. فمنهم من يقى عليه، ومنهم من لا، غير أنه يبقى عنده معرفة المحامد<sup>(٣)</sup>، وبأي شيء يثني كل عالم، وبماذا يفصل عن صاحبه ولكن في ذلك الوقت.

وأما في الوقت الثاني، فلا يكون ذلك، وذلك لأن الحق له في كل موجود تجلٍ في حد الزمان الذي يخص ذلك الموجود المفرد<sup>(٤)</sup>، وكل تجلٍ يعطى نعتاً ووصفاً ليس للآخر<sup>(٥)</sup> فيتنوع الحمد بتنوع المنعوت والصفات. فلماذا لا يقدر عارف أن يعبر عن حمد أحد في المخلوقات إلا في زمان كشفه، والزمان الثاني لا، ولكن يعرف أجناس المحامد مطلقة، وأما شخصياتها فلا لما ذكرناه.

\* وقتاً يلتفت إلى حمد الحمد:

ولكن ليس يمكن أن يشهده على الإطلاق، وهذا هو مشاهدة الصفات، والسبب الموجب

(١) لفظ الأنوار سقط من النسخة (د).

(٢) في النسخة (د) (من المقام).

(٣) في النسخة (م) (المجاهدة).

(٤) في (د) (المعبود).

(٥) في (م) (لسر الآخر).

لكونه لا يشهده<sup>(١)</sup> على الإطلاق، ولكن لا يشهدها إلا بكون آثارها المماثلة لها في نفسه، فمن نفسه يشهدها. وهذه كلها أحوال سنيّة لهذا النقيب.

فوقت شهوده حمد الحق لا يراه أحد، وإن رآه أثر فيه، فيخفي نفسه عن رؤية الخلق، وكان في هذا المقام عندنا بالمغرب شخص يقال له: أبو يعزى، ووقت شهوده حمد الخلق يكون مسخرة عند الخلق. يزدرونه، ويحتمقونه<sup>(٢)</sup>.

ووقت شهوده حمد الحمد يكون عند الخلق محبوباً مقدماً إماماً على<sup>(٣)</sup> الثقلين.

---

(١) في (د): (لا يشهدها).

(٢) في النسخة (د): (يجفونه).

(٣) في النسخة (م): (خلي) وتعني أنه إماماً على كل شيء ما عدا الثقلين الإنس والجن.



## باب النقيب الخامس

كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول في السراء: «الحمد لله المنعم المتفضل، ويقول في الضراء: الحمد لله على كل حال»<sup>(١)</sup>.

فمن الثَّقاء من هو على مقام (الحمدُ على كل حال) لاستصحاب الضراء عليه، وهو هذا النقيب، ولا يتمكن الشكر على البلاء عند الأكابر المحققين لكونه يعطي الحقيقة ما لا يليق بها، وهذا حال أهل الشكر، والذين تملكهم الأحوال.

وأما السادات فإنهم مالكو أحوالهم، فهم يحكمون عليها، فلا يظهر منهم في موطن إلا ما يليق بذلك الموطن.

ولهذا مدح الله نبيّه فقال: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾<sup>(٢)</sup>.

ولم يقل شاكرأ. الآية: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر﴾<sup>(٣)</sup> ومن هذا الباب نداء يونس (عليه السلام)، وبكاء النبي (صلى الله عليه وسلم) على<sup>(٤)</sup> ابنه إبراهيم، وإضافة الحزن إليه. وأثنى الله على قوم يقولون عند المصائب: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾<sup>(٥)</sup> فقال: ﴿وأولئك عليهم﴾<sup>(٦)</sup> صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾<sup>(٧)</sup> فهم أرفع الخلق.

(١) حديث: (الحمد لله المنعم المتفضل... الحمد لله على كل حال). أورده ابن ماجة في سننه ج ٢ ص ١٢٥٠.

(٢) الآية رقم (٤٤) من سورة ص.

(٣) الآية رقم (٨٣) من سورة الأنبياء.

(٤) في النسخة (م): (عن).

(٥) الآية رقم (١٥٦) من سورة البقرة.

(٦) إلى هنا تنتهي النسخة (م) واستكمال الأبواب من النسخة (د).

(٧) استكمال الآية السابقة.

وأما من نزل عن هذا المقام، فإنه يعامل المؤمن بما يقتضيه حاله لا بما يقتضيه الموطن. كالفضيل<sup>(٨)</sup> لما ضحك يوم مات ابنه. وهكذا فعل أصحاب الأحوال، وليس عندهم من مواطن مراتب الوجود خير، وليس شكره من المصيبة فكانت الحكمة تبطل وإنما يشكر من حيث النعمة وهي حاله، والنعمة تقتضي الشكر، فأصابوا من هذا الوجه كفعل عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) إلى غيره، ولا يدل هذا على نقص الشخص وإنما هو بالنظر إلى الموطن، وحال الحكم يوافق المواطن، فاستوى الأمر حالاً وموطناً. ولهذا النقيب من أجل الحكماء يعامل الأمر بحسب المواطن ويجري حاله عليها.

(٨) الفضيل بن عياض التميمي، يُكنى أبا علي ثم أحد بني يربوع، ولد بخراسان بكورة أيورد، وقدم الكوفة وهو كبير، فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره، ثم تعبد وانتقل إلى مكة في خلافة هارون، وكان ثقة ثباتاً. فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث (الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٥٠٠).

## باب النقيب السادس

اعلم

أن الله تعالى إذا فوّض إلى موجودٍ ما، وهو هذا النقيب أمور الخلق فإنه لا يمكن له أن يرد التفويض إليه سبحانه لما فيه من سوء الأدب، لأنه عالم بأنه لا فاعل إلا الله. وأن ذلك التفويض لا يؤثر في الملك شيئاً، وإنما هو إنما هذا الشخص على أقرانه فيقبل ذلك التفويض، ثم يفوّض أمره إليه فيقول:

﴿وأفوض أمري إلى الله﴾<sup>(١)</sup>

وذلك في وقتين:

- الوقت الواحد:

هذا المقام الذي نحن بصدده، وسبب هذا التفويض لنا، بل العالم الأكبر والأصغر ومحدثات الكون تتوالى وتتعاقد، وتتنوع همة هذا العالم بتنوع أحوال العالم، فإذا فوّض هذا النقيب أمره إليه تولى الله أمره بحسب اختلاف الإدراك، ويجري اختلاف أحواله على قانون اختلاف العالم، فينظر تدبير الحق له في أحواله على اختلافها فيدبر أحوال العالم على ذلك المجرى. فيولي ويعزل، ويعطي ويمنع، ولكن إذا رأى الولاية والعزل فيه، والعطاء والمنع فيه، فينظر ما الصفة التي قامت به حتى أُوْحِت له هذا الحكم، أي حكم كان من هذه الأحكام، ثم ينظر في العالم فحيثما وجد تلك الصفة وجّه عليها الحكم الذي في الصفة الحق بها حتى قامت بنفس هذا النقيب، فهكذا نظر هذا النقيب في العالم، إذا كان في هذا المقام.

(١) الآية رقم (٤٤) من سورة غافر.

- وأما الوقت الآخر:

فهو بعد ندائه الحق وإماتته واستعصاء الخلق في إجابته يرجع إلى الأدب ويقول: متى أتى عليهم.

ويفوض أمره إلى الله، ليرى هل يطرأ عليه شيء لم يكن عنده من أصول هذا المقام، أم لا. فإذا طرأ علم أن الحال منه كان، وإن لم يطرأ ويكون جهات مقامه محفوظة، عرف أن مراد الحق بالخلق ما ظهر منهم، فمثل هذا النقيب إذا كان حاله هذه يغلب عليه الخوف، والغضب، وتمثل الساعة بين يديه، وشدائدها، ومكارهها ويرى صنوف العذاب والانتقام، وخراب هذه الدار، فلا يزال كثير البكاء، شديد التضرع والابتهاال خائفاً وجللاً مثل يحيى عليه السلام.

## باب النقيب السابع

هذا النقيب أقرب الأسماء إليه الخالق، والعزیز. وهو كثير المشاهدة لنفسه، وتصرفه في عالم الأفلاك قليل، والغالب عليه مشاهدة الحضرة الإلهية، والحضرة الإنسانية.

- فوقتاً ينادي بالمعرفة بلسانين بلسان المثل ونفسه، فيقال له: اعرف لا تعرف.

- ووقتاً ينادي بالذلة والافتقار، فينادي بما ليس لله، كما قال أبو يزيد<sup>(١)</sup>:

دخلت من أبواب كثيرة مثل الجهاد، والصلاة، والصيام، والزكاة، وأفعال البر فوجدت على أبوابها ازدحاماً كثيراً، وما وجدت لنفسي هناك موضع قدم، فبقيت متحيراً لا أدري بما أتقرب إليه، فناديت:

- يا إلهي بما أتقرب إليك؟

فقال: بما ليس لي؟

فقلت: وما ليس لك؟

قال: الذلة والافتقار.

قال: فدخلت من باب الذلة والافتقار، فما وجدت عليه إلا قليلاً من الناس.

غير أن هذا النقيب سليمانى الملك، له نفوذ في القوى الروحانية النارية، وله تصريف في النفوس، ويكون أكثر علمه الطب والطلاسم العظيمة التي تُعشّر على كل الخلق، ويكون له قصر من أجل الاسم العزيز الذي ينظر إليه. ويبقى على هذا النقيب كرامات مثل الخطوة، والهواء، والماء والكشف. لأن الكرامات ليس من شأن مقام النقيب، مقامها لا يأتي أحد عند

(١) تقدمت ترجمته.

هذا النقيب لا عنه، ويعرف ما أتى به، وما يريد، وما نوى، بما أئده الله من القوى. غير أن هذه الأمور التي تكون لهذا النقيب بخلاف ما تكون لبعض الأولياء من سالكي طريق الله. فإنها تكون له من جهة الخطاب لأنها تقوم به كما تقوم بالمريد، لأن نفسه متحققة بمقام القطبية فليس لها نظر إلا إلى جانب مولاها، والمريد إنما نظره في ذاته، وما يطرأ فيها من الأحوال.

ومن أحوال هذا النقيب حالان:

- حال يحب فيه حيرة نفسه ليرى ما عندها، وما هي فيه.

- وحال يريد به الرفعة على أبناء جنسه.

وقد يقام في الحالين، وقد يقام في أحدهما.

\* فإن أقيم في حال الحيرة كان عزيز السلطان سامي المقام متقدماً على النقباء في الصدر الأول سابقاً.

\* وإن أقيم في حال طلب الرفعة لعلو الهمة، فإنه ينقص عن المرتبة العظمى التي يتنافس فيها النقباء، وذلك من أجل الموطن الذي بني على عدم طلب الرفعة على أبناء الجنس. ومن أجل هذا النقيب حب المستحسنات هو الغالب عليه، فإن عصم فقد أوتي خيراً كثيراً إذ هو الذي يطرأ عليه من هذين الاسمين الناظرين إليه العزيز والخالق فهو يتنوع بتنوع توجههما.

عصمنا الله من الآفات

بِمَنِّهِ إِنَّهُ وَلِيُّ كَرِيمٍ

## باب النقيب الثامن

---

إذا كان هجير هذا النقيب هذه الآية<sup>(١)</sup>، ونظرها إليه وروحانيتها موكلة به، فإنه يكون ظاهراً في الدنيا، ذا سلطان قوي في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدُّبُّ عن حمى الله تعالى، ويكون منصوراً عزيزاً عند الخلق، سيداً مُطاعاً. وإن كرهته النفوس أكثرها فإنها عند الاجتماع به يقهرها سلطانه، فتذل تحت عزّه، ولا تبدي له إلاّ الحسن هذه مرتبته ومقامه. ويكون هذا النقيب فيه دعاية مع كونه مهيباً، كثير المزاح، كريماً بما يملك، مقداماً محبباً في الحرب. الغالب عليه البسط، ينظر إليه اسمه الجميل [والجيب الاله]<sup>(٢)</sup> الوجه.

وهذا النقيب (القطب) لا يكون عزباً، وإن كان فلعدم الوجدان، للقيام بالنساء من جهة المال، فإذا وجد تزوج. والأغلب في صاحب هذا المقام أن يكون الخليفة الظاهر في ذلك الوقت.

وأما حاله: فأسنى الأحوال. فإنه محمدي عام له شبه من كل نبي، وحظ وافر.

---

(١) لم يذكر الآية.

(٢) ما بين المعقوفين غير واضح في المخطوط (د).

## باب النقيب السامع

كان حال هذا النقيب السامع المطلق، فكان يسمع في كل شيء، وكان يأخذ من قوله تعالى أحسنه، ما وجد معه القلب مع الله، وما وافق لذة النفس من جهة نزوله إليه، لا من جهة ما هو فيه الآن. ودعاؤه للخلق من هذا المقام.

ولا أريد بالسماع هذا الذي يقوله القوال، وإنما هو إدراك الحقائق من طريق القول لا من طريق المشاهدة. لكن لهذا القطب تمييز قوي في ترتيب الخطاب على مقامات الخلق بمقدار موزون، كأوزان الفلاحين، فإذا وردت عليه المخاطبات عرف أسرارها، ولمن تطلب. وإذا رأى من رأى عرف ما ينظر إليه من حقائق تلك المخاطبات. فهو لا يزال يتبع مواقع الخطاب فإذا ورد بقوله:

﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾<sup>(١)</sup>.

رمى بها في موطنين:

الموطن الواحد: هياكل الظلم

الموطن الآخر: في مقام المشاهدة

فإن الكلام والمشاهدة لا يجتمعان، لأن الإنسان عند موارد الحقائق الإلهية ليس في وسعه إلا الانفراد، لحقيقة ما دون غيرها لما تعطيه من الجلال والعظمة، فتحمل هذا القول على النفس، إذا قدرت على المحادثة في المشاهدة. وكذلك إذا قدرت على ورد رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه.

(١) الآية رقم (١٠٨) من سورة المؤمنون.



رضي الله عنهم بما أوصلهم إليه، ورضوا عنه فيما أوصلهم إليه من نعيم الجنان، فلم يطلبوا فيه مزيداً لتضييع. لأن الزيادة من لذات الحواس ليس بمطلوب عند الأكابر. بل طلبهم:

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

لأن العلم يُنزلهم عنده، وينزله إليهم، وغير العلم ليس له في الإلهية قدم، وغايته الكون. والقلب بحيث معلومه فهذا حال هذا النقيب المُكْرَم. فافهم، وسلّم.

---

(١) الآية رقم (١١٤) من سورة طه.  
ونصها ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

## باب النقيب العاشر

إذا كان منزل هذا النقيب هذه الآية لما كان مشهده النظر في قوله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾<sup>(١)</sup>

فنظر في الشريك المعبود فلم ير المعبود من الشريك إلا الألوهية، التي توهمها العابدون له فيه. فإذا ما عبد إلا الله. ولهذا المقام غار الحق عليه فأوقف قضاء الحوائج على التضرع لذلك السرّ الإلهي المتوهم في ذلك الشريك.

وإذا لم يرعوا حقّه سلّطت عليهم البلايا والمحن فافتتنوا بذلك فهلكوا. والحضرة الإلهية في هذا الفعل قائمة للغيرة والفتنة ولهذا وقع التعريف بالإضافة إلى حي الجمع، وله يقع بالألف واللام من أجل العابدين له في المواد سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً. أي: هذا المعبود في المواد على زعمهم، لا والمعبود في غير المواد؛ المقدّس العزيز الذي عبده الموحّدون، معبودٌ واحدٌ ليس إلا.

ولهذا فإنه بعد قوله: ﴿وَالْهَكْمُ﴾<sup>(٢)</sup> بالتكبير فقال: ﴿إِلَهُ﴾<sup>(٣)</sup> ثم أردفه بالوحدانية، لا بالأحادية التي جاءت بالنسب من قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٤)</sup>. فإن الواحد الذي هو اسم الأحد له أسامي كثيرة لا تنهاى يجمعها اثنا<sup>(٤)</sup> عشر كلمة بسيطة. وما تركب من هذه

(١) الآية رقم (٢٣) من سورة الإسراء.

(٢) الآية رقم (١٦٣) من سورة البقرة.

ونصها: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

(٣) سورة الإخلاص الآية (١).

(٤) في المخطوط (د) اثنا عشر وفوق لفظ اثنا (خمسة).

البسائط منها اسم الواحد. وهو المسمى بالاثنين، والثلاثة والأربعة إلى العشرة. والمتين والألوف، ثم يقع التركيب على ما يعرف.

فالعدد كله من هذا الوجه هو الواحد. فالمعبود وإن كثر فإن الألوهية هي المعبودة خاصة. وأما قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾<sup>(١)</sup> وما أشبه ذلك. فإنما وقع الكفر من حيث نسبة الألوهية لمن ليس له، لا من حيث عبادتهم الألوهية.

فالخطاب من حيث النسبة لا من حيث العبادة. فعبر عن الجهل هنا، والخطأ بالكفر. فلهذا النظر كان منزل هذا النقيب: ﴿والهكم إله واحد﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الآية رقم (٧٣) من سورة المائدة.

(٢) الآية رقم (١٦٣) من سورة البقرة.

## باب النقيب الحادي عشر

مقام هذا النقيب: التداخل والتوالج.

وذلك أن ما عند الله هو لنا لا له، فما عنده فهو عندنا فكل ما عنده وعندنا ينفد، لكونه غيرنا، وذلك لأنه يطلب أن لا يرى مع العبد سواه، كما يطلب العبد أن لا يرى مع الحق سواه. فقولته: ﴿وما عند الله باق﴾<sup>(١)</sup>.

فهو أنت، لأنك عنده، وما سواك ما عداه فهو عندك وأنت بما عندك عنده، وما عنده باق، فكل شيء باق. وقد كان كل شيء نافذ. فلهذا قلنا: هذا مقام التداخل والتوالج. واعلم:

أن الصور عندنا، والجوهر عنده، ويستحيل بقاء الصورة زمنين، فالعالم ينفذ من كل آن بالصورة، لأنه بالصورة عندنا، وهو باق بالجوهر دائماً لا يزال. فجعل المنسوب إليه باقياً وإن كان محدثاً، وجعل المنسوب إلينا نافذاً، وإن كان لا يزال. غير أن العبادة جاءت بالنفاد ولم تجيء بالإعدام، ولا يلزم من نفاد الدراهم من يدي عدم أعيانها، فقد صحح بقاؤها برفع ملكي عنها بحكم التصريف الذي كان لي فيها عبر عنه بالنفاد.

ثم ليعلم أن هذا العارف لما نظر إلى ما عنده به، وإلى ما عنده بربه كذلك كان حاله: ﴿وما عندكم ينفذ وما عند الله باق﴾<sup>(١)</sup>.

(١) الآية رقم (٩٦) من سورة النحل.

ونصها: ﴿وما عندكم ينفذ وما عند الله باق﴾.

(١) الآية رقم (٩٦) من سورة النحل.

وذلك أن الإنسان مطلوب في هذه الدار التي هي حضرة خلافته بالوقوف في كل لحظة مع عبوديته، ومهما غاب عنها طرفة عين قصمه الله تعالى. فهي التي عنده في مواطن التكليف، فلا بد من نفاذ هذا الوصف الذي عنده به، وكذلك أوصاف العزة إذا اتصف بها من حيث [هو] (١) لا من حيث ربه. فإنها تنفذ بانتقاله إلى الدار الآخرة، حيث تنفذ عبودية هذا الآخر. فصار النفاذ ينسحب على الصفتين باعتبارين مختلفين فهذا حكم النفاذ، ثم نظر فيما عند الله باق، وهو ما عنده بربه من الصفات التي كساه الحق مما لا ينبغي إلا له، لكن خلعها على هذا العبد الودود المطيع له تعالى حين شرفها المنازع بها، المخالف، الآبق، العاصي.

فلما كانت عند المطيع بربه لهذا بقيت له في الدار الآخرة، ولما كان ذلة هذا المنازع وخضوعه لا يظهر إلا بعزة الله وكبريائه، وعزة الله وكبريائه باق له ببقائه. لهذا بقيت الذلة والخضوع على الجبارين المتكبرين في الدار الآخرة الدائمة. فما عند المنازع من أوصاف العزة ينفذ، وما عند الله من ذلة هذا العبد القائم بعزة الله باق. وما عند المطيع من أوصاف العزة بالله باق، وما عنده من الخشوع والوجل ينفذ بزوال الموطن والتكليف. فالمطيع عبدٌ حق، والمنازع عبد باطل.

فهذا قوله: ﴿أعوذ بك منك﴾ (٢).

(١) سقطت من المخطوط (د) ويقتضيا السياق.

(٢) حديث: (وأعوذ بك منك) جزء من حديث، ونص الحديث: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

رواه الإمام مسلم والأربعة عن عائشة - رضي الله عنها - انظر المعجلوني: كشف الحفاء ١٩٠/١ حديث رقم (٥٧١)، (٥٧٥).

## باب النقيب الثاني عشر

حال هذا النقيب المعرفة الكاملة بحق ما للحقِّ وحق ما للخلق، فعلم قطعاً أن الأمر من الحق ما ورد على الخلق من غير أن يكون لهم استعداد الامتثال<sup>(١)</sup> وإن كان ذلك الاستعداد خلقاً للحق.

فلماً علم هذا وتحقق به كشف أن الحق لا يأمر نفسه ولا يذم نفسه إذا لم يقع الامتثال لما أمر به، ولا سيما والحقائق والشرائع ناطقة بأنه لا أحد أحب إليه أن يمدح من الله تعالى<sup>(٢)</sup> فلا بُدَّ من محلٍّ يقع عليه الحمد والذم، ولا بد من تصور إجابة عن قدرة لما تحقق بإيقاع المطلوب فلم يوقعه فذم عاملها وأوقعه فحمد.

وخطاب الحكيم لا يكون على غير حقيقة فلما تحقق ذلك تحقق كشف صحيح قال:

لا حول: «عما أَراده بي من معصية إلاّ به»

ولا قوّة: «لي على طاعته إلاّ به».

فجاء بباب الاستعانة فقال تعالى:

(١) غير واضحة في النسخة المخطوطة.

(٢) انظر الحديث الذي أورده الإمام السيوطي في جامعه «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل».

رواه الإمام أحمد بن حنبل، واتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، ورواه الإمام الترمذي كلهم عن ابن مسعود - رضي الله عنه.

انظر: السيوطي: جامع الأحاديث: ١٦٠/٧، حديث رقم (٢٤٨٨٦).

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup>.

فلو لم يكن للعبد ضرب من التعلق بالفعل لكن ما له الاستقلال فله من جميع الوجوه طلب المعونة من الله على ذلك إرادة وقدرة.

﴿وَاللَّهُ عَلَى شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذه المسألة من أغمض ما في باب المعرفة، وقد حققها هذا النقيب، وسلك فيها المسلك الواضح الأتم، بتدبير حاله، فتأملها أيها الناظر، وما بنيت<sup>(٤)</sup> تجد الحق فالتزمه. ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

---

(١) الآية رقم (٥) من سورة الفاتحة.

(٢) الآية رقم (٢٨٤) من سورة البقرة وغيرها.

(٣) الآية رقم (٢) من سورة التحريم.

(٤) ولعلها: (ما ينشئ).

## فصل

واعلم أن هؤلاء النقباء هم أقطاب لمن كان تحت دائرتهم، وكل نقيب منهم على حقيقة من حقائق تقسيم الفلك الأول، الذي هو الأطلس، المنقسم على اثني عشر برجاً، أودع الله كل جزء من هذا الفلك من الحكم في مجراه ومسيره، مما أودع علم ذلك أهل النظر فيه كل ذلك بتقدير العزيز العليم، وجعل لكل جزء هناك نظر إلى نقيب من هؤلاء النقباء حالاً بحال ونظراً بنظر. كما جعل الأبدال<sup>(١)</sup> السبعة للكواكب السبعة على ذلك الحدّ سواء حالاً بحال، ونظراً بنظر، وحكماً بحكم. فاجتمع اثنا عشر مع سبعة، فكان معه تسعة عشر، فظهرت ملائكة النار التي عليها، وركن النار ما يلي التاسع عشر. ويعود ما تحته ناراً كما كان.

يقول ابن عمر<sup>(٢)</sup>: يا بحر متى تعود ناراً.

فتحقق ما نبهنا عليه، وأشرنا إليه، وقد لَوَّحنا لك بالغرض المقصود.

﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

تَمَّ كتاب القطب والنقباء<sup>(٣)</sup>

بحمد الله، وعونه، وحسن توفيقه والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(١) (الأبدال): قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم فإذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر.

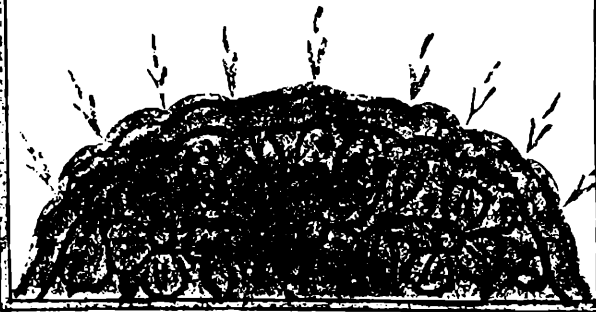
(٢) عبد الله بن عمر العمري: وهو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن، مديني، روى عن نافع والمقبري، وروى عنه الثوري وأبو نعيم وأبو الوليد والقنبي (الجرح والتعديل ج ٥ ص ١٠٩).

(٣) خاتمة النسخة (د) أما النسخة (م). فقد أشرنا حين انقطع كلامها أثناء التحقيق.



**عقلة المستوفز**





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواهب الذي • افتتح وجود السوى بالارواح  
 المهتمة المخلوقة بل المبدعة من فيض السجا ب • وعين فيهم  
 المنصر الاعظم • بالمقام الذي لا يقبل الحركات • الحكيم  
 الذي فتح وجود عالم التكوين والتدبير • بايجاد القلم العا  
 واللعن المحفوظ مظهر عالم التدوين والتسطير • موجد  
 محل النظم • والمقدار والتكوين • مظهر اعيان الاشخاص  
 على الفلكية والاملاك • وسعين مقاماتهم في الاركان  
 والافلاك • مستخر الاقوار ومحرك الاكوار بضر وب  
 الادوار • واختلاف الاحوال والاطوار • وكونوا رايك  
 وانهار • على عالم الانشقاق والانفطار لايجاد <sup>اشياء</sup>  
 التي خلقه في حسن تقويم • وبرز نسخة جامعة  
 لصور حقايق المحدث واسماء القديم • واقامة سجا  
 رايك للحقيقتين وانشاء برزخا جامعاً للطرفين •

بالروح  
 الممتدة  
 منهم  
 زيارت  
 والايام

احكم

الصفحة (1) من الورقة الاولى من المخطوط.

احكم يديه صنعة وحسن بعنايته صيغته فكانت  
 مضاهاته • للاسماء الالهية بخلقه ومضاهاته •  
 للاكوان العلوية والسفلية بخلقها • فتميز عن جميع الالقاء  
 بالخلق المستقيمة • والخلائق عتق سبحانه سره مثالا في  
 حضرة الاسرار • وتميز بوزن من بين ساير الانوار  
 ونضب له كرسى العناية بين حضرتيه واصرفه  
 نظرا للولاية • واثباته اليه فلا اقامه تعالى بهذا المقام  
 الاكل ورداه برداء العلم الاجمل • فنظرت اليه ارواحا  
 العلى بين التعظيم وذلك وجود مركبة البصم فلم يزل  
 على الكلمة يعلم الاسماء متميذا بتفاصيل الانبياء الى ان  
 اخذ مقاديرها الاملاك • ووددت باشرافها الافلاك  
 وانفعدت الاكوان • لذلك الدور وانقطاع الكور  
 عينا بيد الكور • وظهرت المتولدات للجسائيات •  
 كالمدون والحيوان والانبيا وليس للانسان وجود  
 في الاعيان • حتى اذا بلغت الدورة المحصورة وتوحيته  
 الكلمة المحصورة من الحضرة العلية المأنوسة لا يجد  
 هذه الكلمة الهوية المحروسة قبض الحق سبحانه من الارض  
 قبضته من حيث لا يعلمون وخرطينته من غير  
 كسيف ولا تشبيه وهم لا يشعرون وسواهم تجاور الالهاد

## نسخ الكتاب

اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسختين إحداهما مخطوطة من جامعة القاهرة والثانية مطبوعة طبع ليدن سنة ١٣٣٦هـ وسأتكلم عن كل نسخة.  
النسخة الأولى:

هي نسخة مكتبة جامعة القاهرة كانت ضمن مجموع وهو الكتاب الثالث في هذا المجموع. وكتب عليه في صفحة الغلاف الآتي:

### كتاب ثانٍ

كتاب عقلة المستوفز للشيخ محيي الدين  
العربي قدس سره العزيز من أسرار  
الأفلاك وعالم الكيان  
وسر الإنسان

ثم أعلى الغلاف كتب الآتي:

قال النبي عليه السلام: «عزُّ من قنع وذل من طمع صدق رسول الله».  
قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «السلامة في الوحدة، والآفة بين الاثنين».  
وفي هذا الحديث إشارة إلى العزلة والحلوة ثم أسفل العنوان كتب هذا الشعر للشيخ عبد القادر الجيلاني:

وأوصيكموا لا تقعدوا بتكبير  
وما قلت هذا القول فخرأ وإنما  
ولا قلت متى قيل قل ولا تخف  
وكل بأمر الله إن قال لي قل فقل  
تجده صغيراً في العيون الأقلتني  
أتى الإذن حتى تعرفون حقيقتي  
لأنك ولي الله في كل حالتي  
وكل بأمر الله رهن المشيئتي

وجدي خير الأنبياء محمد وأنا عبد القادر شيخ الطريقتي  
تمت القصيدة  
هكذا كتب

ثم أسفل ذلك كُتب الآتي:

أوصى الله تعالى رسولنا وهو ابن أربعين سنة، وأقام بمكة بعد الوحي إحدى عشرة سنة ثم هاجر إلى  
المدينة فأقام فيها شرفها الله عشر سنين فتوفي بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو ابن ثلاث وستين  
سنة.

ثم أيمن الغلاف مكتوب:

اللهم يا قاضي الحاجات بعده

اللهم يا كافي المهمات

اللهم يا مجيب الدعوات يا دافع البليات

اللهم يا شافي الأمراض

يا أرحم الراحمين

والصفحة يمين الغلاف عليها قصيدة سيدي عبد القادر الجيلاني لم أنقل الصفحة لعدم أهميتها هنا.  
وإنما نقلنا ما على صفحة الغلاف فقط.

— أما نسخة المخطوط فقد كتبت بخط معتاد.

— مسطرته ١٩ سطرًا.

— عدد الكلمات من (٧ — ١٠ كلمات) بالصفحة الواحدة.

— عدد الصفحات (٥٧ صفحة) بالغلاف.

أما الصفحة الأخيرة.

فقد كتبت بطريقة الهرم المقلوب

ومرفق ما يوضح وهو صورة المخطوط

وهذه النسخة كان بها سقط كثير أوضحنا منه قدر الطاقة في هامش التحقيق، والناسخ يتساهل في  
كثير من الأمور. والحمد لله فقد حققنا نصاً جيداً يمكن أن يقال كما أراد له مؤلفه على وجه الدقة.

النسخة الثانية

نسخة مطبوعة ضمن مجموع ثلاثة كتب هي على التوالي: إنشاء الدوائر، عقلة المستوفز، التدبيرات  
الإلهية. والكتب الثلاثة لسيدي محيي الدين بن عربي.

يبدأ عقلة المستوفز من ص ٣٩ إلى ص ٩٩.

وطبع بمطبعة بريل ليدن المحروسة كما هو مبين على أول صفحة. سنة ١٣٣٦هـ أي ما يقارب مائة عام في أول الطباعة.

وهذه النسخة مراجعة بشكل دقيق وعليها مقابلات وأخطاؤه قليلة بل نادرة.

ولكن الذي جمع أهمل عدة أمور:

أولاً الأمانة في توضيح نسخ المخطوط واسم الناسخ وهل هي نسخة أصلية أم لا. وكما هو واضح دون غلاف ودون خاتمة أيضاً. ولكن النص في الداخل جيد اعتمدها للمقابلة على نسخة جامعة القاهرة.

والمنافقون وجه وقفاً ثم ترفع لهم الموازين ..  
 فيوزنون لأعمالهم .. فانك ربح عملك به ثقل ميزان  
 عملك .. وارتفعت الكفة به فاخذ الى عليين وان  
 ربح هو بعمله نزل بكفة .. الى سجين وهذا لك بقرأ  
 كتابه ويرى ما قدمت يداه .. وأما المذرة في الكفر  
 فيقول القائل منهم يا ليتني اتخذت مع الرسول  
 سبيلاً .. يا ويلتنا ليتني لم اتخذ فلانا خليلاً  
 ويستني من أضله الله على يديه لقد أضلني  
 عن الذكوة بعد اذ جاءني وهم الذين  
 بلغتهم دعوة الرسول فردوها ولم  
 يميلوا بها .. وأما المجرمون فلا  
 يقيم لهم الحق يوم القيمة ذناً  
 بل يجاء بهم يوم القيمة الى  
 جهنم اعادنا الله  
 منه بفضلنا و  
 كرمنا انتبهت  
 عقلة المنعم  
 والمحمد  
 رب العالمين  
 لا اله الا  
 الله  
 وحده  
 ٥



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواهب<sup>(١)</sup>، الذي افتتح وجود السوي بالأرواح المهيمة المخلوقة بل المُبدعة<sup>(٢)</sup> من فيض السبحات، وعيّن منهم<sup>(٣)</sup> العنصر الأعظم بالمقام الذي لا يقبل الحركات، الحكيم الذي فتح وجود عالم التكوين والتدبير بإيجاد القلم الأعلى واللوح المحفوظ، مظهري<sup>(٤)</sup> عالم التدوين والتسطير، موجد محل الظلم والمقدار والإيلاج<sup>(٥)</sup> والتكوير، مظهر أعيان الأشخاص على الفلكية والأملاك، ومعين مقاماتهم في الأركان والأفلاك، مسخر الأنوار، ومحرك الأكوار بضروب الأدوار، واختلاف الأحوال والأطوار، وكوّر الليل والنهار<sup>(٦)</sup>، على عالم الانشقاق والانفطار، لإيجاد الإنسان الذي خلقه في أحسن تقويم، وأبرز نسخة جامعة لصور حقائق المحدث وأسماء القديم، وأقامه سبحانه رابطاً للحقيقتين، وأنشأه برزخاً جامعاً للطرفين<sup>(٧)</sup>، أحكم يديه صنعته، وحسّن بعنايته صيغته، فكانت مضاهاته للأسماء الإلهية بخُلُقِه، ومضاهاته

(١) في المطبوعة (الواجب).

(٢) على هامش المخطوط إضافة تقول تصحيحاً (المبتدعة).

(٣) في المخطوط (فيهم) ومصححة بالهامش (منهم).

(٤) في المخطوط (مظهر) ومصححة بالهامش.

(٥) من هامش المقدمة وهناك اضطراب في الترتيب بينها وبين المطبوعة.

(٦) هكذا وجدت بالمخطوطة، أمّا المطبوعة ففيها الآتي: (يكوّر النهار على الليل ويكوّر الليل على النهار).

(٧) هذا هو (الحق المخلوق به) في اصطلاح الصوفية أو (العدل) كما يحبون أن يشيروا إليه في أحيان كثيرة، وهو عبارة عن أول مخلوق خلقه الله تعالى، وأنه هو الإنسان الكامل ودل ذلك من كلامهم بعبارتين أحدهما: كونه العلة الغائية في كل ما خلق الله.

ثانيهما: كون المراد بالإنسان الحقيقي هي الحقيقة المحمدية، وأنها هي حقيقة الحقائق، وحضرة أحدية الجمع، وغير ذلك. انظر في ذلك: القاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، معجم المصطلحات والإشارات الصوفية بتحقيقنا ١/

٤٢٧، ١٤٧/٢.

للأكوان العلوية والسفلية بخلقه، فتميز عن جميع الحقائق بالخلقة المستقيمة والخلائق، عين سبحانه سره مثلاً في حضرة الأسرار، وميّز نوره من بين سائر الأنوار، ونصب له كرسي العناية بين حضرتيه<sup>(١)</sup>، وصرف نظر الولاية والنبابة<sup>(٢)</sup> إليه.

فلما أقامه تعالى بهذا المقام الأكمل<sup>(٣)</sup>، وردّه برداء المعلم الأجل، فنظرت إليه الروحانيات العلى بعين<sup>(٤)</sup> التعظيم، وذلك قبل وجود مركبه البهيم، فلم يزل على الكلمة بعلم الأسماء متميزاً بتفاصيل<sup>(٥)</sup> الأشياء إلى أن أخذت مقاماتها الأملاك، ودارت بأشواقها الأفلاك، وانفعلت الأكوان لذلك الدور، وانعطاف المكور عليها بعد الكور، وظهرت المتولدات الجسمانية<sup>(٦)</sup> كالمعدن والحيوان والنبات وليس للإنسان وجود في الأعيان، حتى إذا بلغت الدورة المخصوصة، وتوجهت الكلمة المنصوصة، من الحضرة العلية المأنوسة، لإيجاد<sup>(٧)</sup> هذه الكلمة الهوية المحروسة قبض الحق سبحانه<sup>(٨)</sup> من الأرض قبضته من حيث لا يعلمون، وخمّر طينته بيديه<sup>(٩)</sup> من غير تكيف ولا تشبيه وهم لا يشعرون.

وسواء متجاوز الأضداد، وميّره<sup>(١٠)</sup> بالحركة المستقيمة من بين سائر الأولاد، وأعطته قوى هذه البنية التصرف بالحركة المنكوسة الأفقية، ثم أنطق الفهوانية<sup>(١١)</sup> في الروحانيات بخلافته فطمعت في فورها في نيابته، ولو عاينوا تشریف الیدين ما حجبتهم<sup>(١٢)</sup> مجاورة الضدين.

(١) حضرة الجمع والفرق.

(٢) أي الخلافة: نيابة عن الحق.

(٣) وهو مقام الخلافة والنبابة وما أعظمه من مقام.

(٤) في النسخة المخطوطة: (بين).

(٥) في المطبوعة (بميز التفاصيل).

(٦) في المطبوعة (ذوات الكميات والكيفيات) زائدة.

(٧) في المطبوعة (بإيجاد).

(٨) في المطبوعة: (كما روى).

(٩) زائدة من النسخة المطبوعة.

(١٠) من النسخة المخطوطة (ومنزه).

(١١) (الفهوانية) هذا المصطلح من المصطلحات الصوفية التي لم تعرف عند أهل الطريق قبل مجيء ابن عربي، وله كتاب في ذلك سماه (منزل المنازل الفهوانية) انظره في من أول الرسائل التي نشرها وهو يشرح فيه دلالة الفهوانية وكونها خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال، ولها منزل الاستواء الفهواني، أو منزل الفهوانيات الروحانية. وهو قوله (صلى الله عليه وسلم) في الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه).

انظر كتاب ابن عربي منزل المنازل الفهوانية.

وانظر معجم المصطلحات الصوفية ٢٢١/٢.

(١٢) في المطبوعة (ما حجبتهم).

فلما نفخ فيه الروح الأنزه والسر الحاكم المتأله، عرفت الملائكة حينئذ قدر هذا البيت الأعلى، والمحل الأشرف الأسنى، وأوقفهم بين يديه طالبين، وأمرهم فوقعوا له<sup>(١)</sup> ساجدين. والصلاة على المخصوص بهذه المكانة الشريفة، والمرتبة المقدسة المنيفة، الظاهر بها من غير طعن ولا إنكار، محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه ما اندرجت الأنوار في الأنوار، واتحدت الأسرار بالأسرار وسلّم تسليماً كثيراً.

---

(١) في المخطوطة (فوقعوا إليه).

## باب في نظم ما يحتوي عليه هذا الكتاب

[من ذكر العالم العلوي والسفلي وترتيبه ونضده وهو هذا]<sup>(١)</sup>:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِوُجُودِهِ  
وَالْعُنْصُرُ الْأَعْلَى الَّذِي بِوُجُودِهِ  
مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فَلَا مُتَقَدِّمَ  
حَتَّى إِذَا شَاءَ الْمُهَيِّمُنُ أَنْ يَرَى  
فَتَحَ الْقَدِيدُ عَوَالِمَ الدِّيَوَانِ  
ثُمَّ الْهَبَاءَ، وَثُمَّ جِسْمَ قَابِلٍ  
فَأَذَارُهُ فَلِكَا عَظِيمًا وَاسْمُهُ أَلْ  
يَثْلُوهُ كُزَيْبِي أَنْقَسَامَ كَلَامِهِ  
مِنْ بَعْدِهِ فَلِكُ الْبُرُوجِ وَبَعْدِهِ  
ثُمَّ التُّرُوزُ مَعَ الْخَلَاءِ يَلْزُكِرُ  
فَأَذَارَ أَزْضَاءِ ثُمَّ مَاءَ فَوْقَهُ  
مِنْ فَوْقِهِ فَلِكُ الْهَلَالِ وَفَوْقَهُ  
مِنْ فَوْقِهِ فَلِكُ «لِزَهْرَةَ» فَوْقَهُ  
مِنْ فَوْقِهِ الْمُرِيخُ ثُمَّ الْمُشْتَرِي  
وَلِكُلِّ جِسْمٍ مَا يُشَاكِلُ طَبْعَهُ  
فَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ شِعَارُهُمْ

ظَهَرَ الْوُجُودُ، وَعَالَمُ الْهَيْمَانِ  
ظَهَرَتْ ذَوَاتُ عَوَالِمِ الْإِمْكَانِ  
فِيهِ وَلَا مُتَأَخَّرَ بِالْآنِ  
مَا كَانَ مَغْلُومًا مِنَ الْأَنْوَانِ  
بِوُجُودِ رُوحِ ثُمَّ رُوحِ ثَانِ  
لِعَوَالِمِ الْأَقْلَاكِ وَالْأَزْكَانِ  
عَرْشُ الْكَرِيمِ، وَمُسْتَوَى الرُّخْمَنِ  
فَتَلُوحُ مِنْ أَقْسَامِهِ الْقَدَمَانِ  
فَلِكُ الْكَوَاكِبِ مَضَرَّ الْأَزْمَانِ  
لِيُقِيمَ فِيهِ قَوَاعِدَ الْبَيْتَانِ  
كُرَّةَ الْهَوَاءِ، وَعُنْصُرَ النُّيْرَانِ  
فَلِكُ يُضَافُ لِكَاتِبِ الدِّيَوَانِ  
فَلِكُ الْعَزَالَةِ مَضَرَّ الْمَلَوَانِ  
ثُمَّ الَّذِي يَعْمُرِي إِلَى كِيَوَانِ  
خُلِقَ يُسَمَّى عَالَمَ التُّورَانِ  
حَفِظَ الْوُجُودَ مِنْ اسْمِهِ الْمِخْسَانِ

(١) ما بين المعقوفين [-] من المطبوعة.

عِنْدَ التُّحْرُوكِ عَالَمِ الشُّيْطَانِ  
جَاءَتْ لَنَا بِعَوَالِمِ الْحَيَوَانِ  
فِي عَالَمِ التُّزْكِيَةِ وَالْأَبْدَانِ  
نَفَخَ الْإِلَهُ لَطِيفَةَ الْإِنْسَانِ  
تَعْنُو لَهُ الْأَمْلاكُ وَالتُّقْلَانِ  
أَبْدَى لَنَا فِي عَالَمِ الْخَدَائِنِ  
نَبِيًّا لِأَهْلِ الشُّزُوكِ وَالطُّفْيَانِ  
ظَلُمَاتِ سَخَطِ الْقَاهِرِ الدِّيَانِ  
رُوحِ الْإِلَهِيِّ الْعَظِيمِ الشُّانِ

فَتَحْرُوكَتْ نَحْوَ الْكَمَالِ فَوُلِدَتْ  
ثُمَّ الْمَعَادِينُ وَالتُّنْبَاتُ وَبَعْدَهُ  
وَالغَايَةُ الْقُضْوَى ظُهُورِ جُجُومِنَا  
لَمَّا اسْتَوَتْ وَتَعَدَّلَتْ أَرْكَانُهُ  
وَكَمَاهُ خُلِقَتْهُ فَكَانَ خَلِيفَةً  
وَبَدْوَزَةَ الْفَلَكِ الْمُحِيطِ وَحُكْمَهُ  
فِي جَوْفِ هَذِي الْأَرْضِ مَاءً أَسْوَدَ  
تَجْرِي عَلَى مَنِّ الرِّيَّاحِ وَعِنْدَهَا  
دَارَتْ بِصَخْرَةٍ مَرْكَزِ سُلْطَانِهِ الْ-

## باب: الكمال الإنساني

أمّا بعد:

فإنّ الله تعالى عَلِمَ نفسه فَعَلِمَ العالم، فلذلك خرج على الصورة وخلق الله الإنسان مختصراً شريفاً جمع فيه معاني العالم الكبير، وجعله نسخة جامعة لما في العالم، ولما في الحضرة الإلهية من الأسماء<sup>(١)</sup>.

وقال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«إن الله خلق آدم على صورته»<sup>(٢)</sup>.

فلذلك قلنا: خرج العالم على الصورة [وفي هذا الضمير الذي في صورته خلاف لمن يعود لأرباب العقول]<sup>(٣)</sup> وفي قولنا: عَلِمَ نفسه، فعَلِمَ العالم [عُنْيَةً لِمَنْ تَفْطَن<sup>(٤)</sup>، وكان حديد القلب بصيراً] ولكون الإنسان الكامل على الصورة الكاملة صحّت له الخلافة والنيابة عن الله في العالم.

(١) انظر كتاب ابن عربي: نسخة الحق، والطب والإمامين في المجلد الأول من الرسائل.

(٢) حديث: (إن الله خلق آدم على صورته).

أورده المجلوني في كشف الحفاء بلفظ (خلق الله آدم على صورته) وقال: رواه الشيخان، وأحمد عن أبي هريرة بزيادة وطول ستون ذراعاً، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحينك وتحية ذريتك فذهب وقال السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه: ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعاً فلم تنزل الخلق تنقص بعده حتى الآن.

انظر: المجلوني: كشف الحفاء ٣٧٩/١ حديث رقم (١٢١٥).

(٣) ما بين المقرفتين سقط من المخطوطة.

(٤) ما بين المقرفتين سقط من المخطوطة وكتب مكانه لأرباب العقول.

فلنبين في هذا المنزل نشأة هذا الخليفة<sup>(١)</sup>، [ومنزلته وصورته على ما هي عليه. ولسنا نريد بما هو إنسان حيوان فقط، بل بما هو إنسان وخليفة،]<sup>(٢)</sup> وبالإنسانية والخلافة صحت له الصورة على الكمال. وما كل إنسان خليفة. [فإن الإنسان الحيوان ليس خليفة عندنا]<sup>(٣)</sup>، وليس المخصوص بها أيضاً الذكورية فقط. فكلأئنا إذاً في صورة الكامل من الرجال والنساء. فإن الإنسانية تجمع الذكر والأنثى. والذكورية والأنوئية<sup>(٤)</sup> إنما هما عرضان ليستا من حقائق الإنسانية، [لمشاركة الحيوان كلها في ذلك]<sup>(٥)</sup>، وإن كان يستدعيها حقائق أحر، ثم من حيث النتائج فذلك أمر آخر قد ذكرناه في كتاب (النكاح)<sup>(٦)</sup>.

وقد شهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالكمال للنساء، كما شهد به للرجال، فقال في الصحيح:

«كَمُلَ من الرجال كثيرون، وكَمِلَت من النساء مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»<sup>(٧)</sup>.

وسئِلَ بعض الأولياء عن الأبدال: كم يكونون؟

فقال (رضي الله عنه): أربعون نفساً.

فقال له السائل: لِمَ لا تقول أربعون رجلاً؟

فقال: قد يكون فيهم النساء.

وغرضنا إنما هو الكمال، ظهر فيمن ظهر. ﴿وللرجال عليهن درجة﴾<sup>(٨)</sup> وتلك الدرجة

(١) في النسخة المخطوطة (الخلافتا).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٣) من بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٤) في المخطوط (الذكور والإناث والذكورة والأنوئية).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوطة.

(٦) لم يطبع بعد وانظر هذا الباب في الفتوحات.

(٧) حديث: (كُمِلَ من الرجال كثيرون...).

أورده السيوطي في جامع الأحاديث وقال: رواه أحمد بن حنبل ومتفق عليه من حديث البخاري ومسلم، ورواه الترمذي وابن ماجه. كلهم عن أبي موسى - رضي الله عنه -

انظر الحديث رقم (١٥٩٧٣) ١١٣/٥

ومن النسخة المخطوطة (وآيسة امرأة فرعون...).

(٨) الآية رقم (٢٢٨) من سورة البقرة.

الأصلية. فإن حواء وجدت من آدم فله عليها درجة في الإيجاد. وكذلك العقل مع النفس، والقلم مع اللوح، فلما كانت المرأة منفصلة عن الرجل<sup>(١)</sup> بالأصالة لذلك كانت الدرجة.

---

(١) في النسخة المخطوطة (الرجال).



## باب: في خلق الأرواح المهيّمة والعنصر الأعظم

اعلم

(أن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه)<sup>(١)</sup>.

فلهذا نرى الحق من غير الوجه الذي يرانا، وإنما يقع الاحتراق إذا وقعت الرؤية من وجه واحد، وهو وقوع البصر منك على المبصر، وقد أوجد الله تعالى في هذه الدار مثلاً لهذا المقام على عزته وعلوّه، فخلق دابة تسمى «الصّل»<sup>(٢)</sup>، إذا وقع بصر الإنسان عليها وبصرها عليه على

(١) حديث: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة...)، وفي المخطوط (سبعين حجاباً).

له روايات مختلفة. قال الحافظ العراقي في كتابه «المغني عن حمل الأسفار» رواه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ (بين الملائكة وبين الله سبعون ألف حجاب من نور) وإسناده ضعيف وفيه أيضاً من حديث أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لجبريل: هل ترى ربك؟ قال: إن بيني وبينه سبعين ألف ومن رواية (سبعين حجاباً من نور).

وفي الأكبر للطبراني من حديث سهل بن سعد: دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة.

ولمسلم من حديث أبي موسى: حجاب النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ولابن ماجه: شيء أدركه بصره.

انظر المغني على هامش الإحياء.

وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (مادة: حجب) ٤٢٤/١.

وفيه رواه مسلم في الإيمان ٢٩٣، ٢٩٤.

وابن ماجه من المقدمة ١٣، وأحمد بن حنبل في مسنده ٤٠١/٤.

(٢) (الصّل) هكذا وردت في النسختين.

وهي (بكسر الصاد) الحية التي لا تنفع فيها الرقية، ومنه قالوا: فلان صل مطرق.

وبه وصف إمام الحرمين تلميذه أبا المظفر أحمد بن محمد الخوافي، وكان علامة أهل طوس نظير الغزالي، وكان عجيبياً في

المناظرة رشيق العبارة توفي سنة ٥٠٠ هـ.

انظر: الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٥٦/٢.

خط واحد فاجتمعت النظرتان مات الإنسان من ساعته [بالخاصية]<sup>(١)</sup>.

فاعلم (أن الله تعالى كان ولا شيء معه<sup>(٢)</sup>)، وهو الآن على ما عليه كان<sup>(٣)</sup> وقد سبق في علمه أن يكتمل الوجود العرفاني لظهور آثار الأسماء الإلهية والنسب والإضافات لا أن يكمل هو بذلك تعالى الله علواً كبيراً فهو الكامل على الإطلاق.

ومعنى قولي: ليكمل الوجود.

فنعطيك لذلك مثلاً واحداً وبه تستدل على ما بقي، وذلك أن العقل في الحقيقة يقسم الوجود إلى ما له أول، وإلى ما لا أول له، وهو كمال الوجود. فإذا كان ما لا أول له موجوداً وهو الله تعالى، والذي لم يكن ثم كان ويقبل الأولية ليس بوجود، فما كمل الوجود ما لم يكن هذا موجوداً.

وكذلك قوله تعالى لبعض أنبيائه، وقد سأله:

«لِمَ خلقت الخلق؟»

فقال: كنت كنتراً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرفوني<sup>(٤)</sup>.

وذلك أن العلم بالله ينقسم إلى قديم وإلى محدث.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من المطبوعة.

(٢) جاء في المطبوعة [وهذا نص الخبر النبوي، وزاد علماء الشريعة فيه] فهذه الزيادة مدرجة من كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا يعرفها كل واحد.

(٣) حديث: (إن الله تعالى كان ولا شيء معه...).

رواه ابن حبان، والحاكم، وابن أبي شيبه عن بريدة (رضي الله عنه)، وفي رواية: (ولا شيء غيره)، وفي رواية (ولم يكن شيء قبله). قال القاري: ثابت ولكن الزيادة وهي قوله (وهو الآن على ما عليه) وهي من كلام الصوفية! هكذا قال القاري ثم قال: ويشبه أن يكون من مفتريات الوجودية القائلين بالعينية، وقد نص ابن تيمية كالحافظ العسقلاني على وضعها، وإن صحّت فتأويلها أنه تعالى ما تغيّر بحسب ذات الكمال وصفات الحلال عما كان عليه. انظر العجلوني في كشف الخفاء حديث رقم (١١ - ٢) ١٣٠/٢ وفيه تفصيل.

(٤) حديث: (كنت كنتراً مخفياً...) الحديث.

ورد في المخطوط (كنت كنتراً لم أعرف فأحببت أن أعرف) وهي رواية أوردتها العجلوني في كشف الخفاء، وقال: قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي (صلى الله عليه وسلم) ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم.

وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي: ليعرفون كما فسره ابن عباس - رضي الله عنهما.

انظر الحديث رقم (٢٠١٦) من كشف الخفاء للعجلوني ١٣٢/٢.

فَعَلَّمَ اللهُ نَفْسَهُ وَأَلُوهُيْتَهُ بِالْعِلْمِ الْقَدِيمِ، وَنَقَصَ مِنْ مَرَاتِبِ الْوُجُودِ الْعِلْمِيِّ الْعِلْمَ الْمَحْدُثَ، فَخَلَقَ الْخَلْقَ فَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ فَعَرَفُوهُ، بِقَدْرِ مَا يُعْطِيهِ اسْتِعْدَادُهُمْ فَوَجَدَ الْعِلْمَ الْمَحْدُثَ، فَكَمَلَتْ مَرَاتِبُ الْعِلْمِ بِاللَّهِ فِي الْوُجُودِ، لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكْمِلُ بِعِلْمٍ<sup>(١)</sup> الْعِبَادَ.

وَبَعْدَ أَنْ تَقَرَّرَ هَذَا وَثَبِتَ فَلِنَقُلْ: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ)<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ يَعْلَمُ وَيُرِيدُ بَقَاءَ الْمَعْدُومِ فِي الْعَدَمِ، أَي: مُوصَوفاً بِالْعَدَمِ، وَيَكْتَلِمُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَيَرَى ذَاتَهُ، وَهُوَ الْحَيُّ، بِذَاتِهِ سَبْحَانَهُ.

فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ وَالنَّسَبُ<sup>(٣)</sup> هِيَ الَّتِي نَزَلَ حُكْمُهَا أَرْزَاقاً. وَأَمَّا كَوْنُهُ قَادِراً، وَرَازِقاً، وَخَالِقاً وَمُبْدِعاً فَبِصَلَاحِيهِ<sup>(٤)</sup> الْإِبْرَاهِيمِيَّةِ، وَمَا بَيْنَ الْوُجُودِيْنَ امْتِدَادٌ وَلَكِنْ الْارْتِبَاطُ بَيْنَ الْوُجُودِيْنَ ارْتِبَاطُ الْمَحْدُثِ بِالْقَدِيمِ<sup>(٥)</sup>، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَلِيْقُ بِالْجَلَالِ، فَتَجَلَّى الْحَقُّ سَبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ لِنَفْسِهِ بِأَنْوَارِ الشُّبُوحَاتِ<sup>(٦)</sup> مِنْ كَوْنِهِ عَالِماً وَمُرِيداً، فَظَهَرَتْ الْأَرْوَاحُ الْمَهِيْمَةُ بَيْنَ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ، وَخَلَقَ فِي الْغَيْبِ الْمَسْتَوَى الَّذِي لَا يُمْكِنُ كَشْفُهُ لِمَخْلُوقٍ، الْعَنْصُرَ الْأَعْظَمَ وَكَانَ هَذَا الْخَلْقُ دَفْعَةً وَاحِدَةً مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ سَبَبِيٍّ، إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ وَمَا مِنْهُمْ رُوحٌ يَعْرِفُ أَنْ تَمَّ سِوَاهُ لِفَنَائِهِ فِي الْحَقِّ<sup>(٧)</sup> وَاسْتِيْلَاءِ سُلْطَانِ الْجَلَالِ عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّهُ سَبْحَانَهُ أَوْجَدَ دُونَ هَؤُلَاءِ الْأَرْوَاحِ بِتَجَلِّيِ آخَرَ، وَمِنْ غَيْرِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ، فَخَلَقَ أَرْوَاحاً مُتَحِيْزَةً فِي أَرْضٍ بِيضَاءَ، خَلَقَهُمْ عَلَيْهَا، وَهَيَّمَهُمْ فِيهَا بِالتَّسْبِيْحِ وَالتَّقْدِيسِ لَا يَعْرِفُوا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ سِوَاهُمْ، وَلَا شَرَاكَهُمْ مَعَ الْأَوَّلِ فِي نَعْتِ الْهَيْمَانِ، لِذَلِكَ لَمْ نَفْضَلْ وَقَلْنَا الْأَرْوَاحَ الْمَهِيْمَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى مَقَامٍ مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَالْحَالِ، وَهَذِهِ الْأَرْضُ خَارِجَةٌ عَنِ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ، وَسَمِيَتْ أَرْضاً نَسَبَةً<sup>(٨)</sup> مَكَانِيَةً لِهَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْمُتَمَيِّزَةِ، لَا يَجُوزُ عَلَيْهَا الْإِنْحِلَالُ وَلَا التَّبَدُّلُ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ أَبَدَ الْآبَادِ، كَمَا سَبَقَ فِي الْعِلْمِ.

وَلِلْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مِثَالٌ، وَلَهُ حِظٌّ فِيهِمْ، وَلَهُ فِي الْأَرْوَاحِ الْأَوَّلِ مِثَالٌ آخَرَ، وَهُوَ فِي كُلِّ عَالَمٍ عَلَى مِثَالِ ذَلِكَ الْعَالَمِ. ثُمَّ نَقُولُ:

[إِنَّمَا مَا أوردنا شيئاً مما ذكرناه أو نذكره من جزئيات العالم إلا واستنادنا فيه إلى خبر نبوي

(١) هذه اللفظة (بعلم) سقطت من النسخة المخطوطة.

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٣) في النسخة المطبوعة [فهذا الأسماء والنسب وهو الحي، العالم، السميع، البصير، المتكلم، المرید] زيادة.

(٤) في المطبوعة: (ببالصلاحيّة والقوة).

(٥) في المخطوطة: (المحدث والقديم).

(٦) في المطبوعة: (بأنوار الشبوحات الوجيهة).

(٧) في المطبوعة: (في الحق بالحق).

(٨) في المطبوعة: (لنسبة).

يُصَحِّحُه الكَشْفُ، ولو كان ذلك الخبر مما تُكَلِّمُ في طريقه، فنحن لا نَعْتَمِدُ فيه إلا على ما يخبر به رجال الغيب (رضي الله عنهم) ثم نرجع<sup>(١)</sup>.

ونقول:

إن هذا العنصر الأعظم المخزون في عالم الغيب<sup>(٢)</sup> له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير، ولا وجود لذلك العالم في العين، وهذا العنصر أكمل موجود في العالم، فلولا عهد الستر الذي أخذ علينا في [بيان]<sup>(٣)</sup> حقيقته لبسطنا الكلام فيه، وبينا كيفية تعلق كل ما سوى الله به، فأوجد الله سبحانه [على ما قال الوارد الشاهد]<sup>(٤)</sup> عند تلك الالتفاتة العقل الأول. وقيل فيه أول لأنه أول عالم التدوين والتسطير. والالتفاتة إنما كانت للحقيقة الإنسانية من هذا العالم، فكان المقصود فخلق القلم<sup>(٥)</sup> وغيره إلى أسفل عالم المركز أسباباً مقدمة لترتيب نشأته كما سبق في العلم ترتيبه، ومملكته قائمة القواعد، فإنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله. فلا بد من تقديم<sup>(٦)</sup> وجود العالم عليه وأن يكون هو آخر موجود بالفعل، وإن كان أول موجود بالقصد كمن<sup>(٧)</sup> طلب الاستظلال والاستكنان فوقعت فكرته على السقف ثم انحدر<sup>(٨)</sup> إلى الأساس فكان الأساس آخر مقصود بالعلم، وأول موجود بالفعل<sup>(٩)</sup> [وكان السقف أول معلوم بالقصد وآخر موجود بالفعل]<sup>(١٠)</sup>.

فعينُ الإنسان هي المقصودة، وإليه توجهت العناية الكلية فهو عين الجمع والوجود، والنسخة العظمى، والمختصر الشريف الأكمل في مبانيه.

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوطة.

(٢) في المطبوعة: (في غيب الغيب).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٥) في المطبوعة (القفل).

(٦) في المطبوعة (تقدم).

(٧) في المخطوطة (لن).

(٨) في المخطوطة (ثم الجدار).

(٩) في المخطوطة (وأول موجود بالقصد، وآخر موجود بالفعل).

(١٠) ما بين المعقوفين سقط من المخطوطة.

## باب: في خلق العقل الأول وهو القلم الأعلى

فأول ما أوجد الله من عالم العقول المدبرة جوهر بسيط<sup>(١)</sup> ليس بمادة، ولا في مادة، عالم بذاته [في ذاته علمه ذاته]<sup>(٢)</sup> لا صفة له. مقامه الفقر والذلة والاحتياج إلى بارئه، وموجده ومبدعه، له نسب وإضافات ووجوه كثيرة. لا يتكثر<sup>(٣)</sup> في ذاته بتعددتها فيتأض بوجهين من الفيض: فيض ذاتي، وفيض إرادي.

فما هو بالذات مطلقاً لا يتصف بالمنع في ذلك، وما هو بالإرادة فإنه يوصف فيه بالمنع والعطاء. وله افتقار ذاتي لموجده سبحانه الذي استفاد منه وجوده. وسماه الحق سبحانه وتعالى، في القرآن: حقاً، وقلماً، وروحاً.

وفي السنة: عقلاً.

وغير ذلك من الأسماء، وقد ذكرنا أكثرها في كثير من كتبنا.

قال تعالى:

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾<sup>(٤)</sup>.

وهو أول عالم التدوين والتسطير، وهو الخازن الحفيظ<sup>(٥)</sup> الأمين على اللطائف الإنسانية

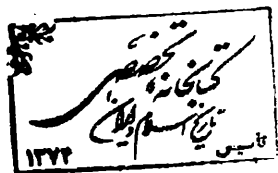
(١) في المخطوطة: (جوهر بسيطاً) وهي تجوز إذا اعتبرناها مفعولاً للفعل أوجد، ولكن الأفضل هنا أن يكون خبراً للمبتدأ (أول).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المخطوطة.

(٣) في المخطوط (لا تكثر).

(٤) الآية رقم (٨٥) من سورة الحجر.

(٥) في المطبوعة: (الحفيظ العليم الأمين).



الذي<sup>(١)</sup> من أجلها وُجِدَ، ولها قُصِدَ. مِيرْها في ذاته عن سائر الأرواح تمييزاً<sup>(٢)</sup> إلهياً، عَلِمَ نفسه، فعَلِمَ موجدَه، فعَلِمَ العالمَ، فعَلِمَ الإنسانَ.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

لسان إجمال.

والحديث الآخر:

«أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه»<sup>(٤)</sup>.

لسان تفصيل. فهو العقل من هذا الوجه، وهو القلم من حيث التدوين [والتسطير]<sup>(٥)</sup>، وهو الروح من حيث التصرف، وهو العرش من حيث الاستواء، وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء ورقائعه التي تمتد إلى النفس إلى الهباء، إلى الجسم، إلى الأفلاك الثابتة إلى المركز، إلى الأركان بالصعود إلى الأفلاك المستحيلة، إلى الحركات، إلى المولدات، إلى الإنسان، إلى انعقادها في العنصر الأعظم وهو أصلها (ستة وأربعون ألف ألف رقيقة، وستمائة ألف رقيقة، وستة

(١) في المطبوعة (التي).

(٢) في المخطوطة (تمييزاً).

(٣) حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه).

قال ابن تيمية: موضوع، وقال النووي قبله ليس بثابت، وقال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع: إنه لا يُعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله، وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت قال: لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره، وقد ذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محيي الدين قال: هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه (القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه) وقال النجم قلت وقع في أدب الدنيا والدين للماوردي عن عائشة سئل النبي (صلى الله عليه وسلم).

(من أعرَفَ الناس بربه، قال: أعرَفَ بنفسه) هكذا أورد العجلوني ما قيل عنه.

انظر: كشف الخفاء ٢٦٢/٢ حديث رقم (٢٥٣٢) وقال الصاغانى موضوع.

وقال الشيخ محمد الحوت البيروتي في أسنى المطالب: ليس بحديث، ونسبه بعضهم إلى أبي سعيد الخراز.

انظر موضوعات الصاغانى والهامش ص ٣٤ وتعليقات مخرج الحديث.

وانظر هامش منارات السائرین الأحاديث. حديث رقم (١٨٩).

(٤) حديث: (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه).

انظر تخريج الحديث السابق وقول السيدة عائشة - رضي الله عنها.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من المخطوطة.

وخمسون ألف رقيقة<sup>(١)</sup> ولا يزال هذا العقل متردداً بين الإقبال والإدبار، يقبل على بارئه مستفيداً فيتجلى له فيكشف في ذاته من بعض ما هو عليه، فيعلم من بارئه قدر ما علم من نفسه، فعلمه بذاته لا يتناهى، فعلمه بربه لا يتناهى، وطريقة علمه به التجليات<sup>(٢)</sup>، وطريقة علمه بربه علمه به<sup>(٣)</sup>، ويُقيلُ على من دونه مفيداً هكذا أبد الآباد في المزيد. فهو الفقير، الغني، العزيز الذليل العبد السيد، ولا يزال الحق يُلهمه طلب التجليات لتحصيل المعارف. واستواء هذا الاسم عليه كان من أحد العروش، فاذكرُ العروش<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) سقط من المخطوط (ستمائة ألف رقيقة).
  - (٢) في المخطوطة: (وطريقة علمه بالتجليات).
  - (٣) في المخطوطة: (وطريقة علمه به ويقبل على من دونه).
  - (٤) في المخطوطة: (فاذكر العروش) وما أثبتناه هو الصحيح.

## باب: في ذكر العروش (\*)

اعلم

أن العروش خمسة: عرش الحياة وهو عرش الهوية، وعرش الرحمانية، والعرش العظيم، والعرش الكريم، والعرش المجيد.

(٥) في المخطوطة (العرش) وفي المطبوع (العرش) وما أثبتناه هو الصحيح.

والعرش لُفَّةٌ هو: سريرُ المَلِكِ ﴿وَأَوْتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ والعرش: البيت. وقد يستعار لغيره وفي الحديث: روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الكرسي: موضع القدمين، والعرش: لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ وَرُوي عنه أيضاً أنه قال: (العرش: مجلس الرحمن).

وعرش الرجل: قوائم أمره منه

والعرش المَلُوكُ.. وله معانٍ كثيرة (انظر لسان العرب مادة: عرش).

وعند الصوفية يقول الجليلي في الإنسان الكامل: هو مظهر العظمة ومكانة التجلي، وخصوصية الذات، ويُسمى جسم الحضرة، ومكانها، لكنه المكان المنزه عن الجهات الست وهو المظهر الأعلى والمحل الأزهي، والشامل لجميع أنواع الموجودات فهو في الوجود المطلق كالجسم للوجود الإنساني باعتبار أن العالم الجسماني شامل للعالم الروحاني والخيالي والعقلي. ولهذا عبّر عنه بعض الصوفية بأنه الجسم الكلّي وفيه نظر، لأن الجسم الكلّي وإن كان شاملاً للعالم الأرواح فالروح فوقه والنفس الكلّي فوقه، ولا نعلم أن في الوجود شيئاً فوق العرش إلا الرحمن، وقد عبروا عن النفس الكلّي بأنها اللوح، فهذا حكم بأن اللوح فوق العرش وهو خلاف الإجماع على أن من قال من أصحابنا الصوفية: إن العرش هو الجسم الكلّي، لا يخالفنا أنه فوق اللوح، وقد عبّر عنه بالنفس الكلّي، ولا شك أن مرتبة النفس أعلى من مرتبة الجسم، والذي أعطانا الكشف في العرش مطلقاً إذا أنزلناه في حكم العبارة قلنا بأنه فلك محيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية. سطح ذلك الفلك هي المكانة الرحمانية ونفس هوية ذلك الفلك هو مطلق الوجود عينياً كان أو حكماً، ولهذا الفلك ظاهر وباطن. فباطنه عالم القدس، وهو عالم أسماء الحق سبحانه وتعالى وصفاته، وعالم القدس ومجلاه هو المعبر عنه بالكثير الذي يخرجون إليه أهل الجنة، يوم سوفهم لمشاهدة الحق وظاهره عالم الإنس، وهو محل التشبيه والتجسيم والتصوير ولهذا كان سقف الجنة. فكل تشبيه، وتجسيم، وتصوير من كل جسم أو روح، أو لفظ، أو معنى، أو حكم، أو عين فإنه ظاهر هذا الفلك. فمعى قيل لك العرش مطلقاً، فاعلم أن المراد به هذا الفلك المذكور، ومتى قيد بشيء من الصفات فاعلم أن المراد به ذلك الوجه من هذا الفلك كقوله: العرش المجيد. فإن المراد به من عالم القدس المرتبة الرحمانية التي هي منشأ المجد، وكذلك =



فَعَرْشُ الحَيَاةِ: هو عرش المشيئة، وهو مستوى الذات، وهو عرش الهوية.  
قال الله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كل شيء حَيٍّ﴾<sup>(١)</sup>

وقال فيه: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ على المَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>.

أي: أظهر الحياة فيكم ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قال تعالى في موضع آخر:

﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم﴾<sup>(٤)</sup>.

فجعل ليبلوكم إلى جانب الحياة، فإن الميت لا يُختبر. وهو قوله:

﴿على المَاءِ ليبلوكم﴾.

وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كل شيء حَيٍّ﴾.

فهو العنصر الأعظم، أعني فلك الحياة، وهو اسم الأسماء، ومقدمها وبه كانت وقوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كل شيء حَيٍّ﴾ من حيث هو حي لا من حيث هو جوهر.

والعرش المجيد: هو العقل الذي ذكرناه.

والعرش العظيم: النفس، وهو اللوح المحفوظ الذي نذكره بعد هذا، إن شاء الله تعالى.

ويتلوه العرش الذي هو عرش الرحمانية وهو فلك الأفلاك<sup>(٥)</sup>، ويتلوه العرش الكريم وهو

الكرسي، وسنذكر هذه كلها من أماكنها إن شاء الله تعالى.

---

= العرش العظيم فإن المراد به الحقائق الذاتية والمقتضيات النفسانية التي مكانتها العظمة وذلك من عالم القدس.

وعالم القدس: عبارة عن المعاني الإلهية المقدسة عن الأحكام الخلقية والنقائص الكونية.

واعلم أن الجسم في الهيكل الإنساني جامع لجميع ما تضمنه وجود الإنسان من الروح والعقل والقلب وامثال ذلك، فهو في الإنسان نظير العرش في العالم، فالعرش هيكل العالم وجسده الجامع لجميع متفرقاته - وبهذا الاعتبار قال أصحابنا:

إنه الجسم الكلي، ولا اختلاف بينا لاتحاد المعنى في العبارتين. انظر الجيلي: الإنسان الكامل ٦/٢ .

(١) الآية رقم (٣٠) من سورة الأنبياء.

(٢) الآية رقم (٧) من سورة الأنبياء.

(٣) استكمال الآية السابقة.

(٤) الآية رقم (٢) من سورة الملك.

(٥) من المخطوط: (أول الأفلاك).

## باب: في العرش العظيم وهو اللوح المحفوظ

وهو النفس الناطقة الكلية الثابتة

[ولمّا أوجد الله سبحانه القلم الأعلى أوجد له في المرتبة الثانية<sup>(١)</sup> هذه النفس التي هي اللوح المحفوظ، وهي من الملائكة الكرام، وهو المشار إليه بكل شيء في قوله<sup>(٢)</sup> تعالى:

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء﴾<sup>(٣)</sup> وهو اللوح المحفوظ.

﴿موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾<sup>(٣)</sup> وهو اللوح المحفوظ.

وقال تعالى:

﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهو موضع تنزيل الكتب، وهو أول كتاب سطر فيه<sup>(٥)</sup> الكون، فأمر القلم أن يجري على هذا اللوح بما قدره وقضاه مما كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أول موجود. وإيجاد الأرواح المهمة في جلال الله تعالى وجماله، الذين لا يعرفون العقل ولا غيره، ولا يعرفون سوى من هاموا في جلاله، وطاشوا<sup>(٦)</sup> بمشاهدته، شهودهم دائم، ليس لهم لحظة إلى ذواتهم، ولا رجعة

(١) ما بين المعرفتين سقط من المخطوطة.

(٢) في المخطوطة: (قال تعالى).

(٣) الآية رقم (١٤٥) من سورة الأعراف.

(٤) الآيتان (٢١، ٢٢) من سورة البروج.

(٥) في المخطوطة (سطره الكون).

(٦) في المخطوطة (وشاطوا).

إليهم، أفناهم فناء الأبد. عبدوا الله لحقه لا من حيث أمره، وعلى قلوب هؤلاء الأرواح هم الأفراد متاً، الخارجون عن دائرة القطب، ومما يكون إلى أن يقال:

﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾<sup>(١)</sup>.

ويُذَبِّحُ الموت، ويقوم منادي الحق على قدم الصدق:

(يا أهل الجنة خلود فلا خروج) في النعيم الدائم الجديد.

(ويا أهل النار خلود فلا خروج) في العذاب المقيم الجديد<sup>(٢)</sup>.

إلى هنا حدّ الرقم بما بينهما، وما بعد هذا فله حكم آخر، إن يمكن لنا أن نذكره في أثناء كلامنا كان، وإن لم يجز متاً عليه لسان ذكر فلا حاجة لنا [في التعريف به]<sup>(٣)</sup>.

فهذا اللوح محل الإلقاء العقلي، هو للعقل بمنزلة حواء لآدم (عليه السلام) وسَمَّيت نفساً لأنها وجدت من نَفَسِ الرحمن<sup>(٤)</sup>، فنَفَسَ الله بها عن العقل إذ جعلها محلاً لقبول ما يلقي إليها ولو حاً لما يسطره فيها. وليس فوق القلم موجود<sup>(٥)</sup> مُحَدَّث يأخذ منه، يعبر عنه بالدواة، وهي النون كما ذكر بعضهم، وإنما نونه التي هي الدواة عبارة عما يحمله في ذاته من العلوم بطريق الإجمال من غير تفصيل، فلا يظهر لها تفصيل إلا في اللوح<sup>(٦)</sup> الذي هو اللوح [المحفوظ]<sup>(٧)</sup>. فهو محل التجميل<sup>(٨)</sup>، والنفس محل التفصيل. وهذا القلم له ثلاثمائة [وستون] سنناً من حيث ما هو القلم، وثلاثمائة وستون وجهاً ونسبة من حيث ما هو عقل، وثلاثمائة وستون<sup>(٩)</sup> لساناً من حيث ما هو روح مترجم عن الله، ويستمد كل سن من ثلاثمائة<sup>(١٠)</sup>

(١) الآية رقم (٧) من سورة الشورى.

(٢) حديث: (يؤتى بالموت يوم القيامة...).

أورده صاحب الأحاديث القدسية وقال:

أخرجه ابن ماجة في سننه باب صفة النار ٣٠٥/٢. وجاء ذبح الموت أيضاً في حديث الترمذي باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار.

انظر الأحاديث القدسية الحديث رقم (٣٨٤) ٤٠٥/٢ باب ما جاء في ذبح الموت يوم القيامة.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٤) في النسخة المخطوطة (لأنها وجدت من الرحمة).

(٥) في النسخة المخطوطة (موجد).

(٦) في النسخة المخطوطة (النفس).

(٧) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٨) أي: الإجمال.

(٩) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(١٠) في المخطوطة (ثلاثمائة فقط).

وستين بحراً، وهي أصناف العلوم، وسميت بحراً لاتساعها وهذه البحور هي إجمال الكلمات التي لا تنفد، ولها جاء المثل في القرآن:

﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾<sup>(١)</sup>.

لأن غاية كل نقطة من البحر أن تكتب بها عين ذاتها لا غيره، وتبقى الأقلام وجميع مخلوقات الكائنة في الآن، والماضية، والمستأنفة وهذا الملك الكريم الذي هو اللوح، هو أيضاً قلم لما دونه، وهكذا كل فاعل ومنفعل لوح وقلم<sup>(٢)</sup>. ولهذا النفس من الرقائق والوجوه على عدد ما للعقل، وجعل الله أمر التركيب، وعالم الأجسام، والإنشاءات كلها بيد هذا الملك الكريم، فإذا اعتدلت المباني واستوت [المعاني]<sup>(٣)</sup> وتصورت نشأتها نورانية كانت أو نارية، أو ظلمانية، أو شقافة كان القلم الأعلى واهب الأرواح فيها التي جعله<sup>(٤)</sup> الله أميناً عليها، وهو فيض عجيب ذاتي له، وإرادتي لله تعالى، ولهذا الملك الكريم نسبتان:

- نسبة نورانية وهو مما يلي العقل الكريم.

- ونسبة ظلمانية وهو ممَّا يلي الهباء. بحر الطبيعة. وهي في نفسها خضراء لهذا الامتزاج الدقيق العجيب وقد استوفينا ذكرها وصفتها في «كتاب النفس»، وهو كتاب «الزمردة الخضراء»<sup>(٥)</sup>. وذكرنا أيضاً مقام القلم الأعلى في كتاب مفرد سميناه «الدرة البيضاء»<sup>(٦)</sup> والمقصود من هذا الكتاب: كيف كان تمهيد المملكة لوجود الخليفة الذي هو الإنسان.

والله أعلم

(١) الآية رقم (٢٧) من سورة لقمان.

(٢) في النسخة المخطوطة (لوحاً وقلماً).

(٣) سقفت من النسخة المخطوطة.

(٤) في النسخة المخطوطة (جعلها).

(٥) لم يطبع بعد.

(٦) طبع على نفقة صالح مراد الهلالي سنة ١٩٢٣ طبعة أولى.

## باب: العرش الرحماني الجامع للموجودات الأربعة وهي الطبيعة، والهباء، والجسم، والفلك

مَثَلُ مَا لَاحَ لِعَيْنٍ فِي الْهَوَى بَزَقَ يَمَانِي  
ثم أوجد الله سبحانه وتعالى الهباء، فأوّل صورة قبل صورة الجسم هو الطول والعرض والعمق فظهرت فيه الطبيعة. فكان طوله من العقل وعرضه من النفس، وعمقه الخلاء إلى المركز. فلهذا كانت فيه هذه الثلاث حقائق، فكان مثلثاً وهو الجسم الكلي.

وأوّل شكل قَبِلَ هذا الجسم الشكل الكروي، فكان الفلك فسماه العرش، واستوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن بالاستواء الذي يليق به، الذي لا يعلمه إلاّ هو من غير تشبيه ولا تكيف وهو أوّل عالم التركيب، فكان استواؤه عليه من العماء وهو عرش الحياة، وهو العرش السادس، وهو عرش نسبي ليس له وجود إلا بالنسبة، ولذلك لم نجعله في العروش، وهذا البحر هو البحر<sup>(١)</sup> الفاصل بين الحق والخلق، وهو حجاب العزّة لنا وله، فمن أراد متّاً الوصول إليه وقع في هذا البحر فينسب الفعل للكون وما بيد الكون من الفعل شيء، بل الفعل كله للواحد القهار، وإذا أراد هو الوصول إلينا بما هو عليه.

وقولنا - إذا أراد - مجازاً لا حقيقة بل هي إشارة لتوصيل معنى يجب أن يُفهم عنا كان نزوله إلينا بنا فقيل: ينزل، واستوى، والله يفرح بتوبة عبده، ويضحك ربّنا، ويتعجّب ويتشبهش، والله يستهزئ بهم، وما أشبه هذا، كالمكر، والكيد وجعل سبحانه لهذا العرش حَمَلَةً ثمانية يحملونه يوم القيامة، وأما اليوم فيحمله منهم أربعة:

- الملك الواحد على صورة إسرافيل.

- والثاني على صورة جبرائيل.

(١) في المخطوطة (وهذا البحر الفاصل).

- والثالث على صورة ميكائيل.
  - والرابع على صورة رضوان.
  - والخامس على صورة مالك.
  - والسادس على صورة آدم.
  - والسابع على صورة إبراهيم.
  - والثامن على صورة محمد (صلى الله عليه وسلم).
- هذه صور مقاماتهم لا صور نشأتهم.
- قال «ابن مسرّة الجيلي»<sup>(١)</sup> رحمه الله؛ في هؤلاء لما ذكرهم، كما ذكرناهم:
- فإسرافيل وآدم للصور.
  - وجبرائيل ومحمد (صلى الله عليه وسلم) للأرواح.
  - وميكائيل وإبراهيم للأرزاق.
  - ورضوان ومالك للوعد والوعيد.

ويكون العرش عند هذا عبارة عن الملك، وعمّر سبحانه هذا الفلك بالملائكة الحافين، وهم الواهبات، وهنا مقام إسرافيل (عليه السلام) وهو قَمّ القرن، وبمشاهدة هذا الاستواء يصير كذا وكذا مرة في اليوم كالوضع من استيلاء سلطان العظمة الإلهية على قلبه، ومن هنا سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صريف الأقاليم، ومن هنا نزل الرفرف، ومن هنا غلبت عليه حالة الفناء فتجرّد عن عالم التركيب، ومن هنا نودي بصوت أبي بكر الصديق، تأنيساً له إذ كان أنيسه:

- قف إن ربك يُصَلّي عليك.

ثم تلا عليه:

﴿هو الذي يُصَلّي عليكم وملائكته﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) (ابن مسرّة الجيلي) هو: محمد بن عبد الله بن مسرّة (أبو عبد الله) الصوفي، من أهل قرطبة. اتهم بالزندقة، ثم انصرف إلى الأندلس. ثم توفي سنة ٣١٩هـ.

انظر ترجمته في: كحالة: معجم المؤلفين ٢٤٨/١٠.

الزركلي: الإعلام: ٩٥/٧.

بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٥٤٨/٢.

(٢) الآية رقم (٤٣) من سورة الأحزاب.

وهو أحد الحجب الثلاثة، التي تبقى بين أهل الجنة وبين الحق إذا جمعوا للرؤية، وهو آخر الحُجُب.

والفلكان اللذان بعده ها نحن نذكرهما إن شاء الله تعالى.

## باب: العرش الكريم وهو الكرسي موضع القدمين

ثم إن الله تعالى أدار هذا الفلك الآخر سمّاه: الكرسي، وهو في جوف العرش كحلقة مُلقاة في فلاة من الأرض، وخلق بين هذين الفلكين عالم الهباء، وعَمَّر هذا الكرسي بالملائكة المدبّرات وأسكنه ميكائيل وتدبّلت<sup>(١)</sup> إليه القدمان، فالكلمة واحدة في العرش لأنه أول عالم التركيب، وظهر لها في الكرسي نسبتان لأنه الفلك الثاني فانقسمت به الكلمة فعُبر عنها بالقدمين كما ينقسم الكلام، وإن كان واحداً إلى<sup>(٢)</sup> أمرٍ ونهي، وخير واستخبار. وعن هذين الفلكين تحدث الأشكال الغريبة في عالم الأركان، وعنهما يكون خرق العوائد على الإطلاق، وهي من الأشكال الغريبة لا يُعرف [أصلها، وهو هذا]<sup>(٣)</sup>، وتظهر في عالمين:

[في عالم الخيال، كقوله تعالى:

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾<sup>(٤)</sup> [٥].

- وفي عالم الحقيقة، مثل المعجزات والكرامات.

وهذان الفلكان قَلَّ مَنْ يعثر عليهما، أو يصل إليهما من أصحابنا إلاّ الأفراد، وكذلك من أرباب علماء الهيئة والأرصاء، وإذا رأوا شكلاً غير معتاد في الطبيعة نسبوا ذلك إلى شكل

(١) في النسخة المخطوطة (وزلت).

(٢) في المخطوطة (من).

(٣) ما بين المقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٤) الآية رقم (٦٦) من سورة طه.

(٥) ما بين المقوفتين سقط من النسخة المخطوطة.



غريب حَدَثَ في الفلك عنه صدر هذا [الذي هو غير معتاد]<sup>(١)</sup>، لا يجري على قياس ومن هذين الفلكين كانت الخواص في الأشياء وهي الطبيعة المجهولة فيقولون تُفَعَّلُ بالخاصية، فلو أدركوا حركة هذين الفلكين لم يصح لهم أن يجهلوا شيئاً في العالم، وقد ذكرنا من عالم التدبير القلم واللوح والطبيعة والهباء والجسم والعرش والكرسي، وما بينهما من العوالم.

لأن في كل فلك من الأفلاك، وفي كل ركن من الأركان عالم من جنس كل فلك، وركن، وطبيعة، وهم عُمَّارها وسكانها ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> لأنهم لا يلحقهم في ذلك عيٌّ ولا نَصَبٌ، فإن نسبة التسييح إليهم نسبة الأنفاس إلينا تقتضيها نشأتهم كما تقتضي نشأتنا الأنفاس.

قال تعالى:

﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾<sup>(٣)</sup>.

من جهة الفكر والنظر إلا أن يَمُنَّ اللهُ على بعض عباده بعلم ذلك.

﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٢) في المخطوطة يسبحون الله.

والصحيح ما أثبتناه وهو نص الآية (٢٠) من سورة الأنبياء وما بعد هذه الآية سقط من المخطوطة إلا جزء من الآية ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾.

(٣) الآية رقم (٤٤) من سورة الإسراء.

## باب: فَكُّ الْبُرُوجِ وَهُوَ الْأَطْلَسُ

ثم أدار سبحانه في جوف هذا الكرسي هذا الفلك وهو الأطلس. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾<sup>(١)</sup>. وهي تقديرات في الفلك الأطلس الذي لا كوكب فيه، ولهذا سُمِّيَ بالأطلس، وهو بالنسبة إلى الكرسي كنسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، وخلق بين هذين الفلكين عالم الرفارف، وهي المعارج العُلا، وفيه خلق عالم المُثُل الإنسانية.

وتسبيحهم:

(سبحان من أظهر الجميل وسَتَرَ القبيح)<sup>(٢)</sup>.

وسبب هذا التسبيح أن الشَّخص منَّا إذا فعل فعلاً لا يرضي الله تعالى تغيَّرت صورة مثاله في هذه الحضرة، فيرسَل الحجاب بينه وبين من فيها حتى لا يرون ما قام بها من التغيير، فإذا أقلع عن المخالفة رجعت إليه صورته فلا يرون منه إلا حسناً. فلهذا يكون تسبيحهم: (سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح) هكذا رُوينا هذا الخبر، وهو عالم الحجب وإرخاء الستور وفي هذا الفلك مقام جبرائيل، وفيه الملائكة المقسمات وعمَّاره، وإلى هذا الفلك ينتهي علم علماء الأرصاد أكثرهم، بل ربما كلهم ولا كوكب فيه، والبروج فيه تقديرات فهو منقسم على ذلك

(١) الآية رقم (١) من سورة البروج.

(٢) انظر حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، ويا سامع كل نحيوى، ويا منتهى كل شكوى، يا كريم الصفح، يا عظيم المن يا مقبل العثرات، ويا مبتدأً بالنعيم قبل استحقاقها. يا ربي ويا سيدي ويا مولاي، ويا غاية رغبتى، أسألك ألا تشوه خلقتي ببلاد الدنيا ولا بعذاب النار). آمين.

وقد جعله سيدي ومولاي أحمد بن محمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية من أوراده المعروفة في الطريق فهذا أيضاً تسبيح أهل الأرض، وهو تسبيح أهل السماء. انظر إلى عظمة المصطفى الحبيب (صلى الله عليه وسلم).

اثني عشر قسماً، جعل في كل قسم ملكاً من الملائكة وهو رئيس ذلك القسم، وتحفُّ به ملائكة من المقسمات<sup>(١)</sup>، وأنشأهم على صور مختلفة وسُمُّوا بأسماء صورهم في عالمنا:

**فالملك الأول:** على صورة الميزان، وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك حارٌّ رطبٌ، وولاه الحكم في عالم التكوين ستة آلاف سنة، ثم ينتقل الحكم إلى غيره إلى أن ينتهي إليه فيمكث هذه السنين المعلومة، وهو أول فلك دار بالزمان وفيه حدثت الأيام دون الليل والنهار، وكان أول حركة الزمان بهذا الفلك<sup>(٢)</sup>، وقد استدار في زمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):]<sup>(٣)</sup>

«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلقه الله»<sup>(٤)</sup>.

وجعل بيد هذا الملك مفتاح خلق الأحوال والتغيرات، والزمان الذي خلق الله فيه السموات والأرض وأحدث فيه الليل والنهار وهو متحرك.

**والملك الثاني:** على صورة «العقرب»، وطبيعة بيته، الذي هو قسمه من هذا الفلك باردٌ رطبٌ، وولاه الحكم في عالم التكوين خمسة آلاف سنة كلما جاءت دولته، وجعل الله بيده خلق النار، وهو ساكن.

**والملك الثالث:** الذي يليه على صورة «القوس»، وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا الفلك حار يابس وولاه الحكم في عالم التكوين أربعة آلاف سنة كلما جاءت دولته، وهو ملك كريم بيده أزمة الأجساد النورانية والظلمانية، وجعل بيده مفتاح خلق النبات.

**والملك الرابع:** خلقه الله على صورة «جذّي»، وطبيعة بيته الذي هو قسمه من هذا بارد يابس، وولاه الحكم في عالم التكوين ثلاثة آلاف سنة وهو ملك متحرك وجعل الله بيده مفتاح الليل والنهار.

**والملك الخامس:** خلقه الله تعالى على صورة «دلو»، وجعل طبيعة بيته الذي هو قسمه من

(١) في النسخة المخطوطة (من الملائكات الملكيات).

(٢) في المخطوطة (وكانت أول حركته بالزمان بهذا الملك).

(٣) ما بين المعرفتين سقط من المخطوطة.

(٤) حديث: (إن الزمان قد استدار كهيئته...).

أورده السيوطي طويلاً في جامع الأحاديث وقال: رواه البخاري ومسلم، وأحمد بن حنبل، وأبو داود عن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما.

حديث رقم (٦١ - ٧) ٦٥١/٢.

هذا الفلك حاراً رطباً وجعل ولايته ألفي سنة، وهو ملك كريم، عليه سكون ووقار وهيبة وجعل بيده مفتاح الأرواح.

والملك السادس: خلقه الله على صورة «حوت» وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً رطباً، وجعل دولته ألف، وله اشتراك مع ملك الأجسام النورانية والظلمانية فيهما، وجعل بيده مفتاح خلق الحيوان.

والملك السابع: خلقه الله على صورة «كباش»، وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً يابساً، وجعل دولته اثني عشر ألف سنة، وهو ملك متحرك، وجعل بيده مفتاح خلق الأعراض والصفات.

والملك الثامن: خلقه الله تعالى على صورة «ثور» وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً يابساً، وجعل دولته أحد عشر ألف سنة، وهو ملك عليه وقار وهيبة، وعليه عمل السامري العجل وظنه لما رآه إله موسى (عليه السلام) في حديث طويل، ليس هذا موضعه، وجعل بيده مفتاح خلق الجنة والنار<sup>(١)</sup>.

والملك التاسع: خلقه الله تعالى على صورة «توأمين»، وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً رطباً، وجعل دولته عشرة آلاف سنة، وله اشتراك مع ملك الأجسام فيها، وجعل بيده مفتاح خلق المعادن.

والملك العاشر: خلقه الله تعالى على صورة «سرطان» وجعل قسمه من هذا الفلك بارداً رطباً، وجعل دولته تسعة آلاف سنة، وهو ملك متحرك، وجعل بيده مفتاح خلق الدنيا.

والملك الحادي عشر: خلقه الله على صورة «أسد»، وجعل قسمه من هذا الفلك حاراً يابساً، وجعل دولته ثمانية آلاف سنة، وهو ملك كريم تعلوه مهابه، وجعل بيده مفتاح خلق الآخرة.

والملك الثاني عشر: خلقه الله تعالى على صورة «سُنبلة»، وجعل قسمه بارداً يابساً، وجعل دولته سبعة آلاف سنة، وله اشتراك مع ملائكة الأجسام، وله اختصاص معين بالأجسام الإنسانية.

وَكَمَّلَ الْفَلَكُ وَكَمَّلَ عَالَمَ التَّكْوِينِ.

- فَعَنِي الْأَسَدُ، وَالْقَوْسُ، وَالْحَمَلُ، وَوَجَدَتْ كُرَّةَ الْأَثِيرِ.

- وَعَنِ الْجُوزَاءِ، وَالْمِيزَانَ، وَالذَّلْوِ، وَوَجَدَتْ كُرَّةَ الْهَوَاءِ.

(١) في النسخة المخطوطة (وجعل بيده مفتاح الجنة).

- وبالسرطان، والعقرب، والحوت، وُجدت كرة الماء.
- وبالثور، والسنبله، والجدي، وُجدت كرة الأرض.

ومن هذا الفلك إلى المركز حكم الطبيعة بالتغيير والاستحالات والكون والفساد عند قبول المستعد لذلك بالاستعداد، الذي خلقه الله فيه، وبوجود هذا الفلك حدثت الأيام كما ذكرنا دون الليل والنهار، وقد ذكرنا ذلك في كتاب «الشأن»<sup>(١)</sup>.

فدار هذا الفلك بتقدير العزيز<sup>(٢)</sup>: عن أحكام تأثيره فيه العليم: بما وضعه له من الحكمة البالغة، وهو الفاعل سبحانه لكل شيء، وهذه أسباب نصبها سبحانه لما سبق في علمه، وليبتلي بها عباده، فمن أضاف الفعل إليها فهو مؤمن بها كافر بالله تعالى، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى فهو مؤمن بالله كافر بها.

هكذا جاء الشرع الذي له الإيمان والكفر، وأما العقل فإنه يدل على أنه لا فاعل إلا الله، وما أحسن ما قال (صلى الله عليه وسلم) وما بلغ عن ربه بأشرف عبارة، وألطف إشارة فقال في أثر سماء كانت وقد أصبحوا بخرافات من جُهَّينَة:

«أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكواكب، وكافر بي ومؤمن بالكواكب.

فأما من قال: مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب.  
ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»<sup>(٣)</sup>.

وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) يقول بعد ذلك:  
مُطِرْنَا بنوء الفتح.

ويتلو: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا...﴾<sup>(٤)</sup> الآية. فأدار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) القسمة بين المؤمن والكافر بأي وجه كان، ونبّه بذلك على القسم الثالث المدرج بينهما، وهم القسم الذي يضيف الفعل إلى الله تعالى بحكم الإيجاد والإبداع، ويضيف الفعل إلى

(١) طبع هذا الكتاب أكثر من مرة وفي النسخة المخطوطة ذكر أنه كتاب البيان وهو خطأ طبعاً تحريف.

(٢) في المخطوطة (العزيز العليم) مجتمعة.

(٣) حديث: (أتدرون ماذا قال ربكم...).

رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٤٥/٩ عن زيد بن خالد الجهني وأخرجه الإمام مالك في الموطأ ٩١/١ باب الاستسقاء، انظر الأحاديث القدسية ٣٥، ٣٦، ٣٧، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة.

(٤) الآية رقم (٢) من سورة فاطر.

المخلوق بحكم التوجه والقصد، والانبعاث والكسب، وعلى الوجه الذي أضاف الله تعالى به الفعل إلى عبده فقال:

﴿والله خلقكم وما تعملون﴾<sup>(١)</sup>.

وأضاف العمل إلينا بهذا الحكم، مع كون ذلك العمل خلقاً له وإبداعاً «لا إله إلا هو» فلهذا جعله كافراً أي ساتراً، ولم يقل مؤمن بي جاهل بالكواكب، لكن قال: كافر، أي ساتر ما يعرف منه.

---

(١) الآية رقم (٩٦) من سورة الصافات.

## باب: فلك الكواكب الثابتة

وهو آخر الأفلاك الثابتة<sup>(٥)</sup>

ثم<sup>(١)</sup> أحدث الله هذا الفلك الرابع، وخلق عالم الرضوان، بينه وبين فلك البروج وسطحه أرض الجنة، ومقره يكون سقفاً للنار. وفيه أسكن رضوان خازن الجنان، وهو من الملائكة الكرام يقال لهم: «التاليات»<sup>(٢)</sup>، وقال بعض أهل المقاييس في قوله تعالى:

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

إن هذا الفلك أحد الثمانية الحاملة، والسبعة [الأفلاك]<sup>(٤)</sup> التي تحتها، هي التي سنذكرها إن شاء الله تعالى، وجعل فلك البروج هو العرش، وهو الأطلس والأمر، على خلاف ما قاله من كل وجه، وهذا الترتيب لا يمكن إدراكه إلا بالكشف، أو الاطلاع، أو بخبر الصادق، وكذا المنجمون أهل الأرصاد، وأصحاب علم الهيئة، لم يعرفوا [ما عرفوا]<sup>(٥)</sup> من ذلك إلا بطريق الكشف الحسني، فأبصروا حركات الكواكب فاستدلوا بذلك على كيفية الصنعة الإلهية وترتيب الهيئة فأخطأوا في بعض، [وأصابوا في بعض]<sup>(٦)</sup>، واختلفت آراؤهم في ذلك اختلافاً معروفاً متداولاً بين أهل هذا الشأن، وإن الله تعالى لما خلق هذا الفلك رتب في مقره ألف

(٥) كتب العنوان في المخطوطة هكذا (باب فلك الكواكب وهو أجزاء الفلك الثابتة).

(١) في المخطوطة (وأحدث).

(٢) انظر الآية رقم (٣) من سورة الصافات. ونصها: ﴿فالتاليات ذكرا﴾.

(٣) الآية رقم (١٧) من سورة الحاقة.

(٤) سقطت من المخطوط.

(٥) سقطت من المخطوط.

(٦) ما بين المعرفتين سقط من المخطوط.

مرتبة وإحدى وعشرين مرتبة. قسم الفلك عليها أقساماً كما قسم فلك البروج على اثني عشر قسماً، فظهر لكل قسم كرة، فظهرت اثنا عشر كرة، وهو فلك الكواكب والسبعة الأفلاك التي تحته، والأربعة الأركان فهذه اثنا عشر وحكمها، إنما هو فيها كما رتبته وقدره العزيز العليم. وقد نبّه عباده على هذا فقال تعالى:

﴿والشمس تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾<sup>(١)</sup>.

فكذلت قسّم الفلك الرابع إلى الأقسام التي ذكرناها، وجعل في كل قسم ملكاً من الملائكة، على صورة عالم من العوالم، الكائنة في عالم الأركان فحصر صورة عالم الأركان بتلك الأقسام فدار هذا الفلك دورة أبرز فيها عالم الجنان كحركة الأرض في إخراج النبات. كما قال تعالى في الأرض:

﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبِتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكل فلك يحكم فيما دونه بما أودعه الحق فيه وفطره عليه، وهذا الفلك هو فلك الحروف.

من هنا انتشأت في عالم الأجسام على الثمانية والعشرين منزلة ثمانية وعشرون حرفاً على المخارج المستقيمة، ثم حروف خرجت عن حد الاستقامة في الإنسان وغيره من الحيوانات، وهي بعدد ما بقي من الأقسام مقداراً بمقدار لا يزيد ولا ينقص، ومثالها في الإنسان كالحروف بين الباء والفاء، وكالحروف بين الجيم والشين، وكحروف الخيشوم، وهكذا في الحيوانات. وأخبرني بعض العلماء من تلاميذ<sup>(٣)</sup> جعفر الصادق<sup>(٤)</sup> (رضي الله عنه) أنه أوصلها إلى سبعة

(١) الأينان (٣٨، ٣٩) من سورة يس.

(٢) الآية رقم (٥) من سورة الحج.

(٣) في النسختين (من تلميذ) والصحيح أن يقال (من تلاميذ) أو (تلميذ) بدون حرف الجر (من).

(٤) الإمام (جعفر الصادق) هو: جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه: فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عن الجميع) كان إماماً ومحدثاً، وله مكاشفات أهل الحقائق، وأسرار كثيرة مع الحروف، وله مصنفات ومؤلفات ومن أقواله: (لا يتم المعروف إلا بثلاث: أن تُصنّفه في عينك، وتستره، وتعلمه). وقال: (إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلته محاسن نفسه). توفي رضي الله عنه سنة ١٤٨ هـ وقيل سنة ١٤٦ هـ انظر ترجمته في: ابن قتيبة: المعارف ٢١٥، ابن كثير: البداية والنهاية: ٩٥/١٠/٥. الذهبي: مختصر دول الإسلام ١٠٢/١، كحالة: معجم المؤلفين ١٤٥/٣، الزركلي: الأعلام: ١٢١/٢، الهجوري: كشف المحجوب ٩٨، المناوي: الكواكب الدرية: ١٧٧/١، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٩٢/٣، الشمراني: الطبقات الكبرى ٢٨/١، ابن الجوزي: صفة الصفوة ٣٠٣/١، السبكي: مختصر أعذب المسالك المحمودية بتحقيقنا مامس ٤٧.



وسبعين حرفاً في الحيوانات، ولما كانت الحروف من هذا الفلك لا تُعطي خواصها إلا ما يعطيه حكم المنازل، ولا تُعطي أبداً شكلاً غريباً لأنها دون الفلكين غير أن لها روحانية لطيفة في الفلك الأطلس الذي هو سقف الجنة بها يبقى الكلام على أهل الجنة، أعني الحروف الفكرية. وأما اللفظية فهي لهم في نفس هذا الفلك الذي هم فيه، ولكن هو أطف وأعذب من هذا الكلام المعتاد، لأنها تفعل هناك بالروحانية الخالصة، كشكلنا أيضاً في الجنان على أعدل نشأة فأنفتح<sup>(١)</sup> الاستعداد الحسن، والفيض الروحاني نتيجة (تناسب نشأتها)<sup>(٢)</sup>، وبما في الفلك الأطلس من الطبيعة وفي هذا الفلك كان في الجنة الأنهار، والرياح، والأشجار، والبحور، والقصور، والوُلدان، والأكل، والشرب، والنكاح، والانتقالات من حال إلى حال على أهل الطبيعة، إلا أن الأمر ثابت في عين الحوامل والقوابل بحفظ الاعتدال، فلا يستحيلون أبداً لكن يختلف عليها الصور، والحالات، والصفات، والأشكال في المطاعم والمشارب والملابس والمناكح والأعراض، بشريف وأشرف، وحسن وأحسن وجميل وأجمل، حكمة بالغة من عزيز عليم.

وهنا نُكْتَةُ:

اللطفة الإنسانية ليست من عالم الاستحالة والفناء بل هي من عالم الثبوت والبقاء، وهي تستدعي بيتاً تدبره يُسمّى الجسم الطبيعي وهي المخاطبة العاقلة الحيّة الدائمة المنتدّة المتألّمة، والجسم بما هو جسم طبيعي يتغذى ويتحلل قليلاً قليلاً، وينمو قليلاً قليلاً، ويعطى الغذاء من الزيادة قدر ما نقص، والفاضل يخرج في هذه الدار عذرة وبولاً، وبصاقاً ومخاطاً، وعرقاً. وهناك ليس إلا العرق خاصة يخرج من أعراضهم يعني من الأبدان، وهو فضلات الأعذية أطيب من ريح المسك.

فالمعتبر من الإنسان لطيفته وهي الحافظة لما حصّلت، والمميّزة لما أدركت فنفهم هذا، فإنه ينفعلك، فلما أكمل سبحانه أفلاك البقاء، وصارت الكلمة أربعة بوجود هذا الفلك الرابع أراد سبحانه إيجاد عالم الدنيا من الأركان والسموات السبع، والمولّدات التي مأل تراكيبها، وأجسامها إلى فساد وانتقال، وما من فلك أوجده الحق تعالى من هذه الأفلاك الثابتة إلا وقد جعل الله سبحانه للملكين الكرميين القلم واللوح توجّهاً إليها عندما أراد إيجادها، ويخلق الله عند التوجه ما شاء أن يخلقه بمأ شاء أن يتوجه عليه لا بالتوجه لأنه يتعالى ويتقدس عن المعين والشريك وأحكام الأسباب إذ هو الناصب لها والخالق. وما لها سبب إلا من حيث التوجه والقصد، وهو خلقٌ لله تعالى مثل أعمالنا المرادة لنا بخلقه سبحانه الإرادة فينا إلى تحريك يدنا،

(١) في المخطوطة: (فأنفتح).

(٢) في المخطوطة (تناسبها).

أو إلى فعل من الأفعال المرادة لنا فعندما تتعلق إرادتنا بتحريك يدنا، أو بفعل ما خلق الله تعالى الحركة في اليد، وذلك الفعل ليس غير ذلك، فلا فاعل في الوجود<sup>(١)</sup> إلا هو سبحانه، هذا هو الذي أعطاه دليلي<sup>(٢)</sup> وكشفي، وهو علمي واعتقادي. نسأل الله الثبات عليه، وأنه سبحانه ليس بعلة لشيء بل هو الواجد أوجد ما أوجده إيجاداً من لم يكن إلى أن كان، ما ثمّ أزلي قديم انتفت عنه الأولية إلا هو ﴿لا إله إلا هو﴾.

فجعل سبحانه للنفس الكلية التي هي اللوح توجّهاً من حيث أنه يريد إيجاد الأجرام النورانية<sup>(٣)</sup> وغيرها، حتى إذا حصلت الاستعدادات، لأشخاص أنوار هذه الأفلاك على حسب مقاماتهم ومراتبهم التي أهلهم الله تعالى لها، وأهلها لهم. ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾<sup>(٤)</sup> توجه العقل الذي هو القلم عن إذن الواحد القهار توجه النفخ. فأوجد الله الأرواح الملكية في الأشخاص الفلكية، فقامت حيّة ناطقة بالثناء على الله تعالى ولذلك خلقها.

ولنا في هذا النوع الملكيّ آيات أولها:

رُوحٌ مِنَ الرُّوحِ فِي جَنِينٍ مِنَ الثُّورِ  
 يُعْطِيكَ ظَاهِرَهُ أَشْرَارَ بَاطِنِهِ  
 لَهُ الْجَنَاحُ إِذَا مَا شَاءَ يَبْسِطُهُ  
 لَهُ الْيَدَانِ لَهُ الْعَيْنَانِ تُبْصِرُهَا  
 لِوَاحِدٍ سِدْرَةٌ عَلِيَاءُ يَسْكُنُهَا  
 وَتَالِثٌ يَفْبِضُ الْأَرْوَاحَ كَارِهَةً  
 وَخَامِسٌ يُسْمِعُ الْأَرْوَاحَ دَعْوَتَهُ  
 هُمْ الْكَثِيرُونَ لَا يُحْصَى مَقَاصِدُهُمْ  
 فَمَنْ عَلَى الطُّورِ يَلْحَظْ سِرَّ خَلْقِهِمْ  
 كَالْمَاءِ أَوْدَعْتَهُ فِي جِامِ بَلُورٍ<sup>(٥)</sup>  
 كَالْمُبْصِرَاتِ إِذَا مَا أَفْضَ فِي الثُّورِ  
 أَوْ شَاءَ يَقْبِضُهُ مِنْ غَيْرِ تَشْمِيرِ  
 فِي الْعَيْنِ قَائِمَةٌ مِنْ غَيْرِ تَضْوِيرِ  
 وَأَخْرَجَتْهُ فِي الثُّفُخِ فِي الصُّورِ  
 وَوَاهِبَ رِزْقَهُ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرِ  
 خَيْرٌ يَجُودُ وَيُخَلِّ خَلْقَ تَذْمِيرِ  
 وَلَا مَرَاتِبَهُمْ إِلَّا مِنْ الطُّورِ  
 وَقَوْهَ سَابِحٌ فِي مَاءِ تَنْوِيرٍ<sup>(٦)</sup>

وفُرق بين النفخ والإعادة<sup>(٧)</sup>، ولهذا بيننا أن الثُّفُخ في البدء والإعادة فإن الإعادة كالبدء

سواء، ولهذا قال:

(١) في المخطوطة: (في الجود).

(٢) في المخطوطة (ليلي).

(٣) في المخطوطة (النورية).

(٤) الآية رقم (١٦٤) من سورة الصافات.

(٥) هذا هو البيت الوحيد الذي ذكر في المخطوطة ولم يذكر باقي الآيات وما أثبتته زائد عليها من المطبوعة.

(٦) هذه الآيات كلها التي بين معقوفتين سقطت من المخطوطة.

(٧) بالمطبوعة: (الدعاء).

﴿كما بدأكم تعودون﴾<sup>(١)</sup>.

وقال في خلق عيسى (عليه السلام) الطير:

﴿فتنفخ فيها فتكون طيراً يا ذني﴾<sup>(٢)</sup>.

وهو إيجاد مخصوص، والدعاء ليس كذلك، كما قال لإبراهيم (عليه السلام):

﴿ثم ادعهم يأتينك سعياء﴾<sup>(٣)</sup>.

وما كان أذهب منهن شيئاً<sup>(٤)</sup> إلا فساد عين التركيب.

وأما الأجزاء فهي باقية بأعيانها<sup>(٥)</sup>، وليس حكم الجوهر [بعد زوال الحياة منه التي كان

يحملها حساً لنا مثل الجوهر]<sup>(٦)</sup> الذي لم يكن له ذلك أصلاً، [مع أننا نعلم أنه ما من شيء إلا

سبح بحمده إيماناً، ولا نعلم الكيفية، ولا يكون التسبيح إلا من حي]<sup>(٧)</sup>.

(١) الآية رقم (٢٩) من سورة الأعراف.

(٢) الآية رقم (١١٠) من سورة المائدة.

(٣) الآية رقم (٢٦٠) من سورة البقرة.

(٤) في المخطوط (وما كان ذهب منهن شيء).

(٥) في المخطوط: (وتلك الأجزاء بعينها باقية).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٧) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

## باب: خَلْقِ الدُّنْيَا

ثم انصرف النظر والتوجُّه الإرادي الإلهي<sup>(١)</sup> بعد خلق ما ذكرناه [إلى النَّفْسِ الذي هو الملك الكريم]<sup>(٢)</sup>، فأوحى الله تعالى أن ينحدر بالتدبير في عمق الجسم إلى أقصاه. [وذلك نقطة مركزه المعبر عنها بعجب الذنب الذي تقوم عليه النشأة، وهو جزء لا يتلى]<sup>(٣)</sup>، وهو محلُّ نظر العنصر الأعظم، الذي تُخلِقُ العقلُ من التفاتتِه، فانحدر الملك الكريم بإذن العزيز العليم إلى أن انتهى إلى المركز<sup>(٤)</sup> فوجد نظر العنصر الأعظم إليه، وأن أمر الكون المدبَّر كله<sup>(٥)</sup> منه صدر، وإليه يعود حكمة بالغة فأدار كرة الأرض ابتداءً، وكانت هذه الحركة من هذا [الملك بطالع السرطان وهو]<sup>(٦)</sup> الملك الكريم، الذي ذكرناه في سماء البروج. وجعل مما يلي المركز صخرة عظيمة كُرِّيَّة، وفي نقطة تلك الصخرة الصمَّاء، حيواناً في فمه ورقة خضراء يسبح الله ويمجده، وهو الحيوان الأشرف. ولنا فيه كلام طويل فإن مقامه من أعجب المقامات.

وعمَّر هذه الأرض بصنْفٍ من الملائكة يقال لهم: «الناشرات»<sup>(٧)</sup> وقد نبه الشرع لإيها أن الملائكة تنشر أجنحتها لطالب العلم، وهم هؤلاء، فإن الأرض إنما هي لعباده الصالحين، وهم العلماء بالله، وجعل فيها مقدِّماً من الملائكة عظيماً اسْمُهُ: قاف، وإليه يُنسب الجبل المحيط

(١) سقطنا من المخطوط (الإرادي الإلهي).

(٢) وما بين المعقوفين سقط من المخطوطة.

(٣) ما بين المعقوفين كتب [وهو المركز] فقط والباقي سقط.

(٤) في المخطوطة: (إلى أن انتهى إلى الكرسي والمركز).

(٥) في المطبوعة (فله).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من المخطوطة.

(٧) انظر قول الحق سبحانه في الآية رقم (٢، ٣) من سورة المرسلات ونصُّها: ﴿فَالعاصفات عصفاً. والناشرات نشرًا﴾.

بالأرض «جبل قاف»، فإنه مقعد هذا الملك وييده حكم الأرض، وحكم الزلازل، والرجفات، والحسب، وكل ما يحدث في الأرض منها بيد هذا الملك زمامه، وجعل هذه الأرض محل أكثر المولدات وهي المقصودة من بين سائر الأركان، وفيها ينزل الخليفة، وعليها ينزل الأمر الإلهي. ولما كانت المقصودة لم تنزل الكتب إلا بذكرها فقال في غير موضع السموات والأرض، والسماء والأرض، وقال:

﴿والسما وما بناها والأرض وما طحاها﴾<sup>(١)</sup>.

وقال: ﴿خلق الأرض في يومين﴾<sup>(٢)</sup> ثم قال: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾<sup>(٣)</sup>. ولم يذكر من الأركان غيرها، فدل ذلك على أصالتها، وعلى أنها المقصودة، ثم الكشف يعطي بأنها هي التي خلقت أولاً، وأنها أول الأركان خلقها قبل بقية الأركان، وفيها [خلاف كثير بين العلماء - وقبل السموات وما فيها ومنها]<sup>(٤)</sup> يكونون في الجنة وعليها يحشر الناس غير أن نعوتهما تتبدل فتكون الخاصة في الحشر الساهرة. أي: لا ينام عليها لهذه الخاصة وقال: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾<sup>(٥)</sup>.

والجنة: مبنية كلها، وخلقها من نفائس معادننا من اللؤلؤ، والمرجان، والجوهر، والدُّرّ، والياقوت، والذهب، والفضة، والزمرد، والمسك، [والعنبر]<sup>(٦)</sup>، والكافور، وما أشبه ذلك، وإذا وقفت في الأخبار على أن مراكب الجنة من دُرّ، وياقوت، ومرجان، وخورها، وولدانها، وجميع ما فيها. فافهم.

من ذلك ما فهمت من أن آدم خُلِقَ من تراب<sup>(٧)</sup>، ومن حمأ مسنون<sup>(٨)</sup>، وأنت مخلوق من

(١) الآية رقم (٦) من سورة الشمس.

(٢) الآية رقم (٩) من سورة فصلت.

(٣) الآية رقم (٢٩) من سورة البقرة.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من النسخة المخطوطة.

(٥) الآية رقم (٤٨) من سورة إبراهيم، وهذه الآية سقطت من النسخة المخطوطة.

(٦) سقطت من المخطوط.

(٧) انظر حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قوله:

(كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ، لِيُنْتَهِيَ قَوْمٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ، أَوْ لِيَكُونُوا أَهْرُونَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُفْلَانِ)، رواه البراز عن حذيفة رضي الله عنه.

أورده السيوطي في: جامع الأحاديث رقم (١٥٨٦١) ٩٢/٥.

(٨) انظر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ وهي الآية رقم (٢٦) من سورة الحجر، وأورده ناسخ المخطوط بتحريف (ماء مسنون) هكذا!

ماءٍ مَهِينٍ<sup>(١)</sup>، فهو تنبيه على الأصل، وكما كانت الأرض للجنة من حيث ما ذكرنا، فمنها أيضاً للنار، كل معدن خسيس مثل الكبريت، والحديد، والرصاص، والنحاس، والقار، والقطران، وكُلُّ نَتْنٍ وَقَدِيرٍ، وقد عبر الشارع فقال:

﴿سرايلهم من قَطِران﴾<sup>(٢)</sup>

﴿ولهم مقامع من حديد﴾<sup>(٣)</sup>.

«وُصِبَ في أذنيه الآنك»<sup>(٤)</sup> ويجعل لمن كان يسجد اتقاءً ورياءً، وهو المنافق. ظهره طبقة النحاس.

وقد نبه بوادي جهنم بالبيت المقدس، وبطن محشر، وبالأرض الملعونة، وبشجرة الغرقد، فقسم هذه الأرض وفصلها بين الجنة والنار، فللتأثر منها جزء، وللجنة منها جزء. وأخبر (صلى الله عليه وسلم):

«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»<sup>(٥)</sup>، إلا أنها لا تتبدل بالصفات. وقد ذكرنا في «كتاب الجنة»<sup>(٦)</sup> ما يشفي في ذلك، وفي «كتاب النار»<sup>(٧)</sup> ما يشفي في ذلك. فالأرض الأصل خلقها بما فيها في أربعة أيام وهي أربعة آلاف سنة، كل يوم من الأيام ألف سنة عنده<sup>(٨)</sup>، فعين فيها أماكن الخير وأماكن الشر مقدرة.

(١) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٢٠) من سورة المرسلات ونصها ﴿ألم نخلقكم من ماءٍ مهين﴾.

(٢) الآية رقم (٥٠) من سورة إبراهيم.

(٣) الآية رقم (٢١) من سورة إبراهيم.

(٤) حديث: (وُصِبَ في أذنيه الآنك) وهو الرصاص المثلثي.

رواه البخاري في التعبير ٤٥، وأبو داود في الأدب ٨٨، والترمذي في اللباس ١٩، والدارمي في الرقاق ٣ وأحمد بن حنبل في مسنده ٢٤٦/١، ٥٠٤/٢.

انظر المعجم المفهرس (مادة: آنك).

(٥) حديث: (ما بين قبري ومنبري روضة...).

رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أورده السيوطي في جامع الأحاديث تحت رقم (١٩١١٣) ٦٤٣/٥ والحديث رقم (١٩١١٠) رواه أحمد بن حنبل، وأبو يعلى والضياء كلهم عن أبي سعيد، ورواه البيهقي في الشعب، والخطيب في الجامع، وابن عساكر في تاريخه كلهم عن جابر بن عبد الله، ورواه الخطيب أيضاً في الجامع، وابن عساكر في التاريخ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

انظر ٦٤٢/٥ من جامع الأحاديث.

(٦) لا يزال مخطوطاً.

(٧) لا يزال مخطوطاً.

(٨) في المخطوطة (كل يوم من سنة).

ثم إن الله تعالى وتقدس خَلَقَ الأفلاك الثابتة دائرة بالتوجه نحو الكمال، والكائنات يوجدتها الحق عند دورانها كما يوجد الشَّبَع عند الأكل، وليس ذلك بمقصود للأفلاك وحلَّلَ في جوف كُرَّة الأرض منها ما حلَّلَ، وسخَّفَ، ولطَّفَ فكان ماءً نِتْنًا، وهو البحر العظيم الذي يعذب به أهل الشقاء وهو ماء أسود، وكثيراً ما يظهر آثاره في الأماكن المخسوفة ينفتح له مَنْفَسٌ، فيظهر منه على وجه الأرض ما يظهر، ومنه منبع المياه الرديئة كلها التي لا يلائم مزاج الإنسان والحيوانات فدار هذا الماء بالصخرة، وصارت الأرض عليه، ثم حلَّلَ سبحانه منه ما حلَّلَ ولطَّفه مِمَّا يلي المركز، فكان الهواء المظلم، وهو اليعحوم، فدار ذلك الهواء بالمركز، الذي هو الصخرة واشتدت حركة هذا الهواء فامتسك هذا الماء عليه، والأرض [فوق هذا وتموج الماء بهذه الرياح المظلمة السمومية. فمادت الأرض<sup>(١)</sup>، فرأت الملائكة مَيْدَ الأرض، وقد حصل لهم التعريف من الله بأنها محلّ خلق: يُخَلِّقُونَ منها على نشأة مخصوصة، لا يمكن معها التصرف إلاّ على ساكن. فقالت: يا ربنا كيف استقراؤ عبادك على هذه الأرض؟

فأبدى لهم تجلياً أصعقهم به، وخلق من الأبخرة الغليظة المتراكمة الكثيفة الصاعدة من الأرض الجبال فقَالَبَهَا عليها فسكن مَيْدُ الأرض، وذهبت تلك الحركة التي لا يكون معها استقرار، وطَوَّقَ هذه الأرض بجبل محيط بها، وهو من الصخرة الخضراء، وطَوَّقَ به حِيَّة عظيمة اجتمع رأسها بذَنَبِهَا. رأيتُ من صَعِدَ هذا الجبل، ومن عاين هذه الحِيَّة وكَلَّمَا وقالت: «سَلِّمْ مني» إلى «أبي مدين»<sup>(٢)</sup>. وكان من الأبدال من أصحاب حُطوة يقال له: «موسى السدراني»<sup>(٣)</sup>، وكان محمولاً له، فسأله يوسف بن يخلف عن طول هذا الجبل في الهواء فقال:

صَلَّيْتُ الضحى في أسفله والعصر في أعلاه، فأنا بهذه المثابة.

(١) ما بين المعرفتين سقط من النسخة المخطوطة.

(٢) هو (أبو مدين الفوث): هو شعيب بن الحسن الأندلسي سيد العارفين والأولياء، الجامع بين الشريعة والحقيقة، إمام الأئمة الذي كان الناس يقصدون زيارته من كل مكان توفي رحمه الله سنة ٥٨٩ هـ وترك بعض المؤلفات والأشعار الصوفية والحكم.

انظر ترجمته في المناوي: الكواكب الدرية ٦٦٥/١.

ابن العماد: شذرات الذهب ٣٠٣/٤.

كحالة: معجم المؤلفين ٣٠٢/٤.

بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣٦١/٤ النسخة العربية.

أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف.

(٣) (موسى السدراني) لم أقف على ترجمته.

يعني من اتساع الخطوة.

ثمَّ أفق الملاء الأعلى من صعقتهم فرأوا من قدرة الله تعالى ما هالهم. فقالوا:

ربِّنا هل خلقت شيئاً أشد من هذه الجبال؟

فقال: نعم، الحديد.

فقالوا: ربِّنا فهل خلقت شيئاً أشد من الحديد؟

فقال: نعم، النار.

فقالوا: ربِّنا فهل خلقت شيئاً أشدَّ من النار؟

قال: نعم، الماء.

فقالوا: ربِّنا فهل خلقت شيئاً أشد من الماء؟

قال: نعم، الريح.

فقالوا: ربنا فهل خلقت شيئاً أشدَّ من الريح؟

قال: نعم، الإنسان يتصدق بصدقة فلا تعرف شماله ما تُنفق يمينه<sup>(١)</sup>.

فهذا هو الذي ملك الهواء.

فمن ملك هواه فهو أشد من الهواء، وهو الذي ينبغي أن يقال له إنسان، ومن لم يحكم هذا المقام فهو حيوان. صورته صورة الإنسان لا غير.

فقال<sup>(٢)</sup>: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك.

أي ما عرفناك حقَّ معرفتك. إذ تكلمنا بما لا ينبغي لنا أن نتكلم به، فإنك أنت العليم القدير. ولما كان وجود هذه الأرض، وقد دارت الأفلاك الثابتة، تخيل القدماء الفلاسفة أن الأفلاك السماوية مخلوقة قبل الأرض، وأنه يتنزل الخلق إلى أن ينتهي إلى الأرض فأخطأوا في ذلك غاية الخطأ، لأن ذلك صنعة حكيم، وتقدير عزيز عليم، يفتقر العلم بذلك إلى إخباره باللسان الصادق، والعلم الضروري أو إقامة المُثل بكيفية الأمر. وليس للقدماء في هذه الطريقة كلها مدخل فأجالوا الفكر على علم لا يتحصّل بالفكر، فأخطأوا من كل وجه.

(١) حديث: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال) أخرجه الترمذي في أواخر جامعه ٢٤١/٢.

وقال إسناده حسن غريب.

انظر: الأحاديث القدسية طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١٩٩١م.

(٢) أي الملائكة.



ثم إن الله تعالى أدار بالأرض من جهة سطحها كُرَّةَ الماء بتسخيف من الأرض وتحليل، وعَمَّرَ هذه الكرة بملائكة يقال لهم: «الساريات»، وعليهم مقدم يُسمى الزاخر، وخلق العالم الملكي الذي هو عالم الذكر بين الماء والأرض، فلهم شركة في الماء والأرض، ثم أدار بالماء الهواء، وجعل عُمَّاره من الملائكة الزاجرات<sup>(١)</sup>، وعليهم ملك يُسمى الرِّعد، وجعل بين الماء والهواء من الملائكة عالم الحياة، ثم أدار بالهواء كرة الأثير، وهو النار، وجعل عُمَّاره من الملائكة السابقات<sup>(٢)</sup>، وعليهم ملك كريم هو مقدّمهم، لا أعرفُ له اسماً، فإنِّي ما عُرِفْتُ بذلك، وجعل عالم الشوق ممزوجاً من الهواء والأثير، ومن سطح الأرض إلى سطح هذه الكرة اثنان وسبعون سنة.

ثم أدار بكرَّة الأثير السماء الدنيا، وجعل عُمَّاره من الملائكة السابحات<sup>(٣)</sup>، وعليهم ملك يُسَمَّى «المجتبي»، وفيه خلق القمر وهو الإنسان المفرد، وفيه أسكن روحانية آدم (عليه السلام) بعد موته، وجعل بينه وبين كرة الأثير عالم الخوف من الملائكة.

ثم أدار بالسماء الدنيا هواءً نورانياً، وجعل عُمَّاره من الملائكة، ملائكة المزج، ثم أدار بذلك الهواء السماء الثانية، وعَمَّرَها بالملائكة الناشطات<sup>(٤)</sup>، وعليهم ملك يُسمى الروح، وفيه خلق الله كوكباً يسمى «عطارد» وهو الكاتب. ثم أدار بالسماء الثانية هواءً عجيباً جعل عماره صنفاً من الملائكة يقال لهم عالم الحفظ والحافظات. ثم أدار بالهواء السماء الثالثة، وعَمَّرَها بالملائكة القانتات، وعليهم ملك يسمى الجميل، وفيه خلق الله كوكباً يُسمى «الزهرة» وأدار به هواءً أسكنه عالم الأنس، ثم أدار بذلك الهواء السماء الرابعة وعَمَّرَها من الملائكة بالصفات<sup>(٥)</sup>، وعليهم ملك يُسمى «الرفيع» وفيه خلق الشمس. ثم أدار بهذه السماء هواءً عَمَّرَها بعالم البسط، ثم أدار بهذا الهواء السماء الخامسة، وعَمَّرَها من الملائكة بالفارقات<sup>(٦)</sup>، وعليهم ملك يسمى «الخاشع»، وفيه خلق الله كوكباً يقال له الأحمر، ثم أدار بهذه السماء هواءً عَمَّرَها بعالم الهيئة، ثم أدار بهذا الهواء السماء السادسة، وعَمَّرَها من الملائكة بالملقيات<sup>(٧)</sup>، وعليهم ملك يسمى المقرَّب، وخلق الله فيها كوكباً يقال له «المشتري» أدار بهذه السماء هواءً عَمَّرَها بعالم الجمال،

(١) (الزاجرات) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٢) من سورة الصفات ونصها: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾.

(٢) (السابقات) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٤) من سورة النازعات ونصها: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾.

(٣) (السابحات) انظر قوله تعالى في الآية رقم (٣) من سورة النازعات ونصها: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾.

(٤) (الناشطات) انظر الآية رقم (٢) من سورة النازعات ونصها: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾.

(٥) (الصفات) انظر الآية رقم (١) من سورة الصفات ونصها: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾.

(٦) (الفارقات) انظر الآية رقم (٤) من سورة المرسلات ونصها: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾.

(٧) (الملتقيات) انظر الآية رقم (٥) من سورة المرسلات ونصها: ﴿فَالْمَلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾.

ثم أدار الهواء السماء السابعة، وعمره من الملائكة بالنازعات<sup>(١)</sup>، عليهم الملك الكريم، وفيه خلق الله كوكباً يُسمى «كيوان».

ثم أدار به هواء إلى مقعر فلك الكواكب الثابتة، عمره بعالم الجلال، وفي هذا الهواء أسكن مالكاً خازن النار، وعزرائيل الذي هو ملك الموت، وفيه سدرة المنتهى، التي أغصانها في الجنان، وأصولها في أسفل السافلين فهي الزقوم لأهل النار، والتعيم لأهل الجنان.

ومعنى قولنا: خَلَقَ. في هذه [الأُكْر كلها]<sup>(٢)</sup> عالم كذا وعمره بكذا إنما أريد أن الله هياً فيها مراتب خلقها وكونَ فيها أجسامها النورانية وأعدّها لقبول الأرواح والحياة، وأسرار هذه الاستعدادات كلها في حركات الأفلاك الأربعة الثابتة:

فخلق السماء الأولى، سماء القمر، [على طبع الماء]<sup>(٣)</sup>، باردة رطبة فجعل بينها وبين النار منافرة طبيعية حتى لا تستحيل ناراً، فكان يطل ما يراد بها من التحريك والأدوار، التي يهب الله تعالى المولدات والصور عند دورانها في عالم الأركان، ورتب مسالك خلقها فيها ومقاماتهم، ودار هذا الفلك دورة قشيرية فصل مكانه بها من الجسم الكلي فظهر الهواء الذي بينه وبين الفلك الذي يوجد فوقه، وهكذا فعل في كل سماء من السبع.

● فالأولى والثالثة على طبيعة واحدة، وهي البرودة [والرطوبة]<sup>(٤)</sup>.

● والرابعة والخامسة على طبيعة واحدة، وهي الحرارة واليبوسة.

● والسماء الثانية ممزوجة.

● والسادسة حارة رطبة.

● والسماء السابعة باردة يابسة.

ثم توجه الحق سبحانه وتعالى على هذه السموات والأرض وما بينهما بخلق الأرواح في صورها، المعبر عنه بالنفخ فقبلت الأرواح على قدر استعدادها، فظهرت أعيان العوالم، الذين ذكرناهم من الملائكة، وحيث الأفلاك والأركان، فدارت واتصل العمران [وشهدت]<sup>(٥)</sup> وأحبت البقاء والكمال فتحركت في دورانها حركة الشوق إلى ذلك، ولا تشعر هذه الأفلاك

(١) (النازعات) انظر الآية رقم (١) من سورة النازعات ونصها: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا﴾.

(٢) في المخطوطة (الأكور).

(٣) ما بينهما سقط من المخطوط.

(٤) سقطت من المخطوطة.

(٥) سقطت من المخطوطة.

ما أودع الله من الأسرار في دورانها، فإذا وُقت الطبيعة ما في قُوَّتها مما جبلها الله عليه في هذا العالم وحصل المنع في الأركان عن القبول عادت آثار حركات الأفلاك عليها لَمَّا لم يجد فيها ما تنفُذ فتصادمت تصادم الأشخاص هنا فانفطرت ورجعت إلى أصل المبدأ<sup>(١)</sup>.

وحدث الليل والنهار بحدوث الشمس في السماء الرابعة، وتميّز اليوم بها عندنا، وجعل الله تعالى حركات هذه الأفلاك كلها على طريقة واحدة من الشرق إلى الغرب كحركات الأفلاك الثابتة بخلاف ما يقول أصحاب علم الهيئة.

وذلك أنهم يرون السيارة تقطع في فلك الكواكب الثابتة من التُّطح إلى البُطين، ومن الحمل إلى الثور، فيرون حركتها كأنها بالعكس من حركة فلك الكواكب الثابتة، فيجعلون حركتها من الغرب إلى الشرق، وليس الأمر كذلك، ولكن حركة فلك الكواكب على مقدار يعطيه تركيبه وطبعه من السرعة وأفلاك السيارة معه في ذلك الدور، غير أنه يمشی عنها على قدر قوته بالوزن المعلوم، الذي قدره خالقه، فيظهر تأخر القمر وغيره من السيارة عن منزل التُّطح إلى منزل البُطين. وعن برج الحَمَل إلى برج الثور وهو تأخر صحيح، ولكن ليس بتأخر حركة ضديّة تُقابله، وكل من قال إن حركات الأفلاك مع حركات الفلك المحيط على التقابل فما عنده علم من شبهة ما ذكرناه، والقهقرة الظاهرة في بعض السيارات لسرعة تكون في فلكه في ذلك الوقت أعطائها تركيب ذلك الفلك وطبعه الذي خلقه الله عليه، وكان هذا الإنشاء العجيب من حضرة الهو المغيب، وهو غيب الغيب، ولم يقع منه لله تعالى إنشاء إلا وقد جعل سبحانه توجّهات للملك الكريم المُعبّر عنه بالنفس واللوح إلى هذا الإنشاء، وتوجهات للملك الكريم الذي هو العقل والقلم بالوهب الذي له.

كما جعل الأدوار للأفلاك، وسكتنا عن إيضاح تحقيق الأسباب، لقلّا يتخيّل الناظر فيها متاً أنّا يُمنّ يجعل الفعل لغير الله، أو يُمنّ يجعل الفعل لله بمشاركة السبب، ولسنا من أهل هذين المذهبين، وإن مذهبنا أن يُقدّم الله ما شاء من خلقه ويؤخّر ما شاء من خلقه، ويخلق الشيء من كونه شيئاً سبباً إن شاء، ولا يجعله سبباً إن شاء.

لكن قد شاء، وقد سبق في علمه أنه لا يخلقها إلا هكذا، كما ذكرناه، فمُحال أن تكون إلا هكذا، لأن خلاف المعلوم مُحال. فلهذا سكتنا عن ذكر سببِة القلم واللوح، ولا سيما وقد قال بذلك من يعتقد فيه القائلون بالشرع أهل الحق أنتم كفار، وهم القائلون بالعلة والمعلول. فالعاقل من نظر لنفسه وعامل الوقت بما يليق به وتجنّب مواطن التّهّم عند أصحاب وقته،

(١) في المخطوطة (الملا).

التي يؤدي السلوك فيها عندهم إلى الخروج عن الدين فيما يزعمون، وإن لم يكن الأمر كذلك. وجهلوا ولا قدرة لك على ردّهم عن ذلك. وللحق وجوه كثيرة فُخذ منها ما يوافق الوقت، ويؤدي إلى سلامة الدين والدنيا. والمعتمد الدين، فإن الوقت لا يقتضي في تمشيه سلامة الدين، فاختر لنفسك أن تظهر الحق والدين حتى تموت مجاهداً، وإن شئت سترت نفسك ودينك، وتظهر لهم فيما هم بسبيله بظاهرك إذا جبروك على ذلك فاضطرت إليه واعتزل عنهم ما استطعت في بيتك لإقامة دينك من حيث لا يعلمون<sup>(١)</sup>، فقد كان في بدء الإسلام على هذه الصورة من التكتّم.

وقد جاء في القرآن:

﴿إِلَّا مِنْ أُمَّرَةٍ وَقَلْبِهِ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(٢)</sup>.

كما قال أيضاً في المجاهدين:

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فانظر لنفسك من حيث دينك، فإن إليه مرّك، وهو الذي يبقى لك، والدنيا عرض زائل، وعرض مائل وهو ما لا يبقى عليك ولا تبقى عليه، واصرمه قبل أن يصرمك، وكن من حزب الله ولا تيأس من روح الله.

(١) بدلها في المخطوط (وهم لا يشعرون).

(٢) الآية رقم (١٠٦) من سورة النحل.

(٣) الآية رقم (٢١) من سورة آل عمران.

## باب: في الاستحالات

فلما كملت هذه الأركان والأفلاك على حسب ما ذكرناها، ودارت الأحد عشر فلكاً، وهي آباؤنا العلويات، وتحركت الأركان لدورانها، وهي القوابل الحوامل أمهاتنا السفليات وأعطت الحركات في الأركان الحرارة فسخن العالم وتوجه العقل والنفس، الذي هو القلم واللوح، وتوجه العنصر الأعظم الشريف، الذي هو لكرة العالم كالنقطة والقلم لها كالحيط [واللوح ما بينهما، وكما أن النقطة تقابل المحيط]<sup>(١)</sup> بذاتها كذلك هذا العنصر يقابل بذاته جميع وجوه العقل، وهي الرقائق التي ذكرناها قبل فهي في العنصر واحدة، وهي في العقل متعدد وتكثر. تتعدد قبوله منه فللعنصر التفاتة واحدة، وللعقل وجوه كثيرة في القبول فلهذا كان العنصر أشدّ تحقّقاً بتوحيد خالقه من العقل لأنه أتمّ نسبة وأقوى وإلى العنصر والعقل الإشارة الإلهية عندنا، بقوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>. وهي بقية الكتب والصحف والمنتزلات ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

[يشير إلى المحيط من الأسرار والمواهب التي بيد الملك القلم. ﴿ومن تحت أرجلهم﴾<sup>(٢)</sup>. يُشير<sup>(٣)</sup> إلى النقطة من الغيوب واللطائف من العنصر والكل منه، وهو مستمد من الله تعالى بذاته. ولما سخن العالم ابتدأت الاستحالات في الأركان، التي بها يقع التوالد والتناسل، وجعل استحالة هذه الأركان بعضها لبعض على حسب ما نظمها العزيز العليم.

(١) ما بين المعرفتين سقط من المخطوطة.

(٢) الآية رقم (٦٦) من سورة المائدة.

(٣) ما بين المعرفتين سقط من المخطوطة.

وانظر ما أعجب مِنْ أَنَّهُ جعل أول الأركان<sup>(١)</sup>، وهي الأرض، وآخر الدوائر السماوية<sup>(٢)</sup> وهي السماء السابعة على طبيعة واحدة، وهي البرودة واليبوسة وجعل بين هذه الأركان منافرة فمنها ما يقتضي المنافرة من كل وجه كالنار والماء والهواء والتراب. فلم يتجاوزوا وجعل الحق بينهما وسائط.

● فجعل الماء بين الهواء والتراب.

● وجعل الهواء بين الماء والنار.

وإن كان بينهما منافرة من وجه فبينهما مناسبة من وجه.

فالواسطة الذي هو الماء ينافر النار بذاته، ويناسب الأرض بما فيه من البرودة، ويناسب الهواء بما فيه من الرطوبة.

والواسطة الذي هو الهواء ينافر التراب بذاته، ويناسب النار بما هو حار، ويناسب الماء بما هو رطب. فتستحيل الأرض ماء، والماء هواء، والهواء ناراً، والنار تراباً بغير واسطة.

فإذا أراد الأرض تستحيل هواء، والهواء يستحيل تراباً، فلا بد أن يستحيل كل واحد منهما ماء، وحينئذٍ تستحيل الأرض هواء، والهواء أرضاً، ويستحيلان ناراً، وحينئذٍ يلحق الهواء بالأرض، والأرض بالهواء، وكذلك الماء إذا أراد أن يستحيل ناراً، والنار ماءً فلا بد أن يستحילה هواءً أو تراباً وحينئذٍ يستحيل هذا ناراً، والنار ماء، وهذه الاستحالات إنما تقع بالإفراط. فإذا جاوز المستحيل حدّه انتقل إلى ضدّه من الوجه الذي هو ضده، فإذا جاوزت اليبوسة حدّها في النار كانت رطوبة فصارت هواء، وإذا جاوزت الرطوبة في الهواء حدّها كانت يبوسة فاستحال الهواء ناراً، فإذا جاوزت الحرارة والرطوبة حدّهما في الهواء استحال تراباً.

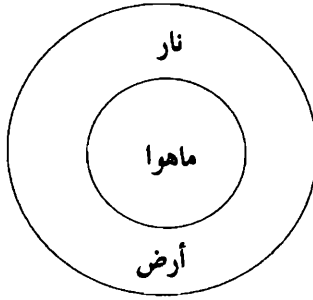
وكذلك النار تستحيل ماء، والماء ناراً، والتراب هواء ولكن هذه الاستحالات نادرة الوقوع، وما رأيت أحداً نبّه لشذوذ وقوعها، وما كل جائز واقع.

والذي بأيدي علماء هذا الشأن أن يستحيل الشيء إلى الشيء إذا كان بينهما مناسبة من وجه ومنافرة من وجه، وصورة ترتيبها في التثنية كما تراه<sup>(٣)</sup>.

(١) في المخطوطة (الأحمري).

(٢) في المخطوطة (وآخر دوائر السماء قبة).

(٣) في المخطوط (كما تراه في الحاشية) وهو الرسم المرفق أسفله والمطبوع.



وبهذه الاستحالات التي قَبِلَتْها الأركان حدثت دائرة الزمهرير، والتَّجمد الذي يكون في الهواء، وجبال البرد، والبحر المسجور، والماء الذي في جوف كرة الأرض والهواء الدائر بالصخرة، المظلم، والهواء الذي يلي النار فوق دائرة الزمهرير. فصورتها<sup>(١)</sup> اليوم صخرة في المركز دار بها هواء على الهواء، ماء على الماء، أرض على الأرض ماء على الماء، هواء على الهواء، جمد على الجمد، بحر على البحر، هواء على الهواء، نار على النار، السماء الدنيا، وهذه الاستحالات أعطاهما ما أودعه الله في الأدوار كلها، وبأدوار الأفلاك الثابتة خاصة كانت الجنان وعليها المخلوقون فيها التي هي أرواح محمولة في أنوار وأجسام شقافة، شريفة معدنية تناسب فلکها، وعنهما انتشأت الخزنة، وكان الخازن الأكبر المقدم رضوان إذ كانت حالة الرضى هي الحالة الكبرى في الجنة، فما فوقها حالة فسُمي الخازن بها بُشرى لهم.

(١) انظر الشكل المرسوم نهاية هذا الباب.

## تنبيه

وقد ورد في بعض الأخبار النبوية:

«إن الناس في الجنة إذا أخذوا منازلهم فيها ناداهم الحقُّ جلَّ جلاله - بالكلام الذي ينبغي أن يُنسب إليه من غير تكيف ولا تشبيه -

يا عبادي هل بقي لكم شيء؟

فيقولون: يا ربنا ما بقي لنا شيء، نجيتنا من النار، وأدخلتنا الجنة، وكسوتنا وأطعمتنا وسقيتنا، وفعلت وصنعت.

فيقول جلَّ جلاله: وبقي لكم شيء.

فيقولون: يا ربنا وما بقي لنا؟

فيقول: أنا أعلمكم برضائي عنكم، فلا أسخط عليكم أبداً هل رضيتم؟

فيقولون: رضينا عنك»<sup>(١)</sup>.

(١) حديث: (إن الناس في الجنة إذا أخذوا منازلهم...).

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ١١٤/٨ والقسطلاني ٣١٩/٩، ١٥١/٩.  
وأخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (كلام الرب مع أهل الجنة). ومسلم في كتاب الجنة ٩١/٢.  
وهو حديث حسن صحيح

انظر كتاب الأحاديث القدسية ٤٦٦/٢.

أحاديث رقم (٣٩٥)، (٣٩٦).

والأحاديث (٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٦٢/٢، ٤٦٣).



فما يُسَرَّ أهل الجنة بشيء أعظم من سرورهم بهذا الخطاب ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾<sup>(١)</sup>.

هؤلاء المخاطبون بهذا الخطاب هم أهل الجنة، الذين هم أهلها العاملون لها، والمتعشقون بها، الذين ما طلبوا من الحق سواها.

وأما العارفون أهل الله وخاصته، فليس لهم في هذا الخطاب مدخل، إذ قد نالوه في الدنيا حال سلوكهم. فكانوا هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وأولئك في الآخرة.

فالعارفون في الجنة بحكم العَرَض لا بحكم الذات، وهم مع الله بالذات، فقيل فيهم: أهل الله وخاصته، ولم يُنسبوا إلى الجنة لكن الجنة تُنسب إليهم.

وأما أهل الجنة الذين هم أهلها، فهم مع الجنة بالذات ومع الله بالعَرَض، فرؤيتهم لله تعالى في أوقات مخصوصة، وكلاتهم في الجنان مع الحور والولدان.

وبالذات، هنا: معناه هم مع الله بحقائقهم لا يلتفتون إلى ما سواه إلا بحكم أمره، وبمشيئة عذله في عالم النفوس. وكما انتشأ عالم الرضوان كذلك أيضاً لما سوي النور ظهر مالك وخرتة النار، ومالك هو الخازن الأكبر المقدم، وسُمي مالكا [لشدته، وقوته، وقهره]<sup>(٢)</sup>، الظاهر في عالم الشقاء، فيزيد عذابهم وحرجهم لهذا القهر.

فإن الأرواح من عالم السعة والانفساح بالأصل، فإذا انحصرت في هذا العالم الضيق بما اكتسبته كان الضيق عليها أشد عذاباً:

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فإن عذابكم لا يتناهى. ولهم خطاب من الجبار تعالى:

﴿اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾<sup>(٤)</sup>.

سخطي عليكم سخط لا رضى بعد، فلا شيء أشد عليهم عذاباً من هذا الخطاب. وجماع هذا الشكل من المركز إلى المحيط، شكل القَرْن أسفلهُ ضيق وأعلاه واسع، وهو الصور أي جامع الصور.

(١) الآية رقم (٨) من سورة البقرة.

(٢) في النسخة المخطوطة [للقهر الظاهر].

(٣) الأيتان رقم (١٣، ١٤) من سورة الفرقان.

(٤) الآية رقم (١٠٨) من سورة المؤمنون.



## باب: في النكاح والتَّوَالِدِ

فَأَوَّلُ ما دارت الأفلاك، وأعطت الاستحالات في الأركان، وسخن العالم فَأَوَّلُ ركن قَبَلَ الأثر ركنُ النار، وهو الأثير. فظهرت الكواكب ذوات الأذنان، وهي احتراقات وتكوينات سريعة الاستحالة كما تراها في العين، وهي نجوم سريعة التكوين والفساد، وكانت رجوماً عند مَبْعَثِ محمد (صلى الله عليه وسلم) فما يلي منها العلو أطفأه برد السماء، وما ولي منها الشَّقْلُ أطفأه الزمهرير، وهو البحر المسجور، وانتشأ في هذا الركن عالم الجان، بين سعيد وشقي، وقد ذكرنا نشأتهم في كتاب أفردناه لهم، والمقصود هنا نشأة الإنسان، فمن غلب نور روحانيته على نار طبيعته كان سعيداً ومن غلب نار طبيعته على نور روحانيته كان شيطاناً بما فيه من الرطوبة والبرودة لأنه ممتزج بالأصالة يقبل العذاب بالنار، وإنما تُنسب إلى العنصر الغالب عليه، وهو النار فإنه فيها يكون وهي الظاهرة فيه على جميع الأركان كما كان الغالب علينا عنصر التراب، وإن كُتتا على جميع الطبائع كلها، فقليل فينا:

﴿منها خلقناكم﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل في إبليس لعنه الله والجان: ﴿وَنَخَلَقُ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكان لهؤلاء الجان قبل مبعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مسالك في كُرتهم نحو السماء يسلكون فيها ليستمعوا حديث الملائة الأعلى الملكي وكان الحكم من آدم (عليه السلام) إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على ما رتبّه الحق للملك الكريم المخلوق على صورة السنبلة، ولذلك كانت النشأة الترابية الإنسانية فظهرت أجساد الآدميين. كما سنذكره، فلم

(١) الآية رقم (٥٥) من سورة طه.

(٢) الآية رقم (١٥) من سورة الرحمن.

تكن النجوم ذوات الأذنان بتلك الكثرة لغلبة الجمود والسكون الذي يقتضيه البرد واليبس، فلما جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) وانتهى الزمان ودار كهيبته يوم خلقه الله، انتقل الحكم إلى الملك الكريم، الذي خلقه الله على صورة الميزان وهو العدل، وأعطى كل ذي حق حقه وهو ريحي فأشعل الفلك الأثير إشعاعاً عظيماً فكثرت النجوم ذوات الأذنان في الأثير والاحتراقات، وجعلها الحق رجوماً للشياطين فعمرت كل مسلك في الأثير، فضاقت المسالك على الجن، الذين يسترقون السمع، ولم يعرفوا ما علة ذلك فقالوا:

﴿أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلَكٌ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا﴾<sup>(١)</sup>. فالحرس الملائكة، وهم الرصد.

وهو قوله تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رِصْدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

والشهب والنجوم ذات الأذنان.

﴿وَأَنَا كُنَّا نَعْقُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رِصْدًا﴾<sup>(٣)</sup>.

لأنهم قعدوا لهم كل مرصد، فكان من أعظم بلاء طراً على الجن والشياطين منعهم على الغيب.

ومسألة «خُنافر» و«شُصار» فيها كفاية. ذكرها أبو علي البغدادي في كتاب النوادر في قوله تعالى:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾<sup>(٤)</sup>. ولكن مع هذا كله يسلكون بحكم البحث، فإن صادفهم شهاب أحرقهم وجعل بأيديهم عالم الخيال، ونصب لكبيرهم ورئيسهم عرشاً على البحر في مقابلة قوله:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾<sup>(٥)</sup>.

وهذا هو عرش التليس، وجعل بيده قوة مثال كل شيء في العالم الحقيقي، يأتي به في عالم الخيال على صورته في العالم الحقيقي ليُضِلَّ به أهل الكشف في كشفهم، وأهل الفكر في النظر في أدلتهم فبيده مفاتيح الشبه والشكوك والأوهام بإذن الله تعالى.

(١) الآية رقم (٨) من سورة الجن.

(٢) الآية رقم (٢٧) من سورة الجن.

(٣) الآية رقم (٩) من سورة الجن.

(٤) الآية رقم (٣٠) من سورة الأحقاف.

(٥) الآية رقم (٧) من سورة هود.

ليبتلي عباده بذلك، وقد ذكرنا هذا في كتاب «الكشف»<sup>(١)</sup> مستوفى فليُنظر هناك فإن هذا المختصر لا يحتمله.

ثم أقول:

وأوجد الله تعالى هذه الدورة الحمديّة السيادية في هذا الوقت الذي قدّر فيه هذا الحكم، ونصب فيه هذا الولي لتكون أسرارها مكتومة، ومقاماته مستورة، ويكون الطمس على الأفكار لقوّة نازيتها وعدم ثبوتها فلا تستقر على شيء كما استقر القدماء من أهل الأفكار في الدورة الفلكية قبل مبعث سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وقبل استدارة الزمان فكانت الحيرة في أهل الأفكار منا، أكثر من غيرنا من الأمم، ومن تعب من الفكر وقف حيث تعب.

- فمنهم من وقف في التعطيل.

- ومنهم من وقف في القول بالعلل.

- ومنهم من وقف في التشبيه.

- ومنهم من وقف في الحيرة، فقال: لا أدري.

- ومنهم من عثر على وجه الدليل فوقف عنده، فكَلَّ عنده.

[فكُلُّ]<sup>(٢)</sup> إنسان وقف حيث تعب، ورجع إلى مصالح دنياه، وراحة نفسه وموافقة طبعه، فإن استراح من ذلك التعب، واستعمل النظر في الموضوع الذي وقف فيه مشى حيث ينتهي به فكره، إلى أن يتعب، فيقف أيضاً أو يموت. هذا كله لاشتغال الخواطر وغلبة الحرارة عليها.

غير أن اللطائف مختلف بانصباب موادّها إلى موارد مختلفة فأكثر الخلق في هذه الأمة مجبولون على الأمور التي لم يكن أحد من غابر الأمم يصل إليها إلا بعد الرياضات والمجاهدات والأفكار الدائمة التي أمروا باستعمالها، والخلوات بنفوسهم. وهذا كله لما أودع الله في قوة هذا الحاكم الملكي (صلى الله عليه وسلم) [إذ كان الله تعالى قد سبق في علمه أن يفعل ما يفعله عند الأسباب لا بالأسباب، إذ لا معين له ولا ينبغي]<sup>(٣)</sup> فاشتغلت أيضاً قلوب أهل الأذكار، وهم الصفوة من عباد الله تعالى أهل الذكر والاجتهاد في العبادات وحفظ الشرائع وهم الصادقون من الصوفية، فنالوا المراتب العلية في العلوم الإلهية حتى كان علماء هذه الأمة كأنبياء سائر الأمم، وفتح لهم في بواطنهم في مقابلة ما كان يظهر على ظواهر بني إسرائيل من

(١) لا يزال مخطوطاً.

(٢) ما بينهما سقط من المخطوط.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

العجائب وهم لا يعرفون ذلك ولا قدره فانكتمت سرائر هذه الأمة لتحقيقها بالحق سبحانه حين نزلت عليه من الأكوان.

نَزَلَتْ عَلَى الْإِلَهِ مِنَ الْعِبَادِ عَسَى يَنْفِي الْكِبَانَ مِنَ الْقَوَادِ  
فَقَالَ: أَجَل، وَلَكِنْ تَمَّ سِرٌّ إِلَيْهِ فِي أَفْتِقَارِكُمْ اشْتِيَادِي  
فَإِنْ يَخْضُلُ فَذَلِكَ لَكُمْ مُعِينٌ عَلَى مَا تَطْلُبُونَ مِنَ الْجَوَادِ<sup>(١)</sup>

فليس لأولياء هذه الأمة ظهور إلا حيث يظهر الحق تعالى وذلك في الدار الآخرة، فهم الأخفياء الأبرياء الذين يعاملهم الحق بما أمرهم أن يعاملوه به.

إِنْ كُنْتُ لِي أَكُونُ لَكَ مَا أَنْتَ لِي مَا أَنْتَ لَكَ  
فَاضْغِ إِلَى قَوْلِي تَجِدُ صِحَّةَ مَا قَدْ قُلْتَ لَكَ  
وَلْتَلِزْ طَرِيقَتِي وَاجْهَدْ وَخَلِّصْ عَمَلَكَ  
تَنْلُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أُمَّلَكَ

وفي هذه الدورة السيادة يكثر نطق الجمادات والنباتات، يُظهر حياتها عليها، وقد رأينا من ذلك أشياء - وراثه نبوية - فإنه قد ثبت عندنا في الأخبار رواية وكشفاً أشياء مثل: سلام الحجر على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)<sup>(٢)</sup> وتسييح الحصى في كفه، وفي كف من شاء الله من أصحابه<sup>(٣)</sup>، وحبّ الجبل إياه<sup>(٤)</sup>.

(١) الأبيات الثلاثة سقطت من المخطوطة.

(٢) حديث سلام الحجر: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عليّ...)  
رواه الإمام مسلم في الفضائل ٣، والترمذي في المناقب ٣ والدارس في المقدمة ٤، وأحمد بن حنبل ٨٩/٥، ٩٥، ١٠٥، انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٤٢٦/١.

(٣) حديث تسييح الحصى في كفه (صلى الله عليه وسلم) وكف أصحابه فعن أنس رضي الله عنه قال:  
(أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) كفاً من الحصى فسيحن في يد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى سمعنا التسييح، ثم صبهن في «يد» أبي بكر فسيحن، ثم في أيدينا فما سبحن). وروى مثله أبو ذر، وذكر أنهم سبحن في كف عمر وعثمان، انظر رواية أنس أخرجه ابن عساكر في تاريخه، ورواية ابن عساكر عن «سويد بن يزيد السلمي» وله روايتان انظرهما في البداية والنهاية ١٥٣/٦.

انظر القاضي عياض (الشفاء بتعريف المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ٤٢٧/١).

(٤) حديث حب الجبل إياه (صلى الله عليه وسلم) منها ما قاله عليّ (رضي الله عنه) (كنا بمكة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبلته شجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله). وهذه الرواية للدارمي في مسنده، والترمذي في جامعه ٥٩٢/٥ وابن كثير ١٥٣/٦.

وقال: رواه غير واحد عن الوليد بن أبي ثور، ووصفه، بأنه حديث حسن غريب، ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق زياد بن خيثمة عن السدي.

وحنين الجذع إليه<sup>(١)</sup>، وكلمة الذراع المسمومة من الشاة المصلية<sup>(٢)</sup>. والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.

وقوله (صلى الله عليه وسلم):

«لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه، وتحذثه فخذته بما عمل أهله»<sup>(٣)</sup>.

«وتقول الشجرة: يا مسلم هذا يهودي خلفي اقتله»<sup>(٤)</sup>.

«وتخرج الدابة التي تكلم الناس بما تسم في وجوههم»<sup>(٥)</sup>.

= انظر القاضي عياض (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم) بتحقيقنا، ٤٢٧/١. وكذلك حديث (أخذ جبل يحبنا ونحبه)، رواه البخاري عن سهل بن سعد والترمذي والطبراني عن أنس رضي الله عنه، والضياء عن سويد بن عامر الأنصاري وليس له غيره. انظر ما قيل في كشف الحفاء للمجلوني ٥٦/١، حديث رقم (١٣٧).

(١) وحديث (حنين الجذع) مشهور لتواتر الخبر به فقد رواه بضعة عشر من الصحابة، فمنهم حديث جابر بن عبد الله قال: (كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له النبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار).

انظر القاضي عياض: الشفاء بتعريف حقوق مصطفى بتحقيقنا ٤٢٣/١.

(٢) حديث: (كلام الذراع المسموم).

وهو حديث أبي هريرة (أن يهودية أهدت للنبي (ص) بخير شاة مصلية سئتها فأكل رسول الله (ص) وأكل القوم. فقال: (ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة).

والحديث مشهور انظر البخاري ٢٠٢/٣، ومسلم ١٧٢١ وأبو داود ١٥٩/٢، ابن كثير البداية والنهاية ١٧٣/٦ ابن هشام السيرة: ٣٢٨/١.

انظر القاضي عياض: الشفاء ٤٣٩/١ بتحقيقنا انظر الأبواب في ذلك كثيرة.

(٣) حديث: (لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه...)، رواه الترمذي في الفتن ١٩، وأحمد بن حنبل ٨٤/٣ انظر المعجم ١٦٦/٤.

(٤) حديث: (وتقول الشجرة: يا مسلم هذا يهودي خلفي اقتله) رواه البخاري ومسلم متفق عليه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وفيه (حتى يقول الحجر).

وانظر شرح الطيبي حديث رقم (٥٤١٤).

(٥) حديث خروج الدابة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. وذلك حين لا يأمرن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

أخرج نعيم بن حماد، وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (إذا كان الوعد الذي قال الله ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ قال: ليس ذلك حديثاً ولا كلاماً، ولكن سمة تسمن أمرها الله به، فيكون خروجها من الصفا ليلة منى، فيصبحون بين رأسها وذنبها لا يدحض داحض ولا يخرج خارج، حتى إذا فرغت مما أمرها الله فهلك من هلك ونجا من نجا، كان أول خطوة تضعها بأنطاكية).

انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣٧٨/٦.

وجعل الله شهورهم قمرية لا شمسية، خلاف من تقدم من الأمم السالفة تنبيهاً من الله تعالى للعارفين من عباده. لأن آية القمر محوطة عن العالم الظاهر كما قال تعالى:

﴿فمحونا آية الليل﴾<sup>(١)</sup>.

وذلك بسلخ النهار منه.

وقال لمن اعتبر بقوله وتدبر:

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾<sup>(٢)</sup>.

في علو المرتبة والشرف، فكان ذلك تقوية لكم آياتهم التي أعطاهم الله في بواطنهم وأجراها فيهم.

ثم إن الله تعالى خلق الدواب التي تعمر البحر الذي بين السماء والأرض، ثم جبال البرد والثلج الذي دون البحر مما يلي الأرض بقوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَاجًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾<sup>(٣)</sup>. وكوّن فيها حيات بيضاء صغار وقد يصل إلى هذه الجبال بعض الطيور، وربما تصيد من هذه الحيات الشودنيقات، الفره البلنسية، ورأينا من ذلك حيواناً يسمى «السَّمَنْدَل»<sup>(٤)</sup> وله خاصية عجيبة في ترك نبات الشعر، وما زال التكوين ينزل إلى أن وصل إلى الأرض. فأول تكوين في الأرض المعادن، ثم النبات، ثم الحيوان ثم الإنسان. وجعل آخر كل صنف من هذه المكونات أولاً للذي يليها فكان آخر المعادن وأول النبات الكمأة. وآخر النبات وأول الحيوان النخلة، وآخر الحيوان وأول الإنسان القرد.

فلنذكر نشأة الإنسان خاصة الذي هو المقصود في هذا الكتاب، ولنضرب عن ذكر ما سواه إذ لا حاجة لنا بذكره في هذا الموضوع.

﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

(١) الآية رقم (١٢) من سورة الإسراء.

(٢) الآية رقم (٤٠) من سورة يس.

(٣) الآية رقم (٤٣) من سورة النور.

(٤) في المطبوعة (السمندر) والصحيح (السمندل) ولم يرد في المخطوطة (والسمندل) طائر إذا اتسخ جلده لا يفسل إلا بالنار، ومن عجيب أمر هذا الطائر استلذاذه بالنار ومكثه فيها، وهي دابة دون الثعلب خلنجية اللون، حمراء العين، ذات ذنب طويل وهو ببلاد الهند. انظر ما قيل حول هذا الطائر من الغرائب الدميري: حياة الحيوان الكبرى ٢٧/٢.



## باب: نشأة الإنسان الأول

اعلم

أن الله تعالى لما أراد أن يخلق الإنسان، بعدما مهّد له المملكة، وأحكم أسبابها إذ كان الله قد قضى بسابق علمه أن يجعله في أرضه خليفة نائباً عنه فيها. فجعله نسخة من العالم كله. فما من حقيقة في العالم إلا وهي في الإنسان فهو الكلمة الجامعة، وهو المختصر الشريف. وجعل الحقائق الإلهية التي توجهت على إيجاد العالم بأسره توجهت على إيجاد هذه النشأة الإنسانية الإمامية.

فقال عز وجل للملائكة:

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾<sup>(١)</sup>.

فلما سمعت الملائكة ما قاله الحق لها، ورأت أنه مركب من أضداد متنافرة وأن روحه يكون على طبيعة مزاجه قالوا:

﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾<sup>(١)</sup>. غيرة منهم على جناب الحق، ثم قالوا عن أنفسهم بما تقتضيه نشأتهم:

﴿ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إني أعلم ما لا تعلمون﴾<sup>(١)</sup>.

ثم نرجع ونقول:

إننا زوينا أن الله تعالى وجه إلى الأرض ملكاً بعد ملك ليأتوا بقبضة منها ليفتح فيها صورة جسد الإنسان وما من ملك منهم إلا وتقسّم الأرض عليه بالذي أرسله أن لا يأخذ منها شيئاً

(١) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.

يكون غداً للتار، فيرجع إلى أن وجه الله عزرائيل فأقسمت عليه كما أقسمت على غيره فقال لها: إن الذي وجهني وأمرني أولى بالطاعة فقبض منها قبضة من سهلها وحزنها وأيضها وأحمرها فظهر ذلك في أخلاق الناس وألوانهم. فلما حضر بين يدي الحق شرفه الحق بأن ولاه قبض أرواح من يخلقه من تلك القبضة. فتميّز وتعيّن.

وخمّر الله طينة بيديه حتى قبّلتُ بذلك التعفين النفخ الإلهي وسرى الروح الحيواني في أجزاء تلك الصورة، ثم فتح بعد التمييز والنفخ هذه الصورة الآدمية، وعين لها من النفس الكلية النفس الناطقة الجزئية، فكان الروح الحيواني والقوى من النَّفس الرحماني - بفتح الفاء - وكانت النفس الناطقة الجزئية من أشعة أنوار النفس الكلية، وجعل بيد الطبيعة العنصرية تدير جسده وييد النَّفس الجزئية تدير عقله. وأيدها بالقوى الحسية والمعنوية، وتجلى لها في أسمائه لتعلم كيفية تدير ما ملكها إياه، ثم جعل في هذه النفس الناطقة قوة اكتساب العلوم بواسطة القوى التي هي كالأسباب لتحصيل ما تريد تحصيله.

فبالنَّفس الرحماني كانت حياة هذه النشأة، وبالنفس الناطقة عَلِمَتْ وأدركت، وبالقوة المفكرة فَصَلَتْ ما أجمل الحق فيها فأنزلت الأشياء مراتبها وأعطت كل ذي حق حقه. فيما هو من الطبيعة هو من ماء مهين، وآدم من حمياً مسنون وصلصال، ومن تراب وطين، وغير ذلك. وبما هو من النفس الكلية والروح المضاف إليه تعالى هو حافظ، عاقل، درّاك، متصوّر، ذاكر، إلى أمثال هذه الصفات الإنسانية والقوى.

ولما سرت النفخة فيه خرج الهواء من منخره فعضس<sup>(١)</sup> فتغيرت صورته، [فلما انفصل عنه]<sup>(٢)</sup> عادت صورته كما كانت. [فقال له الملك: احمد الله على ردِّ حُسن صورتك إليك]<sup>(٣)</sup>. فحمد الله. فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك أي: لتحمدني فأرحمك. فذلك هو تسميت العاطس إذا حمد الله<sup>(٤)</sup>.

ثم كان من أمره مع الملائكة ما قصّه الله علينا، وأنزله في الأرض خليفة جامعاً للأسماء الإلهية كلها لجمعيته التي خلقه الله عليها فهو المشار إليه، وإلى كل كامل من الناس بقوله:

(١) في المخطوطة (فكان عطاساً).

(٢) ما بين المقوفتين سقط من المخطوط.

(٣) في المخطوطة [فحمد الله على رد صورته إليه].

(٤) انظر أحاديث تسميت العاطس في الإمام البخاري: الجناز ٣، والنكاح ٧١، والأشربة ٢٨، واللباس ٣٦، ٤٥، والأدب ١٢٤، والاستذنان ٨، والمظالم ٥، والإمام مسلم: سلام ٥، ٦، واللباس ٢. والترمذي: في الأدب ١، ٤٥. والنسائي في الجناز ٥٣، والإيمان ١٣. وابن ماجه جناز ١، الأدب ٢. وأحمد بن حنبل ٤/٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٩. وأبو داود في الزكاة ٤٣، والأدب ٩٠. انظر المعجم المفهرس ١٧٤/٣.

﴿وهو الذي في السماء إله﴾<sup>(١)</sup> من نفسه  
 ﴿وهو الحكيم﴾<sup>(١)</sup> بما علّمه الحق من الأسماء  
 ﴿العليم﴾<sup>(١)</sup>، بتعيين المراتب وإطلاق الأسماء على مسمياتها.  
 وهذا كله على طريق الإشارة، لا على جهة التفسير. فاعلم ذلك فأعطته النيابة والخلافة  
 هاتين الصفتين الحقيقيتين:

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾<sup>(٢)</sup> فهذا هو الإله المتخذ.  
 ﴿وأضله الله على علم﴾<sup>(٢)</sup> أي: حيره على علم، فجعل علمه في حيرته.  
 يقول الصدّيق<sup>(٣)</sup>: العجز عن درك الإدراك إدراك.  
 فعلمك أن ثمّ ما لا يُعلم علّم محقق، أنت به عالم بلا شك.  
 وهو قولنا:

الحمد لله. الذي أنا جامع لعلومه، ولعلم ما لم يعلم أنه لا يعلم. ولما تعدّد الكُمل من هذه  
 النشأة جعلهم الحق خلائف بعد ما كان خليفة، فكلُّ كامل خليفة، وما يخلو زمان عن كامل  
 أصلاً فما يخلو عن خليفة، وإمام، فلا تخلو الأرض عن ظهور صورة إلهية يعرفها جميع خلق  
 الله معينة ما عدا الثقلين الإنس والجن، فإنها معروفة عند بعضها، فيؤفون حقها من التعظيم  
 والإجلال لها.

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم لتعلم أن كل مولود فإنه يولد على الفطرة، التي أخذها الله على بني آدم من الإقرار  
 بربوبيته لما قبض على ظهر آدم فاستخرج منه ذرّيته كأمثال الذرّ. فقال لهم ﴿ألست بربكم قالوا  
 بلى﴾<sup>(٥)</sup> أنت ربنا. فهذه هي الفطرة، التي فطر الناس عليها وهي الإقرار بربوبية الحق عليهم،  
 فلما كبروا صاروا بحكم الآباء والمريّين، وحُكّم لهم بحكم الذرّ، فمن استمر على الفطرة إذا  
 كان أبواه مسلمين إلى أن يموت عليها كان من السعداء الموحّدين، وإن طرأ عليه خلل يزيله عن

(١) الآية رقم (٨٤) من سورة الزخرف.

(٢) الآية رقم (٢٣) من سورة الحائية.

(٣) أبو بكر رضي الله عنه. أول الخلفاء الراشدين، والد عائشة زوجة النبي (ص) حارب أهل الردة وهزم مسيلمة الكذاب،  
 توفي في المدينة ١٣هـ/٦٣٤م.

(٤) الآية رقم (٢٨) من سورة فاطر.

(٥) الآية رقم (١٧٢) من سورة الأعراف.

الفطرة كان بحسب ما زال إليه، ثم يموت على ما هو عليه قبل موته وقبل الاحتضار، وإذا انتقل إلى البرزخ وانفصل عن الدنيا انفصال من لا يرجع يكون في البرزخ على الحالة التي كان عليها عند الانفصال فإن كان على حالة تعطيه السعادة سَعِدَ، وإن كان على حالة تعطيه الشقاوة شقي، ثم تُرَدُّ عليه حياته وعقله أوفر ما كان في قبره فيأتيه فتأنا القبر ومعهما محمد (صلى الله عليه وسلم) فيقال له:

- ما تقول في هذا الرجل؟

ولا يظهران له بما ينبغي له من التعظيم، فإن (عُصِمَ) <sup>(١)</sup> الميِّت منهما، فيقول: (هذا) <sup>(٢)</sup> محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأمتنا، وصدّقنا. [فيقولان له: ثم هنيئاً، فقد كنا نعرف منك هذا] <sup>(٣)</sup>.

وإن وقف مع [ما يرى من] <sup>(٤)</sup> عدم تعظيم السائلين له (صلى الله عليه وسلم) وتلك فتنة القبر فيقول:

لو كان لهذا عند الله قدر مثل ما يعتقد المؤمنون فيه لعظمه هذا.

فيقول: سمعت الناس يقولون فيه أنه رسول الله [فقلت] <sup>(٥)</sup> فيه ما قاله الناس.

فيقولان له: لا سمعت، ولا قلت.

فتسلمه ملائكة العذاب ثم يبقى على ذلك إلى حين البعث، ويُبعث على ما مات عليه كان ما كان، كما ذكرنا.

ولا يزال ينتقل في مواطن القيامة من موطن إلى موطن، على تلك الصورة التي قبض عليها، فإن ذلك الموطن، وتلك الدار ما هي دار تكليف، لو كانت دار تكليف لنفعهم إيمانهم إذا آمنوا وما بقي كافر إلا أسلم وأمن فإنه يعاين ما لا يقدر على جحده ولا إنكاره.

ثم إن الناس [يُحشرون] <sup>(٦)</sup> إلى أخذ كتبهم فمن الناس من يُعطى كتابه [ييمينه وهم أهل السعادة، ومنهم من يعطى كتابه] <sup>(٧)</sup> بشماله.

(١) في المخطوط (عظم).

(٢) في المخطوط (هو).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٥) في المخطوط (فقلنا).

(٦) في المخطوط (تحش).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

[فيقول: ﴿يا ليتني لم أوت كتابه﴾<sup>(١)</sup>.

وهم الكافرون]<sup>(٢)</sup>.

ومنهم من يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره<sup>(٣)</sup> يُضربُ في صدره فينفذُ إلى ظهره، وهم المنافقون والمرتابون.

● فأما المؤمنون فهم وجه بلا قفا [يرون من كل جهة]<sup>(٤)</sup>.

● وأما الكافرون فهم قفا بلا وجه.

● والمنافقون وجه وقفا.

ثم تُرفعُ<sup>(٥)</sup> لهم الموازين فيوزنون بأعمالهم<sup>(٦)</sup>، فإن رجح عمله به ثقل ميزان عمله به، وارتفعت الكفة به فأخذ إلى عليين، وإن رجح هو بعمله نزل بكفته إلى سجين. وهنالك يقرأ كتابه [بما]<sup>(٧)</sup> قدّمت يده.

وأما [الكفار المقلدة]<sup>(٨)</sup> في الكفر. فيقول القائل منهم:

﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾<sup>(٩)</sup>.

وهم الذين بلغتهم دعوة الرسل (عليهم السلام) فردّوها ولم يعملوا بها. وأما المجرمون، فلا يقيم لهم الله عزّ وجلّ يوم القيامة وزناً<sup>(١٠)</sup> [ولا يعبأ الله بهم من قبورهم إلى جهنم، ويأتي أيضاً طائفة مستجيرة، يقول مترجمهم:

(١) الآية رقم (٢٥) من سورة الحاقة.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٣) في المخطوط (من خلف ظهره).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٥) بالمطبوعة (ترجم).

(٦) في المخطوطة (لأعمالهم).

(٧) في المخطوطة (ويرى ما قدمت).

(٨) في المخطوطة [وأما المذرة في الكفر].

(٩) الآيات رقم (٢٧ - ٢٩) من سورة الفرقان.

(١٠) إلى هنا يُختم المخطوط وفيه:

[بل يُجاء بهم يوم القيامة إلى جهنم أعادنا الله منها بفضلهم وكرمه، انتهت عقلة المستوفز والحمد لله رب العالمين لا إله إلا الله وحده].

كُتبت هذه الفقرة بطريقة الهرم المقلوب، انظر صورة المخطوط المرفقة.

عَبِيداً أَتَاهُ رَاجِئاً مُتَلَهِّفاً  
وَلَوْ كَانَتْ الْأَخْرَى أَتَى مُتَكَلِّفاً  
أَتَى مُنْتَجِيراً سَائِلاً مُتَكْتِفاً

وَإِنْ تَشَأْ كُنْتَ أَنْتَا  
بِكُمْ وَبِي حَيْثُ كُنْتَ  
فِي حِفْظِكُمْ إِذْ حَفِظْتَا  
عَنْكُمْ لَكُنْتَ مَلَكْتَا  
لَكُمْ فَكُنْ لِي وَأَنْتَا<sup>(١)</sup>

رَوْفٌ رَجِيمٌ لَا يَكُونُ مُؤَاخِذاً  
لَأَجْلِ ذُنُوبٍ قَدْ أَتَاهَا بِغَفْلَةٍ  
فَإِنْ يَشُتَّ عَفْواً لَا تُؤَاخِذُهُ إِنَّهُ  
فَأَجَابَهُ النَّاطِقُ بِلسانِ الحَالِ:

إِنْ كُنْتَ أَنْتَ فَأَنْتَ  
يَا مُنْيَتِي يَا حَبِيبِي  
إِنِّي عَلِمْتُ بِأَتِي  
لَوْ كُنْتَ أَمَلِكُ نَفْسِي  
عَيْتِي وَلَسْتُ بِغَيْرِ

(١) إلى هنا نهاية النسخة المطبوعة وفيما يبدو كان بنهايتها هذا الشعر فكتب هكذا:  
ولكن لا توجد خاتمة للمخطوط الذي تم نقلهم عنه هذا النص.

## رسالة الذرة البيضاء





## بسم الله الرحمن الرحيم

وبه تفتي

اعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الوجود المطلق لا عن عدم بل وجب وجوده لنفسه، فلم يزل موجوداً ولا يزال واحداً في ذاته، له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ولا يتعدد بأسمائه وصفاته، فإن الواحد بذاته لا يتعدد بما يقوم به من المعاني، وإنما تتعدد الذات القائمة بنفسها بكونها تقبل القسمة فتكون ذات أجزاء فيدخلها العد والصفة ليست بجزء لموصوفها وهو سبحانه ليس بمادة، ولا في مادة، بل هو غني قائم بنفسه غير متحيز ولا قابل للحدثان. فثبت وجوده تعالى ولا عين موجودة سواه، فكل ما سواه فهو موجود به وذو فعله وخلقه وصنعتة.

ووجود ما هو موجود موقوف على إرادته التي هي مشيئته سبحانه وقدرته وسابق علمه، ولا يصح أن يكون الموجود المقيد موجوداً إلاّ عن عدم. فإنه كان لا يكون ممكناً وهو ممكن.

وكان لا يكون موجوداً لهذا الواجب وهو موجود له ولم يعمل فيه سوى إيجاد عينه. أي أنه مفتقر إليه تعالى في إيجاد عينه لا في عينه لأن عينه الثابتة غير مجعولة في ثبوتها، فليست بجعل جاعل إذ لا جعل في الأزل.

ثم قال قدس سره: فلا بد أن يكون وجود هذا الممكن عن عدم يعني لم يكن ثم كان فإن الممكن هو الذي ليس في حقيقته أن يمتنع من الوجود المحال ولا من العدم كالواجب، فهو جائز إن كان موجوداً أن يعدم، وجائز إذا كان معدوماً أن يوجد، فيفتقر بالضرورة إلى المرجح ولا بد أن يكون المرجح غير ممكن مثله، لكون الممكن يفتقر إلى مرجح وذلك محال لأن المعدم لا

يرجح شيئاً، فلا بد أن يكون المرجح واجب الوجود لنفسه وهو الله سبحانه، ولا يصح أن يكون هذا الممكن واجب الوجود بالله تعالى فيكون معه أزلاً، والممكن يستحيل وجوده أزلاً لأنه لا فائدة لواجب الوجود إلا أن يكون لا عن عدم، وحقيقة الممكن لا تقبل الوجوب المقيد الذي يقال عنه واجب بغيره، ومن المحال تعلق الإرادة بالموجود وإنما تعلق بالمعدوم، وإذا تعلق ببقاء الموجود ببقاء الموجود لم يقع فهو مستأنف، والممكن هو الذي يتصور عدمه ووجوده على السواء من غير ترجيح لنفسه، فإنه لو رجح لنفسه الوجود على العدم لم يخل أنه يرجح نفسه وهو موجود أو معدوم، فإن رجح وجوده وهو موجود فما الذي رجح؟ ومن المحال أن يرجح وجوده وهو معدوم، فإن المعدوم ليس بشيء فلا يتصور حكم منه عقلاً، فإذا رأينا الممكن قد ترجح له أحد الجانبين علمنا أن ذلك من مشيئة مرجحة، وأن مرجحه لا بد أن يكون واجب الوجود مريداً لإيجاد هذا الممكن، والواجب الوجود هو الذي لا يتصور عدمه عقلاً كما أن المحال لا يتصور وجوده عقلاً، وليس يلزم من كون المشيئة واجبة الوجود أن هذا الممكن الذي تعلق به لم يزل معها فيكون أزلياً بأزليتها هذا لا يلزم.

فإن الإرادة قد ثبت أنها لا تتعلق إلا بمعدوم، فإذا وجد المعدوم لم تتعلق الإرادة به من كونه موجوداً فقد ثبت له العدم أصلاً، وإنما تعلق عند وجوده ببقاء وجوده وهو معدوم، أو يعدم في الزمان الثاني زماناً مقدرأً أو واقعاً أي زمان كان، وهو أيضاً معدوم فإن العين موجودة فلا بد أن يكون كل ممكن وجوده عن عدم أصلاً.

وكذلك القدرة يزول تعلقها بالوجود، لأنها إنما تعلق لتوجد وما بقي تعلق لهذا الوجود إلا بخلق الأعراض التي بها بقاؤه، فلا يزال يجدد له ذلك ولهذا لا يزال الباري تعالى خالقاً أبداً في الدنيا والآخرة.

ثم اعلم أن الله تعالى لما أوجد هذا العقل وهو جوهر فرد قائم بنفسه متحيز في مذهب وغير متحيز في مذهب وهو الأصح، تجلّى له بذاته فأفاض عليه المعلومات كلها، فعلمه متعلق بجميع المعلومات إلا علمه بالله تعالى، فإنه ما أحاط به علماً البتة، لكن لا يزال الله تعالى يفيض العلم عليه منه أبداً وهو يقبل، وبهذا يطلق عليه الاستفادة لا من جهة علوم الكون فإنه قد علمها ومحال أن يعلم الله تعالى على الإطلاق وقد أشار إلى هذا (صلى الله عليه وسلم) فقال: «إني أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم غيبك»<sup>(١)</sup>. فقوله: أو استأثرت به هو ما أردنا فهذا الموجود اختلفت الأسماء عليه والألقاب، فمنهم من سماه العقل. قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أول ما خلق الله العقل فقال

(١) رواه علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي عمير عن سعيد بن يسار. انظر الكافي ٢٥ ص ٥٦١ حديث ١٦.

له اقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر<sup>(١)</sup> فأقبل بالاستفادة وأدبر بالإفادة، ولكن إدباره إقبال وذلك أن الاسم الذي قال له اقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فأخذه اسم آخر، وإنما أعطى في أول نشأة الاقبال والإدبار لكون الوجود عليهما انبني، وهما القبضتان والحقيقتان الحاكمتان على العالم بالسعادة والشقاوة، ومن هذا الإقبال والإدبار ظهرت الجنة والنار، والقبض والبسط، والألم واللذة، والعدم والوجود، فإنه ليس ثم إلا اثنتان، وكلما زاد على اثنتين فإنه يرجع إلى الاثنتين، ولا بد إذا نظرت فيه وكذلك الثلاثة وغيرها فاعلم ذلك فإن الوجود كله محصور في حقيقة القبضتين، ولهذا خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) بالكتابين، وكذلك الحقائق كلها صفة وموصوف وما منه شيء إلا وله مقابلة.

ومنهم من سماه أيضاً القلم، قال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾<sup>(٢)</sup> وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «أول ما خلق الله تعالى القلم وخلق اللوح فقال له اكتب فقال: يا رب وما أكتب» وهذا مما يدل على عجزه وافتقاره، فقال له ربه تعالى: اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة فجرى القلم بما أمره به سبحانه، وهذا يدل على أن القلم كان قد أعلمه الله ذلك وما توقف إلا من حيث لم يدري أي فن يكتب من فنون العلم الحاصل عنده، فلما عيّنه جرى على حسب ما علمه ولو لم يحتاج إلى علم أصلاً فأني فائدة لتوالي الفيض عليه واستمراره أبداً. ثم لتعلم بعد هذا أنه مع هذه المرتبة يطلب ربه كما تطلبه أنت، ولكن من حيث قوته التي جبله الله عليها لا من حيث قوتك.

ومنهم من سماه الروح الكلي، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سُوِيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوْحِي﴾<sup>(٣)</sup> فأضافه إليه إضافة تشريف لا نفس الباري تعالى. وقال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوْحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾<sup>(٤)</sup>.

وهذا مما يدل على أنه يطلب الله طلب شوق، وإنما هو الكلي لأن جميع مقامات العالم محصورة فيه، ومنه تنبعث وإليه ترجع، وهو السبب الأول لإيجاد الأعيان والأرواح كلها. وأصل هذا الاسم له من وجهين الوجه الواحد لكونه روح أي في نعيم وسرور وراحة بعلمه بربه ومشاهدته إياه، والوجه الآخر أنه راح في فسيحات أفلاك معرفة خالقه لقوة ما.

وراح في مراتب الأكوان بما يلقي إليها مما وكله الله به وراح في معرفة نفسه بما هو فقير إلى ربه وموجود، فله ثلاث روحيات فيمكن أنه يسمى لهذا روحاً كلياً لأنه ما ثم مرتبة رابعة زائدة

(١) انظر الكافي ج ١ ص ١٠ حديث (٤).

(٢) الآية رقم (١) من سورة القلم.

(٣) الآية رقم (٢٩) من سورة الحجر.

(٤) الآية رقم (٨٥) من سورة الإسراء.

على هذا تراح فيها، فكأنه أمر من راح يروح والأمر منه رح، فلما نقل من الأمر إلى الاسم ردت عليه الواو كما دخلت عليه الألف واللام، فإن حذف الواو منه كان لالتقاء الساكنين، فكأنه إذا طلب من جهة قيل راح إلى جهة أخرى كما ذكرنا.

ومنهم من سماه الحق المخلوق به، وهو الذي ارتضاه بعض العارفين وهو أبو الحكم بن برجان من قول الله عزَّ وجل: ﴿وما خلقناهما إلا بالحق﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾<sup>(٣)</sup>.

وإنما سماه الحق المخلوق به لكون الحق من أسماء الله تعالى وليس بمخلوق، ومعنى مخلوق موجود عن عدم ومقدر، وكلاهما صحيح عليه.

ومنهم من سماه العدل وهو الذي ارتضاه أبو عبيد الله سهل بن عبد الله التستري، فقال: إنه روى أنه بالعدل قامت السموات والأرض. وقال الله تعالى: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾<sup>(٤)</sup>، وهو العدل ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي العدل وهو أول من قبل صورة العدل لأنه عدل عن نفسه إلى بارئه تعالى.

ومنهم من سماه الإمام المبين واللوح المحفوظ. قال تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾<sup>(٥)</sup>.

وهذا الموجود هو الذي أحصى فيه كل شيء، وقال تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾<sup>(٦)</sup>. وهذا الموجود لوح من حيث أنه كتب الحق فيه كل شيء، ومحفوظ عليه ما عنده من التنزيل.

ونزعت طائفة إلى أن اللوح هو النفس وهذا هو القلم. وسنين ذلك إن شاء الله تعالى.

وأوصافها كثيرة لا يحصيها إلا خالقها، وكل واحد اعتبر أمراً ما فيه فأطلق عليه لفظاً من باب ما اعتبر فيه، فالباري سبحانه هو القديم الأزلي العالم المرید القادر الذي لا يمتنع عن قدرته

(١) الآية رقم (٣٩) من سورة الدخان.

(٢) الآية رقم (١٠٥) من سورة الإسراء.

(٣) الآية رقم (٨٥) من سورة الحجر.

(٤) الآية رقم (٩) من سورة الرحمن.

(٥) الآية رقم (١٢) من سورة يس.

(٦) الآيتان رقم (٢١ و ٢٢) من سورة البروج

ممكن، الموجود لا عن عدم الباقي بنفسه الذي له الكمال المطلق والتمام المحقق، وهذا الموجود الذي هو العقل المقيد وجوده بالعدم الموقوف على حكم المشيئة الذي لم يكن ثم كان، لم يزل منذ وجدت عينه يقبل الفيض الإلهي والجود المرسل بلطائف الغيب، فإن فيض الله تعالى لا يتصور فيه مسك ولا قبض ولا انقطاع وهو يتنوع بتنوع المحال، فيكون نوراً في المنور، وظلمة في المظلم، ونوراً في المتلون، وحركة في المتحرك، وعلماً في العالم، وإرادة في المرید، وحفظاً في المحفوظ.

فافهم ما أشرنا إليه ولو هناك مسك من موجود ما لم يكون اسم الجو فيما أعطى بأولى من اسم البخل فيما أمسك، فمن قال لم يعط فإنه يكذب، فقد أعطى وهو لا يعلم، وقد أعطاه الجود ان يريد ما لا تقتضي حقيقته التي هو عليها في الوقت قبوله فما هناك منع أصلاً. ولهذا الموجود وغيره البقاء بإبقاء الله لا ببقائه، فإن الممكن باقٍ ببقاء مرجحه لا ببقائه لأنه لو كان بقاءه ببقاء الله لزم أن يكون معه أزلاً، ولو كان معه أزلاً لكان واجب الوجود ولم يكن ممكناً وهو ممكن في نفسه، فلا بد أن يكون باقياً بإبقاء الله، وعلة بقاءه هو إمداد الله عز وجلّ أبداً بحفظ وجوده عليه وتلقي العلوم والمعارف منه، والمرجح وهو البارئ تعالى ليس الجبور على الإمداد وإنما هو مختار يفعل ما يشاء، فإن علمنا أنه قد شاء الإبقاء أبداً فمشيئته لا تتبدل لسابق العلم كما قال تعالى: ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ولكن حقت كلمة العذاب﴾<sup>(٣)</sup>.

فلا سبيل إلى معرفة بقاء هذا العقل وجميع الممكنات التي يجوز بقاءها إلا حتى يصرّفنا بذلك ولا يوصل إلى معرفة ذلك بالبرهان أصلاً، وكل من ادعى أنه علم بقاء الممكنات من طريق البرهان فليُنظر في برهانه فإنه شبهة وليس ببرهان، فإذا كان الأمر على ذلك فكان بقاءه بحفظ الله تعالى وإمداده كما يبقى الجسم بعرضه، فلو أمسك عنه خلق العرض لعدم فقد ثبت افتقاره إلى البقاء وقد ثبت له الوجود بظهوره في عينه، وثبت له البقاء بالشرع.

فبقي لنا التمام فهو أيضاً تام في نفسه، ومعنى أنه تام قبوله لفيض موجدته عليه ما يفيضه على التوالي من غير أن يعجز عن قبول شيء مما يفيضه عليه، فقد علمنا أنه لو لم يكن له استعداد تام لعجز عن قبول أمر ما ولا يعجز فالله قد أمّ خلقه.

(١) الآية رقم (٦٤) من سورة يونس.

(٢) الآية رقم (٢٩) من سورة ف.

(٣) الآية رقم (٧٦) من سورة الزمر.

وله أيضاً الكمال من حيث أن كل شيء فيه بالفعل أي العلم والقوى بجميع الأشياء موجودة فيه لأنه مستعد لقبولها بل هي فيه، وهذا مما يدل على أنه محدث لم يكن ثم كان لأنه قد صار محلاً لما يخلق الله فيه وهي الحوادث، وهو لم يخل عنها منذ وجدت عينه، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث مثلها.

ثم اعلم أن هذا الموجود هو الذي يعطي الأشياء على الطول والعرض فيه ما يعطي الأرواح مما به صلاحها وبقاؤها. ومعنى العرض ما يعطي الأجسام مما به بقاؤه من تنوع الحالات عليها كما تتنوع المعارف على الأرواح وطوله وعرضه على التساوي في الوجوه فإن له مائة ألف وثمانين ألف وجه في طوله ومائة وثمانين ألف وجه على عرضه لكل وجه أربعة وعشرون ألف صورة مع كل صورة رقائق لا يعلم عددها إلا الله، لكل رقيقة قوى لا يعلمها إلا الله صاعدة ونازلة في تلك الرقائق من هذا العقل، يخلق الله عند نزولها وعند صعودها ما يحدث في العالم أسفله وأعلاه من كل شيء، وهذه التي تسمى المعارج قال تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾<sup>(١)</sup>، وهو النزول وهكذا الرحمة.

ثم قال للكافرين: ﴿ليس له من دافع من الله﴾<sup>(٢)</sup> لكونه هو الخالق عندها إلا بها. ثم قال ﴿ذي المعارج﴾<sup>(٣)</sup> وهي الرقائق ﴿تخرج الملائكة﴾<sup>(٤)</sup> وهي القوى الروحانية التي ذكرناها. فما أعجب القرآن لمن نور الله بصيرته واصطنعه لنفسه.

ولما كان الأمر صعوداً ونزولاً كان الأمر دورياً كروي الشكل مثل الدولاب، وكذلك الآخرة يدور نعيمها فيها على مقدار الدنيا بصور مختلفة غير متناهية لا تشبه صورة أختها أبداً، يدور على كل إنسان نعيمه أو عذابه في أهل النار على قدر عمرهم وينعطف عليهم متضاعفاً، ولهذا قال تعالى: ﴿وأوتوا به متشابهاً﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾<sup>(٦)</sup>. وقال: ﴿وأخر دعواتهم أن الحمد لله رب العالمين﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) الآية رقم (١) من سورة المعارج.

(٢) الآية رقم (٢) من سورة المعارج.

(٣) الآية رقم (٣) من سورة المعارج.

(٤) الآية رقم (٤) من سورة المعارج.

(٥) الآية رقم (٢٥) من سورة البقرة.

(٦) الآية رقم (٥٦) من سورة النساء.

(٧) الآية رقم (١٠) من سورة يونس.

ويرجع إلى الأول فأول الدعوى لا إله إلا الله، وآخرها الحمد لله، وما بينهما تكبير وتسبيح وتحميد وغير ذلك، وهكذا في كل شيء أدوار وأكوان ومعرفة الإنسان بنفسه معرفته بربه دورياً، فإنه كلما عرف صفة من نفسه عرف صفة من ربه، ثم نزل إلى نفسه إلى معرفة أخرى منه يصعد بها إلى معرفة أخرى من ربه بما تدل عليه بالمعرفة النفسية، ثم تنزله تلك المعرفة الربانية بما عنده من الافتقار إلى الزيادة هكذا، ولذلك قال تعالى لنبينه (صلى الله عليه وسلم): ﴿وقل رب زدني علماً﴾<sup>(١)</sup> وهكذا المعرفة بالحضرة الإلهية من فعلها إلى صفتها إلى ذاتها، ثم يدور الدور في هذه الثلاثة وتتنوع المشارب فمنها انعطفت رقيقة من تلك الرقائق عن موجود تلقه رقيقة أخرى وانتقلت تلك الرقيقة إلى موجود آخر دائرة هكذا كما تمشي النار والهواء إذا اختلبت موضعاً - أي قطعت - اختلبت موضعاً آخر لك وانتقل عامره إلى موضعك الذي كنت فيه تعمره. قال الله تعالى: ﴿فلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾<sup>(٢)</sup>.

فما عمّر شيء محلاً إلا أخلى غيره، فتفطن لدور الحياة والموت فإنه عجيب أي لأنه واقع في كل نفس دائماً ﴿واتوا به متشابها﴾. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أرواح الشهداء في حواصل طير تعلق من ثمار الجنة»<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى فيهم: ﴿بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾<sup>(٤)</sup> والجسم آلة موصولة والنفس تفرح وتخزن. وقال تعالى فيهم: ﴿أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾<sup>(٥)</sup>.

فجاء بلفظ الشعور تنبيهاً على أن الأمر خفي، ومن هنا تعرف أن العدد الذي يومي في الإنسان في النفوس والقوى وشبه ذلك إنما يرجع ذلك العين واحدة ولا تنقسم بل هي جوهر فرد متحيز قابل لهذه الأوصاف وما جذبت سميت جاذبة، وإذا أمسكت سميت ماسكة. وهذا في جميع الأحكام التي للإنسان وربما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في موضع آخر مستوفى.

واعلم أن هذا العقل الأول الصادر من الله تعالى وحده وصدور الأشياء على التوالي ما ذلك لما يقتضيه وجود الحق، وأنه مثلاً لا يمكن أن يصدر عنه إلا واحد، وأن هذا محال ولكن أراد ذلك وشاء، ولو شاء أن يوجد العالم كله دفعة واحدة ولا يتوقف شيء على شيء لما كان ذلك على الله بعزیز.

(١) الآية رقم (١١٤) من سورة طه.

(٢) الآية رقم (٧٣) من سورة البقرة.

(٣) رواه علي بن ابراهيم عن أبيه عن أبي عبدالله (ع). انظر الكافي ج ٣٠ ص ٢٤٤ حديث (١)

(٤) الآية رقم (١٦٩) من سورة آل عمران.

(٥) الآية رقم (١٥٤) من سورة البقرة.

ولو شاء الله أن يخلقهم في الآخرة دون الدنيا وينزل كل منزل منزله ومسكنه من غير تكليف سابق لم يكن ذلك عليه بعزير لما ذكرناه من كونه تعالى مريداً وكون العالم ممكناً، فإن ما أوجده يعني العقل الأول واحداً اختياراً منه سبحانه وسبق مشيئته، ولا يحكم بذلك أي بكونه خلقه الله وحده إلا حتى يقول الشارع إن الله خلق واحداً حينئذ، فهذا المخلوق وإن كان واحداً من حيث ذاته إلا أنه لا بد أن يخلق معه في حال خلقه صفته التي هي مشروطة بوجوده في عينها لا من الجملة، فإذا فهم بخلق واحد وإنما خلق خلقين أو ثلاثة بما خلقه الله عليه من الصفات، فإذا جاء الشارع بأنه حق واحد فمعناه أنه خلق واحد قائماً بنفسه يرجع لكونه تعالى مختاراً.

ونقول على حد ما قررناه أنه لا معنى للقدرة إلا تعلقها بكل ممكن لذاتها، وليس في حقيقة الممكن أن يمتنع بنفسه عنها، فلما رأينا أن الممكن ليس من حقيقته الامتناع ورأينا القدرة تتعلق لذاتها ولم نزم الممكنات وقعت بأسرها دفعة واحدة، علمنا على القطع أن الموصوف بالقدرة لو لم يكن مختاراً مريداً قد سبق في علمه وجود ذلك الواحد لا وجود الكل دفعة واحدة لما تصور هذا، فقلنا إنه مريد مختار يفعل ما يشاء كما قال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾<sup>(١)</sup>. وقال ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾<sup>(٣)</sup> وهو سبق المشيئة والعلم لا فاعل في الوجود إلا هو.

ثم اعلم أن معنى قول من قال: إن الواحد لا يصدر منه إلا واحد، فليس كما تخيله مخالفو أهل الحق المطموسة بصائرهم عن الاستبصار بنور الشرع والعقل السليم، حيث تحكموا في معرفة موجودات لا يصح إدراكها إلا بطريق الكشف وأخبار الصادق عن الله لا غير إلا بالفكر كما زعموا فيما قالوه إن الله واحد من كل وجه، أي ليس له صفة البتة فلا يصدر عنه إلا ما تعطيه الوجدانية وهو واحد، ثم جعلوا ذلك الواحد معه أزلاً ونقواً أن يكون الله خالقاً له.

ثم قالوا: وذلك الواحد الذي صدر عنه هو ممكن وهو ثلاثة باعتبارات مختلفة، وذلك أنه عقل نفسه وعقل صانعه وعقل أنه ممكن، ومن عمى بصائرهم أنهم ما تفتنوا أن هذا يلزمهم في حق الموجود المطلق وهو أنه عقل، وعقل أنه واجب الوجود وعقل هذا للموجود المقيد، وربما إن بحثوا يزيد لهم عقل رابع وهو أنه عقل صانعه واجب لأنه لا يلزم إذا عقل صانعه أن يعقل

(١) الآية رقم (١٠٧) من سورة هود، و(١٦) من سورة البروج.

(٢) الآية رقم (٣٠) من سورة الإنسان، و(٢٩) من سورة التكويد.

(٣) الآية رقم (١٣) من سورة السجدة.



أنه واجب، كما لا يتمكن أن يقتصر أنه عقل نفسه حتى قالوا: وعقل أنه ممكن فثبتوا مرتبة ثالثة، فيلزمهم الرابعة لزوماً صحيحاً، ويكون الباري أيضاً يعقل هذا ممكناً فتكون أيضاً أربعة فتوجد عنه أربعة أشياء لكل واحد واحد وهذا هذيان طويل لا تحصيل له.

فاعلم أتى تكون أن الصفات على قسمين: صفات ذات وصفات معنى، فصفات الذات هي التي لا تعقل الذات إلا بها لأنها نفسها ليست شيئاً زائداً، وصفات المعنى هي التي تعقل الذات ولا هي، والعلم بذات الشيء يعطي معرفة صفاته النفسية، ومعرفة تلك الذات من كونها كذلك يعني معنى آخر فاعلم ذلك.

وذلك الأمر الآخر المعلوم للذات من كونها كذا يوجب حكماً للذات، فيحكم على الذات إذا قام بها علم أنها عالمة ومعلوم قطعاً أن العلم عند كل ذي عقل سليم معنى من المعاني، والمعنى لا يقوم بنفسه، فلو كانت ذات الباري تعالى هي العلم لكانت معنى ولطابت ما يقوم به، ولو كان العلم ذات الباري لكان العلم قائماً بنفسه وهذا يناقض حقيقة العلم، وقد بينا أن الإحدى الذاتي لا يتكرر بما يقوم به من المعاني بالغة ما بلغت، والحكم للذات في الأشياء إنما هو لكونها كذا لا لنفسها، وذلك المعنى الذي يوجب وهو واحد فلا يوجب إلاً واحداً. فنقول: إن الباري سبحانه من كونه قادراً عن الإيجاد والإيجاد حقيقة واحدة، وإن رجعت إلى نفس الموجودين والموجودون كثيرون ولا يصدر عنه من كونه مريداً إلاً اختصاص الممكن بأحد الجائزين لا غير، ويكون المخصوصون كثيرون ولا يصدر عنه من كونه عالماً بهذا الممكن إلاً أحكامه والمحكومون كثيرون، فإذا فالقدرة واحدة فأعطت حقيقة واحدة. وهو إيجاد الممكن والإرادة واحدة.

وأعطت حقيقة اختصاص الممكن بأحد الجائزين، والاختصاص معنى واحد، والإيجاد معنى واحد، وكل ممكن إذا وجد فهو موجود بالقدرة مختص بالإرادة محكم بالعلم، فما صدر عنه الواحد إلاً واحد، فإن وجد واحد من هذه الأعيان الممكنات ولم يوجد منها كثيرون فمن حكم مشيئته سبحانه كما لو وجد منها كثيرون لكان من حكم مشيئته سبحانه، فهذا المعنى هو الذي يصح عنه قول من يقول لا يصدر عن الواحد إلاً الواحد، فإذا رأينا ممكناً قد وقع قلنا وجوده عن كذا واختصاصه عن كذا، وقد بينا أن الذات لا تعدد بما يقوم بها من المعاني، فإن الصفة ليست بجزء الموصوف ومن المحال أن يكون لموجود في الوجود من الموجودات قدرة أو قوة، أي بالاستقلال على إيجاد عين وإبراز موجود إلاً الله تعالى فإن تعلقها بالممكنات لذاتها فلا يخرج عنها مقدور البتة، وأن القدرة التي للموجودات لا تأثير لها أي بذاتها إلاً بإذن الله تعالى، وأن القدرة القديمة التي هي لله تعالى هي التي توجد أفعال الخلق أعلاه وأسفله عند توجه

إرادته وتعلق قدرتهم بها فلا فاعل إلا هو، ولهذا لا يتصور أن يعقل أحد تعلق القدرة بالمقدور لكون القدرة الحادثة ليس لها تأثير في الأشياء بالاستقلال.

وبهذه الصفة يقع الفرق الجلي بين الخلق والمخلوق، وهذا المشهد لا يشهده أحد أبداً وهو من الخصائص الإلهية. وهو قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتَهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. ونعوذ بالله لا أشرك به أحداً.

وهذه الأسباب التي ترى وقوع الفعل عندها ليس كما يتخيله الضعيف العقل، ولكن الله تعالى جعلها أسباباً بفعل المسببات عندها لا هي تفعلها ولا هو سبحانه يفعلها بها، ولو كان ذلك لكان مضطراً إليها وكل ما يؤدي إلى افتقار منه يستحيل عليه الافتقار وهو محال ولكن يفعلها عندها ليضل من يشاء ويهدي من يشاء وليظهر عنايته لقوم وخذلانه لقوم آخرين، لا كما يقول بعض الضعفة العقل أن حركة اليد حركة الكم، وحركة الإصبع حركة الخاتم، ولو علم واستنار بنور العقل أن الجسم وكل ما يتحرك أنه لا يتحرك في الملاء وإنما يتحرك في الخلاء فلا بد أن يكون الجسم أو المتحرك الذي يدعي هذا أنه يحرك بحركة هذا المتحرك إلى حيزه أنه لا يتحرك إلى حيز المتحرك المتولد عنه حتى يفرغ له هذا المحل على زعم أحيازه التي هو فيها. فانظر أقرب وجه المسألة وما أعمى المخالف عنها والله على كل شيء قدير.

فإنما تكرر ما ذكرناه وتكلم أحد وتكلمنا على ترتيب نضد العالم وتوقف بعضه على بعض، فإنما نتكلم عليه على حسب ما رتبته الله العالم لا على أن ذلك يقتضيه حقيقته، وأنه لا يجوز إلا ذلك بل يمكن هذا الترتيب ويمكن خلافه، ويمكن أن يوجد الله عالم الأجسام قبل عالم الأرواح كما يقول بعض مخالفي أهل الحق إن النفوس الجزئية متأخر عن وجود الأجسام والممكن لا يصير واجباً أبداً لذاته، ولا يعقل وجوب شيء إلا لذاته والوجوب الشرعي لا يزيل الممكن عن حقيقة إمكانه، ولو صح أن يصير الممكن واجباً يقتضيه العقل لاقتضى أيضاً أن يصير الواجب ممكناً وأدى ذلك إلى بطلان الحقائق ولم يبق بأيدينا علم أصلاً، فلا بد أن يبقى الممكن ممكناً لأنه لنفسه هو ممكن، والواجب واجباً لأنه لنفسه هو واجب والمحال محال لأنه لنفسه هو محال.

فهذا بعض ما أجرى الله تعالى في الوقت على ضيقه من الجواب في هذه المسألة، وبسطنا القول فيها وكررنا من أجل فهم الناظر فيها فإنه ليس كل فهم يكون له سرعة النفوذ وفهم الكلام الموجز. والله سبحانه ينفعنا بالعلم ويجعلنا من أهله بمنه لا ربَّ غيره.

(١) الآية رقم (٥١) من سورة الكهف.

تمَّ الجواب والحمد لله الوهاب الجواد المحسن، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي  
وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان تمامه في شهر رجب سنة ١٣٤٢هـ - الموافق آذار/ مارس ١٩٢٣م.  
والحمد لله رب العالمين.



**رسالة الأنوار  
فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار**

وانتفعت اثارهم عن العالم العاويق والمشهد الشني لهم اعداء هذه الطريقة  
والجهريون عن علم الحقيقة والتبويبه على اصحاب هذه المشارب سلطانة اوقاف  
سلوكهم ولها اليهم نظر في حين معارجهم فاذا وصلوا اليها وتلوا عليها الكرم منوالم  
ورفعتهم على عجب العناية الى حضرة الانية المحققة وهي التي تبينهم هذه  
المشروبات فالعطي واحد والعطى مختلف والعطى له على حقيقة مخصوصة  
فيسرب شرباً مخصوصاً على قدره فيعرف من ذلك على قدر معلوم فهو الرزق  
المقسوم في اسهل المثابة وبذات الخلقه جعلنا الله واياكم منسكاً فومسك ومنزل  
وشرب وعصم من سكر الاحوال والتحق بالرجال انه للمي بذلك والتادير عليه انتهى  
المقدر من هذا المنزل في الفوحات الكيفية والحمد لله رب العالمين وسلاوة على محمد وآله  
اجمعين

كتبه راجل تابل على اصل قروي  
نظا المؤلف رضوان الله عليه  
دوبلرانية نسخو عدد الطامة  
وكلها سنة ١٢٥٥

سَبَّحَ لِلَّهِ الْأَنْوَارِ فِيمَا يَمِثُّ صَاحِبِ الْخَلْقِ  
مِنْ الْإِبْرَانِ

المحدث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ  
قَالَ سَيِّدُنَا دَاوُدُ سُبْحَانَا وَأَمَانَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الشَّيْخُ الطَّرِيقِ  
وَأَمَامُ التَّحْقِيقِ وَجِنَا عَضْرُ وَفَرِيدُهُ مَرَمُ إِلَى الْفَضَائِلِ مُحَمَّدِي الْمَدِينِ لِحَ عَبْدِ اللَّهِ  
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الطَّائِبِ الْحَامِي غُفْرَانُ لَهُ

الهدى لو اريد العتق ومبدعهم وناصب النقل ومشرعهم له المذمة والطواغيت  
ومنه القوق والحول لا اله الا هو رب العرش العظيم وصلوا لله صلوا من اقام  
به اعلام الهدى وازله بالنور الذي اضربه فرشاء وهدى وسلم وعلو اله  
الظالمين والناجين لهم باحسان على يوم الدين **أجبت**  
سواك ايها الولي الكريم والتمني للعباد في كتيبة السلوك لا يث  
العرز تعالى الوصول لا حضرة الرجوع به من عنده الى خلقهم من غير منازعة  
فانما نائم في الوجود الا الله تعالى وصفاته وافعاله فالكل يؤوبه ومنه و  
اليه ولو كسب عين العالم طرفه عين النبي العالم دفعة واحدة فبما وده يحفظه  
ونظم اليه غير انه من لشدت ظهوره في نور بحيث ان تضعف لادراكات عنه فيسمى  
ذلك الظهور جهاها فاوالب باأبجته لك وفك الله كيدية السلوك اليه  
ثم كيفة الوصول والوقوف بين يديه والجلوس بساط مشاهدته واما  
يقوله لك ثم كيفة الرجوع من عند الحضرة افعاله به واليه والاستلال  
فيه وهو مقام دون الرجوع فاعلم ايها الاخ الكرم ان الطرق شتى وطرق الحق  
مفردة والساكنين طرق الحق افراد ومع لظروف الحق واحدة فانه تختلف في  
باختلاف احوال سالكيه من اعتدال المزاج وانحراف ولا يراية الباعث ومغيبته  
وقوم رعايتيه وضعفها واستقامته ممانته وسيلها وصحة نوحه وسفقيه

منهم من جمع له ومنهم من يكون له بعض من الأوصاف فقد يكون مطلب الرضا  
 شهيقاً ولا يساعده المزاج وكان لك ما بنى **فأول ما** ينبغي علينا التفتتة  
 لكون معرفة المواطن كهم مني وما يقتضي ما أريد منها هنا والمواطن عيانة غير محمل  
 أو نوات الموارد الذي يكون فيه وينبغي أن تعرف ما يريد الحق منك في ذلك الموضع  
 فيبادر اليه من غير تباطؤ ولا كلفة والمواطن أن كثر ثباتها ترجع إلى شدة  
 الأول موطن أنت بركم وقد انصفتنا عنه والثاني موطن الدنيا الذي نحن الآن فيها  
 والثالث موطن البرزخ الذي يصير إليه بعد الموت الأصغر والأكبر والرابع موطن  
 الخشوع بارض الشاهير والرد في الحاقه والغناس موطن الجنة والنار والسادس  
 موطن الكيب خارج الجنة وفي كل موطن من هذه المواطن مواضع موطن في  
 المواطن ليس في القوة البشرية الوافرة لكثيرها ولتساخنا في هذا الموضوع  
 منها المواطن الدنيا الذي هو محمل التكليف والابتلاء والأعمال **فأعلم**  
 الناس مذخلفهم الله والمكثفين واحدهم من المخدم إلى الوجود لم ير الواسع من  
 فليس لهم حظ عن حالهم إلا في الجنة أو النار وكل جنه ونار بحسب أعمالها  
 أهلها فالواجب على كل عاقل أن يعلم ذلك الشرف مبني على المشقة وشظن العيش  
 والنحن والبلايا وركوب الاحطار والاموال العظام في المجال ان يعرج فيه نعيم ارض  
 لسان اولد فان المياه مختلفة الطعم ولا هوثة مختلفة الشرف وطبع اهل كل  
 منه بلة يخالف طبع اهل المسئلة الاخرى فيحتاج السائر لما يصلح يتلقى كل  
 عالم في منزله فانه عندهم صاحب كليلها وساجه وينصرف فاني قتل  
 الراحة فيمنه من حالته وما اوردنا ههنا ردة اهل اهل النعيم في الدنيا  
 العاملين لها والمكثفين على جمع عظامها فان اهل هذا الفعل عندنا  
 اقل ولهم من نشتهنهم او تلقت بهم وانما اوردناه تنبيهاً لمن سجد



على الكمال بالهمة وغيره فاذا وصل اليه عين الحقيقة استخفت ميمته وليس حصول البغية  
فقول الحاصل لا تسع وانما ذلك المرسل الذي يقع به عند رفع الحجاب فان العلم الذي  
يحصله عند الشاهدة يلقى عنده التوجه الى ما هو فوق ما ظهر في حقها فيما ظهر فان  
الظاهر وان كان واحد العبر فان الوجوه منه غير متناهية ومن ثماره فبنا فلا يزال العالم  
متعلقاً دائماً ابدياً او الوهب يتعلق به دائماً ابدياً فمثل هذا فليعلم العالمون  
وفي مثل هذا فليكتسبوا من المتناهيون والحمد لله رب العالمين محمد الكرم

كتبه لنفسه لغير بيع بكرهه لاجل سبعة من شهر شعبان  
سنة ثلث وعشرين وثمان مائة وفسخه كتبها ليوب من ردد في النصف  
من رمضان سنة احدى وعشرين وثمان مائة بمجامع دمشق كخبر  
مصنفها لطمس الله بعلمه وكان معتكفاً وبلغت بالاصول خط  
المصنف في حال قوله عليه مصنفه رضي الله عنه في التمام وعلية  
لقارة المصنف رضي الله عنه خطه وهو صحيح ما ذكره في التمام في النسخ  
سمع على هذا الزوال اوله الى قوله الولد الصالح العبد الفقير الى الله الملك  
عبد العزيز ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز القرشي وكتبت له خطه في ذلك وانا  
محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز القرشي وكتبت له خطه في ذلك وانا

ملفت التمام على انسى في ذلك لغيره من غير ردد  
سنة ثلث وعشرين وثمان مائة



## بسم الله الرحمن الرحيم

[صلى الله على محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم]<sup>(١)</sup>.

قال سيدنا وشيخنا وإمامنا الشيخ الإمام العالم [المحدث]<sup>(٢)</sup>، شيخ الطريق، وإمام التحقيق، وحيد عصره، وفريد دهره، أبي الفضل محيي الدين بن عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي غفر الله له<sup>(٣)</sup>.

الحمد لوهاب العقل ومبدعه، وناصب النقل ومشرعه، له المنّة والطول، ومنه القوة والحول، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، وصلى الله على من أقام به أعلام الهدى وأنزله بالنور الذي أضلّ به من شاء وهدى، وسلم وعلى آله الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.  
أجبتُ

سؤالك أيها الولي الكريم، والصفى الحميم، في كيفية السلوك رب العزة تعالى، والوصول إلى حضرته، والرجوع به من عنده إلى خلقه، من غير مفارقة.  
فإنه ما تمّ في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله، فالكل هو، وبه ومنه وإليه، ولو احتجب عن العالم طرفة عين لغني العالم دُفعة واحدة، فبقاؤه يحفظه ونظره إليه غير أنه من اشتد ظهوره في نوره بحيث أن تضعف الإدراكات عنه فيسمي ذلك الظهور حجاً.

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

(٢) ما بين المعقوفين مشترك من هامش المخطوط.

(٣) أما بداية النسخة (ط) فكانت:

[قال الشيخ الإمام العالم الصدر الكامل، المحقق، المتبحر محيي الدين، شرف الإسلام، لسان الحقائق، علامة العالم، قدوة الأكابر، ومحل الأوامر، أعجوبة الدهر، وفريدة العصر، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي ثم الأندلسي، ختم الله له بالحسن].

فأول ما أبيتته لك وفقك الله كيفية السلوك إليه ثم كيفية الوصول والوقوف بين يديه، والجلوس في بساط مشاهدته وما يقوله لك. ثم كيفية الرجوع من عنده إلى حضرة أفعاله به وإليه، والاستهلاك فيه، وهو مقام دون الرجوع.

فاعلم أيها الأخ الكريم أن الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكين طريق الحق أفراد. ومع أن طريق الحق واحدة فإنه تختلف وجوهه باختلاف أحوال سالكيه من اعتدال المزاج وانحرافه وملازمة الباعث ومعيته وقوة روحانيته وضعفها واستقامة همتها وميلها وصحة توجهه وسقمه.

فمنهم من تجتمع له. ومنهم من تكون له بعض هذه الأوصاف فقد يكون مطلب الروحانية شريفاً ولا يساعده المزاج وكذلك ما بقي.

فأول ما يتعين علينا أن نبينه لك معرفة المواطن كم هي، وما يقتضي ما أريد منها هنا. والمواطن عبارة عن محل أوقات الأوراد التي تكون فيه. وينبغي لك أن تعرف ما يريده الحق منك في ذلك المواطن فتبادر إليه من غير تثبط ولا كلفة، والمواطن وإن كثرت فإنها ترجع إلى ستة.

الأول: موطن ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وقد انفصلنا عنه.

والثاني: موطن الدنيا التي نحن الآن فيها.

والثالث: موطن البرزخ الذي يصير إليه بعد الموت الأصغر والأكبر.

والرابع: موطن الحشر بأرض الساهرة والرد في الحافرة.

والخامس: موطن الجنة والنار.

والسادس: موطن الكثيب خارج الجنة.

وفي كل موطن من هذه المواطن مواضع هي مواطن في المواطن ليس في القوة البشرية الوفاء بها لكثرتها، ولسنا نحتاج في هذا الموضوع منها إلا إلى موطن الدنيا الذي هو محل التكليف والابتلاء والأعمال.

فاعلم أن الناس مذ خلقهم الله تعالى [وجعلهم]<sup>(٢)</sup> المكلفين وأخرجهم من العدم إلى

(١) يقصد به موطن الجمع في الأزل.

والآية رقم (١٧٢) من سورة الأعراف.

(٢) إضافة من المحقق يقتضيها السياق.

الوجود، لم يزالوا مسافرين وليس لهم حظ عن رحالهم إلا في الجنة والنار وكل جنة ونار بحسب أهلها<sup>(١)</sup>. فالواجب على كل عاقل أن يعلم أن السفر مبني على المشقة، وشظف العيش، والمحن والبلايا، وركوب الأخطار والأهوال العظام.

فمن المحال أن يصح فيه نعيم أو أمان أو لذة، فإن المياه مختلفة الطعم، والأهوية مختلفة التصريف [وطبع]<sup>(٢)</sup> أهل كل منهلة يخالف طبع أهل المنهلة الأخرى فيحتاج المسافر لما يصلح بتلقي كل عالم في منزله، فإنه عندهم صاحب ليلة أو ساعة وينصرف فأنى تُعقل الراحة فيمن هذه حالته.

وما أوردنا هذا زداً على أهل النعيم في [الدنيا]<sup>(٣)</sup> العاملين لها والمكبين على جمع حطامها. فإن أهل هذا الفعل عندنا أقل وأحق من أن نشتغل بهم، أو نلتفت إليهم. وإنما أوردناه [تبييناً]<sup>(٤)</sup> لمن استعجل لذة المشاهدة في غير موطنها الثابت، وحالة الفناء في غير منزلها والاستهلاك في الحق بطريق الحق عن العالمين فإن السادة منا أنفوا من ذلك لما فيه من تضييع الوقت ونقص المرتبة، ومعاملة الموطن بما لا يليق فإن الدنيا سجنه وتعلق الهمة والذكر في استجلابه تجليه، وهو سوء أدب في حقه، وفاته أمر كبير منه فإن زمان الفناء في الحق زمان ترك مقام أعلى مما هو فيه. لأن التجلي على قدر العلم وصورته فما حصل لك من العلم به منه في مجاهدتك وتهيوئك في الزمان الأول مثلاً، ثم أشهدت في الزمان الثاني فإنما تشهد منه صورة علمك المقررة في الزمان الأول، فما زدت سوى انتقالك من علم إلى عين، والصورة واحدة فقد حصلت على ما كان ينبغي لك أن تؤخره لموطنه وهو الدار الآخرة التي لا عمل فيها، وإن زمان مشاهدتك لو كنت فيه صاحب عمل ظاهر وتلقي علم بالله باطن كان أولى بك لأنك تزيد حُسنًا وجمالاً في روحانيتك الطالبة ربها وفي نفسيتك الطالبة جنتها فإن اللطيفة الإنسانية تحشر على صورة علمها والأجسام تنشر على صور أعمالها من الحسن والقبيح، وهكذا إلى آخر نفس فإذا انفصلت من عالم التكليف وموطن المعارج والارتقاعات حينئذٍ تجني ثمرة غرسك.

فإذا فهمت هذا فاعلم وفقنا الله وإياك أنك إذا أردت الدخول إلى حضرة الحق والأخذ منه بترك الوسائط والأنس به أنه لا يصلح لك ذلك وفي قلبك رباية لغيره، فإنك لمن حكم عليك

(١) مكررة في المخطوط.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

(٤) ما بين المعقوفين في النسخة (ط) كتب [لذة].

سلطانه، هذا لا شك فيه فلا بد لك من العزلة عن الناس وإيثار الخلوة عن الملاء فإنه على قدر بُعدك من الخلق يكون قربك من الحق، ظاهراً وباطناً.

فأول ما يجب عليك طلب العلم الذي به تقيم طهارتك، وصلاتك، وصيامك، وتقواك، وما يفرض عليك طلبه خاصة لا تزيد على ذلك، وهو أول باب السلوك. ثم العمل به، ثم الورع، ثم الزهد، ثم التوكل، وفي حال من أحوال التوكل يحصل لك أربع كرامات هي:

علامات وأدلة على حصولك في أول درجة التوكل وهي طي الأرض، والمشى على الماء، واختراق الهواء، والأكل من الكون، وهو الحقيقة في هذا الباب ثم بعد ذلك تتوالى المقامات والأحوال والكرامات والتنزلات إلى الموت فالله الله لا تدخل خلوتك حتى تعرف أين مقامك وقوتك من سلطان الوهم.

فإن كان وهمك حاكماً عليك فلا سبيل إلى الخلوة إلا على يدي شيخ ميمز عارف، وإن كان وهمك تحت سلطانك فخذ الخلوة ولا تبالي وعليك بالرياضة قبل الخلوة.

والرياضة عبارة عن تهذيب الأخلاق وترك الرعونة وتحمل الأذى فإن الإنسان إذا تقدم فتحه قبل رياضته فلن يجيء منه رجل أبداً إلا في حكم النادر.

فإذا اعتزلت عن الخلق فاحذرهم عن قصدهم إليك وإقبالهم عليك فإنه من اعتزل عن الناس لم يفتح بابه لقصد الناس إليه، فإن المراد من العزلة ترك الناس ومعاشرتهم، وليس المراد من ترك الناس ترك صورهم وإنما المراد أن لا يكون قلبك ولا أذنك وعاء لما يأتون به من فضول الكلام، فلا يصفو القلب من هذيان العالم فكل من اعتزل في بيته وفتح باب قصد الناس إليه فإنه طالب رئاسة وجاه، مطرود عن باب الله تعالى، والهلاك إلى مثل هذا أقرب من شرك نعله، فالله الله تحفظ في تلبيس النفس في هذا المقام.

فإن أكثر الخلق هلكوا فيه فأغلق بابك دون الناس، وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك واشتغل بذكر الله بأي نوع شئت من الأذكار وأعلها الاسم، وهو قولك الله الله لا تزيد عليه شيئاً، وتحفظ من طوارق الخيالات الفاسدة أن تشغلك عن الذكر وتحفظ في غذائك واجتهد أن يكون دسماً ولكن من غير حيوان فإنه أحسن واحذر من الشبع ومن الجوع المفرط والزم طريق اعتدال المزاج فإن المزاج إذا أفرط فيه اليبس أدى إلى خيالات وهذيان طويل فإذا كان الوارد هو الذي يعطي الانحراف فذلك هو المطلوب.

وتفرق بين الواردات الروحانية الملكية، والواردات الروحانية النارية الشيطانية مما تجده في نفسك عند انقضاء الوارد. وذلك أن الوارد إذا كان ملكياً فإنه يعقبه برد ولذة لا تجد ألماً ولا

تغيير لك صورة ويترك علماً وإذا كان شيطاناً فإنه يعقبه تهريس<sup>(١)</sup> في الأعضاء وألم وكرب وحيرة ويترك تخبيطاً فتحفظ ولا تزال ذاكرة حتى يفزع الله عن قلبك وهو المطلوب، واحذر أن تقول ماذا فليكن عقدك عند دخولك إلى خلوتك إذا شاء الله ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>(٢)</sup> فكل ما يتجلى لك من الصور في خلوتك ويقول لك: أنا الله.

فقل: سبحان الله أنت بالله.

واحفظ صورة ما رأيت وألّه عنها واشتغل بالذكر دائماً، هذا عقد واحد.

**والعقد الثاني:** أن لا تطلب منه في خلوتك سواه ولا تعلق الهمة بغيره ولو عرض عليك كل ما في الكون فخذ به بأدب، ولا تقف عنده وصمم على طلبك فإنه يبتليك ومهما وقفت مع شيء فاتك وإذا حصلته لم يفك شيء.

فإذا قد عرفت هذا فاعلم أن الله مبتليك بما يعرضه عليك.

فأول ما يفتح عليك إن أعطاك الأمر على الترتيب ما أقوله<sup>(٣)</sup> لك وهو كشفك عالم الحس الغائب عنه فلا يحجبك الجدران ولا الظلمات عما يفعله الخلق في بيوتهم إلا أنه يجب عليك التحفظ أن تكشف سر أحد عند أحد إذا أطلعك الله عليه فإن بُحت به وقلت هذا زان وهذا شارب وهذا يغتاب فاتهم نفسك فإن الشيطان قد دخل عليك متحقق بالاسم الستار، وإن جاءك ذلك الشخص فانه ما بينك وبينه على الستر وأوصه أن يستحي من الله ولا يتعدى حدود الله، وألّه عن هذا الكشف جهد طاقتك واشتغل بالذكر.

وأما التفرقة بين الكشف الحسي والخيالي فبينه وذلك إذا رأيت صورة شخص أو فعل من أفعال الخلق أن تغلق عينيك، فإن بقي لك الكشف فهو خيالك، وإن غاب عنك فإن الإدراك تعلق به في الموضوع الذي رأيت فيه.

ثم إذا لهيت عنه واشتغلت بالذكر انتقلت من الكشف الحسي إلى الكشف الخيالي فتنزّل عليك المعاني العقلية في الصورة الحسية وهو تنزل صعب.

فإن علم ما أريد بتلك الصورة لا يعرفه<sup>(٤)</sup> إلا نبي أو من شاء الله من الصديقين فلا تشتغل به، وإن سيقت لك مشروبات فاشرب الماء مثلاً، وإن لم يكن فيها ماء فاشرب اللبن، وإن

(١) في المخطوط: (تهرساً).

(٢) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

(٣) في أصل المخطوط (قوله) ومستدركة بالهامش من نسخ أخرى.

(٤) في نسخ المخطوط (لا يعرفها).

جمعت بينهما فحسن وكذلك العسل، وتحفظ من شرب الخمر، إلا أن يكون ممزوجاً بماء المطر فإن كان بماء الأنهار والعيون فلا سبيل إلى شربه واشتغل بالذكر حتى يفرغ عنك عالم الخيال وتجلى لك عالم المعاني المجرد عن المادة.

واشتغل بالذكر حتى يتجلى لك المذكورك فإذا أفنك عن الذكر به فتلك المشاهدة أو النومه وسبيل التفرقة بينهما أن المشاهدة تترك في المحل شاهداً فتقع اللذة عقيبتها والنومه لا تترك شيئاً فيقع التيقظ عقيبتها والاستغفار والندم، ثم إن الله تعالى<sup>(١)</sup> يعرض عليك مراتب المملكة ابتلاءً فإن رتب لك العرض فإنك ستكشف أولاً على أسرار الأحجار المعدنية وغيرها وتعرف سر كل حجر وخاصيته في المضار والمنافع فإن تعشقت به أبقيت معه وطردت ثم سلب عنك حفظه فخسرت وإن استغثت عنه<sup>(٢)</sup> واشتغلت بالذكر ولجأت إلى جناب المذكور رفع عنك ذلك النمط وكشف لك عن النباتات ونادتك كل عُشبة بما تحمله من خواص المضار والمنافع فليكن حكيمك معها<sup>(٣)</sup> حكيمك أولاً وليكن غذاؤك عند الكشف الأول ما كثرت مرارته ورطوبته، وفي هذا الكشف الآخر النباتي ما اعتدلت حرارته ورطوبته فإذا لم تقف معه رفع لك عن الحيوانات فسلمت عليك وعرفتك بما تحمله من خواص المضار والمنافع وكل عالم يعرفك بتسييحه وتمجيده.

وهنا نقطة: وذلك أن تنظر ما أنت مشتغل به من الأذكار فإن رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بذلك الذكر الذي أنت عليه فكشفك خيالي لا حقيقي، وإنما ذلك حالك أقيم لك في الموجودات وإذا شهدت في هؤلاء تنوعات أذكاهم فهو الكشف الصحيح وهذا المعراج هو معراج التحليل على الترتيب، والقبض لك مصاحب في هؤلاء العوالم.

ثم بعد هذا يكشف لك عن عالم سريان الحياة السببية في الأحياء وما تعطي من الأثر في كل ذات بحسب استعدادات الذوات وكيف تدرج العادات في هذا السريان.

فإن لم تقف مع هذا رفع عنك، رفعت لك اللوائح اللوحية وخوطبت بالمخاوف وتنوعت عليك الحالات وأقيم لك دولا ب تعان فيه صور الاستحالات وكيف يصير الكثيف لطيفاً واللطيف كثيفاً وما أشبه ذلك.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك نور متطائر الشرر فستطلب الستر عنه فلا تخف ودُم على الذكر فإنك إذا دمت على الذكر لم تصيبك آفة.

(١) من هامش النسخة المخطوطة.

(٢) في المخطوط: (وإن استغثت منه).

(٣) في المطبوعة (ط): (عليها).



فإن لم تقف معه رفع لك نور الطوالع وصورة التركيب الكلي، وعانيت آداب الدخول إلى الحضرة الإلهية، وآداب الوقوف بين يدي الحق، وآداب الخروج من عنده إلى الخلق والمشاهدة الدائمة بالوجوه المختلفة من الظاهر والباطن والكمال الذي لا يشعر به كلّ أحدٍ فإن كل ما نقص من الوجه الظاهر أخذه الوجه الباطن والذات واحدة فما ثم نقص وكيفية تلقي العلوم الإلهية من الله تعالى وما ينبغي أن يكون عليه المتلقي من الاستعدادات وأدب الأخذ والعطاء والقبض والبسط وكيف يحفظ القلب من الهلاك المحرق وأن الطرق كلها مستديرة ما ثم طريق خطي وغير ذلك مما تضيق هذه الرسالة عنه.

فإن لم تقف مع هذا كله رفع لك عن مراتب العلوم النظرية والأفكار السليمة وصور المغاليط التي تطرأ على الأفهام والفرق بين الوهم والعلم وتولد التكوينات بين عالم الأرواح والأجسام وسبب ذلك التولد وسريان السر الإلهي في عالم العناية وسبب من ترك الكون عن مجاهدة وعن لا مجاهدة وغير ذلك مما يطول.

فإن لم تقف مع هذا كله رفع لك عالم التصوير والتحسين والجمال، وما ينبغي أن تكون عليه العقول من الصور المقدسة والنفوس النباتية من حسن الشكل والنظام وسريان الفتور واللين والرحمة في الموصوفين بها ومن هذه الحضرة يكون الإمداد للشعراء ومن الذي قبله يكون الإمداد للخطباء.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك معه عن مراتب القطبية وكل ما شاهده قبل فهو من عالم اليسار وهذا الموضوع هو القلب فإذا تجلّى لك هذا العالم علمت الانعكاسات ودوام الدائمت، وخلود الخوالد، وترتيب الموجودات وسريان الوجود فيها، وأعطيت الحكم الإلهية والقدرة على حفظها والأمانة على تبليغها إلى أهلها، وأعطيت الرموز والإجمال فالوهب على الستر والكشف.

فإن لم تقف مع هذا: رُفِعَ لك عن عالم الحميّة والغضب والتعصب ومنشأ الخلاف الظاهر في العالم واختلاف الصور وغير ذلك.

فإن لم تقف مع هذا: رُفِعَ لك عن عالم الغيرة وكشف الحق على أتمّ وجوهه والآراء السليمة والمذاهب المستقيمة والشرائع المنزلة وترى عالماً قد زينهم الله من المعارف القدسية بأحسن زينة وما من مقام يكشف لك عنه إلاّ وهو يقابلك بالتعزير والتوقير والتعظيم ويعرب لك عن مقامه ومرتبته من الحضرة الإلهية ويعشقلك بذاته.

فإن لم تقف معه: رفع لك عن عالم الوقار والسكينة والثبات والمكر وغامضات الأسرار وما شاكل هذا الفن.

فإن لم تقف مع هذا رُفِع لك عن عالم الحيرة والقصور والعجز وخزائن الأعمال وهم عليون.

فإن لم تقف معه: رُفِع لك الجنان ومراتب درجاته وتداخل بعضه في بعض وتفاضل نعيمه وأنت واقف على طريق ضيقة ثم أشرف بك على جهنم ومراتب دركاتها وتداخل بعضها في بعض وتفاضل أعمالها ورفع لك عن الأعمال الموصلة إلى كل واحدة من الدارين.

فإن لم تقف مع هذا رفع لك عن أرواح مستهلكة في مشهد من مشاهد هم فيه حيارى سكارى قد غلبهم سلطان الوجد فدعاك حالهم.

فإن لم تقف لدعوته: رُفِع لك نور لا ترى فيه غيرك فيأخذك فيه وجد عظيم وهيمان شديد وتجد فيه من اللذة بالله ما لم تكن تعرفها قبل ذلك ويصغر في عينيك كل ما رأيت وأنت تتمايل فيه تمايل السراج.

فإن لم تقف معه رفع لك عن صور على صور بني آدم (وشُورُ تُرْفَع) وستور تُسَدل ولهم تسبيح مخصوص تعرفه إذا (سمعته)<sup>(١)</sup> ولا تدهش فسترى صورتك بينهم ومنها تعرف وقتك الذي أنت فيه.

فإن لم تقف رُفِع لك سرير الرحمانية وكل شيء عليه فإذا نظرت في كل شيء فسترى جميع ما اطلعت عليه فيه وزائداً على ذلك، ولا يبقى علم ولا عين إلا وتشاهده فيه فاطلب علتك في كل شيء فإذا وقفت علتك فيه عرفت أين غايتك ومنزلتك ومنتهى ربتك وأي اسم هو ربك وأين حظك من المعرفة والولاية صورة خصوصيتك.

فإن لم تقف معه رفع لك عن استاذ<sup>(٢)</sup> كل شيء ومعلمه فعابنت أثره وعرفت خبره وشاهدت انتكاسه وتلقيه وتفصيل مجمله من الملك النوني.

فإن لم تقف معه رفع لك عن المحرك فإن لم تقف مُجِيتَ ثم غُيِّبَتَ ثم أُفْنِيتَ ثم سحقت ثم محقت حتى إذا انتهت فيك آثار الماحي وإخوانه أثبت ثم أحضرت ثم أبقيت ثم اجمعت ثم غيبت فخلعت عليك الخلع التي تقتضيها<sup>(٣)</sup> فإنها تتنوع ثم ترد على مدرجتك فتعابن كل ما عابنته مختلف الصور حتى ترد إلى عالم حسك المقيد الأرضي أو تمسك حيث غُيِّبَت.

وغاية كل سالك مناسبة لطريقه الذي عليه سلك فمنهم من يناجي بلغته ومنهم من يناجي

(١) في المطبوعة (إذا سدلت).

(٢) في (ط): (أستاذ) والصحيح ما أثبتناه.

(٣) في (ط): (تقبضها).

بغير لغته وكل من نوجي بلغة آية لغة كانت فإنه وارث لنبي<sup>(١)</sup> ذلك اللسان وهو الذي تسمعه على السنة أهل هذه الطريقة أن فلاناً موسوي<sup>(٢)</sup> وعيسوي وإبراهيمي وإدريسي ومنهم المناجي بلغتين وثلاثة وأربعة فصاعداً.

والكامل من يناجي بجميع اللغات وهو المحمدي خاصة فما دام في غايته فهو الواقف ما لم يرجع فإن منهم المستهلك في ذلك المقام كأبي عقال، وغيره وفيه يقبض ويحشر.

ومنهم المردود وهو أكمل المواقف المستهلك بشرط أن يتماثلا في المقام فإن كان المستهلك في مقام أعلى من مقام المردود فلا نقول إن المردود أعلى ولكن شرطنا التماثل إذ يعيش المردود النازل عن مقام المستهلك ويزيد عليه في الترقى فيفضل عليه في التلقي، وأما المردودون فهم رجالان منهم من يرد في حق نفسه وهو النازل الذي ذكرناه وهذا هو العارف عندنا فهو راجع لتكميل نفسه من غير الطريق الذي سلك عليه<sup>(٣)</sup>.

ومنهم من يرد إلى الخلق بلسان الإرشاد والهداية وهو العالم الوارث وليس كل داع وارث على مقام واحد لكن يجمعهم مقام الدعوة ويفضل بعضهم عن بعض فمنهم الداعي بلغة موسى وعيسى وسام وإسحاق وإسماعيل وآدم وإدريس وإبراهيم ويوسف وهارون وغيرهم وهؤلاء هم الصوفية وهم أصحاب أحوال بالإضافة إلى السادة منا.

ومنهم الداعي بلغة محمد (صلى الله عليه وسلم) وهم الملامتية أهل التمكين والحقائق وإذا دعوا الخلق إلى الله تعالى.

فمنهم من يدعو من باب الفناء في حقيقة العبودية وهو قوله: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾<sup>(٤)</sup>.

ومنهم من يدعو من باب ملاحظة العبودية وهو الذلة والافتقار وما يقتضيه مقام العبودية. ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق الرحمانية. ومنهم من يدعوهم من باب ملاحظة الأخلاق القهرية.

ومنهم من يدعوهم من باب الأخلاق<sup>(٥)</sup> الإلهية وهو أرفع باب وأجله.

(١) في (ط): (لنبي) أي أبناء، والصحيح ما أثبتناه، فإن الورث لا يكون إلا من نبي (عليهم جميعاً السلام).

(٢) في المخطوط (موسى) واستدركت بالهامش.

(٣) في (ط) زاد كلمة (ومقيم) وليس لها أصل.

(٤) الآية رقم (٩) من سورة مريم.

(٥) في المخطوط (خلق) واستدركت بالهامش.

واعلم أن النبوة والولاية تشتركان في ثلاثة أشياء.

الواحدة: في العلم من غير تعلم كسبي.

والثاني: في الفعل بالهمة فيما جرت العادة أن لا يفعل إلا بالجسم أو لا قدرة للجسم عليه.

والثالث: في رؤية عالم الخيال في الحس ويفترقان بمجرد الخطاب فإن مخاطبة الولي غير مخاطبة النبي ولا يتوهم أن معارج الأولياء على معارج الأنبياء ليس الأمر كذلك لأن المعارج تقتضي أموراً لو اشتركا فيها بحكم العروج عليها لكان للولي ما للنبي وليس الأمر على هذا عندنا، وإن اجتمعا في الأصول وهي المقامات لكن معارج الأنبياء بالنور الأصلي، ومعارج الأولياء بما يفيض من النور الأصلي، وإن جمعهما مقام التوكل فليست الوجوه متحدة والفضل ليس في المقام وإنما هو في الوجوه والوجوه راجعة إلى المتوكلين<sup>(١)</sup> وهكذا في كل حال ومقام من فناء وبقاء وجمع وفرق واصطلام وانزعاج وغير ذلك.

واعلم أن كل ولي لله تعالى فإنه يأخذ ما يأخذ بوساطة روحانية نبيه الذي هو على شريعته ومن ذلك المقام يشهد.

ومنهم من يعرف ذلك ومنهم من لا يعرفه ويقول: قال لي الله، وليس غير تلك الروحانية.

وهنا أسرار لطيفة تضيق هذه الأوراق عنها لما أردناه من التقريب والاختصار.

غير أن الأولياء من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) الجامع لمقامات الأنبياء (عليهم السلام) قد يرث الواحد منهم موسى (عليه السلام) ولكن من النور المحمدي لا من النور الموسوي فيكون حاله من محمد (عليه الصلاة والسلام) حال موسى (عليه السلام) منه (صلى الله عليه وسلم) وربما يظهر من ولي عند موته ملاحظة موسى أو عيسى فيتخيل العامي ومن لا معرفة له أنه قد تهوّد أو تنصّر لكونه يذكر هؤلاء الأنبياء عند موته وإنما ذلك من قوة المعرفة بمقامه والاتصاف إلا القطب فإنه على قلب (محمد عليه الصلاة والسلام) وقد لقينا رجلاً<sup>(٢)</sup> على قلب عيسى، وهو أول شيخ لقيته، ورجالاً على قلب موسى وآخرين على قلب إبراهيم وغيرهم عليهم السلام ولا يعرف ما نذكره إلا أصحابنا.

واعلم أن محمداً (عليه الصلاة والسلام) هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسول مقاماتهم في جميع الأرواح حتى بعث بجسمه (صلى الله عليه وسلم) وتبعناه والتحق بنا من الأنبياء في الحكم من شاهده أو نزل بعده، فأولياء الأنبياء الذين سلفوا يأخذون عن أنبيائهم وأبيائهم

(١) في (ط): (المتوكل).

(٢) في (ط): (رجالاً).

يأخذون عن محمد (صلى الله عليه وسلم) فشاركت الولاية الحمديّة الأنبياء في الأخذ عنه ولهذا ورد الخبر «علماء هذه الأمة أنبياء بني إسرائيل»<sup>(١)</sup>. وقال تعالى فينا: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٢)</sup> وقال في حق الرسل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، فنحن الأولياء شهداء على أتباعهم ونصرف الهمة في الخلوة للوراثة الكلية الحمديّة.

واعلم أن الحكيم الكامل المحقق المتمكن هو الذي يعامل كل حال ووقت بما يليق به ولا يغلط وهذه هي حالة محمد (صلى الله عليه وسلم) فإنه كان من ربه بقباب قوسين أو أدنى ولما أصبح وذكر ذلك للحاضرين ولم يصدقه المشركون لكون الأثر ما ظهر عليه ووافقوه في ذلك بخلاف غيره حين<sup>(٤)</sup> ظهر عليه الأثر فكان يتبرقع.

ولا بد<sup>(٥)</sup> لكل سالك من تأثير الأحوال فيه وخلطه العوالم بعضها ببعض ولكن ينبغي له الترقى من هذا المقام إلى مقام الحكمة الإلهية الجارية على القانون المعتاد في الظاهر وينصرف خرق العوائد إلى سره حتى يرجع له خرق العوائد له عادة لاستصحابه ولا يزال يقول في كل نفس ﴿وقل ربّ زدني علماً﴾<sup>(٦)</sup> ما دام الفلك يجري بنفسه وليجتهد أن يكون وقته نفسه وإذا ورد عليه وارد الوقت يقبله وليحذر من التعشق به ويحفظه فإنه يحتاج إليه إذا ربّي<sup>(٧)</sup> فأكثر<sup>(٨)</sup> الشيوخ إنما أتى عليهم في التربية لما فرطوا في حفظ ما ذكرناه وزهدوا فيه زهداً كلياً ويطول

(١) حديث: (علماء هذه الأمة كأنبيا بني إسرائيل).

قال السيوطي في الدرر: لا أصل له. وقال في المقاصد: قال شيخنا - يعني ابن حجر - لا أصل له. وقيل الديميري، والزرکشي، وزاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر.

وقال النجم: ومن نقله جازماً بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي، وموفق الدين بن قدامة، والأسنوي، والبارزي، والياضي، وأشار إلى الأخذ بمعناه التفتازاني، وفتح الدين الشهيد، وأبو بكر الموصلي، والسيوطي أيضاً في الخصائص.

قال العجلوني: وله شواهد ذكرتها في حُسن التنبيه لما ورد في التشبيه، وقد يؤيده أنه الواقع.

انظر العجلوني: كشف الحفاء ٦٤/٢ حديث رقم (١٧٤٤).

(٢) الآية رقم (١٤٣) من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم (٨٩) من سورة التحل.

وقد وردت بالمطبوعة (من كل أمة).

(٤) مستدركة من هامش المخطوط (حين).

(٥) في المخطوط (لا) فقط.

(٦) الآية رقم (١١٤) من سورة طه.

(٧) في (ط): (إذا رما) وليس لها معنى.

(٨) في (ط): (وأكثر).

الوقت ويقصر بحسب حضور صاحبه، فمنهم من وقته ساعة، ويوم، وجمعة، وشهر، وسنة، ومرة واحدة في عمره.

ومن الناس من لا وقت له وعلو الشخص يدل على ضيق وقته والذي لا وقت له إنما حرم بحكم بهيمته عليه فإن باب الملكوت والمعارف من المحال أن يفتح وفي القلب شهوة للملك<sup>(١)</sup>.

وأما باب العلم بالله من حيث المشاهد فلا يفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت.

واعلم أن هذه الأمور الوضيعة إذا سلك عليها الإنسان [أعني قام]<sup>(٢)</sup> بها ولم تكن له همة متعلقة بأمر وراءها إلا الجنة خاصة فذلك هو [العابد]<sup>(٣)</sup> صاحب الماء والمحراب كما أن الهمة لو تعلقت بما وراء العبادات من غير الاستعداد بها لم ينكشف له شيء، ولا نفعت همته بل صاحبها أشبه بمريض سقطت قواه بالكلية وعنده الإرادة والهمة للحركة<sup>(٤)</sup> والآلة معطلة فهل يصل بهمته إلى مطلوبه فلا بد من الاستعداد على الكمال بالهمة وغيرها فإذا وصل إلى عين الحقيقة امتحنت همته وليس بحصول البغية فيقول الحاصل لا يتغي وإنما ذلك الدهش الذي يقع به عنده رفع الحجاب فإن العلم الذي يحصل له عند المشاهدة يلقي عنده التوجه إلى ما هو فوق ما ظهر في حقه لا فيما ظهر فإن الظاهر وإن كان واحد العين فإن الوجوه منه<sup>(٥)</sup> غير متناهية وهي آثاره فينا فلا يزال العالم متعطشاً دائماً أبداً والواهب متعلق به دائماً أبداً (فلمثل هذا فليعمل العاملون)<sup>(٦)</sup> وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم<sup>(٧)</sup>.

\* \* \*

(١) في (ط): (هذا للملكوت).

والملك هو الشاهد الظاهر من الدنيا

والملكوت هو الغيب المعلن عنه وغير المعلن عنه.

(٢) ما بين المعقوفين في (ط): (قام).

(٣) في النسخة (ط): (العالم).

(٤) في (ط): (المحركة).

(٥) في (ط): (فيه).

(٦) في (ط): (لمثل هذا العمل...).

وما أثبتته من المخطوط وهو نص الآية رقم (٦١) من سورة الصافات.

﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾.

(٧) إلى هنا انتهت النسخة (ط).

كتبه لنفسه أحمد بن أبي بكر بن صلاح لسبع بقين من شهر شعبان سنة ثلاث وعشرون وثمانمائة، من نسخة كتبها أيوب بن (-) في النصف من رمضان من سنة إحدى وعشرين وستمائة بجامع دمشق بحضرة مصنفها نفعنا الله بعلمه، وكان معتكفاً، وبلغت بالأصل من خط المصنف في حال قراءته عليه مصنفه (رضي الله عنه) في التاريخ، وعليه إجازة المصنف (رضي الله عنه) بخطه وهو:

صح ما ذكره وكتب المنشئ في التاريخ سمع على هذا الحد من أوله إلى آخره الولد الصالح الفقيه التقي الطاهر المبارك معين الدين بن إبراهيم عمر بن عبد العزيز القرشي، وكتبت له خطي بذلك وأنا محمد بن علي بن محمد بن العربي في التاريخ المذكور أعلاه. والحمد لله. بلغت المقابلة على النسخة المذكورة لخمس بقين من شهر شوال سنة ثلاث وعشرون وثمانمائة.





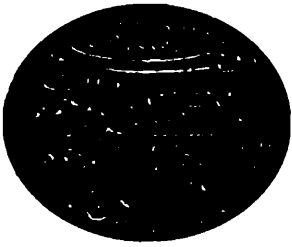
الإعلام  
بإشارات أهل الإلهام





جنهم الرهبان بوزن فظنك لويد وقال جنهم الرهبان بوزن بافتك في جيبه  
 الاثني عشر وقال جنهم الرهبان في قوله فاحم كل في قوله من ان جازي كذا  
 قاله ما وجدك في وقال جنهم الرهبان في قوله وقال جنهم الرهبان في قوله  
 قلت له بعد الاطلاع فسك وقال جنهم الرهبان في قوله في قوله في قوله  
 وقال جنهم الرهبان في قوله في قوله وقال جنهم الرهبان في قوله في قوله  
 وقال جنهم ما في الوجود منار وقال جنهم في قوله العذبة وقال جنهم في قوله  
 زك وقال جنهم في قوله صيرت وقال جنهم في قوله انسان من المفسدين اليهود وقال جنهم  
 لامداد واهد وقال جنهم في قوله اهد وقال جنهم في قوله هرب وقال جنهم في قوله  
 حجاب واليه حجاب وقال جنهم في قوله هرب وقال جنهم في قوله حجاب في قوله  
 صاحب كيب وكل صاحب كيب هرب انه محمول وقال جنهم في قوله حجب وقال جنهم  
 الرهبان في قوله طلبه وارضى ليله وقال جنهم الرهبان في قوله وقال جنهم الرهبان في قوله  
 قال جنهم الرهبان في قوله ما عبده ولو كان جانا وقال جنهم الرهبان في قوله في قوله  
 وقال جنهم الرهبان في قوله وقال جنهم الرهبان في قوله وقال جنهم الرهبان في قوله  
 قال للولف رضي الله عنه جامع هذا للشارك ما قدرت منها الا ما سمعت من قاله  
 الامم فقلت اسمه وللحمد لله وجلتها وبغضته وسخر كل في قوله واثرة الابهام  
 هـ الصلي العظيم هـ هـ كلك اشارات عن ابن عربي في قوله هـ

القصص



## نسخة الكتاب

كان تحقيقي لهذه الرسالة الهامة من رسائل ابن عربي على نسختين إحداهما مخطوطة، وهي نسخة قديمة بحالة جيدة اعتبرتها نسختي الأولى... والثانية مطبوعة ولكنها أيضاً اعتمدت على نسخة خطية جيدة إلا أن بها بعض مشكلات بسيطة تمّ تلافيها بعمل المقابلة مع صاحبها. وهنا يمكن الحديث عن النسختين.

### النسخة الأولى

هي نسخة مكتبة ولي الدين كانت ضمن مجموع كبير تحت رقم (١٨٢٦) من ورقة (٧١ - ٧٥) مقاس ٢٠ × ١٦ سم كتبت سنة ٨٢٣هـ.

واعتمدت على مصورة لها حصلت عليها عن طريق معهد المخطوطات العربية، وكانت تحت رقم (٣٥٠) تصوف.

- \* وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز (خ).
  - \* نسخة لها غلاف داخلي كتب العنوان فقط بنط كبير.
  - \* داخل النسخة كتبت العناوين الداخلية بنط أكبر أيضاً من المسطرة.
  - \* مسطرتها ٢١ سطر.
  - \* في كل سطر من (١٥ - ١٧) كلمة.
  - \* افتتاحية الرسالة بها بعض اختلاف عن افتتاحية النسخة الأخرى.
  - \* تنظيمها بقلم واحد ومسطرة واحدة عدا العناوين.
  - \* خاتمة الرسالة انظر هامش نهاية الرسالة.
  - \* يوجد خاتم بيضاوي نهاية الرسالة مكتوب هذه العبارة.
- [وقف شيخ الإسلام ولي الدين أفندي ابن المرحوم الحاج مصطفى آغا ابن المرحوم الحاج حسين آغا].

انظر الختم البيضاوي في الصفحة المرفقة (المخطوطة).

النسخة الثانية:

وقد رمزنا لهذه النسخة بالرمز (ط). وهذه النسخة طبعت بمطابع جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية (حيدرآباد الدكن) سنة ١٣٦٢هـ من الهجرة النبوية عليه ألف صلاة وسلام وتحية.

وهذه النسخة يبدو - أيضاً - أنها اعتمدت على نسخة مخطوطة بحالة جيدة فلم نر فيها إلا سقط يسير جداً أوضحناه في حينه بالهامش، وبعض جمل وكلمات لم تُقرأ على وجهها الصحيح، فكان للمقابلة مع الأخرى المخطوطة توفية بحقوق النسختين.

هذه النسخة لم تحقق، ولم يتم تخريج الآيات ولا الأحاديث ولا شيء أصلاً إلا أن الذي وقف على الطبع كان يتحرى الدقة اللغوية لدرجة جعلته يكتب الكلمة بدون نقط ويشير في الهامش إلى ذلك. وهو التزام طيب لكن كان ينقصه توجيه هذا الكلام كما فعلنا نحن هنا.

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

رَبِّ يَسْرُ بِرَحْمَتِكَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا<sup>(١)</sup>.  
ومن إفاداته نفع الله به<sup>(٢)</sup>

هذا كتاب<sup>(٣)</sup> الإعلام بإشارات أهل الإلهام سألنا في تقييده بعض من يكرم علينا من الإخوان فامثلنا مرسومه على وفق ما تمنى ولم أتعد فيه غرضه والله وليّ التوفيق لا ربّ غيره قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للسوداء: «أين الله؟» وكانت خرساء فأشارت إلى السماء فقال (صلى الله عليه وسلم) لسيدها: «أعتقها فإنها مؤمنة»<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ط): (وبه الحول القوة).

(٢) سقط من (ط).

(٣) بدأ بافتاحية: (قال الشيخ الإمام المحقق المتبحر محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي، رضي الله عنه: هذا كتاب... الخ).  
هكذا في النسخة (ط).

(٣) الآية رقم (٢٩) من سورة مريم.

(٤) حديث: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) للسوداء: أين الله...).

رواه الإمام مسلم في المساجد ٢٣، وأبو داود في الصلاة ١٦٧، والإيمان ١٦، والإمام النسائي في السهو ٢٠، والدارمي في النذور ١٠، والموطأ في العتق ٨، ٩، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ٢٦١/٢، ٤٥٢/٣، ٢٢٢/٤، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٤٧/٥، ٤٤٨، ٤٤٩.

وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١٣٥/٤ باب (عتق).

## باب في الرؤية

قال الصديق<sup>(١)</sup> (رضي الله عنه): ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله قبله.

قال الفاروق (رضي الله عنه): ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله معه.

رُوي عن عثمان (رضي الله عنه) قال: ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله بعده.

ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله عنده.

ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله فيه.

ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً حين رأيت، ومنهم من قال: ما رأيت شيئاً، ومنهم من قال:

من رآه لم ير شيئاً. ومنهم من قال: لا يرى إلاّ في شيء. ومنهم من قال: أغلقت عيني ثم

فتحتها فما رأيت إلاّ الله.

ومنهم من قال: من رأى نفسه فقد رآه، فإن الرؤية تتبع المعرفة «ومن عرف نفسه عرف

ربه»<sup>(٢)</sup>. ومنهم من قال: لا تثبت الرؤية إلاّ بنفسها فمن لم يره فقد رآه. ومنهم من قال: منذ

رأيت لم أر غيره. ومنهم من قال: لا يراه إلاّ من عرفه على ما عرفه<sup>(٣)</sup>.

(١) الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين تراجمهم مشهورة وستجد لهم داخل هذا المجلد في بعض الرسائل.

(٢) سترى تخريجاً لهذا الحديث داخل هذا المجلد.

(٣) كل هذه الأقوال عن الرؤية، أي: رؤية الحق تعالى تؤكد أنه لم يره أحد على الحقيقة انظر ما قاله سيدي أحمد التجاني خاتم الأولياء.



## باب في السماء

قال تعالى: ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> قال بعضهم من سمعه سمع [من]<sup>(٢)</sup> كل شيء، ومنهم من قال: [وسعه سمعه]<sup>(٣)</sup>. ومنهم من قال: من سمعه سمع في كل شيء، ومنهم من قال: لا يسمع كلامه إلا من كان له سمع بلا آلة<sup>(٤)</sup>. ومنهم من قال: من سمعه في شيء ولم يسمعه في شيء فما سمعه. ومنهم من قال: لا يسمعه أحد ابتداءً حتى يناديه من سره. ومنهم من قال: من سمعه لم يتميز عنده القرآن. ومنهم من قال: من ادعى أنه سمعه فاطلبوه بالفهم عنه فإنه لا يسمع إلا بالفهم.

ومنهم من قال: إنه سمعه يقرأ الكتب المنزلة والصحف وكل كلام ظهر [في]<sup>(٥)</sup> العالم بلسان واحد. ومنهم من قال: كن أنت المخاطب إذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٦)</sup> ومنهم من قال: منذ سمعته لم أجهل لغة ولا اعتاص عليّ معنى. ومنهم من قال: إذا صحت النيابة في الكلام صحت النيابة في السماع وقد صحت النيابة في الكلام ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾<sup>(٧)</sup> فسمعت الآذان عبارات محمد (صلى الله عليه وسلم) وسمع السمع كلام الحق جل وعلا. ومنهم من قال: العبارات والدلالات للتوصل والكلام وراء ذلك كله، والسمع يتبع

(١) الآية رقم (٦) من سورة التوبة

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من النسخة (ط)

(٤) أي آلة السمع، وهي (الأذن).

(٥) في النسخة (ط): (من).

(٦) متكرر نداء المؤمنين في آيات القرآن.

(٧) الآية أول الباب.

الكلام فالسمع<sup>(١)</sup> ذلك كله. ومنهم من قال: دليل من سمع حزنه على حكم من سمع فمن سمع تقيد.

---

(١) في (ط): (وراء ذلك كله).

## باب في الكلام

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>. قال بعضهم: لا تسمعه إلا منك. ومنهم من قال: لا يكلمك إلا منك. ومنهم من قال: من كلمه فيه فقد كلمه. ومنهم من قال: لو كلمه منه ما ناداه. ومنهم من قال: لا يكلمك إلا من بطنت حياته.

ومنهم من قال: ما ثم متكلم إلا هو فمن سمعه عرف ما قلت. ومنهم من قال: من لم يسمع لم يعرف كلامه. ومنهم من قال: إذا كلمك من ظهرت حياته وسمعته فأنت أقرب الأقربين، وإذا لم تسمعه فيه فأنت أبعد الأبعدين، وإذا كلمك من بطنت حياته وسمعته فأنت قريب، وإذا لم تسمعه فأنت بعيد. ومنهم من قال: من كلمه من الجانب فهو ذاهب.

ومنهم من قال: من لم يسمع بكلامه ويتكلم بسمعه فما كلمه الحق ولا سمع. ومنهم من قال: من صار لساناً كله فذلك كلام الحق، ومن صار سمعاً فذلك سمع الحق. ومنهم من قال: من فرق بين العبارة والكلام فما كلمه الحق. ومنهم من قال: الكلام كلام فمن لا أثر فيه فما صح له كلام.

(١) الآية رقم (١٦٤) من سورة النساء.

## باب في التوحيد

قال بعضهم: لا لسان له إذ لا مخاطب. ومنهم من قال: لا لسان يتميز<sup>(١)</sup> بل الألسنة كلها لسانه، فخطابه يتردد منه إليه، وهكذا نظره وسمعه وعلمه. ومنهم من قال: القدرة والإرادة تنافي التوحيد فإن التوحيد [أن]<sup>(٢)</sup> لا غيره، وهو غير مقدور ولا مراد فبطل توحيد الوجود، ولكن توحيد الفعل ثابت. ومنهم من قال: التوحيد إذا كان له مثبت فهو شرك وإذا لم يكن له مثبت فليس بمقام. ومنهم من قال: [من وَحَّدَهُ به فما وحده ومن وحده بنفسه فإنما وَحَّدَ نفسه]<sup>(٣)</sup> ومنهم من قال: التوحيد أنا والمتكلم الحق. ومنهم من قال التوحيد نفي التوحيد والشرك<sup>(٤)</sup> فيبقى هو هو<sup>(٥)</sup> كما ينبغي له. ومنهم من قال: إن جعلت العالم واحداً صح لك التوحيد، وإن جعلته متعدداً لم يصح التوحيد. ومنهم من قال: التوحيد إثبات عين الواحد وحكم الأحدية مع فناء<sup>(٦)</sup> المثبت بإثبات الواحد نفسه بحكم أحدية نفسه. ومنهم من قال: التوحيد أن تغيب فيه أو يغيب فيك. ومنهم من قال: التوحيد إثبات الأحكام ونفي المعاني عن الذات. [ومنهم من قال: التوحيد الخبرة]<sup>(٧)</sup>.  
ومنهم من قال التوحيد عين لا علم فمن رآه عرف التوحيد ومن علمه فلا توحيد له ومنهم

(١) غير واضحة في المخطوط (خ)، ولعلها: (لا لسان له).

(٢) زائدة من (خ).

(٣) هذه الفقرة في (خ) متداخلة، لدرجة تصعب قراءتها.

(٤) في (ط): (والشريك).

(٥) في (ط) غير مكررة.

(٦) في (ط): (قضاء)، وفي (خ): (بناء).

(٧) الفقرة بين المعقوفين سقطت من (ط).

من قال: التوحيد إثبات واحد بلا أول ومنهم من قال التوحيد إثبات الواحد من غير مشاركة في وصف ولا نعت ومنهم من قال: التوحيد إثبات عين بلا وصف ولا نعت ومنهم من قال: التوحيد معرفة الأسماء ومنهم من قال التوحيد لا تصح العبارة عنه فإنه لا يعتبر إلا للغير ومن أثبت غيراً فلا توحيد له. ومنهم من قال: التوحيد سريانه في نفسه بحكم ما هو عليه.

## باب المعرفة

قال بعضهم: المعرفة ربانية، ومنهم من قال: المعرفة إلهية، ومنهم من قال: المعرفة قدسية، ومنهم من قال: المعرفة أن تعرف ما أنت عليه وما هو عليه، ومنهم من قال: المعرفة أن تعرف ما أنت عليه وتعجز عما هو عليه، ومنهم من قال: المعرفة أن تعجز عن معرفتك بك، ومنهم من قال: المعرفة علم الحد الذي بينك وبينه فتكون أنت أنت وهو هو، ومنهم من قال: المعرفة أن تلحظ ما سواه منه به ثم تفنيه فيبقى هو وأنت مدرج، ومنهم من قال: المعرفة علم الحكم، ومنهم من قال: المعرفة من روائح التوحيد يعرفها أصحاب الأنفاس، ومنهم من قال: المعرفة الاستشراق على الكل بعينه، ومنهم من قال: المعرفة لمن استوى على العرش، ومنهم من قال: من كان عرشاً له صحت المعرفة وقيل فيه عارف، ومنهم من قال: المعرفة خطاب مخصوص من الحق لعبده يسمى به عارفاً. ومنهم من قال: المعرفة ما تواطأ عليه الحق والعبد واستعمل في العالم، ومنهم من قال السؤال عن المعرفة جهل فإن المعرفة مبثوثة<sup>(١)</sup> في العالم فما ثم<sup>(٢)</sup> إلا عارف به على قدره [أين الله؟ قالت: في السماء]<sup>(٣)</sup> (وكان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما هو عليه كان)<sup>(٤)</sup> وكلاهما عارف، ومنهم من قال: المعرفة سر التكوين، ومنهم من قال: المعرفة من أعطى كن فقد أعطى المعرفة، قلت لبعضهم: سمعت عن شيخ أنه قال: الزاهد من أعطى فزهد فيه فقال كذا زعم والزعم باطل. ومنهم من قال: المعرفة شطح ومنهم من قال: المعرفة إلحاق السوء بالحسن مع ثبوت الحكم.

(١) في النسخة (ط): (مبثوثة).

(٢) في (خ) (ثم) بناء مثناة وهي من التمام. وتصح أيضاً، فيكون المعنى فما ثم أي لا ثم بالمعرفة الحقيقية إلا عارف بالله. والأولى: فما ثم (بثلاث) أي لا هناك إلا عارف بالله تعالى.

(٣) تقدم تخريج حديث السوداء.

(٤) حديث: (كان الله ولا شيء معه...) رواه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بريدة وفي رواية «ولا شيء غيره». انظر كشف الحفاء ج ٢ ص ١٧١.

## باب الحب

---

قال بعضهم: الحب يصح<sup>(١)</sup> ومنهم من قال ما ثم إلا حب، ومنهم من قال: الحب نعت لا صفة، ومنهم من قال: الحب سبٌّ إلهي يعطى في كل ذات على حسب [ما]<sup>(٢)</sup> يليق بها ومنهم من قال: كيف ينكر الحب وما في الوجود إلا هو، ولولا الحب ما ظهر فمن الحب ما ظهر وبالحب ظهر والحب سارٍ فيه والحب ينقله ومنهم من قال: لا يصح نكران الحب فبالحب حرك المحرك وبالحب تحرك المتحرك وسكن الساكن وبالحب تكلم المتكلم وصمت الصامت ومنهم من قال: الحب سلطان يتبعه كل شيء.

---

(١) في النسخة (ط): (لا يصح).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

## باب في إشاراتهم<sup>(١)</sup> في أنواع شتى

منها المتشابه قال بعضهم: من نظر نظر، وقال بعضهم: من صام صام، وقال بعضهم: من صلى صلى، وقال بعضهم: من قام قام وقال بعضهم: من اعتبر عبر وقال بعضهم: من زكى زكى وقال بعضهم: من آمن آمن وقال بعضهم: من أسلم أسلم وقال بعضهم من أحرم أحرم وفي غير المزدوج والمزدوج، قال بعضهم: دعيت فلم أجب فسكرت وقال بعضهم: رأيتهم فعميت، وقال بعضهم: كما كان ولم أكن فليكن<sup>(٢)</sup> الآن [ولست هو]<sup>(٣)</sup> ليس هو، وقال بعضهم: الوجود في الآن، وقال بعضهم من كنته فإنه يكونك، وقال بعضهم: العرش ظل الله والإنسان العرش، وقال بعضهم: وقد قيل له قد أذن بالصلاة، فقال: إنما جعل النداء للغافلين مذ دخلت إليه لم أخرج، وقال بعضهم: الصلاة مناجاة لا رؤية ولهذا شرعت بالحركات، وقال بعضهم الجنابة جنابة وقال بعضهم: من تكلم تكلم وقال بعضهم: التقوى زاد والزاد للمسافر لا للمقيم من لا سفر له لا زاد له، وقال بعضهم: الحج عرفة، والراحة المبيت في المزدلفة، والجنى في منى، وقال بعضهم: ما أعطانا شيئاً فعطية الكون لنا لا له هو له ما فمن له وقال بعضهم: أشهدني فلم أره باسطني فلم أعرفه وقال بعضهم: ليس لي أمر فأفوضه إليه، وقال آخر حين سمع [قارئاً]<sup>(٤)</sup> يقرأ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾<sup>(٥)</sup> كيف يحشر إليه من هو جليسه.

(١) أي في إشارات السادة الصوفية.

(٢) في (ط): (فيكن).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

(٥) الآية رقم (٨٥) من سورة مريم.



وقرأ بعضهم: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا﴾<sup>(١)</sup>. وقرأ بعض الثلث من ﴿ادخلوا الجنة لا﴾<sup>(٢)</sup> وقرأ بعضهم: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال آخر: ﴿وعصى آدم ربه﴾<sup>(٤)</sup> إذ كان عصى غيره ما كانت. وقال بعضهم:

خَيَالُكَ فِي عَيْتِي وَذِكْرُكَ فِي قَمِي وَمَشْوَاكَ فِي قَلْبِي فَأَيْنَ تَغِيْبُ

وقال بعضهم: ما لي إلى الله حاجة والحمد لله، [يريد على التعيين لعلمه بأن الله أعلم بمصالحه فلا ينسى الله حاجة بعينها بل يرضى لما اختاره الله له]<sup>(٥)</sup>.

وقال بعضهم: إنما يتوكل عليه من يرى غيره، وقال بعضهم: [عجبت]<sup>(٦)</sup> لمن عرف الله كيف أطاعه، وقال بعضهم: لا تغتروا بدخول إبليس النار فإنه تعالى يقول: ﴿لأملأن جهنم منك﴾<sup>(٧)</sup> وقال بعضهم: رجال الله كالسراب، وقال بعضهم: الشرع أمانة والحقيقة أمن وقال بعضهم: لا يصام إلا ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾<sup>(٨)</sup> وقال بعضهم: ﴿الرحمن على العرش﴾<sup>(٩)</sup> وقف والابتداء ﴿استوى﴾<sup>(٩)</sup> ﴿له ما في السموات﴾<sup>(٩)</sup> وقال بعضهم: ما أنا بلبلة مباركة يفرق في كل أمر حكيم<sup>(١٠)</sup>. وقال بعضهم: رسل الله وقال بعضهم: المطيع يسيء الظن بربه والعاصي حسن الظن بربه وقال بعضهم: الطاعة تجر إلى النور والمعصية تجر إلى النار والنور أشد إحراقاً. وقال بعضهم: الأخلاق ربانية والآداب شرعية.

(١) الآية رقم (٧٨) من سورة النحل.

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾.

(٢) الآية رقم (٤٩) من سورة الأعراف.

﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.

(٣) الآية رقم (٩٩) من سورة الحجر.

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾.

(٤) الآية رقم (١٢١) من سورة طه.

﴿وعصى آدم به فغوى﴾.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من المطبوعة (ط).

(٦) ما بين المعقوفين مستدرك على هامش النسخة (خ).

(٧) الآية رقم (٨٥) من سورة ص.

(٨) الآية رقم (١٨٥) من سورة البقرة.

(٩) الآية رقم (٥) من سورة طه.

(١٠) انظر. إنها تذكرنا بقوله تعالى:

﴿حم، والكتاب المين، إننا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم﴾.

وهي الآيات (١، ٢، ٣، ٤) من سورة الدخان.

- وقال بعضهم: العلائق حقائق فمن غاب عنها سعى في قطعها، وقال بعضهم: على قدر ما يقطع العبد من العلائق يفوته من الحقائق.
- وقال بعضهم: المحجوب من اتسعت معارفه والعالي من قلت معارفه.
- وقال بعضهم: هجران الخلائق من سوء الخلائق.
- وقال بعضهم: ليس فوق الصلاح مرتبة وهي مطلب رسل الله من الله وهم<sup>(١)</sup> أعلم الخلق بالله.
- وقال بعضهم: العلم للخلق والحقيقة للحق.
- وقال بعضهم: الأحكام لا تبطل الحكمة والحقيقة لا ترفع الاسم والرسم.
- وقال بعضهم: الأمام الأمام لا تلتفت<sup>(٢)</sup>.
- وقال بعضهم: المريض أكله دواء.
- وقال بعضهم: الجريح<sup>(٣)</sup> كلامه التجاء.
- وقال بعضهم: الصفاء بلا كدر هو الصفاء.
- وقال بعضهم: ليس التكحل في العينين كالكحل.
- وقال بعضهم: الكحل يحتاج إلى العيون لأنه<sup>(٤)</sup> يحب الثناء.
- وقال بعضهم: العيون تحتاج إلى الكحل لأنها تحب الزينة.
- وقال بعضهم: من لم تكن له جهة كان وجهاً كله<sup>(٥)</sup>.
- وقال بعضهم: العلم لا أدري<sup>(٦)</sup>.
- وقال بعضهم: قلة الغذاء غداء.
- وقال بعضهم: من هرب من الخلق إلى الله فما عرف الله.

(١) في (خ) (وهو أعلم). وفي (ط) (وهو أعلم الخلائق).

(٢) في (ط): (الإمام لا يلتفت).

وفي (خ): التكرار للتوكيد اللفظي: أي اتبع الإمام ولا تلتفت، أو الزم الأمام لا تلتفت يمينا ولا شمالاً أما الأولى فهي تخص شخص (الإمام الذي لا يلتفت).

(٣) في ط (الحرح) وليس لها معنى كما ترى والصحيح ما أثبت.

(٤) في (خ): (لا يجب).

(٥) في (ط): (كان وجهاً كلياً) وفي (خ): (من لم تكن جهة).

(٦) هكذا في (خ) وفي (ط): (العلم العلم الإرادي).

- وقال بعضهم: السكون مع الله تهمة.
- وقال بعضهم: الحركة مع الله رحلة.
- وقال بعضهم: الرجل من يقابل الألوهية بالألوهية ويغلب لا من يقابل الألوهية بالعبودية.
- وقرأ بعضهم: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في [وقف]<sup>(١)</sup>.
- وقال بعضهم: لا يكون رباً حقيقة من لم يكن عبداً.
- وقال بعضهم: تجريد التوحيد شرك لأنه ممن تجردت؟
- وقال بعضهم: إخلاص المعاملة للواحد لا تصح
- وقال بعضهم: ترك الحلال محال لأنه لا بد منه.
- وقال بعضهم: ادعاء الهوى الألوهية فمن غلبه فقد أثبت له ما ادعاه.
- وقال بعضهم: منازعة الطباع جهل والحكم من استعمل طبعه.
- وقال بعضهم: من استعمل طبعه وصل إلى الله منزهاً.
- وقال بعضهم: بني الشرع ضد الطبع وأنا أسمع فقلت بني الشرع على الطبع ولهذا قيله.
- وقال بعضهم: من تباعد من الشهوات جهل سرها ومن اتبعها يحتاج إلى ميزان.
- وقال بعضهم: الخائف تعودده رصد<sup>(٢)</sup>.
- وقال بعضهم: ليل الغريم فكره ونهاره ذلة.
- وقال بعضهم: المظلوم حي قيوم.
- وقال بعضهم: المحزون در مكنون سرّ مصون لا يعرفه إلا مثله.
- وقال بعضهم: الكلام (هو) والمنزل (عند) والجملة (على) والطينة (مع) والرؤية [إلى]<sup>(٣)</sup>
- والفرح (بي) والسماع (من) والمعرفة (ل).
- وقال بعضهم: الحرية عبودية كاملة.
- وقال بعضهم: الجوع رجوع.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (خ) وليس من نص الآية، أما الآية فنصها:

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلّ من الغمام...﴾.

وهي الآية رقم (٢١٠) من سورة البقرة.

(٢) في (ط): [الخلف] والعبارة كلها غير واضحة بالقدر الكافي في النسخة (خ).

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

وقال بعضهم: قوته قوته.

وقال بعضهم: العقل سراج يحتاج إلى زيت الشجرة المباركة.

وقال بعضهم: الرجل من ارتحل ولم يتقل.

[ومنهم من قال: العارف، إذا سافر لا يفتقر<sup>(١)</sup>].

وقال بعضهم: سقط القصر في الصلاة عن العارفين إذا سافروا.

وقال بعضهم: سفر الأجسام يضع شطر الصلاة وسفر الأرواح يضع الصلاة لأن الخطاب سفلي.

وقال بعضهم: السرور بالبلاء<sup>(٢)</sup> تليس.

وقال بعضهم: التلذذ بالكلام حجاب وليس بصاحب كلام.

وقال بعضهم: من اشتغل بربه لم يعرفه.

[وقال بعضهم: الصفاء عبادة.

وقال بعضهم: الوفاء معرفة<sup>(٣)</sup>].

وقال بعضهم: الصمت ضآلة.

وقال بعضهم: النعمة حياة.

وقال بعضهم: الإفلاس بضاعة الرجل<sup>(٤)</sup>.

وقال بعضهم: الفتوة ترك الحول والقوة.

وقال بعضهم: ولي الله لا<sup>(٥)</sup>.

وقال بعضهم: الدواء داء.

وقال بعضهم: النظرة إلى المحبوب دواء العليل وهي تسقم القلوب.

وقال بعضهم: من سافر احتاج إلى الزاد قلت له ومن أقام احتاج إلى القوت فأين

تهرب.

(١) الفقرة الكاملة التي بين المعقوفين سقط من (ط).

(٢) في النسخة (ط): (في البلاء).

(٣) الفقرتان ما بين المعقوفين سقطتا من (ط).

(٤) في (ط): (الرجال).

(٥) هكذا في النسختين والتكملة ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

- وقال بعضهم: الإنسان مناعته وساعته نفسه<sup>(١)</sup>.
- وقال بعضهم: من فصل بين الأخلاق السنية والدنية اتسع بحره ففرق.
- وقال بعضهم: ما ثم إلا رفعه مطلقة ما ثم تواضع أصلاً لأن الكل إليه يصير، ومن صار إليه فهو في رفعه.
- وقال بعضهم: ما في الوجود مقابل أصلاً غنى بلا فقر ومن قتل نفسه لشيء فهو لما قتلها.
- وقال بعضهم: غرائب الأمر عند الغرباء.
- وقال بعضهم: التقلل من الدنيا علة والتكثير منها علة.
- وقال بعضهم: الاعتماد على الله يقوي ألوهية الأسباب.
- وقال بعضهم: الرغبة في الطاعات حرص.
- وقال بعضهم: الصبر مقاومة وهو سوء أدب في حق الكامل ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾<sup>(٢)</sup> فتميز اليد عند الأخذ شرك محض في الملك.
- وقال بعضهم: الذكر الخفي خير إلا في موطنه بأهله.
- وقال بعضهم: تحقيق الإخلاص تقوية إبليس.
- وقال بعضهم: الرجل من جعل نفسه سفينة نوح.
- وقال بعضهم: الرجل من كان الروح أباه.
- وقال بعضهم: الرجل ذو نفسٍ واحد.
- وقال بعضهم: الرجل من كانت له رجلان ولم يسع بهما.
- وقال بعضهم: ليس الرجل من يخترق الهوى إنما الرجل من يخرقه الهوى.
- وقال بعضهم: الرجل من سكن، وقرىء على بعضهم في حمام وأنا أسمع ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾<sup>(٣)</sup> فقال: وما له ما تحرك فقلت له: هذه إشارة لا حقيقة فإن الحركة للدعوى

(١) في (ط): (الإنسان ساعته وساعته نفسه).

وفي (خ): (الإنسان مناعته وساعته نفسه) هكذا في النسختين.

والصحيح عندنا (الإنسان بضاعته وسلعته نفسه)، أي: نفسه التي لا بُد أن يُشغل بتهديتها وتعليمها وتدريبها حتى تكون صالحة لمعرفة ما يتحلى به الحق عليها من أنواع التجليات. فإذا انشغل عنها لم تفلح. لأنها ستشغله بسفاسف الأمور، وترك عظيمها ولا بد من تهذيبها المحقق.

(٢) الآية رقم (٨٣) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم (١٣) من سورة الأنعام.

والسكون ما فيه دعوى واعرف المواطن وحقيقتها ما سكن أي: ما ثبت فدخلت الحركة والسكون.

وقال بعضهم: الرجل من لا ينتظر.

وقال بعضهم: الرجل من لا يعرفه<sup>(١)</sup> ما سوى الله.

وقال بعضهم: الرجل من نفذ في كل شيء.

وقال بعضهم: الرجل من اعتدل فعامل الأوقات بحسب ما جاءت به وعامل الموطن بحسب ما يقتضيه.

وقال بعضهم: الرجل من إذا نطق سمعته كل شيء من سوى الثقلين كالميت.

وقال بعضهم: الرجل من إذا سجد سجدة لله لم يرفع رأسه أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال بعضهم: الرجل من أعطي النيابة.

وقال بعضهم: الرجل من يعرف جميع الألسنة ولا يعرف له لسان فيتقيد به.

وقال بعضهم: الرجل من أعطي ما أعطيت الرسل وثبت على اتباعهم ولم يتزلزل.

وقال بعضهم: الرجل معتكف في الحضرة بسره.

وقال بعضهم: الرجل من لا يؤثر فيه فقدان العوائد.

وقال بعضهم: الرجل من استحي أن يأخذ كل شيء ويضيف إلى نفسه كل شيء.

وقال بعضهم: الرجل من قال الله فأعدم كل شيء، فقال له من كان حاضراً: الرجل من قال الله فأوجد كل شيء.

وقال بعضهم: الفتى من فني على الحق.

وقال بعضهم: الرجل من مانع القدر، قلت له: بعد الاطلاع فسكت.

وقال بعضهم: الرجل من عرف قيمة كل شيء موجود عند الله فوفاه قسطه.

وقال بعضهم: الرجل من لا يغتاب لحضور كل شيء.

وقال بعضهم: المشيئة عرش أعلى لا عرش فوقه.

(١) في (ط): (يعرف).

وقال بعضهم: ما في الوجود مختار.

وقال بعضهم: خلع الثقلين حكم لا حقيقة.

وقال بعضهم: إثبات العلل زلل.

وقال بعضهم: القبضتان ميزان.

وقال بعضهم: الإنسان هو المقصود من الوجود.

وقال بعضهم: الإمداد واحد.

وقال بعضهم: النفخة واحدة.

وقال بعضهم: ما ثم محجوب.

وقال بعضهم: لأهل النار حجاب ولأهل الجنة حجاب.

وقال بعضهم: كل مركب محجوب.

وقال بعضهم: الرجل أشرف من الفارس لأن الفارس صاحب مركب وكل صاحب مركب محجوب لأنه محمول.

وقال بعضهم: الفوت غنيمة.

وقال بعضهم: الرجل سماء ظليلة وأرض ذليلة.

وقال بعضهم: الرجل شمس.

وقال بعضهم: الرجل بدر.

وقال بعضهم: الرجل من ظهر عليه ما عُبد له ولو كان جماداً.

وقال بعضهم: الرضى أن تقيم في البلاء<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم: الرجل عاطش أبداً.

وقال بعضهم: الرجل من ينفق.

وقال بعضهم: الرجل من ينفق عليه.

قال المؤلف<sup>(٢)</sup> (رضي الله عنه) جامع هذه الإشارات ما قيدت منها إلا ما سمعته من قائله

(١) في (ط): (الأرض مقام في البلاء).

وفي (خ): (الراضي مقام في البلاء) ثم استدرك على الهامش (الرضى يقيم). وما أثبتناه من عندنا.

(٢) في (ط) في الحاتمة سقط كلمة (المؤلف).

إلّا من ذكرت اسمه والحمد لله وجملتها [مائتان]<sup>(١)</sup> وبضعة وستون كلمة ولا حول ولا قوة  
إلّا بالله العليم العظيم.  
كملت الإشارات بعون الله تعالى وحسن توفيقه<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

(٢) خاتمة (ط) هكذا.

[قال جامع هذه الإشارات: ما قيدت منها إلّا ما سمعته من قائله إلّا ما ذكرت اسمه والحمد لله وجملتها مائتان وبضعة وستون كلمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم].



**كُنْه فِيمَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ**

هبة الكافر وهي نار على الخبيثه ظاهرها نعيم وباطنها حميم وقد نبه على ذلك  
 رسول الله صيا الله عليه ولم حيث قال خنت الجنة بالمكاره وخنت النار بالشهوات  
 وتظهر ذلك الله عز وجل عند خروج الرجال فذكر النبي صيا الله عليه وسلم ان له  
 واديين من نار ومايم فمن قصد النار وجد الماء ومن قصد الماء وجد النار  
 فان قيل وكذلك ايضا كانت تجيب داعي العقل وتسمع من الحق كما ذكر  
 فلما طابت داعي الهوي ومرقت قلنا الجواب عن هذا من وجهين احدهما  
 اننا فرضنا الكلام في اوله على ان الحق تعالى اراد ان يعرف الوجود فودع للسبب  
 الذي ذكرناه فاسمع هذا الهوي واصبر عن داعي العقل ليقع ما اراده سبحانه  
 والوجه الاخر ان النفس بعض الوجود كما كانت هوي بعض ادم فصار من داعي  
 الوجود اصلا من نفس ونادي الهوي اجنبيا عنها فالاصل فاصل وال  
 جنبي غير حاصل فاستاقت ان تعرف ما لم تعرف فاجابته لتري ما لم  
 اجابت هوي ابليس في كل الشجر ومن هنا وقعت بين الهوي والعقل  
 التواميم والحروب والفتن على هذا الملك الانساني وقد يستولي احداهما عليه  
 وقد يوظف منه فيغزله وياسره وربما يقتله فيحق شخص ما هكذا  
 استمرت الحكمة الالهيه حتى الوضو الاكبر وربما يملك احدهما البادية  
 والاخر الحاضرة وقد يملك احدهما الملك كله ظاهرا وباطنا فاما العصاه  
 فان سلطان الهوي مالك باديتهم وسلطان العقل مالك حاضرتهم واما  
 المنافقون فان العقل مالك باديتهم والهي مالك حاضرتهم واما  
 المؤمنون المعصومون والمخفون فالعقل مالكهم باديته وحاضرتهم  
 واما المخفون فالهوي مالكهم باديته وحاضرتهم واما في الدار  
 الاخره وذبح الموت وتميز الرقيان وتقد علم الله الحق العصاه بالمؤمنين  
 المعصومين فحصل لهم النعيم الدائم والحق المناقش بالكاثرين فحصل لهم  
 العذاب اللازم فلم يبق المناقش فلهذا من الله شيئا فان التوحيد اصل والعقل  
 فرع فان اتفق في الفرع شي فحصله وملكه جميع الاصل والعصاه وادام  
 الاصل لم يبين الفرع كالمناقش فهذا الملك الانساني يعرفه في الدنيا

## بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الأكبر والنور الأبهـر والكبريت الأحمر محيي الدين أبو عبد الله محمد بن العربي الحاتمي الطائفي الأندلسي (رضي الله عنه) آمين:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. سألت أيها المرید عن كنه ما لا بد للمرید منه فأجبتك في هذه الأوراق والله الموفق لا رب غيره.

اعلم أيها المرید وفقك الله وإيانا لطاعته، واستعلمنا وإياك بما يرضيه أن القرب من الله لا يُعلم إلا بتعريفه إيانا بذلك. وقد فعل ذلك ولله الحمد والشكر، فأرسل الرسل وأنزل الكتب وأوضح السبل الموصلة إلى السعادة الأبدية فآمناً وصدقنا وما بقي إلا استعمال فيما وقع به الإيمان من الأعمال وتقرر في نفوس المؤمنين من وضع الشرع في محله. ثم يجب عليك أيها المرید توحيد خالقك وتنزيهه وما يجوز عليه سبحانه وتعالى، فأما توحيده فلو ثم إله ثانٍ مع الله لامتنع وقوع الفعل من الإلهين لاختلاف الإرادات وجوداً وتقديراً وفسد النظام وذلك قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾<sup>(١)</sup> ولا تسل يا أخي بمن أشرك ولا تحتاج إلى إقامة دليل على الوحدانية والأحدية، فإن المشرك قد أثبت وجود الحق تعالى معك وزاد عليك بالشريك، فعليه الدليل على ما زاد ويكفيك هذا في التوحيد، فإن الوقت عزيز والعقد سالم والمخالف لا عين له موجودة والحمد لله.

وأما تنزيهه فهو أكد عليك من أجل المشبهة والمجسمة الظاهرين في هذا الزمان فاعقد على قوله: ﴿ليس كمثل شيء﴾<sup>(٢)</sup> وحسبك هذا فكل وصف يناقض هذه الآية مردود، ولا تزدد ولا

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة الأنبياء.

(٢) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

تبرح من هذا الوطن، ولذلك جاء في السنة كان الله ولا شيء معه (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً) وكل آية وحديث يوهم التشبيه مما يعطيه كلام العرب أو كلام من أنزل عليه بشيء من الوحي والتبليغ فيجب عليك الإيمان به على حد ما يعلمه الله تعالى وما أنزله لا على ما يتوهمه، واصرف علم ذلك إلى الله وما ليس بعد كمثله شيء وما ينزله منزله إذ وقد نزه نفسه بنفسه وهو أنزه ما ينبغي له.

ثم بعد ذلك أيها المريد يجب عليك الإيمان بالرسول صلوات الله عليهم وبما جاؤوا به وما خبروا عنه أنه عز وجل أعظم وأجل مما علمت وجهلت، ثم حب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ولا سبيل بتجريحهم البتة ولا الطعن فيهم ولا تفضيل أحد منهم على الآخر وإلا بما فضله ربه في كتابه العزيز أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ويجب عليك تعظيم من عظم الله تعالى ورسوله ثم التسليم لأهل هذه الطريق فيما يحكى عنهم من الحكايات، وكل ما ترى منهم مما لا يسع العقل ولا العلم وحسن الظن بالناس أجمعين وسلامة الصدر والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب وخدمة الفقراء برؤية الفضل لهم في ذلك حيث ارتضوك خديماً لهم وحمل كلفهم وأذاهم وجفاهم والصبر على أذاهم، ومما لا بد منه الصمت إلا عن ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم وإرشاد الضال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين المتهاجرين والتحريض على الصدقة بل على كل خير.

ومما لا بد منه طلب شخص موافق يعينك على ما أنت بصدده وسبيله فإن المؤمن كثير بأخيه، وإياك وصحبة الضد.

ومما لا بد منه شيخ مرشد، والصدق شعار المريد لأنه إذا صدق مع الله تعالى جعل كل شيطان في حقه ملكاً يرشده إلى الخير ويلهمه للخير، فإن الصدق هو الإكسير الأعظم ما وضع على شيء إلا قلب عينه. ومما لا بد منه البحث عن هذه اللقمة فأساس هذا الطريق اللقمة الحلال عليها قام عماد هذا الطريق، ولا تقل على أحد ولا تقبل من أحد، واحترف وتورع في كسبك ونطقك ونظرك وسمعك وفي جميع حركاتك، ولا توسع في ثوب ولا في مسكن ولا في مأكول فإن الحلال قليل لا يحتمل السرف. واعلم أن النفوس إذا زرع الإنسان الشهوة بها عسير قلعها بعد ذلك ليس سعة هذا كله لا بد منه وما لا بد منه قلة الطعام فإن الجوع يورث النشاط في الطاعة ويذهب الكسل وعلبك بتعمير الأوقات في الليل والنهار.

فأما الساعات التي دعاك الشرع إليها إلى الوقوف بين يدي ربك وهي الخمسة أوقات الواجبة عليك وباقي ما بينهما من الأوقات، فإن كنت صاحب حرفة فاجتهد أن تعمل فيها

أياماً مثل البتي بن هارون الرشيد رحمة الله تعالى عليه، ولا تفارق مصلاك بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، ومن بعد صلاة العصر إلى غروبها بذكر وخشوع وخضوع، ولا يفوتك الوقوف مصلياً من الظهر إلى العصر ومن المغرب إلى العشاء الأخيرة بعشرين ركعة، وحافظ على أربع ركعات أول النهار وقبل الظهر وقبل العصر، واجعل وترك ثلاث عشرة ركعة ولا تتم إلا عن غلبة ولا تأكل إلا عن فاقة ولا تلبس إلا عن وقاية من حر أو برد بنية ستر العورة ودفع الأذى القاطع عن عبادة ربك، وإن كنت ممن يعرف يكتب فاجعل على نفسك ورداً من القرآن في المصحف تمسكه في حركك، وتلقي يدك اليسرى تحت المصحف، وتمشي بيدك اليمنى على حروفه وأنت تنظر وترفع صوتك بحيث تسمع نفسك وترتل القرآن، وتسال في السورة التي توجب السؤال فيها وتعتبر في الآية الاعتبار وتعامل في كل آية بما يليق بها وما تدل عليه من تلك الصفات فانظر ما عندك منها وما فقدت من ذلك فاشكره على ما عندك وما فاتك حصله. وإذا قرأت وصف المنافقين والكافرين فانظر هل فيك من تلك الصفات شيء أم لا.

ومما لا بد منه محاسبتك نفسك ومراعاة خواطرك في الأوقات، ثم أشعر الحياء من قلبك من الله تعالى، فإنك إذا استحييت من الله منعت قلبك أن يخطر فيه خاطر يذمه الشرع أو تتحرك بحركة لا يرتضيها الحق. ولقد كان لنا شيخ يقيد حركاته في صحيفة ثم إذا جنته الليل وضعها بين يديه ثم حاسب نفسه على ما فيها وزدت على شيخي بتقييدي خواطري.

ومما لا بد منه مراعاة الخواطر والأوقات بأن تنظر في الوقت الذي أنت فيه وتنظر فيما قال لك الشرع أن تعمل فتعمل فإن كنت في وقت فرض فأده، أو ندب فبادر إليه وإن كنت في وقت مباح فاشغل نفسك بما ندبك الحق إليه من الخير على أنواعه، وإذا شرعت في مشروع يعطي قربة لا تحدث نفسك أن تعيش بعده إلى عمل آخر فاجعل ذلك آخر عمل من الدنيا الذي تلقى به ربك، فإذا فعلت هذا خلصت ومع الخلاص يكون القبول.

ومما لا بد منه الجلوس على طهارة دائماً ومتى أحدثت توضأت، ومتى توضأت صل ركعتين إلا أن يكون وقت كراهة نهيت عن إيقاع الصلاة فيه وهي ثلاثة أوقات عند طلوع الشمس إلى وقت استوائها إلا يوم الجمعة، وبعد العصر إلى غروبها.

ومما لا بد منه البحث عن مكارم الأخلاق وإتيانها تعين منها خلقاً كذلك سوء الأخلاق اجتنابها كلها، واعلم أن من ترك خلقاً كريماً فإنه ذو خلق ذميم يعني تركه، واعلم أن الأخلاق على أصناف كما هم الخلق على أقسام، فينبغي أن تعرف أي خلق تستعمله، والذي يعم أكثر الأصناف إيصال الراحة إليهم ودفع الأذى عنهم لكن في رضا الله تعالى.

واعلم أن الخلق عبيد مسخرون مجبورون في حركاتهم، ونواصيهم بيد محرّكهم والنبي

صلى الله عليه وسلم قد أراحنا في هذا المقام قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup> فكل موضع قال لك الشرع فيه: إن شئت أن تتصرف وإن شئت تركت اختر الترك أو قال لك: إن شئت جازيت، وإن شئت عفوت فاجنح إلى العفو والصفح وأجرك على الله تعالى، وإياك أن تقتص لنفسك ممن أساء إليك فإن الله عز وجل سماها سيئة بالجملة، وإن كانت مما يسوء المقتص منه وكل موضع قال لك الشرع: اغضب فإن لم تغضب فما هو خلق حميد لأن الغضب لله تعالى من مكارم الأخلاق مع الله تعالى وطوبى لمن عامله وصحبه فسمع الله تعالى يقول: ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما لا بد منه مجانية الأضداد ومن ليس من جنسك من غير أن تعتقد فيهم السوء أو يخطر ذلك في خاطر ولكن نية صحة الحق تعالى وأهله وإيثاره عليهم. كذلك فعامل هذه الحيوانات بالشفقة عليهم والرحمة بهم لأنهم ممن سخرهم الله سبحانه لك، فلا تحملهم فوق طاقتهم ولا تركب ما تركب منها بطراً، وبأشر كذلك ملك اليمين من الرقيق لأنهم إخوانك قد ملكك الله نواصبيهم ليرى كيف تتصرف فيهم، فأنت عبداً له سبحانه وتعالى فما تحب أن يفعله معك كذلك بعينه افعَل مع غلمانك وجواريك فإن الله تعالى يجازيك، وما تحب أن يصرفه عنك من القبيح والسوء ذلك بعينه افعله معهم فالكل عيال الله تعالى وأنت من جملة العيال، فإن كان لك ولد فعلمه القرآن لا لغرض من أغراض الدنيا، وألزمه محافظة آداب الشريعة والأخلاق الدينية، واحمله على الرفق والزهد من صغره كي يعتادها، ولا تزرع الشهوات في قلبه وبغض إليه زينة الحياة الدنيا وما يؤول إليها صاحبها من نقص الحظ في الآخرة وما يؤول إليه تاركها من جزيل العطاء في الآخرة، ولا تعمل ذلك شحاً على درهمك ومالك.

ومما لا بد منه أن تقترب من أبواب السلطان ولا تصاحب المتنافسين في الدنيا فإنهم يأخذون بقلبك عن الله تعالى، فإن اضطرك أمر إلى صحبتهم فعاملهم بالنصيحة ولا تغشهم فإنك تعامل الحق سبحانه وتعالى، ومهما فعلت وسخروا لك في عموم أحوالك فتوجه إلى الله تعالى في تخليصك مما أنت فيه بما هو أحسن لك في دينك، ومما لا بد منه الحضور مع الله تعالى في جميع حركاتك وسكناتك وأوصيك بالإنفاق في السراء والضراء والشدة والرخاء فإن ذلك دليل على ثقة القلب بما عند الله تعالى، فإن البخيل جبان يأتيه الشيطان فيمد أمله ويطيل

(١) رواه مالك في الموطأ بلاغاً عن النبي (ص) وقال ابن عبد البر: هو متصل.

انظر مسند الشهاب ج ٢ ص ١٩٢ حديث ١١٦٥ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٦ ص ٢٥٤ وكشف الخفاء ج ١ ص ٢٤٤ حديث ٦٣٨.

(٢) الآية رقم (٤) من سورة القلم.

كُنْه فيما لا بُدَّ للمريد منه

عمره ويقول له: إن أنفقت مالك هلكت وبقيت مثله بين أقرانك وأصحابك بلا شيء فأمسك عليك واستعد إلى نوائب الزمان ولا تتغر بهذا الرخاء الذي أنت فيه فما تدري ما يحدث الله في العام القابل، وإن كانت أوقات شدة وضراء فيقول لك: أمسك عليك أحداً شيئاً فإنك لا تدري متى تنقضي هذه الشدة ولعل هذا الأمر لا يزداد إلا صعوبة واحفظ على نفسك فما أحد ينفعك إذا لم يبق معك شيء وتتأخر وتتقل على الخلق وتذهب ماء وجهك، فإذا استمرت هذه الوسوسة على قلب هذا المسكين أدته إلى الشح والبخل وحالت بينه وبين قوله تعالى: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه﴾<sup>(١)</sup>.

وعندنا في هذا الطريق إذا التحق رجل بأهل الله تعالى ثم يبخل فإنه يستبدل مكانه وينزل عن ذلك المقام من قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾<sup>(٢)</sup> وحال بينه وبين قوله تعالى: ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾<sup>(٣)</sup> فضيعوا فقراءهم فماتوا جوعاً وحالت بينه وبين حال النبي (صلى الله عليه وسلم): «أنفق يا بلال ولا تخشى من ذي العرش إقلالا»<sup>(٤)</sup> وبينه وبين قوله: «إن لله ملكين في كل يوم ينادي عند الصباح: اللهم أعط كل منفق خلفاً واعط كل ممسك تلفاً»<sup>(٥)</sup>.

وحالت بينه وبين حال النبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى الكنزين فاختر تركهما على إحداهما وبين حال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بجمع ماله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك يا أبي بكر»<sup>(٦)</sup> قال الله ورسوله: «.

وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله فقال: «ما أبقيت لأهلك» قال النصف وتصدقت بالنصف قال «ما بينهما كما بين كلمتكما»<sup>(٦)</sup> فالإنفاق سبب لاستجلاب الرزق من الرزاق في الدنيا والآخرة.

فكل من أمسك فهو لله تعالى منهم وعلى درهمه معتمد وكانت ثقته بدرهمه أعظم من ثقته بربه وهذا طعن بإيمانه ونسأل الله تعالى العافية. وعليك بالإنفاق في الشدة ولا تخف

(١) الآية رقم (٣٨) من سورة محمد.

(٢) الآية رقم (٣٩) من سورة سبأ.

(٣) الآية رقم (٨٨) من سورة يونس.

(٤) انظر مكارم الأخلاق ص ١٨.

(٥) انظر السنة لابن أبي عاصم ج ٢ ص ٦٤٦.

(٦) أخرجه أبو داود والترمذي عن عمر (رض) قال الترمذي حسن صحيح.

انظر البيان والتعريف ج ٢ ص ٦٤٦.

الفقر، فليس الرجل إلا كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من قال بجاله هكذا وهكذا يميناً وشمالاً» والله تعالى موفٍ ما وعدك شئت أم أبيت أشاء العالم أم أبيت فما هلك سخي قط ولولا قصدي الاختصار لسقنا من الأخبار ما يتد به ما ذكرنا.



## فصل

وعليك بكظم الغيظ فإنه دليل على سعة الصدر فإنك إذا كظمت غيظك أرضيت الرحمن وأسخطت الشيطان، وقمعت نفسك وردعتها حيث لم تنتصر لها، وأدخلت السرور على قلب من كظمت غيظك عنه ولم تجازه بفعله وكان ذلك سبباً في رجوعه إلى الحق وإنصافه وإقراره بالجفاء عليك والتعدي وربما كان ندم على ما وقع منه.

فعليك بمواقع القبول فتخلق بذلك. ثم الفائدة الكبرى والفضيلة العظمى أنك إذا كظمت عمن فعل ذلك الغضب جازاك الله تعالى على فعلك فأبي فائدة أتم من عفوك عن أخيك وتحمل أذاه وكظم غيظك وما أراد الحق أن تفعله مع عبد فقد أراد أن يفعله معك بعينه فاجتهد في هذه الصفات فإنها تورث المودة في قلوب الناس فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد أمرنا بالتودد والتحابب وهذا من أعلى أسباب تؤدي إلى المحبة.

## فصل

وعليك بالإحسان فهو دليل على الحياء له تعالى وعلى تعظيم الله تعالى في قلب المحسن.

قال جبريل: ما الإحسان قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»<sup>(١)</sup>. قال عليه السلام: «إن الحياء من الإيمان والحياء خير كله»<sup>(٢)</sup> فمن المحال أن يكون عند المؤمن شر انتهى.

(١) انظر تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٦٦ وج ١٣ ص ٣١٥.

(٢) أخرجه الشيخان والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه وذكره الحافظ السيوطي في الأحاديث المتواترة. انظر البيان والتعريف ج ١ ص ١٩٥.

## فصل

وعليك بلزوم الذكر والاستغفار إن كان عقيب ذنب محاه وأزاله وإن كان عقيب طاعة وإحسان فنور على نور وسرور على سرور فإن الذكر أجمع لله وأصفى للخاطر فإن سئمت فانتقل إلى تلاوة كتاب الله مرتلاً بتدبير وتفكير وتعظيم وتنزيه وسؤال عند آية السؤال وخوف وتضرع عند آية خوف ووعيد واعتبار فإن القرآن لا يُسَمِّ قارئه لاختلاف المعاني فيه.

## فصل

وعليك بحل عقد الإصرار من قلبك ولا تطيق ذلك إلا أن تقول لنفسك في النفس الخارج هل تدرين يا نفس أن النفس الآخر آتية أم لا فلفل والله تعالى أعلم ربما تموتين في هذا النفس فإنه آخر أنفاسك في الدنيا وأنت مصرة على السوء عند الله تعالى للمصرين على الذنوب من العذاب ما لا تطيقه الجبال الشوامخ كيف بضعيفة مثلك فتوبي إلى الله تعالى فإنك لا تدرين متى يفاجأك الموت فإن الله تعالى يقول: ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾<sup>(١)</sup>.

وقال سيد الخلق رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»<sup>(٢)</sup>. وكم من شخص فاجأه الموت وهو يأكل ويشرب وينكح وهو نائم تخرج روحه فلا يستيقظ وعظ نفسك بمثل هذا فإنه متى كان منك مثل هذا وكثر انحلت عقد الإصرار.

## فصل

وعليك بتقوى الله في السر والعلانية ومعنى التقوى وهو الحذر من عقابه فإنه من خاف من عقابه بادر إلى الفعل الذي يرضى الله تعالى والله تعالى يقول: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾<sup>(٤)</sup> فالتقوى مشتق من الوقاية، فاتق الله من فعل الله كما قال: أعود بك منك فكل شيء تخافه وتخشاه فاجتنب الطريق الموصلة إليه فإن المعصية طريق موصلة إلى الشقاوة والطاعة طريق موصلة إلى السعادة.

## فصل

وإياك والاعتزاز فهو أن تخذعك نفسك لكرم الله تعالى وحلمه مع استمرارك على معصيته

(١) الآية رقم (١٨) من سورة النساء.

(٢) رواه القطب الراوندي في دعواته عن النبي (ص) انظر المستدرک ج ٢ ص ١٣٣ حديث ١٦٢١.

(٣) الآية رقم (٢٨) من سورة آل عمران، و(٣٠) من السورة نفسها.

(٤) الآية رقم (٢٣٥) من سورة البقرة.

كُنْهَ فِيمَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ

ويخدعك إبليس لعنة الله عليه بأن يقول لك لولا ذنبك ومخالفتك من أين يظهر كرمه ورحمته وعفوه ومغفرته، وهذا غاية الجهل من قائله فإن كرمه ورحمته استعين على طاعته وحال بيني وبين معصيته ومخالفته ويقول لك: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾<sup>(١)</sup> فإن الرحمة سبقت لهم من الله تعالى في الدنيا والآخرة فلا يغرك هذا الكلام فقل له أما كرمه ورحمته وما ذكرت منه كان صحيح أنه لولا المخالفة والذنوب لما ظهرت آثار هذه الصفات على زعمك، والآثار والأخبار فيها صحيحة لكن يا ملعون تريد أن تغرني بكرم الله تعالى، ومن أين أعلم أنني ممن عفى عنه أو يغفر له نعم يلحق كرمه ورحمته ومغفرته وعفوه بمن شاء من عباده كما يلحق عقوبته ونقمته بمن شاء من عصاته وأنا لا أدري من أي الفريقين أنا عنده فعلى هذا ولعل الله تعالى كما حرمني التوبة من المعصية هنا يحرمني عفوه قبل دخولي النار فينتقم مني، ألا وإن الذنب يزيد الكفر فلو علمت قطعاً أنني ممن يعفى عنه قطعاً ولا يؤخذ بذنب ربما اغتررت بكلامك وذلك حُقم مني وجهل، بل كان الواجب أن أبذل جهدي في طاعة الله شكراً لله تعالى وحياءً منه فإنه أولى من أن استحي منه كيف وما بشرني على التعيين ولا أمني بل تركني مهملاً في معصيتي بين عفوه وعذابه كيف أغتر بزورك وبزور نفسي الأمانة بالسوء.

## فصل

وعليك بالورع وهو اجتناب جاءك في صدرك قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «دع ما يريك إلى ما لا يريك»<sup>(٢)</sup> ولو لم تجد غيره وأنت محتاج إليه واتركه لله يعوضك الله خيراً منه ولا تستعجل فالورع أساس الدين، فإذا استعملته زكت أفعالك ونجحت أحوالك وكملت أقوالك وسارعت إليك الكرامات وكنت محفوظاً في جميع أمورك حفظاً إلهياً لا شك فيه الله يا أخي الورع الورع.

## فصل

وعليك بالزهد في الدنيا وقلة الرغبة فيها بل اعدمها من قلبك جملة واحدة وإن كنت لا بد لها طالباً فاقصر على طلب القوت منها من وجهه فلا تنافس أبنائها فإنها عرض لا يبقى ولا ينال الراغب منها مراده أبداً والله تعالى لا يعطيه إلا ما قسم له والراغب فيها لا يزال كثير الحزن عليها ممقوتاً عند الله تعالى فإن مثل الطالب لها كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً، وحسبك من تشبه النبي صلى الله عليه وسلم بالجيفة والمزبلة وهل يجتمع على الجيفة والمزبلة إلا الكلاب.

(١) الآية رقم (٩١) من سورة التوبة.

(٢) انظر مسند الشهاب ج ١ ص ٣٧٤ حديث ٦٤٥.

قال الله تعالى: «يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وجاءك رزقك وأنت محمود وإن لم ترض بما قسمت لك أتعبت قلبك وبدنك حتى تركض وراءها ركض الوحش في البرية ثم وعزتي وجلالي لا ينالك منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم».

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾<sup>(١)</sup> وهي رجوعهم إلى أموالهم بالنظر فيها ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾<sup>(١)</sup>.

والحمد لله رب العالمين

تمت بحمد الله وحسن عونه.

---

(١) الآية رقم (١٩٥) من سورة البقرة.

رسالة ابن عربي  
إلى الفخر الرازي





وهو من غنى تلك العنت الى علم ما في مقسم طموس من جوارى فكر المحرم طعمه في عيسى  
 من حيث لا يكون ولا خبره من ان اخذ من طريق الوجب كفضائلهم الممل طموس من طموس  
 المحرم لا يتعد ذلك الحد لم يندتها فاحتاج اليه في علم الساحة فذا انتنت ترت  
 في علمه تحت التمس بلوجه من غنى ثم كذلك الشتم لا يكاد علم زكاة الفرض عند  
 لتغلبها الى علم الاخرة فيبقى معارفه لا يخذلها العنت لتعاجله ودية اليه ويجتهد  
 في تحصيل ما يتصل به حيث استوعب في ذلك عما ان ختمه العلم به من ان  
 والعلم به بطريق اخر به لا يتقن تملها ما حتى في في كشيته في منزلة لا يكر شيئا  
 لصلواته في العلم به من ان ذلك هو من القية اليه بطريق مترجم من تعظم  
 القاطن ويحكمه في الاصل في هذا القاء في ميمر من الطائفة التي قامت عند ما تبار  
 لها ربه فيمن يلهو منك نشد ريلها عن من تطرون حتى ما يتاربا على الجاهم في الصوت  
 في عن قوة فيها لتروا بها من اعظمها حرم فيمنه للعلو الكشف عن مدين العلم  
 بطريق الرياضه والجهاد في الغلوة على الطريقه المشرحة وثلث ايدان افكر لتفكر في شرحها  
 وما تجل في هذا الى ترتيب شيئا بعد شيئا في ذلك واهل الوقت على الصوم الذي  
 تقارروا عليه ووقت يوم الغضب وحب الظهور والرياسة من الازمان التي في التوجه  
 نهان لم يكن الايمان سمعته في ارساله الهدى الى الكفية في القوم من ريب العلي  
 صبر اليه في سنة استغفيل حبيب الله الى الكف  
 والاولى لسلامة النفس من هذه الازمان في التوجه الى الله

في العلم  
 من جوارى فكر المحرم  
 طعمه في عيسى



## نسخة المخطوط

---

- اعتمدت في تحقيقي على هذه الرسالة على نسخة مكتبة (ولي الدين) تحت رقم (١٨٢٦) مقاس ٢١ × ١٦ سم في ٣ ورقات.
- وقد حصلت على صورة ورقية منها عن طريق معهد المخطوطات العربية تحت رقم (١٦٦ تصوف). وهذه النسخة مواصفاتها كالتالي:
- كتبت سنة ٨٢٣هـ.
  - كتبت بخط نسخ جميل واضح إلا أن التصوير به اهتزاز فشكّل صعوبة أثناء القراءة تم تجاوزها بالمقابلة.
  - مسطرتها ٢١ سطراً.
  - عدد الكلمات (١٥ - ١٧) كلمة في السطر الواحد.
  - متسقة النهايات والبدايات.
  - عليها مقابلة على نسخة أخرى.



## هذا نص رسالة الإمام محيي الدين بن عربي إلى الإمام الفخر الرازي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم<sup>(١)</sup>.  
هذه الرسالة كتبها الشيخ الإمام أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن العربي (رضي الله عنه) إلى الإمام المتبحر فخر الملة والدين محمد بن عمر الخطيب الرازي سقى الله ثراه. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى وليي في الله تعالى فخر الدين محمد أعلى الله همته وأفاض عليه رحمته وبركاته<sup>(٢)</sup>.  
أما بعد: فَإِنَّا نَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ):  
«إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَعْلَمْهُ إِيَّاهُ»<sup>(٣)</sup> وَأَنَا أَحْبَبْتُكَ.  
ويقول الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٤)</sup> وقد وقفت على بعض توأيفك<sup>(٥)</sup> وما أيّدك الله

(١) سقطت من المطبوعة.

(٢) بداية الرسالة في النسخ المطبوعة كالتالي:

[هذه رسالة الشيخ الإمام الراسخ المفرد المحقق كاشف الحقيقة محيي الملة والدين أبي عبد الله محمد بن علي العربي الطائفي الأندلسي المغربي، قدّس الله روحه، إلى الإمام العلامة النحرير المتبحر، فخر الملة والدين محمد بن عمر الخطيب الرازي سقى الله ثراه، وجعل الجنة مثواه، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى وليي في الله تعالى فخر الدين محمد أعلى الله همته، وأفاض عليه رحمته وبركاته].

(٣) حديث: (إذا أحب أحدكم أخاه...).

أورده الإمام السيوطي وقال:

رواه أحمد بن حنبل في مسنده، والبخاري في الأدب. والإمام الترمذي في سننه، وابن حبان أيضاً عن أنس، والبخاري أيضاً عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم.

انظر جامع الأحاديث ١٨٧/١ الحديث رقم (٨٨١) وله روايات أخرى انظرها في جامع الأحاديث.

(٤) الآية رقم (٣) من سورة العصر.

(٥) أي: مؤلفاتك المشهورة.

به من القوة المتخيلة وما تتخيَّله من الفكر الجيد<sup>(١)</sup> ومتى ما تغذَّت النفس كسب يديها فإنها لا تجد حلاوة الجود والوهب<sup>(٢)</sup> وتكون ممن أكل من تحته، والرجل<sup>(٣)</sup> من أكل من فوقه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وليعلم وليي وفقه الله تعالى أنَّ الوراثة الكاملة هي التي تكون من كل الوجوه لا من بعضها، «والعلماء ورثة الأنبياء»<sup>(٥)</sup> فينبغي للعاقل أن يجتهد لأن يكون وارثاً من جميع الوجوه، ولا يكون ناقص الهمة<sup>(٦)</sup>.

وقد علم وليي، وفقه الله تعالى، أنَّ حُسن اللطيفة الإنسانية إنما يكون بما تحمله من المعارف الإلهية، وقبحها بصد ذلك، وينبغي للعالي الهمة أن لا يقطع عمله في المحدثات<sup>(٧)</sup> وتفاصيلها، فيفوته حظُّه من ربِّه وينبغي له أيضاً أن يسرح نفسه من سلطان فكره، فإنَّ الفكر يُعلم مأخذه، والحق المطلوب ليس ذلك، وإن العلم بالله خلاف العلم بوجود الله.

فالعقول تعرف الله من حيث كونه موجوداً، ومن حيث السلب لا من حيث الإثبات، وهذا خلاف الجماعة من العقلاء والمتكلمين إلا سيدنا أبا حامد<sup>(٨)</sup> قدس الله روحه فإنه معنا في هذه

(١) شهادة ابن عربي على طريقة الإمام فخر الدين الرازي بجودة التفكير، ومع ذلك فلا يزال المرء يطلب الأفضل عند الله، وينبغي له ألا يكف عن طلب الأفضل.

(٢) وهذه عبارة غاية في الخطورة والأهمية لإعادة النظر مرة أخرى لفهم الفرق بين العلم الروحي، والعلم الكسبي، فالعلم الذي يؤخذ من الفكر لا بد وأن يعاد فيه النظر كثيراً جداً بخلاف ما يأتيك من الوهب الإلهي.

وهو الفرق الذي سماه ابن عربي بين من أكل من تحته وأكل من فوقه. ستوضح هذه العبارة أكثر أثناء متابعتك لقراءة الرسالة.

(٣) أي: الرجل كل الرجل.

(٤) الآية رقم (٦٦) من سورة المائدة.

(٥) حديث: (العلماء ورثة الأنبياء).

رواه الإمام البخاري في العلم (١٠)، والإمام أبو داود في العلم (١)، وابن ماجه في المقدمة (١٧)، والدارمي في المقدمة (٣٢)، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ١٦٢/٥.

انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث (مادة: علم).

وهامش (منارات الساترين) لأبي بكر الرازي بتحقيقنا الحديث رقم (١٢٠).

وقال العجلوني، رواه أحمد والأربعة، وآخرون عند أبي الدرداء مرفوعان بزيادة (إن الأنبياء..) وصححه ابن حبان، والحاكم وغيرها، وحسنه حمزة الكتاني، وضعفه غيرهم لاضطراب سنده لكن له شواهد.. انظر تفاصيل ذلك في كشف الحفاء ٦٤/٢ حديث رقم (١٧٤٥)، وانظر الحديث رقم (١٧٥١).

(٦) يقصد ابن عربي هنا بهمة السير إلى الله حتى يورثه.

(٧) كُلُّ ما في الدنيا وشؤونها يُتعدُّ من المحدثات.

(٨) أبو حامد هو: هو الإمام الغزالي وسوف تجد له ترجمة داخل هذا المجلد.

القضية ويجل<sup>(١)</sup> الله سبحانه وتعالى أن يعرفه العقل بفكره ونظره فينبغي للعاقل أن يُخلي قلبه عن الفكر<sup>(٢)</sup> إذا أراد معرفة الله تعالى من حيث المشاهدة. وينبغي للعالي الهمة أن لا يكون تَلْقِيَه عند هذا من عالم الخيال وهي الأنوار المتجسدة الدالة على معان وراءها، فإنَّ الخيال ينزل المعاني العقلية في القوالب الحسية؛ كالعلم في صورة اللبن، والقرآن في صورة الحبل، والدين في صورة القيد.

وينبغي للعالي الهمة أن لا يكون معلمه وشاهده مؤثماً متعلقاً بالأخذ من النفس الكلية، كما ينبغي له أن لا يتعلق بالأخذ من فقير أصلاً، وكل ما لا كمال له إلاّ بغيره فهو فقير فهذا حال كل ما سوى الله تعالى.

فارفع الهمة في أن لا تأخذ علماً إلاّ من الله تعالى على الكشف، فإن عند المحققين أن لا فاعل إلاّ الله، فإذا لا يأخذون إلاّ عن الله لكن عقداً لا كشفاً، وما فاز أهل الله إلاّ بالوصول إلى عين اليقين أنفةً من بقاء مع علم اليقين.

واعلم أن أهل الأفكار إذا بلغوا فيها الغاية القصوى أذاهم فكرهم إلى حال المقلد المصمم، فإن الأمر أعظم من أن يقف فيه الفكر، فما دام الفكر موجوداً فمن المحال أن يطمئن ويسكن فللعقول حد تقف عنده من حيث قوتها في التصرف الفكري، ولها صفة القبول لما يهبه الله تعالى، فإذا ينبغي للعاقل أن يتعرض لنفحات الجود، ولا يبقى مأسوراً في قيد نظره وكسبه، فإنه على شبهة من ذلك ولقد أخبرني من أثق به من إخوانك ومن له فيك نية حسنة جميلة أنه رآك وقد بكيت يوماً فسألك هو ومن حضر عن بكائك قلت مسألة اعتقدتها منذ ثلاثين سنة تبين في الساعة بدليل لاح لي أن الأمر على خلاف ما كان عندي فبكيت وقلت: ولعل الذي لاح أيضاً يكون مثل الأول، فهذا قولك ومن المحال على العارف بمرتبة العقل والفكر أن يسكن أو يستريح، ولا سيما في معرفة الله تعالى، ومن المحال أن يعرف ماهيته بطريق النظر، فما لك يا أخي تبقى في هذه الورطة، ولا تدخل طريق الرياضات والمجاهدات والخلوات التي شرعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتنال ما نال من قال فيه سبحانه وتعالى: ﴿عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(٣)</sup> ومثلك من يتعرض لهذه الخطئة الشريفة والمرتبة العظيمة الرفيعة.

(١) أي: الله سبحانه وتعالى أعظم وأكبر من أن يعرفه العقل ومعنى يعرفه تختلف عن معنى يعرف أنه موجود، سبحانه وتعالى.

(٢) فيمحو بذكره سبحانه وتعالى، كل صور الأكوان حتى لا يكون في قلبه شيء غير الله.

(٣) الآية رقم (٦٥) من سورة الكهف.

والمقصود به في الآية سيدنا الخضر (عليه السلام).

وليعلم وليي وفقه الله تعالى أن كل موجود عند سبب، ذلك السبب محدث مثله، فإن له وجهين وجه ينظر به إلى سببه، ووجه ينظر به إلى موجده، وهو الله تعالى. فالناس كلهم ناظرون إلى وجوه أسبابهم والحكماء والفلاسفة كلهم وغيرهم إلا المحققين من أهل الله تعالى كالأنبياء والأولياء والملائكة، عليهم السلام، فإنهم مع معرفتهم بالسبب ناظرون من الوجه الآخر إلى موجدهم.

ومنهم من نظر إلى ربه من وجه سببه لا من وجهه، فقال: حدثني قلبي عن ربي. وقال الآخر، وهو الكامل: حدثني ربي. وإليه يشير صاحبنا العارف بقوله: أخذتم علمكم عن الرسوم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت. ومن كان وجوده مستفاداً من غيره فحكمه عندنا حكم لا شيء فليس للعارف معول غير الله ألبتة.

ثم ليعلم وليي أن الحق وإن كان واحداً فإن له إلينا وجوهاً كثيرة مختلفة فاحذر عن الموارد الإلهيات وتجلياتها من هذا الفصل، فليس الحق من كونه رباً عندك حكمه كحكيه من كونه مهمناً، ولا حكمه من كونه رحيماً كحكمه من كونه منتقماً، وكذلك جميع الأسماء.

واعلم أن الوجه الإلهي الذي هو الله تعالى اسم لجميع الأسماء مثل الرب والقدير والشكور، وجميعها كالذات الجامعة لما فيها من الصفات. فاسم الله مستغرق جميع الأسماء فنحفظ عند المشاهدة منه فإنك لا تشاهده مطلقاً فإذا ناجاك به وهو الجامع فانظر ما يناجيك به وانظر المقام الذي تقتضيه تلك المناجاة أو تلك المشاهدة وانظر أي اسم من الأسماء الإلهية ينظر إليه فذلك الاسم هو الذي يخاطبك أو شاهدت فهو المعبر عنه بالتحول في الصورة كالغريق إذا قال يا الله فمعناه «يا غياث» أو يا منجي أو يا منقذ. وصاحب الألم إذا قال يا الله فمعناه يا شافي أو يا معافي وما أشبه ذلك وقولي لك التحول في الصورة.

ما ذكره مسلم في صحيحه «إن الباري تعالى يتجلى فينكر، ويتعوذ منه فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها فيقرون بعد الإنكار»<sup>(١)</sup> وهذا هو معنى المشاهدة ها هنا والمناجاة والمحاطبات الربانية.

(١) حديث: (إن الباري تعالى يتجلى فينكر، ويتعوذ منه...)، وانظر رواية الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. الحديث أورده صاحب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزيدي ٨٣/٢ باب الأذان ١٢٩ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث مادة (عرف) ١٩٠/٤.

رواه البخاري في الأذان ١٢٩، والرقاق ٥٢، والتوحيد ٣٤، والإمام مسلم في الإيمان ٢٩٩، والإمام أحمد بن حنبل ٣/٥٢٤.

وينبغي للعاقل أن لا يطلب من العلوم إلا ما يكمل فيه ذاته، وينتقل معه حيث انتقل، وليس ذلك إلا العلم بالله تعالى من حيث الوهب والمشاهدة فإن علمك بالطب مثلاً إنما تحتاج إليه في عالم الأقسام والأمراض فإذا انتقلت إلى عالم ما فيه مرض ولا سقم من يتداوى بذلك العلم؟ فالعاقل لا يسعى من حيث إنه يكون له خبره وإن أخذه من طريق الوهب كطب الأنبياء فلا يقف معه وليطلب العلم بالله.

وكذلك العلم بالهندسة إنما تحتاج إليه في عالم المساحة فإذا انتقلت تركته في عالمه ومضت النفس ساذجة، وليس عندها شيء، وكذلك الاشتغال بكل علم تركته النفس عند انتقالها إلى عالم الآخرة، فينبغي للعاقل أن لا يأخذ منه إلا ما مست الحاجة الضرورية إليه وليجتهد في تحصيل ما ينتقل معه حيث ينتقل وليس ذلك إلا لعلمان خاصة العلم بالله تعالى، والعلم بمواطن الآخرة وما تقتضيه مقاماتها حتى يمشي فيها كمشيه في منزله فلا ينكر شيئاً أصلاً، فإنه من أهل العرفان لا من أهل النكران، وتلك المواطن مواطن التمييز لا مواطن الامتزاج التي تعطي الغلط، ويخلص إذا حصل في هذا المقام أن يتميز من حزب الطائفة التي قالت عندما تجلى لها ربها نعوذ بالله منك لست ربنا. ها نحن منتظرون حتى يأتي ربنا فلما جاءهم في الصورة التي عرفوه فيها أقرؤا فما أعظمها من حيرة فينبغي للعاقل الكشف عن هذين العلمين بطريق الرياضة والمجاهدة والخلوة على الطريقة المشروطة وكنت أريد أن أذكر الخلوة وشروطها وما يتجلى فيها على الترتيب شيئاً بعد شيء لكن منعتني من ذلك الوقت، وأعني بالوقت علماء السوء الذين أنكروا ما جهلوا، وقيدهم التعصب وحب الظهور والرياسة عن الإذعان للحق والتسليم له إن لم يكن الإيمان به<sup>(١)</sup>.

وهذا تمام الرسالة والله ولي الكفاية والحمد لله رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

وصلى الله على سيدنا وشفيعنا وحبينا وأحب إلينا من أولادنا وأموالنا وأنفسنا محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).

(١) لفظ (به) سقط من النسخة المطبوعة وخاتمة الرسالة.

(٢) هذه نهاية الرسالة المخطوطة التي اعتمدنا عليها في نسختنا هذه.

أما خاتمة الرسالة المطبوعة فجاءت كالتالي:

[وهذا آخر الرسالة والله ولي الكفاية، والحمد له أولاً وآخرأً وباطناً وظاهراً، والصلاة على نبيه شاكراً وذاكراً].

ثم زيد على ذلك في المطبوعة جملة من الفصول والإشارات بلغت إلى ثماني صفحات في المطبوعة وهو عدد من الصفحات به إشارات مكررة من رسائل ابن عربي وبعضها للحلاج أيضاً. خشيت أن أضيفها بالهامش هنا فيشعر القارىء بالإرهاق والزيادة وربما لم تكن مطلوبة في موضعها هذا.

انظر الرسالة رقم (١٥) من طبعة حيدر اباد الدكن ط (١) طبع دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تحقيق.





## رسالة الجلال والجمال



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وَبِهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ

---

الحمد لله العظيم جلاله لظهور جماله القريب في دنوه الرقيب في سموه ذي العزة والسناء والعظمة والكبرياء، الذي جلت ذاته أن تشبه الذوات وتعالى عن الحركات والسكنات والحيرة والالتفات وعن درك الإشارات والعبارات، كما جلت عن التكييف والحدود وعن النزول بالحركة والصعود وعن الاستواء المماس للمستوى عليه والقيود وعن الهولة لطلب المقصود وعن التبشيش المعهود للقاء المفقود إذا صح منه المقصود، كما جلت أن تفصل أو تحمل أو يقوم بها ملل أو تتغير باختلاف الملل أو تلتذ أو تتألم بالعمل أو توصف بغير الأزل كما جلت عن التحيز والانقسام، أو يجوز عليها ما تتصف به الأجسام أو تحيط بكنه حقيقتها الإفهام أو تكون كما تكيفها الأوهام أو تدرك على ما هي عليه من اليقظة أو المنام، أو تنقيد بالأماكن والأيام أو يكون استمرار وجودها بمرور الشهور عليها والأعوام، أو يكون لها الفوق والتحت أو اليمين أو الشمال أو الخلف أو الأمام أو تضبط جلالها النهي أو الأحلام كما جلت أن تدركها العقول بأفكارها أو أرباب المكاشفات بأذكارها أو حقائق العارفين بأسرارها والوجوه بأبصارها على ما يعطيه جلال مقدارها لأنها جلت عن القصر خلف حجبتها وأستارها، فهي لا تدرك في غير أنوارها كما جلت أن تكون على صورة الإنسان أو تفقد من وجود الأعيان أو ترجع إليها حالة لم تكن عليها من خلقها الأكوان، أو تكون في تقييد ظرفية السوداء الخرساء وإن ثبت لها بها الإيمان أو تحيز بكونها تجلى في العيان أو ينطلق عليها الماضي أو المستقبل أو الآن كما جلت أن تقوم بها الحواس، أو يقوم بها الشك والالتباس أو تدرك بالمثل أو القياس أو تنوع كالأجناس أو يوجد للعالم طلباً للإيناس، أو تكون ثالث ثلاثة للجلال كما جلت عن الصاحبة والولد أو يكون لها كفوّاً أحد.

ويسبق وجودها عدم أو تصف بجارحة اليد أو الذراع والقدم، أو يكون معها غيرها في

القدم كما جلت عن الضحك والفرح المعهودين بتوبة العباد، وعن الغضب والتعجب المعتاد، وعن التحول في الصور كما يكون في البشر، فسبحانه من عزيز في كبريائه وعظيم في بهائه ﴿ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير﴾<sup>(١)</sup>.

أما بعد، فإن الجلال والجمال مما اعتنى بهما المحققون العالمون بالله من أهل التصوف، وكل واحد نطق بما يرجع إلى حالة وإن أكثرهم جعلوا الإنس بالجمال مربوطاً والهيبة بالجلال مربوطة، وليس الأمر كما قالوه وهو أيضاً كما قالوه بوجه ما، وذلك أن الجلال والجمال وصفان لله تعالى، والهيبة والإنس وصفان للإنسان، فإذا شاهدت حقائق العارفين الجلال هابت وانقبضت، وإذا شاهدت الجمال أنست وانبسطت فجعلوا الجلال للقهر والجمال للرحمة وحكموا في ذلك بما وجدوه في أنفسهم وأريد إن شاء الله أن أبين عن هاتين الحقيقتين على قدر ما يساعدني الله به في العبارة.

فأقول أولاً: إن الجلال لله معنى يرجع منه إليه وهو الذي منعنا من المعرفة به تعالى، والجمال معنى يرجع منه إلينا، وهو الذي أعطانا هذه المعرفة التي عندنا به والتنزلات والمشاهدات والأحوال، وله فينا أمران الهيبة والإنس وذلك لأن لهذا الجمال علواً ودنواً فالعلو نسميه جلال الجمال وفيه يتكلم العارفون، وهو الذي يتجلى لهم ويتخيّلون أنهم يتكلمون في الجلال الأول الذي ذكرناه وهذا جلال الجمال قد اقترن معه من الإنس والجمال الذي هو الدنو، قد اقترنت معه من الهيبة، فإذا تجلّى لنا جلال الجمال أنسنا ولولا ذلك لهلكنا، فإن الجلال والهيبة لا يبقى لسلطانهما شيء، فيقابل ذلك الجلال منه بالإنس منا لتكون في المشاهدة على الاعتدال حتى نعقل ما نرى ولا نذهل. وإذا تجلّى لنا الجمال هنا فإن الجمال مباسطة الحق لنا والجلال عزته عنا فنقابل بسطه معنا في جماله بالهيبة، فإن البسط مع البسط يؤدي إلى سوء الأدب، وسوء الأدب في الحضرة سب الطرد والبعد، ولهذا قال من المحققين ممن عرف هذا المعنى أقعد على هذا البساط وإياك والانبساط فإن جلاله في أنفسنا يمنعنا في الحضرة من سوء الأدب، كما أن هيبتنا في جماله وبسطه معنا يمنعنا من سوء الأدب فكشف أصحابنا صحيح وحكمهم بأن الجلال يقبضهم وأن الجمال يبسطهم غلط وإذا كان الكشف صحيحاً فلا نبالي، فهذا هو الجلال والجمال كما تعطيه الحقائق.

واعلم أن القرآن يحوي على جلال الجمال وعلى الجمال، فأما الجلال المطلق فليس لمخلوق في معرفته مدخل ولا شهود، انفرد الحق به وهو الحضرة التي يرى فيها الحق سبحانه نفسه بما هو عليه، فلو كان لنا فيه مدخل لأحطنا علماً بالله وبما عنده وهذا محال.

(١) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

واعلم يا أخي أن الله تعالى لما كانت له الحقيقتان ووصف نفسه باليدين وعرفنا بالقبضتين خرج على هذا الحد الوجود، فما في الوجود شيء إلا وفيه ما يقابله. وغرضنا من هذه المقابلة ما يرجع إلى الجلال والجمال خاصة وأعني بالجلال جلال الجمال كما ذكرنا، فليس في الحديث المأثور عن المخبرين عن الله تعالى شيء يدل على الجلال إلا وفيه ما يقابله من الجمال وكذلك في الكتب المنزلة وفي كل شيء، كما أنه ما من آية في القرآن تتضمن رحمة إلا ولها أخت تقابلها تتضمن نقمة كقوله تعالى: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾<sup>(١)</sup> يقابله ﴿شديد العقاب﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾<sup>(٣)</sup> يقابله ﴿وان عذابي هو العذاب الأليم﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود﴾ الآيات يقابلها ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم﴾<sup>(٥)</sup> الآيات وقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾<sup>(٦)</sup> يقابلها ﴿وجوه يومئذ باسرة﴾<sup>(٧)</sup> وقوله: ﴿يوم تبيض وجوه﴾<sup>(٨)</sup> يقابله ﴿وتسود وجوه﴾<sup>(٩)</sup> وقوله: ﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾<sup>(١٠)</sup> الآيات يقابله ﴿وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية﴾<sup>(١١)</sup> وقوله: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾<sup>(١٢)</sup> يقابله ﴿وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة﴾<sup>(١٣)</sup> وإذا تتبعنا القرآن وجدته كله في هذا النوع على هذا الحد وهذا كله من أجل الرقيتين الإلهية في قوله: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء﴾<sup>(١٤)</sup> وقوله: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾<sup>(١٥)</sup> وقوله في المعطي المصدق ﴿سنيسره لليسرى﴾<sup>(١٦)</sup> ويقابله في البخيل المكذب قوله ﴿سنيسره للعسرى﴾<sup>(١٧)</sup> فاعلم وهكذا أيضاً آيات الجلال والجمال في كتاب الله، وأنا أحب أن أذكر من آياتها قليلاً وأتكلم عليها من طريق الإشارات بما تدرسه الإلهام المتفرغة لطلب هذه المعاني المقدسة عن الكدورات البشرية والشهوات الحيوانية، والله يؤيد بالعصمة والإصابة في القول والعمل أمين بعزته وأجعلها إشارات بدلاً من قولنا فصل أو باب، وابتدى بآية الجمال ثم أردفها بآية جمالها ثم انتقل إلى آية جلال أخرى على هذا الحد إن

(١) الآية رقم (٣) من سورة غافر.

(٢) الآيتان رقم (٥٠، ٤٩) من سورة الحجر.

(٣) الآيات رقم (٢٧ و ٢٨ و ٤١ و ٤٢) من سورة الواقعة.

(٤) الآيتان رقم (٢٢ و ٢٤) من سورة القيامة.

(٥) الآية رقم (١٠٦) من سورة آل عمران.

(٦) الآيات رقم (٢ - ٤ و ٨، ٩) من سورة الغاشية.

(٧) الآيات رقم (٣٨ - ٤١) من سورة عبس.

(٨) الآية رقم (٢٠) من سورة الإسراء.

(٩) الآية رقم (٨) من سورة الشمس.

(١٠) الآيتان رقم (١٠٧ و ١٠٨) من سورة الليل.

شاء الله وقد يكون للآية وجهين وجه في الجلال ووجه في الكمال فأسوقها بعينها في الجلال والجمال لكنها تتضمن التقابل إن شاء الله تعالى.

### إشارات الجلال

قال الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ وهذه آية تقابلها فيها وتقابلها أيضاً تماماً وهو قوله: ﴿وهو السميع البصير﴾ ويقابلها من الأحاديث قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته».

فاعلم يا من غرق في بحر المشاهدة أن المثلية في الجلال معقولة كما أن المثلية في الجمال لغوية، فنفي بهذه الآية المماثلة التي في الاشتراك في صفات النفس، وهنا بحور عظام منها أن المماثلة بين الشيعين لا يقضي بالكمال فيهما والفضائل وغير ذلك، فإن تماثلاً من طريق صفات النفس فقد تماثلاً أو تناقضا من طريق صفات المعاني كرجلين قد اشتركا في صفات النفس الواحد منهما عاجز قاصر جاهل أبكم أعمى أصم، والآخر عالم قادر مرید متكلم بصير سميع، وقد جمعها حد واحد وهو أنهما حيوان ناطق مائت مثلاً، فإذا كان ذلك فهي إشارة فافهم. كما يقع الاشتراك والتماثل في صفات المعاني ولا يقع الاشتراك بالمثلية وإن كانت حقيقة الشيء من صفات نفسه فتعدد ويشترك شيء آخر في بعضها فليس ذلك الشيء يمثل لذلك الشيء الآخر من جميع الوجوه كالحيوان الذي يطلق على الإنسان وعلى البهيمة، وليس الإنسان يمثل للفرس لأن من شرط المثلية الاشتراك في جميع الصفات النفسية ولا يكون ذلك إلا في أشخاص النوع الواحد.

ومن المثلية تسمى عقلية فلتكن هذه المماثلة الكاملة الكلية والمماثلة الجزئية هو أن يقع الاشتراك في بعض صفات النفس وهو مثل من حيث ذلك، ثم يقع الانفصال وتأبى الحقائق أن تقبل المماثلة في صفة المعاني فإنها ليست بحقيقة للذات الموصوفة بها فهي كالإعراض وإن كانت لازمة أو يستحيل عدمها لأن المماثل هناك إنما هو بين المعنيين لا بين الشيعين اللذين قام بهما هذان المعنيان المتماثلان كالعالمين فوق التماثل بين العالمين عقلاً وحقيقة فإن تماثل العالمان فمن غير هذا الوجه وتشخصت المعاني بتشخص من قامت بهم فتشخصها بحكم التبعية كتخصيص الغرض بالتبعية في تميز محله لأنه بحيث محله لأن الغرض يتحيز فهذه إشارة إلى أن الباري ليس بيننا وبينه اشتراك في صفات النفس بوجه كلي ولا جزئي، فلماذا انتفت المثلية من جهة الحقائق بيننا وبينه ولا يغرنك أن وصفك بما وصف نفسه من كونه عالماً ومريداً وغير ذلك وكذلك البهيمة سمعية وبصيرة ومريدة فافهم ذلك.

### الجمال

الآية بعينها قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ مثليه لغوية كقولهم زيد مثل الأسد والكاف

هنا بمعنى الصفة فيقول: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنزل الحق في مقام البسط بصفة الجمال لقلوب العارفين به، ونفى في هذه الآية أن يشبههم شيء من جميع مخلوقاته كما نفى فيها من كونها جلال أن تشبهه، فنبه بهذه الآية على شرف الإنسان على جميع المبدعات والمخلوقات فحقيقته لا أين، وأثبت له صفات التمام والكمال فجعله فياضاً وملكه مقاليد الأسماء، وبهذه المثلية اللغوية صحت له الخلافة وتعمرت به الداران وبها سخر الأرواح وبها قال تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً﴾<sup>(١)</sup> فهذه الآية تدل على مباسطة إلهية إذا تجلت إلى قلب المحقق يكون حاله في ذلك الوقت المعاني التي تقدم في جلالها كما أنه إذا تجلى إلى قلب المحقق جلال هذه الآية يكون حاله في ذلك الوقت معنى جمالها، وهكذا في كل تجل كما قررنا، فجلالها يفرض المثل ونفي شبهه ومثاله، وجلالها بوجود المثل ونفي مماثله، فالجلال يثبت تقدس الحق والجمال يثبت رفعة العبد. وكما قال في جلاله ﴿ليس كمثله شيء﴾ ونزل إلى مقام المثلية بالسميع والبصير كذلك يكون في جماله في العبد ﴿ليس كمثله شيء﴾ في حقائقه المقابلة للحقائق الإلهية ثم ارتفع في مقابلة نزول الحق إلى مقام المثلية السميع والبصير فافهم هذه الإشارة فإن بقاء العبد بأوصاف نفسه ببقاء الله وأن بقاءه بأوصاف كماله الثابتة في الربوبية العارضة في العبودية بإبقاء الله فالمحقق ببقاء الله مشغوف لأنه في مشاهدة لا تنقطع.

فإنه مع التقابل وغير المحقق بإبقاء الله مشغوف لأنه محجوب بالتأله فهو مع الله من طريق الفعل في الكون على التماثل وهو الحال يقول أهل الجنة في الجنة للشيء يريدونه كن فيكون، فيرى المحقق تكوين ذلك الشيء عن معنى قوله لا عن قوله، ويرى غير المحقق ذلك التكوين عن القول لوقوعه عنده وقد اشتركا في نفي القدرة عنهما فافهم.

## إشارات الجلال

قال الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾<sup>(٢)</sup> فيها تقابلها وقيل للنبي (صلى الله عليه وسلم) رأيت ربك فقال: «نوراني أراه»<sup>(٣)</sup> فلا يزال حجاب العزة منسدلاً لا يرفع أبداً جل أن تحكم عليه الأبصار هكذا عند مشاهدتها إياه لأنها في مقام الحيرة والعجز فرؤيتها لا رؤيتها، كما قال الصديق العجز عند درك الإدراك إدراك.

(١) الآية رقم (١٣) من سورة الجاثية.

(٢) الآية رقم (١٠٣) من سورة الأنعام.

(٣) قال القاضي عياض: هذه الرواية لم تقع إلينا قال: ومن المستحيل أن تكون ذات الله نوراً إذ النور من جملة الأجسام والله تعالى متعال عن ذلك علواً كبيراً. انظر الدياجح ج ١ ص ٢٢٣ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٩٦ حديث ٣٢٨٢.

إشارة: لا تدرك الأبصار الهواء لكونها سابحة فيه فمن كان في قبضة شيء فإنه لا يدرك ذلك الشيء.

إشارة: يريد البصر أن يدرك لون الماء والشفافة العالية في الصفاء فلا يدركها لأنه لو أدركها لقيدها، وذلك لأنها أشبهته في الصفاء والإدراك لا يدرك نفسه لأنه في نفسه ويدركها فهو البصر المبصر.

إشارة: إذا نظر البصر إلى الشيء الصقيل فيرى فيه الصورة، فإدراكه للصورة للجسم الصقيل لأنه لو جهد أن يدرك ما يقابل الصورة التي في الصقيل من الصقيل لم يقدر الصقيل لا يتقيد، فإذا سئل ما رأى فلا يقدر أن يقول رأيت الصقيل لأنه لا يتقيد له ولا يحكم عليه بشيء، وإن قال ذلك فهو جاهل لا معرفة له بما شاهده ولكن يقول: رأيت، فيخبر عن الصورة أو الصورة التي رآها وهو الصدق، فقد غرت هذه الأشياء عن إدراك البصر مع كونها مخلوقة فافهم. ولكنه أدرك هذه الأشياء بغير تقيد وقبول هذه الأشياء إلى الصور ذاتي لا ينفك عن الصورة البتة عند رؤية الرائي وهي رؤيتك فتحقق ما ذكرناه.

واعلم أن الله تعالى أن يحيط به بصر أو عقل ولكن الوهم السخيف يقدره ويحدده، والخيال الضعيف يمثله ويصوره هذا في حق بعض العقلاء الذين قد نزوه عما تخيلوه وتوهموه، ثم بعد التنزيل يتسلط عليهم سلطان الوهم والخيال فيحكم عليه بالتقدير وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وهو رجوعهم إلى ما أعطاهم العقل بالبرهان الصحيح من التنزيه عن ذلك.

## الجمال

وأما جمال هذا الجلال فقوله تعالى: ﴿وَجْوهُ يَوْمئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> فتر سبحانه في جماله مباسطة معنا إلى أن ندركه بأبصارنا، وينظر إلى هذا قوله عليه السلام: «ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب لا تضارون في رؤيته».

وقال تعالى في حق أصحاب الجحيم ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾<sup>(٣)</sup> والنظر إلى في كلام العرب لا يكون إلا بالبصر وبني يكون بالعقل وبالفكر وباللام يكون للرحمة

(١) الآية رقم (٢٠١) من سورة الأعراف.

(٢) الآيتان رقم (٣٨ و ٣٩) من سورة عبس.

(٣) الآية رقم (١٥) من سورة المطففين.



وبغير أداة يكون للتقابل والتأخير.

والابصار من صفات الوجوه وليس العقل منها فلا بد من رؤيته، وقوله ﴿لن تراني﴾ لموسى عليه السلام حكم يرجع إلى حال ما علمه من سؤال موسى عليه السلام لا يسعنا التكلم فيه وقد أحاله على الجبل ودك الجبل فصعق موسى عليه السلام والإدراك لا يصعق وليس من شرطه بينة مخصوصة ولا البينة من شرطه موجود يقوم به لأنه معنى والصعق قام بالبينة الكثيفة فلما أفاق سبغ ولا فائدة للتسييح عند القيام من ذلك الموطن إلا لمشاهدة ما، ثم أعطته المعرفة التوبة من اشتراط البينة ثم أقر بأنه أول المؤمنين بما رآه في تلك الصعقة لأن الإيمان لا يتصور إلا بالرؤية في أي عالم كان ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لحارثة: «ما حقيقة إيمانك فقال: كأني أنظر إلى عرش ربي»<sup>(١)</sup> الحديث فأثبت الرؤية في عالم ما وبها منحت له حقيقة الإيمان وأقر له النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها بالمعرفة وما عدا هذا فهو الإيمان المجازي فلا فائدة للإيمان بالغيب إلا لحقوقه بالمشاهدة ولهذا ألا يدخله الريب فموسى عليه السلام أول من أدرك بالبصر على وجه ما وهذه المرتبة لها حال ومقام فإن كان في المقام فهو أول من أدركه وإن كان في الحال فيمكن أن رآه غيره وتكون الأولية موقوفة على الحال بكمال الصفة وهذا يوجد كثيراً فإذا باسطك الحق في المشاهدة بهذه الآية فتقنع بأن لا تدركه الأبصار وإن لم تفعل هلكت كما أخبرتك وإياك أن تبسط بل تكون الهيبة عليك قائمة فهي حافظتك فاعلم والله المرشد سبحانه.

## إشارات الجلال

قال الله تعالى: ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾<sup>(٢)</sup>.

إشارة إلى الإحاطة الإلهية بجميع الأشياء الكائنة الماضية والكائنة في الحال والكائنة في المستقبل، فهي لا تختص إلا بالموجود الكائن والذي كان ويكون، فهو تعلق اختصاص من تعلق قوله: ﴿أحاط بكل شيء علماً﴾<sup>(٣)</sup> من الواجبات والحائزات والمستحيلات وإن كان بعض العلماء لا يسمي شيئاً إلا الموجود فلا تبال فإن الله قد أحاط علماً بكل شيء وقد علم المحال، ولو خصص صاحب هذا الاصطلاح العلم المحيط في هذه الآية بالموجودات فليس له دليل على ذلك إلا كونه اصطلاح على أن لا يسمي شيئاً إلا الموجود، فالإحاطة هنا على بابها من العموم والإحصاء يقتضي التناهي في الشيء الذي أحصى والإحاطة إنما هو عبارة عن تعلق العلم بالمعلومات والمعلومات غير متناهية هنا وقد يكون أيضاً الإحصاء ههنا على العموم بمعنى

(١) انظر نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج ٤ ص ٧٤.

(٢) الآية رقم (٢٨) من سورة الجن.

(٣) الآية رقم (١٢) من سورة الطلاق.

الإحاطة ولكن كما قلنا في الكائنات المستقبلية وهي لا تنهى فإن مقدرات الله لا تنهى ومعلوماته كذلك ومعلوماته أكثر من مقدراته وغير ذلك، والإحصاء بالعدد لا يتعلق به لأن لا يجوز عليه فيحصى نفسه، والحال لا يوصف بالعدد فيتعلق به الإحصاء ولكن يحيط به العلم أي معنى يعلمه من جميع الوجوه فإذا كان الحق قد أحصى كل شيء عدداً فأنت من الأشياء المعدودة فحفظه عليك فإذا شاهدت الأسرار من هذه الآية تاهت في جلال الحق وحارت في أنفاسها ولحظاتها ولحقاتها ونفحاتها وخطراتها وكل ما يكون فيها وعنهما ومنها.

فإذا تحققت بهذه المشاهدة بسطها الحق بالآية التي أذكرها بعد هذا في جمال هذا الجلال فعندما تريد الأنس بذلك يتجلى لها في هذا الجلال في تلك الآية فيجيره ويتلفه فافهم.

الجمال: قال الله تعالى ﴿وَأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾<sup>(١)</sup> فجاء بأو التي للشك وهذا محال على الله فلما نزل الحق في جماله في هذه الآية مبسطة معنا والشك منوط بنا، فقام لتعبد رب من المناسبة فإن كان العبد جاهلاً جهل ربه على نفسه ووصفه بالشك فضل، وإن كان محققاً هرب إلى قوله تعالى ﴿واحصى كل شيء عدداً﴾ فوقف على سر ذلك والحق الشك بالرؤية البشرية المعتادة على الخطاب المتعارف بين العرب بالكثرة، فيعود الشك على المخلوق أراد إحصاء العدد فإن أراد أن ينزه نفسه من غير الوجه الذي نزهه بارئته فليأخذها على إرادة الكثرة لا على العدد وإن كانت لا تخلو عن عدد محقق، ولكن لم يرد القابل هنا الإعلام بتعيين العدد وإنما تعلق الإرادة بالإعلام بالكثرة، فهذه الصيغة إذا كانت المتعارفة بين المرسلون إليه لا يريدون بها الوقوف على عدد محقق، فإذا شاهد العبد إرادة الكثرة هنا انكشف له إحصاء ما علمه من وقت وجوده إلى وقته وما يكون إلى ما يتناهى ولكن بحقيقة يخالفنا فيها بعض العلماء من المتكلمين وذلك أن يكون العلم يتعلق بمعلومين فصاعداً وهذا محال عند بعضهم، ومن جوز ذلك كالإمام أبي عمرو السلافي رضي الله عنه فإنه لا يخالفنا في هذه المسألة.

وأما قول الإسفراييني أبي إسحاق أن القلب لا يحمل في الزمان إلا علم واحد، فقد يمكن أن يشير إلى مذهبنا إليه وكذلك في حده العلم بما يتصور منه أحكام الفعل وإتقانه، ففيه أيضاً تلويح إلى هذا ونحن إنما نتكلم مع أرباب الحقائق والأسرار من أهل الله تعالى وإنما طلب التعلق ببعض أقوال علماء الرسوم تأنيساً للقلوب الشاذة عن هذه الطريقة من جهة هذه الحقائق فاعلم ذلك ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الآية رقم (١٤٧) من سورة الصافات.

(٢) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.

## إشارات الجلال

قال الله تعالى: ﴿وَالهَكْمَ إِلهَ وَاحِدٍ﴾<sup>(١)</sup> تقابلها فيها أيضاً هو خطاب ينسحب على كل مألوه متعبد.

### إشارة

وذلك أن سر الألوهية لولا ما وجدها كل عابد في معبوده. أي عند عبادته لمعبوده ما عبده وهكذا لو مكثوا من فصل الخطاب لقالوا وإنما ضل المضل لنسبة الألوهية لمن ليس بإله وهو إنما عبد من ذلك المعبود سر الألوهية التي هي لله تعالى لما انسحب أثرها في ذلك المعبود ربنا تبارك وتعالى فهذا روح قوله: ﴿وَالهَكْمَ إِلهَ وَاحِدٍ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾. فاثبت عين ما نفى في حكم الحقيقة وإنما أخذوا هؤلاء بالنسبة التي أضافوها لما نحتوه وسموه ونصبوه ورفعوا إليه حوائجهم، فافهم ذلك فإنه سر عجيب.

### إشارة

نفى الشريك الذي لا وجود له فما نفى شيئاً فإن الشريك موضوع غير موجود والموضوعات إضافات والإضافات لا حقيقة لها فإذا نفى الشرك إثبات الوجدانية وإثبات الوجدانية أمر يرجع إلى الوجود ونفى الشرك أمر يرجع إلى العدم فافهم.

### إشارة

تجلي الوجدانية وهو الاستواء الإلهي على العرش الإنساني وهو بخلاف الاستواء الرحماني فإن الاستواء الإلهي في نقطة الدائرة وهو قوله تعالى: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن» والاستواء الرحماني محيط للدائرة وهو قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾<sup>(٢)</sup> فالعرش في الاستواء الرحماني بمنزلة الحق في الاستواء الإنساني والقلب في الاستواء الإلهي بمنزلة الحق في الاستواء الرحماني، فإذا تجلت الوجدانية لم يعاين المشاهد سوى نفسه سواء كان في مقام وحدانيته أو في غيرها، فإن كان في مقام وحدانيته فهو بمنزلة ضرب الواحد في الواحد فلا يخرج لك إلا الواحد في الأعداد على المثال والتقريب هكذا ١ ضرب ١ في الخارج لك فإذا كان غير وحدانية فهو بمنزلة من يضرب واحداً في اثنين فإنه لا يخرج له إلا اثنين وكذلك في جميع الأعداد بالغاً ما بلغ مثال ذلك أن تضرب ١ في ١٥ الخارج ١٥ أو تضرب واحداً في ١٥٥ الخارج لك ما ضربت فيه الواحد وهو ١٥٥ فاعلم ذلك.

(١) الآية رقم (١٦٣) من سورة البقرة.

(٢) الآية رقم (٥) من سورة طه.

## الجمال

وأما الجمال هذا الجلال فقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾<sup>(١)</sup> نزل الحق في جماله مباشرة معنا برحمانيته وبهذا الاسم استوى على العرش وهي المعرفة العامة، وإليها ينتهي العارفون وفيها ينبسط المحققون ويقبضهم جلالها وهو قوله: ﴿والهكم إله واحد﴾ ولما كان الله جامعاً لكل شيء وكان الرحمن جامعاً لحقائق العالم وما يكون فيه ولهذا قيل رحمن الدنيا والآخرة لهذا قيل لهم: ﴿قل ادعوا الله وادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فإن دعاءهم إنما هو تعلقهم به لمنافعهم على قدر معارفهم وهي عند اسمه الرحمن، وهذا الاسم الرحمن يتضمن جميع الأسماء الحسنى إلا الله فإن له الأسماء الحسنى والرحمن وما يتضمنه الاسم لله، وإذا ناديت فإنما تنادي منه الرحمن خاصة، وتنادي من الرحمن الاسم الذي تطلبه الحقيقة الداعية إلى الدعاء فيقول الغريق يا غياث والجائع يا رزاق والمذنب يا غفار يا غفور وكذلك في جميع الأسماء فافهم ما أشرنا به إليك فإنه باب عظيم نافع.

## إشارات الجلال

قال الله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾<sup>(٢)</sup> وهذه الآية متعلقة بالقهر والجبروت وإثبات الملك، فإذا ثبتت هذه الأوصاف في قلب العبد استحال عليه طلب العلة وكل ما يكون فيه اعتراض.

## إشارة

من علم ما في نفسه فإنه لا يسأل نفسه إلا بتقدير سائل لا يعلم يقيمه فيوقع السؤال منه، فإذا كان هذا فلا يسأل عما يفعل فإنه ليس إلا الله وصفاته وأفعاله ويجاب هذا المعنى في هذه الآية قوله ﴿وهم يسألون﴾ فإن الحقيقة واحدة فإنه السائل عن فعله بهم وما ظهر عنهم فلا يجيبون إلا بفعله فيهم فافهم فإني أريد الإيجاز لأهل الإشارات.

## الجمال

جمال هذه الآية قوله تعالى: ﴿لم كتب علينا القتال﴾<sup>(٣)</sup> نزل في جماله مباشرة فنطقنا بالسؤال، جمال هذه الآية إدلائنا بمغيبنا عن معرفة الجلال في ذلك الوقت فينبغي للعبد أن يحضر عند هذا السؤال مع قوله: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾.

(١) الآية رقم (١١٠) من سورة الإسراء.

(٢) الآية رقم (٢٣) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم (٧٧) من سورة النساء.

## إشارة

هذه البنية بعد بنائها إنما يعسر على من يتكلف ويتعنى في إقامتها ومن لا كلفة عليه في ذلك بل الخلق وعدمه في حقه سواء فلا يقال فيه إذا فعل هذا إنه ليس بحكم.

## إشارة

من أن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها ومنها رد الصور على ما يقتضيه الموطن الذي تكون فيه، وليس موطن الآخرة كموطن الدنيا، فلا ينبغي أن تكون نشأة الدنيا نشأة الآخرة بل كما قال عليه الصلاة والسلام من الصفاء والرقة والحسن والاعتدال في أهل النعيم ونقيضه في أهل الجحيم، فإن الدنيا كدرة متغيرة فنشأتها مريضة سقيمة مظلمة ولا بد من النقلة فلا بد من تغير النشأة، ولما تحققوا هذا قالوا في آخر الآية ﴿لولا أخرجنا إلى أجل قريب﴾<sup>(١)</sup> فإنه لا بد من تغير النشأة.

## إشارة

﴿لم كتب علينا القتال﴾<sup>(٢)</sup> طلب المعرفة بالله من طريق الفكر ورد الشبه المظلمة وطلب المشاهدة بالمجاهدة والمكابدة، وهذا كله من بسط الحق لهم فحكم عليهم بالإدلال فأساؤوا الأدب بخلاف المحققين.

## إشارات الجلال

قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾<sup>(٣)</sup>.

دائرة لا إله إلا الله تعم كل موحد ولا يخلد في النار ولا يظهر سلطانها إلا فيمن ليس له غيرهما، ولا يشفع في أصحابها إلا أرحم الراحمين خاصة، وما سوى الله فإن شفاعته إنما تكون في من عنده مثقال ذرة من خير من غير التوحيد، وغرضنا أن نفرّد كتاباً إن شاء الله في لا إله إلا الله وأهلها خاصة، فجلال لا إله إلا الله صعب فإنه يقتضي أن لا يكون في البشر اعتماد على غير هذا المعنى وهذا صعب فبسطهم هذا الجلال الأعظم في سرّيان سرّ الألوهية بالفعل العام في الموجودات المعبودات من الأداني إلى الأعالي، فإذا وفقوا على هذا السرّيان سرّ الألوهية بالفعل انبسطوا في الأسباب وعرفوا منه ما خلقوا له وما خلق لهم فافهم هذا.

(١) الآية رقم (٧٧) من سورة النساء.

(٢) الآية رقم (٤٨ و ١١٦) من سورة النساء.

## الجمال

﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾<sup>(١)</sup> والشرك من الذنوب وهو لا يغفر نزل الحق في جماله  
مباشرة لنا فأشهدنا بسريان الألوهية في المعبودات فانبسطوا في الشرك فقبضهم جلال قوله  
﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ لما ستروه في نفوسهم، فأظهروا نقيض ما هم عليه ستر الله ما  
كان منهم من المخالفة عليهم جزاء لسترهم إياه في قلوبهم، وقسمهم في ذلك الستر على  
قسمين فقسم سترهم عن غيرهم وقسم سترهم عن نفوسهم كما سترهم عن عين الآلام أن  
تراهم إذا دخلوا النار بأن يميتهم فيها إماتة، فذلك الذي ستروه في قلوبهم من توحيد هو الذي  
ستر القلب الذي هو محل الآلام أن تراه عين الآلام وهذه إشارة بديعة يسطر القلوب جمالها  
ويورث الادلال حنانها ولطفها.

## إشارة

لما لم يستروه لم يسترهم في موطن من المواطن فافضحهم على رؤوس الأشهاد.

## إشارة

الله هنا معناه الغفار وإنما جاء بالاسم الجامع لكونه قال في الآية جميعاً والغفار ليس له مقام  
الجمع فقال الله.

## إشارات الجلال

قال الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾<sup>(٢)</sup>.

المعرفة تتعلق بأمرين من كل معروف الأمر الواحد الحق والآخر الحقيقة، فالحق من مدارك  
العقول من جهة الدليل، والحقيقة من مدارك الكشف والمشاهدة وليس ثمّ مدرك ثالث البتة  
فهذا قال حارثة أنا مؤمن حقاً فأتى بالمدرك الأول فكان عنده مؤيداً بالمدرك الثاني ولكن  
سكت فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) «فما حقيقة إيمانك» يرى إن كان عنده المدرك  
الثاني فأجابه بالاستشراف والاطلاع والكشف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «عرفت  
فالزم» فلا تصح المعرفة للشيء على الكمال إلاّ بهاتين الحقيقتين، فإذا أخبر الله تعالى بأننا  
عاجزون عن إدراك حق قدره فكيف لنا بحقيقة قدره وليس القدر ههنا إلاّ المعرفة بما يقتضيه  
مقام الألوهية من التعظيم ونحن قد عجزنا عنه فأحرى أن نعجز عن معرفة ذاته جلّت وتعالّت  
علواً كبيراً، فلما عاين المحققون هذا الإجلال وقطعوا أنهم لا يقدرون قدره مع ما تقرر عندهم

(١) الآية رقم (٥٣) من سورة الزمر.

(٢) الآية رقم (٩١) من سورة الأنعام و(٦٧) من سورة الزمر و(٧٤) من سورة الحج.

من التعظيم وقدر ما هم بالتقصير فعرفوا أنه ليس في وسع المحدثات أن تقدر قدر القديم لأن ذلك موقوف على ضرب من المناسبة الحقيقية ولا مناسبة في مفاوز الحيرة لهذا الجلال.

### الجمال

جمال هذا الجلال قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾<sup>(١)</sup> فأنتست نفوس المتحقيقين وتحققوا أنه ما أحالهم إلا على ما هم متمكنين من تحصيله بتوفيقه فلما تحققوا ببسط هذا المقام قبضهم جلال ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾.

### إشارة

إذا أردت أن تعرف حد المعرفة التي طلب منك في هذه الآية، فانظر إلى ما خلقه من أجلك واجعله سلطاناً عليه، وانظر ما تجدد في نفسك أن تطلب من ذلك المخلوق من أجلك أن يعرفك ذلك بعينه طلب الحق منك أن تعرفه به من غير زيادة ولا نقصان، وأنت لا تطيق ذلك لعدم توفيقك. ومما أوصى الله تعالى به في توراته يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك.

### إشارة

إذا اعتاص عليك من خلق من أجلك فلا تدمه فإن الذم منك إنما يطلب الفاعل لذلك الأمر الذي لم ترضه، وما ثم إلا الله وليس بأهل للذم، فقد شهدت على نفسك بالجهل وسوء الأدب، ومن هذه المباشطة تفرع ولهذا استعمل الهيئة متاً عند الجمال، فإن لم يكن عندنا في وقت هذه المباشطة وقد قدروا الله بجلالها وإلا هلكنا.

### تنبيه

إذاً عليك ما خلق من أجلك فانظر ما طلبت منه وارجع إلى نفسك، وانظر ما يناسب ذلك الطلب منك مما يطلبك به ربك فإنه تجده قد طلب ذلك واعتصت وأبيت فاعتاص عليك ذلك الأمر المناسب، فإن الله تعالى إذا أقرق في نفسك طلباً ما ممن خلق من أجلك سواء كان مثلك أو لم يكن فإن الله تعالى قد طلب ذلك وأنت لم تشعر، فإن كنت أطعته في ذلك فإن ذلك يطيعك وإن كانت الأخرى فذلك كذلك. واعلم أن الله خلق هذا النوع الإنساني من أجل الإنسان قال الله تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾<sup>(٢)</sup> ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾<sup>(٣)</sup> فافهم هذه الإشارة ترشد إن شاء الله تعالى.

(١) الآية رقم (٥٦) من سورة الذاريات.

(٢) الآية رقم (٣٢) من سورة الزخرف.

## إشارات الجلال

قال الله تعالى: ﴿فَاتقوا الله ما استطعتم﴾<sup>(١)</sup> ما من آية في كتاب الله تعالى ولا كلمة في الوجود إلا ولها ثلاثة أوجه: جلال وجمال وكمال، فكما لها معرفة ذاتها وعلّة وجودها وغاية مقامها، وجلالها وجمالها معرفة توجهها على من تتوجه عليه بالهيبة والأنس والقبض والبسط والخوف والرجاء، لكل صنف شر معلوم منها، وإنما عدلنا في هذا الجزء إلى ذكر جلال آية وجمال أخرى ليعرف الطالب المريد صور المناسبة بين المتباينين فليس لكلمة مقام رابع ويظهر سر ذلك في الإلهية في معرفة الحق نفسه ويديه وقبضته فاعلم ذلك، فأفرغ المحققون جلال هذا القول إذ أحالهم على استطاعتهم فرمى بهم في بحر البعد وظهر في عزته فما قدر أحد من المكلفين أن يفهم باستطاعته في تقواه، فأهلكهم جلال هذا السهل الممتنع، فلما اشتد عليهم هذا الجلال حتى كاد أن يهلكهم بسطهم الحق وأنسهم فأشهدهم ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾<sup>(٢)</sup>.

## الجمال

قال الله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾.

فنزل إليهم في جماله مباشرة حين أمرهم بالوفاء بالحق فأنسوا واطمأنوا، فخافوا على أنفسهم من غوائل البسط فاستعملوا نفوسهم وأسرارهم في ﴿اتقوا الله ما استطعتم﴾ فحفظت عليهم هذه الآية أدب الحضرة.

إشارة اتقوا الله بالله وهو قوله (صلى الله عليه وسلم): «وأعوذ بك منك»<sup>(٣)</sup> قال الله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿يطيع الله على كل قلب متكبر جبار﴾<sup>(٥)</sup>.  
إشارة اتقوا الله من كونه ساخطاً بالله من كونه راضياً.

## إشارة عامة كونية

اتقوا الله المعاقب بالله المعافي فمن عرف حقائق الأسماء فقد أعطى مفاتيح العلوم، ويكفي هذا القدر فإن الغرض من ذكرى تفصيل هذه الآيات تعليم المدخل إلى هذا الفن ومعرفة مأخذه، فإنه مأخذ عزيز والله يعصمنا وإياك من الدعوى.

(١) الآية رقم (١٦) من سورة التغابن.

(٢) الآية رقم (١٠٢) من سورة آل عمران.

(٣) رواه عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنها. انظر صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ٣٣٥ حديث ٦٧١، السنن الكبرى ج ١ ص ٤٥٢ حديث ٢٤٤٤.

(٤) الآية رقم (٤٩) من سورة الدخان.

(٥) الآية رقم (٣٥) من سورة غافر.



## تنبيه

اعلم يا أخي أن القرآن العزيز خاطبنا الحق به على طريقين منه آيات خاطبنا بها يعرفنا فيها بأحوال غيرها وما كان منهم وإلى أين كان مبدؤنا وإلى أين كان غايتنا، وهو الطريق الواحد. ومنه آيات خاطبنا بها لنخاطبه بها وهي على قسمين خاطبنا بآيات لنخاطبه بها مخاطبة فعلية مثل قوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾<sup>(١)</sup> - ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾<sup>(٢)</sup> وغير ذلك. ومخاطبة لفظية مثل قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ربنا آتنا فاعفر لنا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾<sup>(٥)</sup> وأشبه ذلك كثير وليس القرآن يحوي على غير هذا. وينبغي لك أن تتنبه للفرقة في كلام الله تعالى إذا قرأته مثل قوله: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾<sup>(٦)</sup> قالوا وقف هنا وبين قوله ﴿آمناء﴾ وقف ثم قل ﴿وإذا أدخلوا إلى شياطينهم قالوا﴾<sup>(٦)</sup> وقف ثم قل ﴿أنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾<sup>(٦)</sup> وقف ثم قل ﴿الله يستهزئ﴾<sup>(٧)</sup> فإنك إذا قرأته على هذا الحد عرفت أسرارها وميزت مواقع الخطاب وحكايات الأحوال والأقوال والأعمال وتناسب الأشياء.

فاعلم ذلك وقد تبين المقصود فلنقبض العنان والله ينفعنا وإياكم بالعلم ويجعلنا من أهله والحمد لله رب العالمين.

- 
- (١) الآية رقم (٤٣) من سورة البقرة وغيرها.
  - (٢) الآية رقم (١٩٦) من سورة البقرة.
  - (٣) الآية رقم (٦) من سورة الفاتحة.
  - (٤) الآية رقم (١٠٩) من سورة المؤمنون.
  - (٥) الآية رقم (٢٨٦) من سورة البقرة.
  - (٦) الآية رقم (١٤) من سورة البقرة.
  - (٧) الآية رقم (١٥) من سورة البقرة.



## **تاج الرسائل ومنهاج الوسائل**



## نسخ الكتاب الخطية

يوجد لهذا الكتاب عدد من النسخ يكفي أن يشار أنه في مصر وحدها حوالي عشر نسخ من هذا الكتاب القيم كلها مخطوطة. ولكننا وقفنا على نسخة الأصل من بين هذه النسخ وحصلنا على نسخ ورقية كاملة أصلية لهذا المخطوط عن طريق معهد المخطوطات العربية. وهي نسخة مكتبة ولي الدين وعليها سماعات كثيرة وتصديق بخط المؤلف نفسه على هذه السماعات وتواريخ كتابتها. فأغنانا هذا أن ننظر فيما عداها من النسخ. اللهم إلا نسخة طبعت بمصر أردنا أن نقف عليها فقط لنرى الفرق. ولنتأكد من صحة ما بأيدينا فكان ما طلبناه. وهي نسخ مطبوعة ضمن مجموع سنة ١٣٢٨هـ.

وإذا أردنا أن نتحدث عن النسخ المخطوطة لهذا الكتاب يمكن بإشارة سريعة أن نحيل القارئ الكريم إلى كتاب مؤلفات ابن عربي للدكتور (عثمان يحيى) ص ٢٢٧ رقم (١٤٠) فقد أورد ما وقف عليه من أرقام النسخ في أماكن وجودها في مكتبات العالم ونتحدث هنا عن السماعات التي بهذا المخطوط. ففي صفحة الغلاف عليها سماعات:

السماع الأول: مؤرخ بالربع والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ٦٠٠هـ بمكة المكرمة شرفها الله تعالى وعليه تصديق من المؤلف نفسه بذلك.

المسمع المؤلف: ابن عربي

القارئ: ابن عربي نفسه.

السامعون: عبد الله بن بدر بن عبد الله الحبشي - أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الرومي. وأذن لهما أن يحدثا بكل تواليقه ورواياته وكتبه وأخباره والتصديق بخط ابن عربي نفسه (انظر المخطوطات المرفقة).

السماع الثاني: المكتوب على صفحة الغلاف هو سماع إسماعيل بن سودكين فقد كتب أعلى الصفحة جهة اليسار الآتي.

[سمعها إسماعيل بن سودكين سنة ثلاث وستمائة] (مكتوب المشرف)

السماعان الآخران في نهاية الكتاب وهما:  
السماع الثالث: كان سنة ٦١٣هـ بمنزل الإمام سيف الدين أبو عبد الله محمد بن قمرية بن كوكبري  
البغدادي.

بقراء الشيخ إسماعيل محمد بن يوسف الأنصاري.  
انظر السماع نهاية الكتاب وانظر المرفقات (المخطوطات).  
السماع الرابع: وفيه كثيرون ذكرتهم جميعاً نهاية هذا الكتاب فليُنظر. وكان سنة ٦٣٣هـ في دمشق  
في منزل المؤلف ابن عربي نفسه وعليه تصديق بخطه.  
انظر المرفقات. وانظر السماع نهاية الكتاب كاملاً.  
توصيف النسخة:

هذه النسخة التي سبق أن أشرنا بأنها أصلية وكانت محفوظة بمكتبة ولي الدين تحت رقم (١٧٥٩)  
وحصلنا على نسخ ورقية تحت رقم (٨٠ تصوف) في ٤٣ ورقة.  
\* كتبت بخط أندلسي كبير بعض الشيء.  
\* عليها استدراقات وسماعات كما تمت الإشارة إلى ذلك.  
\* عدد الأسطر ١٧ سطرًا في الصفحة الواحدة.  
\* عدد الكلمات في السطر الواحد (٧ - ٩) كلمة.  
\* عناوين الرسائل بنط أكبر أسود.  
\* الأخطاء بها قليلة.  
هذا الكتاب برواية بدر بن عبد الله الحبشي.  
ونقلنا هنا ما على صفحة المخطوط الأولى<sup>(١)</sup>  
أي: [صفحة الغلاف]

(١) مكتوب على هذا الغلاف أن إسماعيل بن سودكين سمعها سنة ٦٠٣ هـ ونص السماع سمعها إسماعيل بن سودكين سنة  
ثلاث وستمائة مكتوب المشرف

## تاج الرسائل ومنهاج الوسائل المودعة في المعاني الروحانية

---

كتب بها محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي إلى بعض من يكرم عليه ويعزّ لديه بمكة سنة ستمائة.

رواية عبد الله المسعود بدر بن عبد الله الحبشي معتق أبي الفنائم بن أبي الفتح الحرّاني عنه. [سمع علي هذه الرسائل صاحبنا المسعود عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي معتق أبي الفنائم بن أبي الفتح الحرّاني بالحرم المكي الشريف محله الكعبة وبقراءتي وسمعتها معه الشيخ العالم الصوفي أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الرومي فأذنت لهما أن يحدثا بها وبجميع توالي في ورواياتي من أخبار وكتب سنة ستمائة....) والسماع بالحرم المكي الشريف في يوم السبت الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة...<sup>(١)</sup>.

---

(١) ما بين المعقوفين هو تصديق المؤلف ابن عربي على هذه النسخة الأصلية التي سمعها صاحبها منه بمكة في التاريخ المبين أعلاه انظر المرفقات (المخطوطات) ومكان النقط كلمات لم أستطع قراءتها.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

هذا كتاب (تاج الرسائل ومنهاج الوسائل في إيضاح المعاني الإلهية المودعة في المعاني الروحانية) [مما جرى بيني وبين الكعبة المعظمة عند طوافي بها من باب المكاشفة والمطالعة]<sup>(١)</sup> إلى بعض من يكرم عليه من أصحابه، ويعزّ لديه من أتراه<sup>(٢)</sup> بمكة سنة (ستمائة).  
فقال:

الحمد لله الذي تَوَجَّني بتاج العِزَّة بعد الخضوع، وردَّاني برداء الرفعة بعد الخشوع، ووحدني بالواحدة البتول [من]<sup>(٣)</sup> الأعيان، التي لم يطمثها إنس قبلي ولا جان، وصَلَّى الله على السيد المختار من آل عدنان، وسلم كثيراً ما اختلف الملوان<sup>(٤)</sup>.  
أما بعد

فإن الله تعالى لما أنزلني [في]<sup>(٥)</sup> حَرَمِهِ، وأطلعني على حرمة وجمع شملي بكعبة الحُسنِ الموقَّعة، وروضة المُزَنِ المورقة عاينْتُ نشأةً فلكيَّة، وحقيقة ملكية، وجارية فلكية ومرتبة ملكية، وتربية<sup>(٦)</sup> مكئية.

(١) ما بين المعقوفين ضرب عليه بالحبر الأسود ثم استدرك على الهامش الأيمن من المخطوط بالقلم نفسه.

(٢) في النسخة (ط) كان السياق التالي:

[إلى من يكرم عليّ من أصحابي ويعز عليّ من أتباعي].

(٣) في (ط): (في).

(٤) الملوان: الليل والنهار.

(٥) في (خ) كتبها الناسخ (علي) ثم استدركها أعلى الكلمة بـ (في). والحرم هو البيت الحرام بمكة كما نوه عليه قبل عدة أسطر أول الكتاب.

(٦) في النسخة (ط): (رتبة).

سِتْرٌ مُسَدَّلٌ، وَيَمِينٌ تُقْبَلُ، وَكَلِمَاتٌ تُقْبَلُ، وَنَفَحَاتٌ يَمِينِيَّةٌ سَرِيَانِيَّةٌ تُقْبَلُ. وَاسْتَلَامٌ وَالتَّرَامُ<sup>(١)</sup>، وَمَصُّ رِيْقٍ، وَتَعْنِيقٌ، وَرُخَيْمَةُ الدَّلَالِ، مَعْشُوقَةُ الإِدْلَالِ، رَائِعَةُ الْجَمَالِ، فَائِقَةُ الْجَلَالِ. غَضَّةٌ نَاضِرَةٌ، نَكْتَةٌ نَادِرَةٌ وَضَاحَةُ الْجَبِينِ، مَعْتَدَلَةُ الْعَرْنِينِ، حَسَنَةُ الْقَدِّ، أَسِيلَةُ الْخَدِّ<sup>(٢)</sup>، رَوْضَةٌ مَظْلُولَةٌ، لَا مَلُولَةٌ وَلَا مَمْلُولَةٌ، نَجْلَاءُ الْعَيْنَيْنِ<sup>(٣)</sup>، رَائِقَةُ الْمَنْظَرَيْنِ، مَائِسَةُ الْعَطْفَيْنِ<sup>(٤)</sup>.

مَهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءٌ غَيْرُ مَفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَضْفُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ<sup>(٥)</sup>  
تَفْتَرُ عَنْ دُرٍّ مَنظُومٍ، وَتَتَنَفَّسُ عَنْ مَشْكٍ مَخْتُومٍ، سَبْطَةُ الْبَنَانِ، مَرِيضَةُ الْأَجْفَانِ، عُنْبَرِيَّةُ النَّشْرِ، دَائِمَةُ الْبَشْرِ، صَابِرَةٌ مُحْتَسِبَةٌ، قَائِمَةٌ مُنْتَصِبَةٌ، لَا تَعْتَرِضُ وَلَا تَعْرُضُ وَتَمْرُضُ بَعْدَمَا تَمْرِضُ. عَذْبَةُ الْكَلَامِ، شَهِيَّةُ الْفِدَامِ<sup>(٦)</sup>، سَهْلَةُ الْهَوَى، صَعْبَةُ الْقِيَادِ، كَثِيرَةُ الْبَلْوَى، حَلِيفَةُ السَّهَادِ، تَقِيدُ الْخَاطِرَ، وَتَسْحَرُ النَّاطِرَ، وَتَزِيدُ الْأَشْبَاحَ، وَتَقْنِي الْأَرْوَاحَ، وَتَنْحَلُّ الْأَجْسَادَ، وَتَنْضِجُ الْأَكْبَادَ، وَتَوْرَثُ الْإِحْتِرَاقَ، وَتَرْتِي الْأَشْوَاقَ، وَتَفِي بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، صَادِقَةُ الْمَوْعِدِ، إِلَهِيَّةُ الْمُحْتَدِ، رَبَانِيَّةُ الْمَوْلَدِ، رُوحَانِيَّةُ الْمَقْصَدِ، عَزِيَّةُ الْمَشْهَدِ.  
إِنْ نَظَرْتَ إِلَى عِبَارَاتِهَا قُلْتَ: عَرَبِيَّةٌ عَرَبَاءُ.

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى إِشَارَاتِهَا قُلْتَ: سَرِيَانِيَّةٌ خَرَسَاءُ. قُسِّمَتْ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَسْمَاءَ، كَمَا وَصَفَ مَحْبُوبَتَهُ فِي قَصِيدَتِهِ بِشَارِ بْنِ بَرْدِ الْأَعْمَى<sup>(٧)</sup> فَقَالَ:

(١) فِي النِّسْخَةِ (ط): (وَاسْتَلَام).

(٢) الْخَدُّ الْأَسِيلُ: هُوَ السَّهْلُ اللَّيِّنُ الدَّقِيقُ الْمُسْتَوِي (انظُرِ لِلسَّانِ: مَادَةٌ: أَسْل).  
(٣) التَّجَلُّ: بِالتَّحْرِيكِ: سَمَةٌ شَقَّ الْعَيْنَ مَعَ حُشْنٍ، نَجَلٌ نَجَلًا وَهُوَ أَنْجَلٌ. وَالْجَمْعُ نَجَلٌ. وَنَجَالٌ. وَعَيْنٌ نَجْلَاءُ.

(٤) انظُرِ لِلسَّانِ مَادَةٌ (نَجَل).

(٥) بِمَعْنَى: مَتَمَايِلَةُ الْعَطْفَيْنِ.

(٦) هَذَا الْبَيْتُ وَرَدَ مَنْثُورًا فِي النِّسْخَةِ (ط). وَقَدْ آتَتْ بَعْضُ الْكَلِمَاتِ مِثْلَ (مَفَاضَةٍ)؛ جَاءَتْ: (مَضَاضَةٌ)، وَمَصْفُوقَةٌ جَاءَتْ: (مَعْقُولَةٌ).

إِنَّمَا الْبَيْتُ هُوَ مِنْ مَعْلَقَةِ أَمْرِيءِ الْقَيْسِ، يَصِفُ فِيهِ الْمَرْأَةَ وَأَقْبَالَهَا. وَالتَّرَائِبُ هِيَ الصُّدُورُ وَالسَّجْنَجَلُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي يُرَى فِيهَا مِنْ صَقْلِهَا.

(٧) الْفِدَامُ: (مَا يُوَضَعُ فِي فَمِ الْإِبْرِيْقِ قَبْلَ الشُّرْبِ) كَنَاءَةٌ هُنَا عَنِ صَفَاءِ الشَّرَابِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:

قَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): [إِنَّكُمْ مَدْعُودُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُقَدَّمَةٌ أَوْأَهَكُم بِالْفِدَامِ] وَهُوَ مَا يُشَدُّ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيْقِ وَالْكَوْزِ مِنْ خِرْقَةٍ لِتَصْفِيَةِ الشَّرَابِ الَّذِي فِيهِ.

انظُرِ لِلسَّانِ مَادَةٌ: (فَدَم).

(٧) (بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ) الشَّاعِرُ، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ: كَانَ يُكْنَى أَبَا مَعَاذٍ وَكَانَ أَصْلُهُ فَارِسِيًّا مِنْ سَبِيِ أَصْبَهَانَ، فَوُلِدَ فِي الرِّقِّ وَهُوَ أَعْمَى، فَأَعْتَقَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ، وَقَالَ الشُّعْرُ وَهُوَ صَغِيرٌ ابْنُ عَشْرٍ، ثُمَّ أَجَادَ فِيهِ وَمَدَحَ الْخُلَفَاءَ وَالْأَمْرَاءَ، وَكَانَ يَتَعْصَبُ لِلْمَعْجَمِ عَلَى الْعَرَبِ، وَيَصُوبُ رَأْيَ إِبْلِيسَ فِي تَرْكِ السُّجُودِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَظَمِ مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَقَبْلَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَقَدْ زَادَ عَلَى التَّسْمِينِ (لِسَانَ الْمِيزَانِ ج ٢ ص ١٥).

بِنْتُ عَشِيرٍ وَثَلَاثٌ قُسْمَتْ      بَيْنَ غُضْنٍ، وَكَثِيبٍ، وَقَمَرٍ  
 - فَعُصْنٌ لِلْحَرَكَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ.  
 - وَكَثِيبٌ لِلْمَقْعَدَةِ الْكَرِيمَةِ.  
 - وَقَمَرٌ لِلنَّظَرَةِ السَّلِيمَةِ.

أو كما وصفْتُ أنا في بعض قصائدي، وفريدة من فرائدي. فجمعت في بيت واحد أربعة أوصاف. فقلت:

بَدْرٌ تَمَّ نَحْتَهُ دَجْنٌ<sup>(١)</sup> قَدْ سَمَا      فَرَّقَ أَمْلُودٌ<sup>(٢)</sup> عَلَيَّ دِغْصٌ<sup>(٣)</sup> نَقَا<sup>(٤)</sup>

فزدتُ سواد الدلال في التَّشْبِيهِ بِسَوَادِ اللَّيَالِي، فِدَلَالٌ لِإِدْلَالٍ. وحيدة الدهر، فريدة العصر، تيمة الوقت، سعيدة الشُّبْحِ<sup>(٥)</sup>. شمس طالعة فوق السماء السابعة، جاورها جبريل، واستند إليها الخليل، وأثنى عليها الجليل.

أشرتُ لها بطرفي، ووضعتُ كَفَّهَا على كَفِّي، وتنازعنا الحديث، وترنمنا بالقديم والحديث،

(١) الدَّجْنُ: ظِلُّ الْغَيْمِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ، وَالْجَمْعُ: أَذْجَانٌ، وَدُجُونٌ، وَدَجَانٌ.

انظر اللسان: مادة (دجن).

(٢) الْأَمْلُدُ، وَالْأَمْلُدُ، وَالْأَمْلُودُ، وَالْإِنْلِيدُ، وَرَجُلٌ أَمْلُودٌ، وَامْرَأَةٌ أَمْلُودٌ، وَأَمْلُودَةٌ النَّاعِمَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْقَامَةُ.

والمَلْدَانُ: اهْتِزَازُ الْفُصْنِ.

انظر لسان العرب مادة (مَلَدَ).

(٣) الدِّغْصُ: قُوْرٌ مِنَ الرَّمْلِ مَجْتَمِعٍ، وَالْجَمْعُ: أَدْعَاصٌ. انظر اللسان مادة دعص.

(٤) (نَقَا) التَّقَاؤُ: أَفْضَلُ مَا انْتَزَيْتَ مِنَ الشَّيْءِ.

وإِنْتَقَاؤُهُ: اخْتَارَهُ.

وَجَمْعُ التَّقَاؤِ: نَقَاءٌ، وَنُقَاءٌ.

وَالنُّقَا: مَقْصُورٌ مِنْ كِتَابِ الرَّمْلِ.

وَالنُّقُو، وَالنُّقَا: عَظْمُ الْعَضُدِ. وَقِيلَ: كُلُّ عَظْمٍ فِيهِ مَخ.

انظر: لسان العرب مادة: نقا.

(٥) فِي النِّسْخَةِ (ط): (الْبَحْتُ) وَمَا أُبْتِنَاهُ بِالشَّيْنِ مِنْ (خ) وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الدَّقِيقِ مِنَ الْأَصْلِ لَا مِنَ الْهَزَالِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقَالُ لِدَّقِيقِ الْمُنْتَقِ وَالْقَوَائِمِ: شَخْتُ.

أَمَّا لَفْظَةُ (الْبَيْحْتُ) كَمَا جَاءَ فِي اللِّسَانِ: دَخِيلٌ عَلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَعْجَمِي مُعْرَبٌ وَهِيَ الْإِبِلُ الْخُرَّاسَانِيَّةُ.

(وَالْبَيْحْتُ) - بَفَتْحِ الْبَاءِ - الْجَدُّ.

وَرَجُلٌ بَخِيْتُ: ذُو بَجْدٍ.

وَالْمَبِخُوتُ: الْمَجْدُودُ.

انظر لسان العرب مادة (بخت) و(شخت).

والناس بها طائفون، والرقباء على بابها عاكفون، وأنا وإياها تحت ثوب واحد وهم لا يشعرون. فكانت بيننا مخاطبات تأنيس، وقواعد تأسيس، تحوي<sup>(١)</sup> على معارف روحانية، وأسرار إلهية، ومشارب محمدية، وإشارات أحدية، فسألتني بين الظهر والعصر، وقد قيدتني بنكتة العصر، أن أضم بعض ما أشرت لها به في ديوان وأن أضعه في الآن، فقيدته كما أمرت، ولم أتعد ما به حكمت على حد ما كانت بيني وبينها المخاطبات الروحانية، والأنفاس الإلهية في الحضرة الربانية، ورسل عبيد الأسماء تمشي بيني وبينها بالمخاطبات، وتسري بالمكاتبات، متوسلين في الاتصال الكلبي، بالمقام العلوي والسفلي، حتى يقع العموم، ويتضح السر المكتوم فوضعت في هذا الجزء بعض ما تيسر في الحال، وسنح بالبال. فإن المقام جليل، والخاطر كليل، والمحجوب متعوب، والمحج منسوب، والقلب مصطلم، والنار في الجوانح تضطرم، فاقنع أيها السائل بما جرى به قلمي، فإنه ما استقر به قدمي.

والله المستعان، وعليه التكلان.

(١) في النسخة (ط): (نجري).

## ١ . الرسالة الإلهية

### تَوَسَّلْ (١) بِهَا عَبْدَ اللَّهِ إِلَيْهَا، وَنَزَلَ بِهَا عَلَيْهَا

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد بن عبد الله<sup>(٢)</sup> إلى كعبة الحُسنِ، وروضةِ المُزْنِ<sup>(٣)</sup>. سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد

الحمد لله والثناء، والصلاة على سر الأنبياء.

فإن زمان الاعتدال قد ظل، ووجه غلام الشباب قد نقل، والأرض قد أخذت زخرفها وأزّينت، وأنبئت من كل زوج بهيج، قد قابلت الزهر بالزهر، والنور بالنور، فلا تعاین إلاّ حقائق في حدائق، ونعمات في رئات، إلى فتنِ ميثاس في رملة ميعاس<sup>(٤)</sup>، وجداول تنساب انسياب

(١) في النسخة (ط): (ترسّل) بالراء.

والصحيح ما أثبتناه من (خ) بالواو وذلك ما أثبتته المؤلف في المقدمة ذاتها حين قال:

[ورسّل عبید الأسماء تمشي بيني وبينها بالمخاطبات، وتسري بالمكاتبات متوسلين في الاتصال... الخ] نهاية المقدمة السابقة. ولهذا فضلنا كلمة (توسّل) بدلاً من [ترسّل].

(٢) محمد بن عبد الله) يقصد نفسه طبعاً.

(٣) كعبة الحُسنِ، وروضةِ المُزْنِ.

والمُزْنُ: السحاب عامةً. وقيل: السحاب ذو الماء وقيل: المزنة السحابة البيضاء واحدها مزنة والجمع مُزْن.

والكعبة ليست هي المعروفة بمكة وإنما هي رمزٌ قصده ابن عربي لقلب (القطب) الذي يُنظر حوله كالنور للكعبة. فالكعب كل ما علا وارتفع، أو أعلى الله - سبحانه وتعالى - شرفه.

ويقال في الدعاء: والله لا يزال كعبكُ عالياً، كناية عن طلب الشرف والغلو له.

(٤) الفتنُ الميثاس: هو الغصن المتمايل.

الثعابين، بين فراديس<sup>(١)</sup> الأرواح والرياحين، ومياه تطرد، وطيور تغرد، ونسيم يهب فيميل بالأغصان عليك، ويسوق روائح الأزهار العطرية في كفه ليهديها إليك، وقد سرى النعيم في الحواس والأرواح، بوجود الذوات وهبوب الرياح.

فذاثٌ لِحِسِّ<sup>(٢)</sup>، وريحٌ وروحٌ لروحٍ قدس، فتنبه أيها الغافل واستيقظ أيها النائم. فقد جاءك النصيحُ بالتصريح، وما قنع بالإشارة والتلويح.

هذه عين قد نظرت إلى بهجتها، وأُذُنٌ أصغت إلى نغمتها، ويدٌ عطفت فقطفت، ورجلٌ سعت فوصلت، وقلْبٌ عَشَقَ فَلَحَقَ، وَعَقْلٌ سَارَ فَحَارَ، عَيْنٌ مَفْتُونَةٌ بِلُونٍ، وَقَلْبٌ مَتَعَشَقٌ بِكُونٍ، وَعَقْلٌ حَائِرٌ فِي قَضِيَّةِ عَيْنِ فَلَاحِنٍ، وَلَا كُونٌ اتَّحَدَ بِذَاتِ عَاشِقَةٍ فَاتَّصَلَ، وَلَا حَاكِمٌ عَلَى وَجْهِ الْحَقِّ عَثَرَ فِي قَضِيَّةِ الْعَيْنِ فَحَصَلَ، فَلَا حَبِيبٌ تَدَلَّى<sup>(٣)</sup>، وَلَا مَحَبٌّ دَنَا.

فَعَبْرَةٌ تُسَكَّبُ، وَقَلْبٌ بِنَارِ الْأَسَى يَتَقَلَّبُ. فَإِنَّ هَمَّ الْحَبِيبِ بِالاتِّصَالِ وَجَادَ بِالْوَصَالِ، وَأَذِنَ بِالتَّجَلِّيِ، فَسَتَرَى أَيُّهَا الطَّائِفُ خِيَالِكَ يَتَّصِدِعُ، وَشَامَخَكَ يَخْشَعُ، وَأَمْنَكَ يَفْرُقُ، وَقَائِمَكَ يَصْعَقُ، وَرَوْضَكَ يَحْرَقُ، وَجَدِيدَكَ يَخْلُقُ، غَيْرَةً أَنْ تَبْقَى عَزِيزاً لِعَزِّهِ، أَوْ أَمَاناً لِأَمْنِهِ، أَوْ قَائِماً لِقِيُومِيَّتِهِ، أَوْ دَائِماً لِديمُومِيَّتِهِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَلْحَظَ عَنفَوَانَ شَبَابِهِ، وَيَفُوزَ بِهِ مِنْ بَيْنِ أُنْتَرَابِهِ، وَيَخْرُقَ سِرْفَ<sup>(٤)</sup> الْكَمِّ، وَيَجُوزَ بِحَارِ الْهَمِّ، وَيَجُوبَ مَفَاوِزَ الْغَمِّ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْفِتْنَةَ فِي الْمُنَّةِ، وَالسُّنَّةَ فِي السِّنَّةِ، وَالْمُؤْنَةَ فِي الْمِحْنَةِ، فَلَا بَدَّ مِنْ تَجْرُوعِ كُؤُوسِ الْبَلُوبِيِّ، وَالْحَنِينِ إِلَى مَوَاطِنِ الشُّكُوبِيِّ، وَهَذَا رَكْنُ الْقُوَّةِ، وَمَحَقُّ رَسْمِ الشَّبَابِ وَالْفُتُوَّةِ، وَاضْمِحْلَالِ الرَّسْمِ، وَفَنَاءِ الْأَسْمِ، وَتَعَثْرِ النَّطْقِ، وَدَحْضِ الْحِجَّةِ بِالصَّدْقِ.

إِهْ عَلَى قَوْمٍ حُرِّمُوا التَّوْفِيقَ، فَطَلِبُوا الرَّاحَةَ وَأَخْطَأُوا الطَّرِيقَ، عَلَيْكَ يَا كَعْبَةُ الْحُسْنِ بِالْحَزَنِ الدَّائِمِ، وَالْهَمِّ اللَّازِمِ، وَالتَّلْفِ الْكَلْبِيِّ فِي وَصَالِ الْعَلِيِّ، فَمَا أَحْسَنَ ذَلِكَ الْجَمَالَ الْمَطْلُوقَ، وَالْبَهَاءَ الْحَقِيقَ، وَالْجَلَالَ الْأَنْفُسِ الْأَعْلَقَ. قَدِمِي فِي مَكَانِي، وَجَنَانِي فِي عِيَانِي، فَأَنَا النَّازِحُ الْقَرِيبُ، وَأَنْتِ الْأَهْلُ الْغَرِيبُ رَمِيَتْ بِفَنُونِ الشُّجُونِ<sup>(٥)</sup>، وَقِيلَ أَنْتِ الْمُتَقَفُّ الْمَسْجُونُ.

وَلَا عَطْفَةَ تُزْجِي، وَلَا رَحْمَةَ تُزْجِي، وَلَا رَأْفَةَ تَتَوَقَّعُ، وَلَا فَائِتَ يُشْتَرَجَعُ، حَارَ وَاللَّهِ سَرِي،

(١) جمع (فردوس).

(٢) في النسخة (ط): (تُحْس).

(٣) في النسخة (ط): (دلي).

(٤) في النسخة (ط): (سدن).

(٥) في النسخة (ط): (السجون).

وطاش لُبي في مجارة الأضداد، ومصادمة الأنداد، والائتلاف بشجر الخلاف، هلا ظل غيرها من الشجر كان، ولو كان النجم بدلاً من الشجر لكان أحسن في نطق الزمان.

وأين الفأل من الطيرة، وأين السيرة من السيرة، باسم الشجر عصى أب الآباء، حتى نودي به في صريح فصيح الأنباء. ذات الجسم والروح، بين الدنوّ والنزوح، والاعتراب والاقتراب، والسكر والصحو، والإثبات والمحو، فلا حالة تثبت، ولا أرض تثبت، سماء تبكي ثم ترفع، وأرض تضحك وقتاً ثم تخشع. أين سرّ الديمومية والثبات، أين ملازمة الالتفات، إلى متى هذا التحول من حال إلى حال، كأنه محال في محال، أواه أواه على حمل الأعباء، واختراق السماء، هلاً نزل إليّ ولا اخترقه<sup>(١)</sup>، هلا طرق بابي ولا أطرقه، إنا لله على هؤلاء العصاة، ما أجهلهم بشرف الكلمات.

هلاً نظروا إلى سيدهم قد وسعه قلبي<sup>(٢)</sup>، وتضمنه لُبي، وهم خُلِقوا من أجلي، وعرفوا أن ما ثمّ في الوجود مثلي، ما بال الفرصة لا تأتيني حتى أسمى إليها، ما بال الثمرة لا تنزل عليّ قبل أن أنزل عليها.

يا ليت شعري ما هذه الغلطة، وما هذه الخطّة، تفتّنت للمعنى المراد، والسر الكمين في الفؤاد، لا يتمكن لها أن ترد إليّ، ولا تنزل عليّ، لجهلها بمكاني، فلا تعرف أين تراني، فمعرفتي بها أنزلتني عليها، وحملتني إليها، ألا ترى الله معنا بهذه المثابة لما لم نعرفه لم نرحل إليه، ولا نزلنا عليه. فعرفنا فنزل، واتخذ قلب العبد بيتاً وإليه تنزّل. فلهذا التحقق الإلهي عندنا عرفنا الأشياء وما عرفتنا، فوجب علينا السعي إليها والنزول عليها.

يا حكمة ما أجلاها، وقطرة مُزّن ما أعذبها وأحلاها، لولا الجمال ما اشتهيت المال، ولولا الرذيلة ما تعشقت بالفضيلة، ولولا النقص ما رغبت في الكمال. لهذه العلة مجهلت الإشارات، ولم تُعرف العبارات، فإنه أمران فصل وجمع. فالعالم في الفصل، وأنا في الجمع. فكل شيء بالإضافة إلى ما يقابله موسوم، وبرسمه مرسوم. فلولا العلو ما سُمي الشفل، ولولا الطيب ما عرف التفل، ولولا القشر ما عزّ اللب، ولولا العبد ما علم الرب. فالعلو لا يكون شفاً أبداً.

﴿فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾<sup>(٣)</sup>.

وأنا الذي استوى، وسقط، وطلع، وهبط، وعصم وغلط، وعلا وسفل، وارتفع ونزل.

(١) في النسخة (ط): (ولا اخترته).

(٢) تفسيراً لحديث: (ما وسعني أرضي وسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن).

(٣) الآية رقم (١٣٥) من سورة طه.

ومن (ط): (وستعلمون) ولم توجد إشارات تفصل بين نصوص الآيات وغيرها من نص الكتاب في النسخة (ط).

يا ليت شعري: هل فهمت العقول إشاراتي؟

هل سمعت الأذان عباراتي؟

هل عُرف ما وراء هذه الحروف؟

هل عُلمَ ما حوته هذه الظروف؟

واهاً لسرِّ مكنوم، ووعاءٍ مختوم.

وبعد:

يا كعبة الحُسن، ويا روضة المزن. قد ناجيت فيك من أوجدك، وسألت فيك من وُحِدك. إن تصح العزائم فتتحد الأسرار، وتصحو السماء فتتقد سُرُج الأنوار، فتدرعت الشرفة قائماً، وقيمت باسمه الله حاكماً. فقلت:

يا الله بك عَزَّ الذليل، واهتدى الدليل، ولاح السبيل.

نَصَبْتُ هذه الكعبة، وجعلت القلوب إليها صَبَّةً، وأنا أريد أن أصفَ لك حالةَ تعلُّمها، وصفةً لم تزل حقيقتي تلزمها، لما أُرْخِي العنان عنانه، وزخرف الجنان جنانه، وأضحك النور نوراه، وجلّى طلوع الزهر أزهاره، سطع الجمال في سماء الاقبال، فتحير البال، واشتد البلبال، وفارت المراحل في الصدور، وأخذت الأسرار في الورود بعد الصدور، وعظم الخطب، وقلَّ العزاء، وجلَّ الأمر، وعمَّت البلواء. فما ترى كل زوج بهيج إلا في أمرٍ مريج. فأرذتُ في سؤالك تسكين ما تحرك، وخلع من تملك، وضالة قائدة تجمع عليّ، ونفساً جموحة تدعن بالصدق إليّ، وإعدام ضد يريد عدمي، واستيلاء سلطان يثبت في مودتها قدمي، بمعونة إلهية<sup>(١)</sup> عجماء، ودعوة سريانية خرساء، تجل وتسمو أن تُعبّر عنه حروف الهجاء، قوية الهمة، صادقة الضراعة واللجاء.

فإنه إذا بدا اللسان، وظهر البيان، وقام العيان، فأين عَزَّة الغيرة؟ وأين سلطان الحيرة؟

كل ما سطره القلم فغير منظور إليه، لأنه لو عشق لكتم وغيرَ عليه إلا التعشق الإلهي المطلوب، بين الرب والمربوب، فتلك حالة مجهولة، صحيحة غير معلولة، تنافي هذه الأحوال، وتعز عن درك الإخلال.

يا عجباً! كيف تذاق أسرار المعشوق!؟

كيف ترتب عليه الحقوق!؟

(١) في النسخة (ط): (الصمة).



أليس هذا عين المحال والضلال، أحبك وأحبيك لغيري وأعشقتك وأختار لك شري على خيري. هذه مسألة دجالية المكان، نارها ماء وماؤها نازٌّ في العيان، ومسألة نبوية في الشبهات، «حُفَّت الجنة بالمكارة وحُفَّت النار بالشهوات»<sup>(١)</sup>.

والمقامان ضدّان. بين الكذب والصدق، والباطل والحق، والأمر في العين واحد، عند المشهود والشاهد.

قال الحبيب، ولم يكن في مقام الاكتراث: «حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ»<sup>(٢)</sup>.  
هذه صفة المحبوب لا المحب، ونعت المعشوق لا العاشق. المعشوق في الاختيار، والعاشق في الاضطرار، المعشوق في التمحيص والاختبار، والعاشق في السكون تحت مجاري الأقدار. الكتمان في المحبة أصل، لكل وجه وفصل، فتارة من باب الاحترام، وتارة شفقاً من الآلام. كما قلت:

عَلِيلُ الْجِنِّمْ قَدْ هَجَرَ الْمَنَامَا	بِصَاحِبِ خَيْفَةِ الْوَاشِينَ لَامَا
يَهِيْمُ بِرُوحِ قَدَسٍ لَا يُسَامِي	إِذَا مَا أَبْصَرَ الشَّعْرَى تَسَامَا
يَقُولُ: أَنَا الْقَتِيلُ بِغَيْرِ سَهْمٍ	وَذَاتِي كُلُّهَا مُلِئْتُ سَهَامَا
شَكُوْتُ اسْمَ الْحَبِيبِ إِلَيَّ وَحَدِي	وَرَاعَيْتِ الْمُوَدَّةَ وَالذَّمَامَا
وَلَمْ أَخْفِ اسْمُهُ حَذْرًا عَلَيَّهِ	وَلَكِنِّي ابْتَفَيْتُ الْاِخْتِرَامَا

فمهما أراد المحبوب ينطق فباسم الحبيب، ومهما أراد يسمع فكلام الحبيب، وكلما أراد أن

(١) حديث: (حفت الجنة بالمكارة، وخفت النار...) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. لكن للبخاري: (حجبت بدل حفت).

وعزاه في الدرر للشيخين عن أنس رضي الله تعالى عنه. والموجود فيهما عزوه لأبي هريرة (حجبت).

انظر الحديث رقم (١١٥٢) من كشف الخفاء للعجلوني ٣٦٢/١ وانظر الحديث رقم (١١٠٧).

(٢) حديث: (حُبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ فِي الصَّلَاةِ) هكذا أورده العجلوني في كشف الخفاء وقال: هكذا اشتهر على الألسنة وترجم به النجم، لكن ذكره في المقاصد وكثيرون بدون (من دنياكم) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أنس رفعه وكذا الخطيب في تاريخ بغداد مقتصراً على جملة (جعلت) ورواه النسائي عن أنس رضي الله عنه بهذا اللفظ، والحاكم بدون جعلت وقال: صحيح على شرط مسلم وأخرجه ابن عدي عن أنس بلفظ (حُفَّت).

وأخرجه أيضاً أحمد وأبو يعلى في مسنديهما. وأبو عوانة في مستخرجه والطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه وآخرون.

انظر ما أورده العجلوني فهو كثير عن هذا الحديث فضلاً عن التفسير والشروح وغيرها.

الحديث رقم (١٠٨٩) ٣٣٨/١ كشف الخفاء.

ينظر فإلى وجه الحبيب، من نظر إلى غير وجه محبوبه هلك وتلف، ومن سمع غير كلام معشوقه ندم وأسف، حبيبي بل ظلي بظلك حتى تنهل الدِّيم، خلقت ذاتي بخلوق خلقتك حتى تنزكي الشَّيم.

إلى متى يُقيم الدَّرَج في الدَّرَج؟ هذا أوان العجج والثَّج<sup>(١)</sup>، نفوس تهدي، وإبل تحدى، وضدان مخصوبان، ونذان منصوبان، ورسائل ووسائل، واستماع واستمتاع، ومواسم في مباسم، وتباب في قباب، وثغور في ثغور، ودواهي في نواهي، وقواصم في عواصم، ونواظر في نواضر، فمن غمره الفضل، وسقاه السَّجل، وصفاه الحب، وتصافاه القرب، وهجره الوعيد، وناقره التهديد، فذلك الذي لا يتصف بعد بالسقا ولا بالظما، ولا بالكدر والبعد، ولا يبرح في حظيرة السعد.

يا كعبة الحُسن: ما أشد وجدي عليك، وشوقي إليك، وسرد في هؤلاء الطوائف، واستغنم هذه الطرائف، فعزيرٌ أن يرى مثلي يربعك طائف، تحقق بهذه المعارف والإشارات، وانظر ما أومأت إليك به خلف حجاب هذه العبارات، واسنح بها على ذاتك، واذخرها بعدي لبناتك، أليست السلطنة بها بعدك أولى، أليست السلطنة بميراثك أجدر وأحرى، بالله وحياة الحب هل يستوي العبد والمولى، فعليك بالتسليم لما أورده عليك، وواجب عليك أن تبلغ ما أنزل إليك، ولا تسل عن العلة والسبب، فقد تميزت الرتب، لما قُسمتْ وعُرِفَتْ النَّسب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وهي فيهم وهم فيها وهم لا يشعرون، فهم الجاهلون وإن عقلوا والصم وإن سمعوا، والعُمي وإن أبصروا، والخرس وإن أفصحوا. كم من لسان عجمي قلبه عربي، وكم من لسان عربي قلبه أعجمي، ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾<sup>(٣)</sup>.

فديت يا كعبة الحسن قلباً يفهم إشاراتي إليك، وإيمائي ومقاصدي وإيحائي، ويُبين رمزها، ويفك معماها، ويحل لغزها، طلسمات سيميائية، وتنبهات كيميائية، هذه المناهج قد أنهجتها، هذه المعارج قد أبهجتها.

(١) في الحديث: (أفضل الحجج العجج والثَّج).

والعجج: رفع الصوت بالتلبية.

والثَّج: صبُّ الدم وسيلان دماء الهدي يعني الذبح.

انظر اللسان (عجج).

(٢) الآية رقم (١٧١) من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم (٢١) من سورة الأنفال.

أين من ينهج فيرى؟

أين من يعرج بقلبه إلى السماء؟

هذا البراق عند الباب، هذا جبريل ممسك الركاب.

هل من همة محمدية قد ورثت ورثاً كلياً؟

هل من عزمة صمدية قوية قد نهجت منهجاً عقلياً؟

هذه المعاني في المغاني، هذه الأرواح في الأرواح، هذه الحقائق الجسام في الأجسام، ما أعذب اللثم والعناق عند العشاق، ما أطيب رائحة المحبوب، ما أشد فرح من جاد عليه دهره بالمطلوب. قطعنا من أغصان شجر الحب، وكنا في حدائق القرب، وأخبرنا عن المحبوب بما تحصل لنا من العلم الموهوب، وجرينا إلى الغاية التي أرادها، وأمطرنا بالسحابة التي ألقنت علينا أكبادها، وأنبأنا عن غاية الابتداء، وأملنا ما رأينا في الانتهاء، وغنينا بقريض الازدواج، فأظهرنا السلوك والأساورة والدمالج والإكليل والتاج، فسَمِعنا عتاب من قصدناه وفهمنا منه ما أردناه، فأخذنا خاتم الملك، واستويناه به على الفُلك، وتعزُّزنا بعزِّه، واشتهرنا بحكمته، وأجبننا دعاء من دعوانه، واعتقدنا دين من اعتقدناه وسرنا تحت لواء حمده، إلى جنة صدق وعده، وصرخنا في مجلس سماعه، وتلذذنا بحُسن إيقاعه، وابتغينا رضاهُ إذ توخَّيناه، وسحبنا زلال<sup>(١)</sup> برد من أحببناه، وتقلبنا في بساط من رجوانه.

والله سبحانه يؤيدك يا كعبة الحسن في كل حال. ويحول بينك وبين المحال، ويصفي سرك إليه، وينزل بك عليه، وهذه حالة تُشتهي ولا تدرك وتُعلم ولا تُملك.

والسلام المعاد عليك

ورحمة الله وبركاته.

(١) (في النسخة (ط): ذلّاذل).

## ٢ . الرسالة القدسية

### توسّل بها عبد الحي إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الحي محمد بن علي إلى كعبة الحُشْنِ وروضة المُزْنِ.  
سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمد الله حقّ حمده، والصلاة على سيدنا محمد نبيّه وعبده:

فإن تعجّبي في حقّ المحب من الشكوى، أعظم من تعجّبي مما حلّ به من البلوى. فإنّ المحب مشغول بلذة حُبّه فأين الألم، ومن لم تكن هذه حاله في الحب فليس له فيه قدم، الألم مع الإحساس والمحب مخدور، الضراعة مع العقل والمحب معتوه مقسور، أين أنت من المثل السائر في النقل، ولا خير في حبّ يُدبّر بالعقل.

وهذه «ليلي» وقفت على «قيس» فقال لها:

(إليك عنّي فإن حُبّك شغلني عنك).

وكان يمشي عرياناً لا يواريه شيء فلا عقل ولا إحساس، وكُنّا نقول بالموت فيه لولا الأنفاس.

كيف يشكو من لا يعقل؟

كيف يألم من غمرته اللذات؟

أما علمت أن شهوة الحب أعظم من سلطانه، وإن شبهتها أقوى في الصورة من برهانه، ما هذا إلّا توهم بعيد، استحکم سلطانه على قلب العاشق الوحيد. ما أحسن هذا الشأن لو ظهر ولو بالنقل، ما أبدعه لو خرج من القوة إلى الفعل، لكنّ العقول قد أعجبت بمداركها الفكرية، والبصائر تائهة بتصاريفها العقلية، والأذهان محجوبة باستنباطاتها الزكّية، لو عقل العقل أنه

معقول، وعلم العلم أنه معلوم، وبصر البصر أنه مُبْصِر، لذل الكل تحت القهر، وغرق الكل في  
لُجج هذا البحر.

يا كعبة الحُسن:

هل نظرت في شأنك كيف سَوَاك؟ حتى انهدت أركانك وقواك.

كيف لم تكن شيئاً ثم كنت؟

كيف لم تبني ثم بنت؟

وقفت على الآيات التي أنبأت عن حقيقتك، وأوضحت لك معالم طريقتك.

أين أشعارك وإحساسك؟

أين بحثك والتماسك؟

تأتي إلى عارفٍ مثلي تدخل معه في اللُجج، وتتوسط معه الشبج<sup>(١)</sup>، وتبدي له الشُّبه في  
صور الحجج، وأنت لا تفرق بين العاج والشبج<sup>(٢)</sup>.

أتظن أنني لا أعلم بمقامك ومقامك، ألت من اليسار، ألت الضلع الأعوج الذي إن  
أردت تقويمه تسارع إليه الانكسار، لا يصح لك أبداً الاعتدال، ولا تنتقل من هذه الحال، أجبني  
إن كنت صادقة، خاطبني إن كنت ناطقة، ما بالك خرساء عن مجاوبتي، ما بالك عجماء في  
محاورتي، أنا الحي الذي خلقت مني ثم شاركتني، حتى كنى بك عتي، أنت جزئي وكلي،  
فيك يا عجباً الكل في الجزء حقيقة ترميها العقول، لولا الخير المنقول، وهذه إشارة بينك وبينها  
سبعون ستارة، فارفع الستور، وسح على نفسك من أجل النور، فإنه محرق ذاتك، مذهب  
صفاتك، فإن وقفت بعد الكشف على الإحاطة، فقد دخلت بساطه، وإن عجزت عنها فاعلم  
أنك فيها منها. فانظر أي المنزلتين أشرف، وأي المقامين أطف، وأي المحبوبين أظرف.

(١) اللُجج: جمع لجة، ولجة الأمرُ معظّمهُ ولجة الماء، وكذلك لجة الظلام ولُج الليل: شدة ظلمته وسواده. (انظر اللسان مادة  
لجج).

والشبج: كما في حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: (خيار أمي أولها وآخرها وبين ذلك ثبج أعوج ليس منك  
ولست منه).

والثبج: وسط الشيء. وفي الإنسان ما بين الكاهل إلى الظهر.

انظر اللسان. مادة (ثبج).

(٢) العاج: أنياب الفيلة، وقيل: من عظم الفيلة وقيل: لا يسمى غير ناب الفيلة بالعاج. والشبج: خرز أسود، دخيل، معرب.  
والفرق بين قوة العاج وجماله وضعف الخرز واضح. انظر اللسان.

لا تقابل حياته إلا بموتك، ولا عزّه تقاومه إلا بذلك، فإنك لا ترى عزّه بعزك، ولا حياته بحياتك، فإن [بيان] الرؤية من طريق الفيض، وأنت مستغن عنه، فكيف يأتي بي إليك بشيء منه، لا تقل قد علمت العوالم، ورتبت المنازل والمعالم، وفصلت بين طبقات الكون، وتحققت بحقائق العين، كل ذلك هباء في جنب ما غاب، وخبيث في حق ما طاب.

لله علم يتعالى عن الإشارات والعبارات، ويتسامى عن الإدراكات والإحاطات، على ذلك العلم فابحث، عساه في روعك ينفث، تشهده ولا تعبر عنه، وتجده ولا تقدر تخرج منه، يحكمك ولست تحكمه، ويعجمك ولست تعجمه، إذا حركت رياح أسبابه الشمس الفصحى بالمقال، تصدعت لها شامخات الجبال.

هذه عبارات الأسباب، من خلف سبعين ألف حجاب، فكيف لو بدت الكُبيحات، ما بقيت - كما ورد الخبر<sup>(١)</sup> - المبصرات، فلا علم إلا عن عين، وعد عن كل كون، فإن الكون يحول، والغير ينتقل ويزول، وكعبة الحُسن سيدي باقية مستحيلة الفناء، لأنها الكل من غير توهم الأجزاء، بل إحاطة لفظية<sup>(٢)</sup>، ولفظة حفظية.

كم دمع عليك مسفوح!

كم قلب عليك مقروح!

آه لشوق مزعج، وكبد بناء الهوى ينضج<sup>(٣)</sup>. هذا علم البرزخ ماسك الطرفين، ومالك الأمرين، الفاصل بين الضدين؛ كالحط الفاصل بين الظل والشمس، والمعنى الرابط بين العقل والنفس.

انظر إلى هذا التعشق الإلهي، وهذا التحقق الاعتصامي، نَقَّ سَرَك عن كل كدر، وطَهَّر جوارحك من كل دنس، وأزَل رَمَدَ الغفلة من جفنتك بكحل الانتباه، وَغَبَّ بكليتك في عن ملاحظة الأشباه.

إن أردت أن تحصّل هذا العلم الذي تلوناه عليك، وأنزلناه إليك، تضرع إلى ربّ السماء في تحصيله، واسأل إله الأسماء في أن يوقّلك على تفصيله، وإياك أن تسأل منه الجمع فتعمى،

(١) الحديث: (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سُبحات وجهه ما امتد إليه بصره من خلقه). رواه ابن ماجة في سننه مع اختلاف يسير في اللفظ ج ١ ص ٧١، وانظر أيضاً مسند الطيالسي ج ١ ص ٧٦، ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٢٤٥، والأربعين في دلائل التوحيد ج ١ ص ٥٦.

(٢) في (ط): (نقطية).

(٣) في (ط): (ينفج).

وتحصل في دجنة ظلماء، حيث لا ظل ولا ماء، فإن معرفة التفصيل تجمع وتحصل، ومعرفة الجمع لا تفضل، فبقى الحيرة على أصلها لما لم تتحقق بفصلها.

وقد نصحتك فأبلغت، ودعوتك فأسمعت، فأجب الداعي، بالسمع الواعي. فقد آن الاندكاك، وقرب الهلاك، وضاعت السماء بالأملك، والاستواء بالأفلاك.

يا كعبة الحُسن:

قل لربائك نور وجهي عليّ رقيب وأنتم لا تشعرون، ما لكم لا تبصرون، أغميئت أبصاركم، أطميئت أنواركم، ما لكم تحسدوني على عارفٍ هيّمه جلالِي، وتيّمه دلالي، وسحره غنجي وجمالي وتيّه كمالِي.

أنا الكعبة؛

التي خضعت إليّ رقاب الجبابرة، وعنت لقيوميتي وجوه الأكاسرة. كم تاج من على رأس صاحبه أسقطته، وكم ثوب من على ظهره جردته، من الذي يجرو أن يدخل حرمي محلاً، أو يتخذ بيتي محلاً.

ألم تروا إلى المتألهين حين رأوني قد زالت معالمهم، وإلى الأوابين قد انتقضت عزائمهم، وإلى الأواهين قد انقضت صرائمهم. أين التائه في حيرته؟ والواجد في سكرته، والهائم في غمرته، والواله في نفرته، والمناجي في صلاته، والراتع في غلياته، والمطمئن في إشاراته، والموقن في آياته، والبالغ في عباراته، والعارف في إشاراته، والمتفتن في كنياته.

ما لهم إذا أبصروني ذهلوا، وبالطواف بذاتي شغلوا، هل ذاك إلا لسيرٍ اختصت به على أبناء جنسي، وأودعه الحق في نفسي. فكم يغار الرقيب، وكم يروم أن يطفىء هذا اللهب، من قلب كل حازم لبيب، أسمعت القلوب الإلهية ندائي فتغاثت، وأبدت لها حجائي فطاشت، وأسفرت لها عن ظاهر وجهي فتلاشت. فكيف لو تجلّى لهذه القلوب من أسرار حسني المعنوي، وجمالي العلوي، وهي بهذه المثابة والمكانة، من المقام العلي ما عرفت رسوم ديار، ولا ندبت أطلال ولا آثار، فاعتبروا أيها العارفون في جمالي، وإقامتي على اعتدالي.

وإيّاك والغيرة أيّها الرقيب الحسود، فإن حسرتها عليك تعود، فجمالي مبذول لكل عين، وحسني متجلّ في كل كون، لما تنزّه أن يدرك، وتعالى أن يملك، لم أبال بما ظهر منه للبشر، فإنهم ما يقبلون سوى الحجر، من رأيت قط منهم غاص في بهمته، وسار في كلمته<sup>(١)</sup>، ما

(١) في النسخة (ط): (ظلمته).

منهم أحدٌ يزيد على أن يستلم وينصرف، ويعتدل ساعة ثم ينحرف، والعارف منهم غاية أن يقر بالعجز ويعترف.

ألم تر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في بعض الحركات قد وقف عند يميني، وقال لبعض أصحابه: «ها هنا ينبغي أن تسكب العبرات»<sup>(١)</sup>.

أترى ذلك سدى، أترى مبلغ ذلك مداً، فما لك والحيرة ولباسك رداء الغيرة، الله قد هتك ستري وأخفى عنهم سري، فيدورون بمعاهدي على حكم العادة، وغاية الحاضر منهم طريق العبادة، ولا يلحظ أحد منهم ما تحصل له في معناه عند طوافه بي من الزيادة. أثبت الناموس الأخشاب والناقوس، وبئس الجاسوس، الغراب أو الطاووس، يُتبع<sup>(٢)</sup> ليري، وحسد واقتري، وأتى في حديثه بقاصمة الظهر، وقارعة الدهر، فأف لها من عسرة، وتعسا لها من غيرة. أين هم من نعت الصادقين، وصفة المخلصين، حالة حولاً، وعين عورا، دجال تائه، على معنى يسير تافه، بتست ألوهية لا تدوم سوى أربعين ليلة. ويُلها من حالة وويله، ولكن مُدح أيوب بالصبر، وداود بالشكر. فترادفت البلوى، وقيل إياك والشكوى.

فتراني صابرةً على دعواهم، سامعة في كل حالة نجواهم، قد سودوا يميني بخطاياهم، وكانت اليمين البيضاء، وأبلوني وكنت الجديدة الغضا، والله لأصبرن على ما قضى، حتى أحوز الرضا وأستعذب المرّ في جنبه، واستسهل الصعب رغبة في اقترابه، حتى أفوز وأجوز، وأحصل وأحوز.

فديتُك يا كعبة الحُسن:

لقد وبَّخت الرقباء، وسفّحت الحكماء، وجهّلت العلماء، وأعييت البلغاء، طبّط وطاب كلامك، ودمت ودامت أيامك، أذهب الله وصبك، وأراح تعبك.

والسلام المعاد عليك

ورحمة الله وبركاته.

(١) حديث الرسول: (ها هنا ينبغي أن تسكب العبرات). رواه ابن ماجه في المناسك ٣٧.

انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٤٨٨/٢ مادة (سكب). وقال الإمام السيوطي:

رواه ابن ماجه، والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما وفيه - يعني عند الحجر - زيادة.

انظر جامع الأحاديث ٥١/٧ حديث رقم (٢٤٣٥٧).

(٢) في (خ): (تبع).



## ٣ . الرسالة الاتحادية

### توسّل بها عبد العليم إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العليم محمد بن علي إلى كعبة الحسن، وروضة المُنزَن. سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الأتمّ، والصلاة على سيدنا محمد الأقدم.

فإن سر الاتحاد مجهول في الأشباح، معقول في الأرواح، إذا انضم الحبيبان في الثوب الواحد، وتلاصق المتيمان بحكم الشاهد، وتعانق الشكلان تعانق اللام والألف، وارتبطا على السرّ الذي لا ينكشف، وأداما التعنق وامتصّ الريق، فأنحدرت رطوبته الشهية إلى المعدة الغيبية، وامتزجت مع الرطوبات التي منها القبلية، ودفعتها إلى بيت الكبد، المودع في الجسد، واختلطت رطوبة ريق المعشوق بأجزاء الدم، وانتشرت بين الجلد واللحم، وفي العروق.

فكانت منها حياة ذلك الجسد، وعمارة ذلك البلد، فإن روح الحياة بخار لطيف، له سريان شريف، ينحل من رطوبة الدم، وينتشر في جميع أجزاء الجسم، به تكون الحياة في هذه الأشباح، وهو المعبر عنه بالأرواح، ومادته من الاستنشاق الهوائي بالقوة الشميّة، لترويح الحرارة التي في القلب الغريزية، فلولا هذا التبريد لوقع التبدد، وكذلك إذا تنفس الحبيبان مكافحة، وتنهّدا مناوحةً خرج مع ذلك التنفس شيء من نسيم الروح، فاختلط بأجزاء الهواء، فدخل إلى خياشيمهما على السواء، فسرى في أجسامهما علواً وسفلاً سريان النور في البلور، على طريق الرئة والحلقوم إلى القلب، والتحق بعالم الغيب، فدب مع النبض والعروق الضواريب، واختلط بالدم واللحم في جميع المضارب، فانعقد في بدن هذا ما تحلل من بدن هذا، فصار له روحاً، والجسم له ضريحاً.

ولما كان الروح الذي هو الحياة أحب شيء للإنسان، فصار هذا المعشوق أحب شيء إليه

في (١) الأعيان، لاتحاد أرواحهما في الجثمان، وإلى هنا انتهى عقل العقلاء، ونظر أهل المودة والصفاء، وما قدر منهم أحد أن يزيد عليه معنى يحقق به قوله ودعواه، فإن الاعتراض منوط بفحواه، فزدنا بحمد الله عليهم في المسألة إيضاحاً، وجعلنا له الإشارة عنه مفتاحاً:

فاعلم أن النفس والريق إنما يجريان بحسب ما استقر في القلب استقرار الاستفراغ، وانتهى فيه غاية البلاغ، فحينئذ يكون ما قالوه، ويظهر ما أخبروا به وسطروه كما حُكي عن الحلاج (٢):

إنه انكتب من دمه اسم المحبوب.

وكذلك زُلِيخا (٣):

حين فصدت وقع دمها في الطست يوسف بن يعقوب.

فالذي يكون في القلب يتزايد كائناً ما كان حتى يذهب من الأذهان. ويا عجباً! كيف غفل عن هذا المعنى أصحابنا وهم أهل تدقيق وتحقيق.

فهذا يا كعبة الحُسن

قد كان بيني وبينك فقد اتحدت أرواحنا، لما تعانقت أشخاصنا، أتذكر إذ لثمت يمينك الغراء في الهاجرة، وأنت لي كالحبة الهاجرة، فانفتح يمينك حتى التقم الشهادة التوحيدية من نفسي، وزفرت عند ذلك فكاد يحرقك قبسي.

فالحمد لله الذي وحدني بك ووحدك بي، وصرت مني كأمي من أبي، هي ذاته وهي أهله، هي بعضه وهي كله، لكن يا كعبة الحُسن.

إن الله سبحانه بلطيف حكمته، وغريب صنعته، خلق أعضاء تكليفك، وفرق بين لطيفك وكتيفك، وجعل في كل كتيف أمراً، وفي كل لطيف سرّاً، فإن أبقيت نظامها على الوضع الإلهي، والتناسب الرّياني فأنت المالك، وإن لم تجرها على وضعها، وخلطت بين ضرها ونفعها، والتبس عليك تشيتها بجمعها فأنت الهالك.

(١) في (ط): (من).

(٢) (الحلاج): الحسين بن المنصور، أبو مغيث البيضاوي؛ ولد في الطور قرب البيضاء (فارس) وتوفي في بغداد. فيلسوف صوفي، قضى السنوات في خلوات الصوفية لا سيما مع التستري وجنيد، ثم طاف البلدان داعياً إلى الزهد، اتهم بالزندقة والقول بالحلل فحكم عليه وسجن ثماني سنوات في بغداد ثم عذب وصلب. أنشأ مذهباً في التصوف وأثار حوله الجدل، فقدسه البعض وكفره غيرهم. مؤلفاته باللغة العربية. ولم يبق منها إلا «كتاب الطواسين» توفي ٣٠٩هـ / ٩٢٢م.

(٣) (زُلِيخا): أم محمد الأصبهانية وقيل أم الضياء، بنت أحمد بن فضلويه الجمال الأصبهاني. سمعت أبا محمد رزق الله التميمي وأبا عبد الله القاسم بن الفضل الثقفني وجماعة سواهم وكتب عنها معمر المفيد سنة خمسة وأربعين وخمسمائة.

هيهات **﴿أيحسب الإنسان أن يترك شدى﴾** (١) وكأني بك قد بلغت المدى، اجعل العالم شهداء لك لا عليك، وشاردين من كل أحد إليك، عشقهم بذاتك عشق من لاح له من ذلك علم النجاة، وشوقهم إليك تشوق من لاحظ الفوز في تحصيل الدرجات، فامتطى بعملات الأعمال، ورقص به الآل، وواصل البكور بالآصال، رغبة في المشاهدة والوصال. إليه يا قرة العين، ويا حلب الكبد، أصبحت مني كذراع من عضد، أرغني (٢) سمعك، وهبني جمعك (٣).

خرجنا يوماً إلى السياحة في فلوات المعاني، وتجردنا للسباحة في بحر المثاني، فلقينا قوماً جدواً للبغيّة، وكدواً لتحصيل المنية، وتحلوا بأسنى حلية، فتأهوا في تيه الخشبية، فنالوا الرضا بالإنضا، وحازوا الجد بالجد، نظروا بنور الله فأدرکوا، ونطقوا بذكر الله فتملكوا، وقدسوا نفوسهم من درن المخالفة، فحولفوا وعاینوا ملكوت الحقيقة الإلهية فعموا فضوعفوا، واعتمدوا على قدم الصدق الیونسي فاطمأنوا، وامتألت جوانحهم بسرائر العشق فبدا عليهم ما أكنوا، ترادفت عليهم المن الرئانية فلم تبق فيهم متسعاً للطمع في غيرها فعصموا، زهوا بخدمته بين عبیده لما اصطنعهم لنفسه فحكّموا، خالط حب المنزل بشاشة قلوبهم، فما عالجوا ولا عزجوا، فنودوا فتلذذوا. فقيل لهم: ادرجوا. فما درجوا.

واعجابه. من مخالفة توجب قوباً، وحسنة موافقة تورث عُثباً، جاعوا فخصبوا، حزنوا فلعبوا، تمسكوا حتى تمكّنوا، تملقوا حتى تحققوا، توسلوا حتى تواصلوا، وخذوا حتى اتحدوا، أنسوا فلم يستوحشوا، استعملوا الأقدام إليه، فنزل بهم عليه، فلما كشف لهم عن وجهه، لم يروا سواهم فهم العبيد والموالي، والأسافل والأعالي، نفسي الفداء لقلب يفهم، أو سر يعلم، للدهر حوادث ومصائب، وسهام ماضيات صواب، لكن منها سهام تُبصّر فتتقى، ومنها سهام معنوية ترمي بها القلوب من قسي المكر فلا تتوقى، فموقع مثل هذا السهم لذيد في الحال، فظيع المرارة في المآل، فإن سهام الرزايا إذا رمي بها عن قسي المكر لا يظهر فيها شيء من النكر، فالحكم للوقت، فإما بالبيخت، وإما بالمقت، شمس تدور، وقضاء في ذلك الدوران يغور، تصارييف الأقدار رسالات رسل الليل والنهار، بياض وسواد، شقاء وإسعاد، رسولا أضداد، البغية فيهما مجهولة، وكلمتهما عند الله مقبولة، لأنهما الأمينان على كل ذات لما نصبت، وهو

(١) الآية رقم (٣٦) من سورة القيامة.

(٢) يقال: رَغَنَ إلى الشيء إذا مال إليه.

وفي رواية في حديث (عمرو بن العاص): أردت أن تبلغ الناس عني مقالة يزعمون إليها أي: يميلون إليها. انظر اللسان مادة (زغن).

(٣) في النسخة (ط): (أعيريني سمعك وهبيني جمعك).

القائم على كل نفس بما كسبت، فليل لجنة في الدنيا والقصوى، ونهار لسعير في الآخرة والأولى هما اللذان يأتیان بالكسب، ويوبخان بالعتب، ويستدرجان بالنعم المشوبة، ويُعرفان بأنها المطلوبة، فلا تلتجى لاستغنائها وتريد من مولاها أن يحط بفنائها.

إلى هذا انتهى أمر هذه النفس الخسيصة، الكريمة الرئيسة، تأملت سر الاتحاد في الليل والنهار، الليل هنا لباس وعذاب في دار البوار، والنهار هنا عذاب ونعيم في دار القرار، والنفس في هذا كله لاهية، ليس لها لما أورده عليها أذن واعية، ما أسرع ما تلحقها الرزايا، وتختلسها المنايا، وتحيط بها البلايا، وتجرعها الغصص، وتكون أشأم مفترض يفترس فلو عرفت حقيقة نفسها، لفرقت بين يومها وأمسها، وعقلها وحسها.

أما علمت هذه النفس أن لها ثلاث قوى في ست حضرات تتصرف تحت حكمها، وتمشي على مقتضى علمها، قوة ناطقة حضرتها الدماغ ولها فيه منازل، على عدد النوازل، يحفظها في اللفظ، الخيال والفكر والحفظ، والخيال في مقدم الدماغ لتلقي المحسوسات، والفكر في وسط الدماغ للتمييز والترجيح في القضايا والحكومات، والحفظ لصون ما حكم به الفكر في القضايا، حتى تمس الحاجة إليه فتلقيه بين يدي الحاكم، هذا حكم له لازم، فالفكر حاكم محقق، والخيال شاهد مصدق، والحفظ أمين موثق.

فهذه القوة الناطقة بكمالها قد تميزت، وفي صدر موكبها قد تبرزت، فهي السيدة السلطانية. وأما القوة الثانية فهي القوة الغضبية، وحضرتها القلب، ولهذا لها الاسم الرب، وهي لهذه الناطقة أجناد الاستعانة.

وأما القوة الثالثة فهي القوة الشهوية، وحضرتها الكبد ولهذا لها تدبير الجسد، وهي لهذه الناطقة رعية الاستكانة.

فإذا جَزَوْا على ما أُهْلُوا له بالحدِّ الموضوع، والعهد المشروع، والتصرف المعبودي الحكمي فازوا وربحوا، وإن عدلوا عن هذا الحدِّ الأمري، إلى الحدِّ الإرادي، ونزلوا بالحكم الاختياري، الإلهي من جانب الغرض النفسي خابوا وخسروا، «فمن عرف نفسه عرف ربه»<sup>(١)</sup>، ومن عرف الله عرف قلبه، فكن مع الرب لا مع الله، فربي وإن كنت مع الله فمن كونه رباً، فإن ذلك رحمة الأبد، ونعمى الخلد.

ثم لتعلم يا كعبة الحُسنِ الفائق:

(١) حديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربه). قال ابن تيمية موضوع. وقال النووي قبله ليس بثابت. انظر المصنوع ج ١ ص ١٨٩ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٣٤٣.

أن في الوجود نكتة غابت عنها عقول كثيرة، وعمي عنها كل بصر وبصيرة، وذلك أن الإنسان إذا كان في شيء لم يرَ حقيقته ومعناه، وإذا صار عنه أجنبياً رآه، والنفس إذا التبست بشهوتها وغرضها، وتعشقت بعائتها ومرضاها، لا ترى سوء ما هي فيه ولهذا تصطنعه وتصطفيه. قال تعالى موعداً ومبيناً:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا كنت أنت المكلف يوماً ما بذلك الأمر سواك، هل يستوي عندك من أطاعك فيه ومن عصاك، فإن أتى ما نهيته عنه أن يأتيه وتحاماه، أو عصى ما أمرته به وأنت تراه، هل كنت ترى فعله ذلك إلاّ عبثاً عظيماً، وجزوماً جسيماً، وعدم احترام، وطرح احتشام، ولا سيما وأنت تعلم منه أنه يعلم أنك تراه، ويتخاذل عليك ويجرؤ، وقد علم أنك فاضحة في أولاه وأخراه. فاستوجب عندك العقوبة أو العفو على حسب ما تريد به من عافيتك أو بلائك، بما تسلطه عليه من أسمائك، كذلك أنت مع ربك، في عالم جسك وقلبك، فانظر إلى ما يستقبحه الشرع فاجتنبه، وإلى ما يستحسنه فبادر إليه وامثله، ولا يفرئك غدار، مدخول النصيحة غزار، فعليك باتباع العلم، والاستسلام للشيخ فيما وجه عليك من الحكم، وطهارة النفس ومحاسن الأخلاق وجميل الوفاق، واقتل قولتي، وعد عن فعلي، فإن العصمة مطلوبة إنما هي في النطق، وإيراد الحق، على وجه الصدق، فإني وإن عصيت فلا أمر بالعصيان، وإن تخاذلت فلا أمر بالخذلان، فإن ذلك يردّه الإيمان.

وهذه رسالة علمية عملية أتحدث ذاتها بصفاتهما، وغاب نورها في ظلماتها، روحها في جسدها مستور، وظلامها قد احتوى على النور، فمن انسلخ من هذه السدفة، وصعد أعلى الغرفة، رأى النور يسري في فلكه وزمامه بيد ملكه، فتشرق عليه الأنوار، وتتهتك له الأستار، وتبرز له الأسرار.

جعلنا الله وإياك يا كعبة الحُسنِ مِّنْ علمِ فعمل، وسافر فوصل، وأحب فبلغ الغاية والأمل، بمَنه، والسلام المعاد عليك.  
ورحمة الله وبركاته.

(١) الآية رقم (٨) من سورة فاطر.

## ٤ . الرسالة السريانية

## توسل بها عبد الشكور إليها ونزل بها عليها

## بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الشكور محمد بن علي إلى كعبة الحُسن، وروضة المُزَن سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أمَّا بعد حمد الله الذي كلَّم موسى تكليماً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم تسليماً.

فإن القانص خرج يتبغي صيداً، وقد أبطن له كيداً، فأرسل على الصيد نداءه، فأجابه صدهاء، فواجه صدهاء صيده، وما عرف أنه أبطن له فيه كيده، فرجع إلى مأمنه فرّ، فوقع في الحباله وتوسطها فكأنه فيها بدرٌ أحاطت به هالة، هكذا فعل الحق في شرعك، مع أصل وضعك، ناداك في سرّك، فأجابه الصدا: من شرعك.

ففررت أمام الخطاب إلى سرّك، فوقعت في يد ربك، فأخذك وقيدك وسدّدك، هل فعل هذا إلّا لخبه فيه، فيجتبيك، ويصطفيك، ولهذا أشار من ليس في إشارته مُفتون: «استفت قلبك ولو أفثاك المُفتون»<sup>(١)</sup>.

فلما قيدك بالمودة، وأخذ عليك العهدة، أضرم نار الشوق إليه، في صدرك، ورفع لك عنده أعلام قدرك، ولطف سرّك، لابتغاء أمرك، ووضع وزرك لحفة ظهرك، وشرح صدرك لرفيع

(١) حديث: (استفت قلبك ولو أفثاك المُفتون).

رواه الترمذي، والبخاري عن وابصة رضي الله عنه. انظر السيوطي: جامع الأحاديث ٥٦٩/١.

حديث رقم (٢٩١٩).

وقال العجلوني: رواه الإمام أحمد والطبراني، وأبو يعلى وأبو نعيم عن وابصة مرفوعاً، وفي الباب: التواس ووائله وغيرهما.

انظر: كشف الحفاء ١٢٤/١ حديث رقم (٣٤٥).

ذكرك، وسخر لك البلاد والعباد، وخرق لك في سرائك المعتاد، وقيض لك في كل وجهة المراد، وأراك غايات الحالات، ورفع الستر بينك وبين ما فيك من الآيات، وقال لك أنت التاج ومن سواك النعل، وأنت الفاعل ومن سواك الفعل، فكنت السميعة المطيعة، فلم تتخذ الشكوى موطناً، ولا تجنبت على من أحبك مُخلصاً، وما تكاسلت عن بلوغ الأمد الأقصى، لاستشراكك عليه من منازل الأقصا، أرغبت في سعادة الأبد، فزهدت في كل أحد، ليست حالة صحيحة سوية، وثقة محكمة قوية، وعادة صالحة مرضية، وقارنت عالماً خريئاً<sup>(١)</sup>، وهمة عالية، وبقيناً جزماً فثبتك تثبيتاً، اعتصمت من الفتن الغالبة، وعزمت عزائم أهل الهمم قاطبة.

فأنت الروضة الغناء، والسماء الزهراء، وثبت على الأمور الهائلة وثبة الأسد الضاري، وألفت المفاوز في طلب المفاوز والبراري، اعتبرت صحيحاً، فوجدت الخطيب فصيحاً، والواعظ نصيحاً حننت عند الغروب، حنين الغريب، ألقيت أمرك بيد الأمر فاسترحت، وجثت<sup>(٢)</sup> بين يديه وما برحت، تصرفت عليك ضروب التحكيم، فقابلتها بالتفويض والتسليم، تنزهت لما تنزهت، وتقدست لما تدنست، وانتسبت كل حقيقة منك إلى اسمها، فوقفت على حقيقة رسمها، هذا طربك على الغيب بألة السماع، فكيف حالك بالقرب والكشف والاستمتاع، خفيت الإشارات في العبارات، واندرجت الغيابات في الحكايات، وألم المرض فعظمت الكربات، وطالت الوحشة فتضاعفت الحسرات، وتوالى الوجد فتراذفت الزفرات، التفت الغريب إلى وطنه فحن وتذكر مشهداً كان له به، فإن نظر إلى بواره في غربته وخساره، وهلاكه في غيبته ودماره، هلك والله قلب تاه بين الصدر والورد، ونفس جالت بين البغض والود.

عجبت لناصح غش، ولمالك أهلك، ولمصلح أفسد، ولعزير آذى، ولقوي كاد، معاملة لا يقتضها منصبهم، ولا يرتضيها حسبهم، ولكن ثم رموز وأسرار، غطى عليها إقرار وإنكار، ﴿ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾<sup>(٣)</sup>.

من لم يصل إليك إلا بك فأنت أوصلته، وما وصل، ومن انفصل عنك لك فأنت فصلته، وما انفصل، ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الخريئ: الدليل الحاذق بالدلالة، وفي الحديث: الهجرة:

(فاستأجر رجلاً من بني الدليل هادياً خريئاً...) فالخريئ هنا: الماهر الذي يهتدي لأخوات المفاوز وهي طرقها الخفية ومضايقتها، وقيل: أراد أن يهتدي في مثل ثقب الإبرة من الطريق.

وإنما سمي خريئاً لشقّة المغازة. انظر اللسان مادة خرت.

(٢) في النسخة (ط): (وجثت).

(٣) الآية رقم (٧، ٨) من سورة الشمس.

(٤) الآية رقم (١٧) من سورة الأنفال،

فالأصم هو السميع، والبصير هو الأعمى، حكم الحاكم العالم، متى أدبر النهار من ها هنا، وأقبل الليل من ها هنا، وغربت الشمس فقد أظفر الصائم، واغتمت الظلمة فاستترت العوالم، فبقيت تخبط بغير دليل، ولا رؤية سبيل، ولا قمر يبدو، ولا حادٍ يحدو، ويلي عليك وويلي منك، يا رجل لا راحة معك، ولا راحة دونك، يا أمل<sup>(١)</sup>.

هيهات حق وجب، ورهن غلق، وشمل تصدّع، وعقل حار، وقدم زلقت، وعدم ثبت، وسقوط حصل، ولم تبق إلا صباية، ويعرف الإنسان ما أصابه، وفي تلك الصباية جماع الأمر وملاكه، وقوام الشيء وهلاكه، فهي لما عمل فيها، وهي لمن يصطفئها، وعلى من يزدريها، وقد علمت أن الحق قال لأبي يزيد<sup>(٢)</sup>، وقد توسط بحر الاضطرار، وطاش لجه وحرار، تقرب إليّ بما ليس ليّ؛ الذلة والافتقار. ثم ضاعف له المقال في الحال: اترك نفسك وتعال. فاضرع إليه بأسمائك، والجأ إليه بيلاتك، فإن خلعتك عليك أسماؤه، ومنزلتك عنده أنباؤه، فإذا دخلت عليه بخلعتك فماذا يخلع عليك، وإذا نظرت إليه به فكيف ينظر إليك، لا يصح أن يجرد عنك خلعتك، وقد لبستها مسروقة، واتخذتها معشوقة، وتخيلت أنك بها تنجو، ولذلك كنت ترجو.

ألا تراه يناديك في عذاب الجحيم:

﴿وَذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فلو خلعها عليك بنفسه، لأمنت من بأسه، فعدد عليه نعمه، ووجه إليه كلمه، وقل له في غياهب الدياجي المظلمة بالألسن المعربة والمعجمة:

- يا ألف التأليف،
- يا باء التبوؤ اللطيف.
- يا جيم الجود المطلق،
- يا دال الدلال المحقق.
- يا هاء الهوية الغريبة،
- يا واو الوصية القرية.
- يا زاي الزيادة المطلوبة،
- يا حاء الحبة المحبوبة.
- يا طاء الطوية الثابتة،
- يا ياء اليتيمة الفاتمة.
- يا كاف الكمال الذي لا ينقص،
- يا لام اللوم الذي لا يُنغص.

(١) لفظة: (يا أمل) سقطت من (ط).

(٢) أبو يزيد البسطامي. سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد أحر الزاهدين آدم وعلي، وكان جدهم شوسان مجوسياً فأسلم. يقال إنه روى عن إسماعيل السدي وجعفر الصادق. قال بمذهب الفناء ووحدة الوجود. يتبعه الطيفورية أو البسطامية. عنه قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذا أمتك. ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير (سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ١٦).

(٣) الآية رقم (٤٩) من سورة الدخان.



- يا ميم المجد الذي لا يدانى،
- يا نون النور الذي يتوارى.
- يا صاد الصدق الذي لا يقصد،
- يا عين العين الذي لا يُشهد.
- يا فاء الفاعل النبوي،
- يا ضاد الضرب الوحي
- يا قاف القوة التي لا ترد،
- يا راء الرؤية التي لا تحدد.
- يا سين السناء الذي لا يسفل،
- يا تاء التمام الذي لا يُفصل.
- يا ثاء الثبات الذي لا يتزلزل،
- يا خاء الخيف الذي قد تسهل.
- يا ذال الذلة المعبّدة،
- يا ظاء الظلالات الممددة.
- يا غين الغان العاصم،
- يا شين الشوب القاصم

أترك تعريبي ثوب الإيمان بعد ما كسوتنيه، أتسلبني الإحسان بعدما وهبته، ما أنت عندي من أهل البدا، ولا أعتقد ذلك فيك أبداً، كم طال عذابي بالمطال، حتى صال فؤادي بالوصال، كنت لي هادياً فتبعتك، وحادياً فما سبقتك، غنيت لي بالقرآن فسمعت، فوجدت، فزهزت، وخولطت فتأوهت، فطلبت الخروج إليك من هذا التركيب، فجذبتني فيه، فنظرت فإذا بالحبيب، أثراً بعد عيان، أكفراً بعد إيمان.

عَجِباً لنشأة إلهية، مثلية، ملكية، بشرية، علوية، سفلية، تدرج بين عافية، وعلية، وكثرة وقلة.  
يا كعبة الحُسن فديت من يسمع، فديت من يتطلع، أعطاك قبل أن تسأله فكيف يردك إذا سألته، أدناك قبل أن تطلبه فكيف يردك إذا طلبته، هذه مناجاة المحجوب عن حقائق المطلوب.  
اشتدّ، والله، يا كعبة الحُسن ألمي، لما جهل في العلم ثبوت قدمي، واحد يقول: سألته في مسألة إلهية فلازم الخلوة لها، حتى يمهّد الحق له سُبلها، وأخزّ يعضدّه على ذلك أمراً حتماً، ويحتج بقوله: ﴿وقل ربّ زدني علماً﴾<sup>(١)</sup>.

أترى هؤلاء عرفوني، ولو صحبوني مدى أعمارهم هل تراهم صحبوني، فلا مراتب العلم عرفوا، ولا الحال على ما هي وصفوا، الصنف الذي يطلب الزيادة فيه معلوم، والصنف الذي لا يطلب الزيادة فيه مفهوم، هلاًّ نظر إلى السائل وعقله، ومرتبته في علمه، وأين هو في المراتب؟ وأي مذنب سلك من هذه المذانب، لو اجتمع الخلق من أولهم إلى آخرهم أن يسألوني ما أخذت لسؤالهم خلوة، فإن سؤال الخلوات على سؤال الحق موقوف، لما يطرأ في السرّ من موارد الغيب المعروف، وما الكون حتى يضطرنني، وما العالم حتى يزعجني، أتزل بي القدم، عند رؤية

(١) الآية رقم (١١٤) من سورة طه.

هذا العدم، إنّا لله على قلوب حجبت بأغراضها، وقيدت بأمراضها، فقاست غيرها عليها، وتخيلت أن هذا حق وصل إليها.

يا كعبة الحُسن:

هذا سيرُّ أبته إليك، وأتلوه عليك، معلوم أنه أعطى قبل السؤال، ثم رد السؤال، وما رده عندنا بطائل، لأن الحقائق شتى منها أين ومتى، وشيخ وقتي، ومقرب ومبعد، ومشهود ومطرود، وموافقة مكان، ومقارنة زمان، وتحصيل اسم على مسماه، قلت: يا رب. فقال: لم يصل الوقت. قلت: يا إلهي. فقال: لم يصح الشرط. الدعاء من القضاء يرد القضاء.

ذكره إيتاك تعريفاً وتشريفاً، فانظر بماذا يذكرك كتابته عنك تقريباً وترفعاً، فانظر بما يكتني عنك، لا يغرنك سماع الخطاب، ولا رفع الحجاب، وإنما تغتر بما يبدو لك منهما، فإمّا تُساء وإمّا تُسرُّ، رفع حجاب العافية فنزل البلاء، ورفع حجاب البلاء فنزلت العافية، فكل واحد منهما حجاب الآخر محجوبه، ورب الآخر مربوبه، كن غيباً في شهوده، وخبراً في عيانه، وعناء في راحته، وعله في شفائه، وجهلاً في علمه، وفقراً في غناه، ومهجوراً في مواصلته، ومستوحشاً في مؤانسته، وجموحاً في إذلاله، وعقولاً في لطفه.

واجهد فإن الله لما أراد الخير بك يا كعبة الحُسن عرف بيني وبينك، وأشهدك عيني وأشهدني عينك، وحركني إليك، وأنزلني عليك، وعشقتني بجمالك، وهيمني في دلالك، ولست ممن يحيل هذا وأنت الخابرة.

أما تراني أطوف بمعاهدك، وأجري على مقاصدك، فإذا أكملت الأسبوع، بادرت إلى الركوع، ولا انصرف قط عنك إلاّ عن أمرك، فأنت المنصرف لا أنا، وأنت المستريحة وأنا المُعنى:

إذا ترخّلتَ عن قومٍ وقد قدرُوا أَلأُتْفَارِقُهُم فإلراحلون هم  
أين ذهنك يا كعبة الحُسن من كلامي؟ وأين يقظتك من منامي؟ أتحدت أسرارنا، وامتزجت أنوارنا، فأنا أنطق بك وعنك، وأنظر إليك ومنك، فقضيت حَقك، وأعدمت في جنابك خلقتك.

فأنتبه: فقد أيقظتك، واتعظ فقد وعظتك، اشتغلي بنفسك في حقي فسيحمد شغلك، وافعل فيها ما يرضيني منك فستشكر فعلك، فكأن بأركانك قد هُدّت، وبجبالك قد مُدّت، وبسبيلك قد سُدّت، وجاءت الأحابشة فأخذت أحجارك، وهتكت أستارك، ورمت بك في اليم، وجارت عليك في الحكم، وهذا كله لتوصلك إليّ، وتمثل ذاتك بين يدي، ولكن انظر ما تقاسيه في طريقك إلينا من العناء، ومن عدل العاذلين وحراسة الرقباء، ومن صعوبة الطريق

وحزنه، ومن شدة كرب الهوى وحزنه، فقف متضرعة عازمة، وقوف مقصرة عالمة، ومد اليمين واليسرى، وسل في تيسير العسرى، وقل له: «أنا القصرى تعلم حقيقتي وتعرف طريقتي، فحسبي علمك بحالي، فستفوز بملاك الأمر، وتحصيل السر، فإن الذي تناجيه الآن في مقام البسط، ومنزلة الحل لا الربط، فلا تخوفنك الغمرات، ولا تحجبينك الظلمات، فإن الفجر قد طلعت منازلها، والصبح قد لاحت دلائله، والليل قد انقضت مناهله، وهذه الشمس قد بدا حجابها فأشرق، وأبدي ما كان خفي من الحق، وفتح باب كان بالأمس مغلقاً، وفرج أمر كان قبيل ذلك مطبقاً. والمنادي على الأعراف صائح، والسبيل بين يديه واضح. والصوت في الجو عال، والدف يجيبه في الحال، يا داعي الله، ويا حادي اللاهي.

أما ترى مجلس السرور قد احتفل، ووجه غلام الزمان قد بقل، والشراب المروق قد مُرَّج بالتسنيم، والتنعيم قد ورد على النعيم، والتديم يغازل التديم، والحميم يناجي الحميم، والمدير قد شتم عن معصمه، ودار بكأسه على ندمائه وجلأسه، وأسرار أهل المجلس متناغية، وسوق المهرجان قد قام على ساقه، والسماع في ارتفاع، والتواجد مطابقاً للإيقاع، والأيدي ميسوطة إلى المدير، والعيون ناظرة إلى وجهه المنير، والمسمع فصيح، والمحل فسيح، والعاشق قد أعلن بالتشريح، وتمثل بقلب طروب من الكتمان جريح:

أَلَا فَاسْتَقِنِي خَضْرَاءَ وَقُلْ: هِيَ الْخَمْرُ      وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكَّنَ الْجَهْرُ  
وَبُخْ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَغْنِي مِنَ الْكُتَى      فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِثْرُ

والفناء رحب، والرقيب مبعود، والحبيب مشهود، والباب مقفل، والستر مُشدَّل، والعين تنهل، والروض يعطي عرفه ونشره، والدهر يريك طلاقة وجهه وبشره، والسعد يساعدك، والآمال تناشدك، والأمن يؤانسك.

فعندما يسمع مقالته، يحمد حالته، ويعلم الداعي أن الذي دعاهم إليه قد وصلوا إليه قبله، فيبقى يبحث كيف العلة، ومن لي بتدبير هذه العلة.

كما قال أبو يزيد: دعوت الخلق إلى الله خمسين سنة ثم رجعت إليه فوجدتهم قد سبقوني. هكذا ذكر، ومسابقة «بلال» (رضي الله عنه) لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) في الجنة، وهو خير البشر، فحقق يا كعبة الحسن هذه المسابقة وانظر في هذه المطابقة، وعليك بمثل هذه الموافقة. وهبتي نفسك، وأهديت لي غيبك وحسك، أي محبوب فعل هذا قبلك، ما سمعت بمعشوق صدر منه مثل هذا مع محبة مثلك. أبحث لي ريقك المختوم، وسرك المكتوم. أنت فردية الوجود الكوني، أنت على خلق الموجود الإلهي، لم تتخذ بواباً، ولا أسدلت حجاباً، تأتي إلى من يحبك قبل أن يأتي إليك، وتحضر بين يديه، وهو أولى بالحضور بين يديك،

تخدمه بكلّيتك، وتجوّد عليه بنفسيتك، لولا ما أتيت إليّ ابتداءً، ما الذي كان يأتي إليك، لولا ما نزلت عليّ من قبل ما الذي كان ينزل بي عليك، فلك الطول والفضل، ولك الأمر من قبل ومن بعد. قامت لك البينة، وإن كنت لم أنكر، وصحت لك عليّ الحجة البالغة وأنا المقر، اعترفنا بأنك الواحدة في شأنك، والفريدة في زمانك، وغير زمانك، ذكرت قبل كونك، وعُشقت عند وجود عينك.

ما أحسن مقلتك النجلا، وأبهى منظرك الأجلّي، ما أعذب شفتك اللميا، ما أصلح وجهك الأقر، ما أነع خدك الأزهر، ما أنور جبينك الواضح، ما أزهرك بين الملاح، ما أبلغك بين البلغاء، ما أخطبك بين الخطباء، ما أشهى ذلك الثغر البرود، ما أجمل في وجناتك ذلك التوريد، متعني الله ومتعك بجمالك، ولا زالت الأفواه تقبّل يمين بجلالك، والنفوس تلتزم ملتزم بابك، وتستجير بمستجار جنابك، وتجوّد عند ميزاب جودك. ويذهل حجرها عند دخول حجرك، وتقوم عند مشاهدة مقامك، وتززم عند مشرب زمزمك، وتنحطم عند مجاورة حطيمك. تالله لولا حذري أن أقد عينك، وخوفي أن يُحال بيني وبينك، لهتكت للعالمين أستارك، وأعلنت لهم أسرارك، وأعربت لهم معجمك، وأوضحت لهم مبهمك. وأفصحت لهم بما جبلك الله عليه من المحامد في المحاضر، وقمت خطيباً برفيع مناصبك ومشاهدك في المنابر، مما لم يرد به نقل، ولا وسعه عقل، حتى يحار الناس في تكييفك، ويذهلون في لطائف لطيفك، ومعارف كثيفك، وإنما القلوب محجوبة بالأهواء، وأنت المساعدة لهم في هذا العماء، فلو انقضت منك إذا حيل بي دونك أحجارك وتهتكت أستارك، وعصيت العالم أجمع، لكنت في شأنك الخطيب المصقّع<sup>(١)</sup>، وغرضي في إدامة مجالستك مذاهلتني لمؤانستك، لا زالت أعلامك مرفوعة، وأقوالك مسموعة، وأوامرك مطاعة، وأسرارك عندي مذاعة.

والسلام عليك معاداً مردداً ورحمة الله تعالى وبركاته.

(١) المصقّع: البليغ.

قال ابن عاصم:

خُطِّبَاءٌ حِينَ يَقُومُ قَائِلُنَا بِبِضِّ الْوُجُوهِ مَصَاقِعَ لُنُنٍ

قيل هو من رفع الصوت. وقيل يذهب في كل ضقع من الكلام.

والصقّع البلاغة في الكلام.

وفي حديث (خديفة بن أسيد) سُرَّ الناس في الفتنة الخطيب. المصقّع، أي البليغ الماهر في شطبه، الداعي إلى الفتن الذي يُحرض الناس عليها.

[والعرب تقول: صة صاقع!].

تقوله للرجل تسمه يكذب، أي: اسكت يا كذاب. فقد ضللت عن الحق.

انظر ابن منظور و (لسان العرب مادة صقع).

## ٥ . الرسالة المشهدية

### توسّل بها عبد البصير إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد البصير، محمد بن علي، إلى كعبة الحُسن، وروضة المَزن. سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد

حمداً لله المشهود بكل عيان، والصلاة على سيدنا محمد المبعوث إلى الإنس والجان. فإن مشاهدة المحبوب هي البغية والمطلوب، وهي أعز موجود، وأصعب مفقود.

وعليك آداب في المشاهدة لها علامات منها: الثبات وعدم الالتفات، والخشوع والإقناع، والخضوع والارتياح.

واعلم:

أن حقيقة المشاهدة تنطلق على كل ذات، من موصوف وصفات، لا تتقيد بسوى الوجود العيني لها، على هذا أصل المحققون أصلها، فالنغمة مشهودة للسمع، واللين مشهود للمس، والكون مشهود للعين، وهنا سِرٌّ فابحث عليه، عسى يعطيك ما لديه. والريح مشهود للشم، والحنك شاهد للطعم، وهكذا جميع الأشياء مشهودة، والعلة في ذلك كونها موجودة، فلو لم يمكن لها كون ما شاهدها عين.

فإذا صح عندك ما ذكرته، وتبين لك ما سطرته، فما لك تتغنى بغير كلامه، وهو الذي سواك وعدلك، وما لك تسمع إلى غير خطابه، وهو الذي اصطفاك وفضلك، وما لك تلاحظ غير ذاته وهو قد فطرك على الصورة، وما لك تتعشق بغير جماله وهو الذي أنار سريرة العشق

منك البصيرة التي تعلم من إرادته أنك في الدنيا قطرة تعبر، وفي الأخرى سبيكة مدخولة  
فتمحص وتخبّر.

نفسي لك الفداء يا كعبة الحُسن. من كل ما يُتقى ويُحذر، وحياة الحب الذي بين  
جوانحي، والوجد الذي أخذ جوارحي، إن فؤادي بك لمتيم، وقلبي فيك مهيم، وسري فيك  
مقسم، ونطقي بك معثر. وخاطري منك محير.

هل لي عندك متوسم؟

هل لي في روضتك متنسم؟

ها أنا منك بين الخوف والرجاء، والاستسلام واللجاء، أخبريني فأنت شاهدتي، أعلميني  
فأنت واحدتي، باح السر وانتهك الستر، وشاع الخبر وانتشر. وقيل: هام العارف في الحجر.  
تعشق بنشأة جمادية، ومنزلة عبادية.

أين معرفته بربه؟!

أين دعواه في تقديس قلبه؟!

شَعَلُهُ ما يفنى عن مشاهدة قاب قوسين أو أدنى.

أين هو من الشبلي<sup>(١)</sup> حين أمر أصحابه على قبة زمزم أن يطوفوا بذاته؟!

قلت: ما علموا أن ذلك سكرة من سكراته.

أين هذا المقام من ذلك؟

أين قدر المملوك من المالك؟

ما هو الأشقى بعد ما كان سعيد، ورُدُّ بعد قصده فبيعد، جدُّ فخانه الجدِّ، وساعد فلم  
يساعده السعد. فاعتبروا يا أولي الأبصار، ويا أهل الفكر والاستبصار، في هذا الأمر الكبار،  
وكيف اجتمع الأوار والدمع المدرار.

يَا هِلَالاً بَيْنَ الْجَوَانِحِ بَادِي      أَنْتَ وَاللَّهُ غَايَتِي وَعِمَادِي  
أَنْتَ أَنْسِي وَرُوحَشَتِي وَحَيَاتِي      وَنَمَاتِي، وَفِي يَدَيْكَ قِيَادِي  
أَنْتَ بَسْرِي، وَأَنْتَ جَهْرِي وَبَغْضِي      أَنْتَ كَلِّي وَنَاطِرِي وَفُؤَادِي

(١) (الشبلي): دلف بن جحدر، أبو بكر: صوفي من الكبار، كان والياً في ديناوند ثم هجر العالم وهو في الأربعين من عمره  
فصار من شيوخ الصوفية. أصله من خراسان ونسبته إلى قرية شبلة. ولد بسامراء وتوفي ببغداد ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م وفي اسمه  
اختلاف كبير.

أَنْتَ صَيْرْتَنِي حَزِيناً ذَلِيلاً      سَاهِراً لَا أَدُوقُ طَعْمَ الرُّقَادِي  
هَائِماً فِي سَبَابِ<sup>(١)</sup> مُهْلِكَاتِ      نَازِلاً مِنْ رُبَا<sup>(٢)</sup> إِلَى بَطْنِ وَاوِي  
نفسى لك الفداء يا كعبة الحُسن:

رأيت العارفين قد رموني<sup>(٣)</sup> بمحبتك، وهي شرفي ومجدي، وعيرني المحققون بالتضرع إليك، والطواف بربك، وفيهما حياتي وسعدي. عموا والله عن إدراك ما أودع الله فيك من الحقائق. وجهلوا امتداد ما بيننا من الرقائق.

فالحمد لله الذي جعل مصلحتي في رضاك، وسعادتي في قضائك، وزوى عني روح حياتي بمشاهدتك، وصفاني من كدر الهوى بموافقتك ومساعدتك، حَسِرَ من لم يمثل أمرك ولا خاطب سرك.

أيها العاذل: أما تمل، أما علمت أنه قد سبق السيف العذل، ولولا لزومي مغناها، وتعشقي بحسناها<sup>(٤)</sup> ومعناها، ولثمي مقبلها البرود، وقطفي ورد تلك الحدود، وتعلقني بدلالها<sup>(٥)</sup> وأردانها وتعشقي بحسناها البديع، وإحسانها، وتصفحي آثار الربوبية في نشأتها وملاحظتي سر القيومية في بدأتها، ونظري معنى الألوهية في صورتها، وشهودي أحكام العالمية في سيرتها، لما كنت من العزة بحيث لا تبلغني، ومن الرفعة والتنزيه بحيث لا تعرفني. وعزة حياتها علي وإنه لقسم عظيم، عند كل ذي عقل سليم.

لو أطلعت أيها العاذل على المقام الذي حصل لي من وجدي<sup>(٦)</sup> بها، وعشقي فيها، لاتخذتني رباً معبوداً، ومولى مقصوداً، فاحمد الله الذي أبقى عليك<sup>(٨)</sup> إيمانك بستري بعدم

(١) (السَّبَابُ) سَجَرَ يَنْخُدُّ مِنْ السَّهَامِ وَالسَّبَابُ: الْمَفَاة. وفي حديث (قَس): فَيُنَا أَنَا أَجُولُ سَبَابَهَا: أَي: الْفَقْرُ وَالْمَفَاة. وقيل: الْأَرْضُ الْفَقْرُ الْبَعِيدَةُ.

انظر لسان العرب مادة (سبب).

(٢) أَي: قَمَتَهُ وَأَعْلَاهُ. وفي (ط): (زِي).

(٣) فِي (ط): (ذَمُونِي).

(٤) فِي (ط): (لِحْسِنَاهَا).

(٥) فِي (ط)، (خ): (ذَلِكَ).

(٦) فِي (خ): (بِرِلَادِلَهَا).

(٧) فِي (ط): (وَعَدِي).

(٨) فِي (ط): (عَلِي).

اطلاعتك عليّ، ونظرك بالعين السليمة إليّ فهو الذي أهلك النصارى في المسيح، ورمى بهم في المهامه الفيح.

ما أفرحني أيها العذول بجهلك بمقداري، فإن فيه سعادتك، فاحمد الله الذي عشق إليك عادتك. وحياء الحب لو اطلعت من كعبة الحسن على ما اطلعت، وسمعت منها السحر الذي سمعت، لكنك خيراً من الأخبار<sup>(١)</sup>، يتحدث بك في جميع الأمصار، تسامر بك السمراء ملوكها، وتنظم بك الغواني سلوكها، وتحدى بك الركائب، ويستعان بك على قطع السباسب، وكنت لا تسعك محجة، ولا تقوم لأحد عليك حجة.

فأنت أيها العاذل المحروم السعيد، وأنت الميت الشهيد، جمعت بين الحياة والموت، والفوز والفوت، إلى متى أيها الرقيب أنت يقظان؟ إلى متى أيها العاذل أنت في أمري حيران. من أجل ما بلى الجفون وسنان، مائس الأعطاف سكران. اشتغل بإحصاء أنفاسك عن أنفاسي، وبتعديل أمراسك عن أمراسي، (فظوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس)<sup>(٢)</sup>، فلا تكن بالناسي، هبك شقيت أنا على زعمك ما تحصل لك من شفائي، هبك تعنيت ماذا في يدك من عنائي.

ألم تعلم أن كل إنسان مسؤول عن نفسه دون أبناء جنسه، قد والله كشف البال، وكذبت الآمال، وقل الصديق وتعذر الصديق، وذهبت السيئات بالحسنات، والمخالفات بالموافقات، والطبع بالشرع، والقواصم بالعواصم، والدواهي بالنواهي، فلا فاهية تزيل داهية، ولا عاصمة ترفع قاصمة، ولا شرع يذهب طبعاً، ولا حسنة تمحو سيئة.

تضاعفت البلوى بحمل هذا العبء، واستترت الشكوى بدوام هذا الخبء، حمل فادح على القريب والنازح، ولا معين ولا معين، ولا صافي ولا مصافي، ولا من يريد تخليصي وإنصافي.

يا كعبة الحُسن:

أورث وسواسك الوسواس، وعمّ بلاؤك جميع الناس. بيوت تنهب، وقلوب تُلهب، ونازّ

(١) في (خ): (خبراً من الأخبار) بالخاء المعجمة.

(٢) حديث (ظوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس).

رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً قال النجم: (وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، ووسعته الشئة ولم يعدل عنها إلى البدعة).

وفي الباب نفسه عن الحسن بن علي وأبي هريرة رضي الله عنهما قال في التمييز، وأخرجه البزار عن أنس مرفوعاً بإسناد حسن.

انظر المجلوني: كشف الحفاء ٤٦/٢ حديث رقم (١٦٧٣).



تُضرم، وأنفال تُقسم، وداهية دهبيا، ولجة عميا. كالساعة بل أدهى وأمرّ ﴿وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر﴾<sup>(١)</sup> وهذا نحس دائم مستمر.

يا كعبة الحُسن:

فدتك نفسي من كل مكروه، وأتني لنفسي أن تفاديك، اسمع خطايي وردّ على جوابي، وما قنعت مني إذ رميتني عني فأنا أشكو مني إليّ بيني، وأتردد فيما بيني وبينني. يا أنا لم بيخلت عليّ ألم أكن لي حديقة لما جُلّت، وملعب أنس لما زُلت. لا جرم أن ما أدعو إليّ ليس لي دعوة في أمر، ولكني متّي تحت ستر، وجدي إنما هو عليّ، وعشقي إنما هو فيّ، وولهي إنما هو بي، ففي أهلك، ولي أملك، فأنا الحب والمحبوب، وأنا الطالب والمطلوب، وأنا العاشق والمعشوق، وأنا طالب الحق الذي توجهت على الحقوق، فانصفتني يا أنا مني، فقد ترجمت لي عني. تقدّست هذه المطالبة عن البينونة، وجلّت عن الكينونة، لما فيها من الاتحاد في أصل الإيجاد ألا وإن الموجد المحقق إذا عرج في معارج الحقائق وحصل ضرباً من مكاشفات اتحاد الرقائق والدقائق، وصحا بعدما سكر، ونشر بعدما قبر. لا بد من ملازمة الأدب، وتباين الرتب، ومعرفة النسب، والوقوف عند العلة والسبب، فإن الجمجمة<sup>(٢)</sup> في الجمجمة، والهمهمة<sup>(٣)</sup> في الحممة<sup>(٤)</sup>.

وفي معرفة اختلاف اللغات، دليل على عموم المخاطبات، فما من رسول إلاّ وأرسل بلسان قومه. إلاّ من أوتي جوامع الكلم من يومه، وأخذها وارثه في نومه. ومعرفتها على الإبهام داء عضال، وهي مسألة فيها عظيم إشكال، كلما قيل لك في لغة هذا ليس لك، فانظر اللغة الأخرى تقول هو لك، فإن لم تعرف موارد اللغات، بقيت للحيرة في سكرات، وخُضت في بحار الغمرات، وأحرقتك السبحات، وأدّاك إلى ما أرداك وعرج بك عن سبيل هداك، واحذر من الله الاستدراج ولا تقل: وأي منزلة فوق التاج. هو حدّ الاستواء، فوق العرش والسماء، ما

(١) الآية رقم (٧٧) من سورة النحل ونصّها: ﴿ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾.

(٢) الجمجمة: الأيبين كلامه في العمى ويختم في صدره شيئاً أخفاه ولم يیده، أما الجمجمة: فهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (جمم).

(٣) الهمهمة: الكلام الخفي، وقيل تردد الزئير في الصدر من الهمم والحزن. ونحو أصوات البقر والفيلة وأشبه ذلك. (انظر لسان العرب مادة همم).

(٤) الخنخنة: والخنخمة عرّ الفرس حين يقصر في الصهيل ويقال: تخنخم تخنخماً، وخنخم خنخمة.

قال الأزهري: كأنه حكاية صوته إذا طلب العلف أو رأى صاحبه الذي كان ألقه فاستأنس إليه.

انظر لسان العرب لابن منظور مادة (حمم).

أسرع ما يصير للأفراس نعالاً، وللرحى ثقلاً، فعليك بالذوبان في رضى الرحمان، فعن قريب تتحل من عالم التلفيق، وتلحق بالمنظر الأنيق، الذي هو تحفة الواصلين، وغاية الطالبين، وأنس المستوحشين وأمن الخائفين، وراحة المجتهدين، ورحمة المغتنمين، ومنية القاصدين، وسر العارفين، وعلم العالمين، وعلم المتسابقين وحكمة الحكماء الفاصلين.

ولكن يعزُّ والله اختراقاً واحتراقاً، وتجرع السموم القاتلة، ومعانقة الرزايا الشاملة، والتجافي عن الفُرش المرفوعة، والزهد في المنازل الرفيعة، والمسابقة في الأعمال، والمصارعة إلى مرضاة الحق، الذي تنقطع دونها رقاب الأجناد من الرجال، وبذل الذخائر النفيسة، وزوال رياسة هذه النفس الرئيسة، حينئذ ينال ما ذكرناه، وتنعم بما سطرناه.

نعم يا كعبة الحُسن:

نفسى الفداء لسر يفهم ما أقول، ويعلم ما أورده من حقائق الوصول. واحرَّ قلباه من وجدي مُتلف، ومعنى جليل مشرف. وأسفاه على ما لطف من الحال، واشوقاه إلى ما رقَّ من الخيال. هل من عارفٍ طريف يفهم إشاراتي؟! هل من واصلٍ عفيف أطلعه على ما وراء ستاراتي؟! هل من ذكيّ ذي همّةٍ شريف أجعل بين يديه عباراتي!؟

راح القُطان، وخلت الأوطان، فلا نادب ولا مندوب، ولا طالب ولا مطلوب، هلكت الإضافات، وبقيت الخرافات. فيها ماج الناس، وبها عظم الوسواس. فهذا زمان التعوذ واتخاذ التمام، وأوان الرقي واستعمال العزائم. فإن الرديء قد طمَّ، وبلاءه قد عمَّ، اللهم لا تملك ضراً ولا نفعاً، ولا قوّة ولا جمعاً، أنكر علينا الأخبار عنك والإشارة إليك، وحسبنا على ما وهبتنا من الحكم، وأسبغت علينا من النعم، وأرجوك دافعاً ومعيناً، وظهيراً ونصيراً ولا أرجو سواك. فأنت مالك الأملاك.

فاحفظ يا كعبة الحُسن هذه الوسيلة. وكن الحامي لها والوصيلة فإنك تحمد متقلبها، وتشكر سعيها ومذهبها. ولو بعد حين والحمد لله رب العالمين.

وقد أبئتُ لك في هذه الرسالة من الرموز والأسرار ما إذا تصفحتها تبهرت جداولك، واتسعت مضايقتك، وطاب عيشك، واعتز عرشك، أدام الله إحسانك ولا أخلى مكانك بمنّه، لا ربّ غيره.

والسلام المعاد عليك رحمة الله وبركاته.

## ٦ . الرسالة الفردوسية

### توسل بها عبد السميع إليها ونزل بها عليها

#### بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد السميع محمد بن علي إلى كعبة الحُسن، وروضة المُنّ سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله المناجي بكل لسان، والصلاة على سيدنا محمد في كل أوان، فإن الرّاحة والبلوى، والشكر والشكوى أحوال تعطي بحقائقها الكمال، وتجعل من قامت به برزخاً بين الأنوار والظلال وذلك هو الاعتدال الوهمي، لا أنه الوجود العيني، فإن الضدّين غير حاصلين في وحيد العين، ونحن نتكلم في الواحد بما يعطيه الغائب والشاهد، ولكن تستخرج مواليد الحقائق أنفسها من ظلم المشئمة، وتميز بين صفات الميمنة منها، وبين صفات المشئمة، وإن اتصفت بالصفتين في وقتين أو محلين، وليس غير هذين حتى تقيم الحمدين، وتنطق بالثناءين على رأس النجدين فيقول في سرّائها: الحمد لله المنعم المتفضل، وتقول في سرّائها: الحمد لله على كل حال، لكن في زمانين مختلفين، أو في محلين متجاورين، أو متباينين، يكونان ملكاً تحت حيطتها، ودائرة على نقطتها.

فاعلم يا كعبة الحُسن:

أن الحق أوصلني إليك إلى مقام إليّ، وأوقفني منك على موقف إليّ، ولم أسأل سوى الرحمة المطلقة والكرامة، ولم أعين فيه غير السرور الذي لا تلحقه ندامة، وامتدت إليّ اليدان، والتحمت الأبعاد بالأدان، وجنى الجنّتين دان، وانعطف الآخر على أوله وانتظم الأبد بأزله، ومتى وجد هذه الحالة منّ وجدها ذهب عينه في الحاق، وانعدم فصله عند هذا الاتساق. ولما رأيت المعرفة بنفسي قائمة، وكلماتي بالذكر الحكيم ناطقة، والقلب إلى الوجدانية منتهض،

والفؤاد في وسط سبيل اليقين معترض، والسر بما يجده من العشق ثابت، وغصن حقيقتي<sup>(١)</sup> في روضة شرعة نابت والروح تواقه إلى الاتصال، والجوارح مستمرة على الأعمال، والوجود متطلع إليها بالمغفرة، ووجدتها تسعي له بالإحسان والتذكرة، والحرارة في الكبد تمدها الصبابة فيعلو حنينها، والحياة لم تبق منها إلا صبابة، حتى ما يكاد يسمع أنينها، والمضمار قد ضممت له العتاق، وقد دخلت معهم في السباق، لما رُفعت لها الأعلام، وأيقنت بذهاب الأيام، فجزت<sup>(٢)</sup> في الانسلاخ منها، والنزوح عنها، وهذا سباق لا يضبر عليه إلا رُحْب اللباب، واسع النفس خفيف الحاذ، أشم القدال كبير الهمة، سريع الانتهاض، زاهدٌ في الخلوة الخضرة راغبٌ في الدار الآخرة. فبعد ما سرد هذا الخبر، ونظمت هذه الدرر، قلت قد أبلغت الرسل، ومهدت السبل، وأبلغ في الأعدار رسول الإنذار، ونصبت الدلالات والعلامات، وأظهرت الآيات والكرامات، بما ظهر عليّ من النعم الجسيمة، وأسبغ عليّ من أطافه العميمة الوارفة الظلال، النيرة الليال. هذا قد جمع لك بين الحسنين وأعطاك لذة النظرتين، ومنحك سر الشهوتين، وأبرز لعينك ما سطرته الأقالام في الألواح، وأفادته الأجسام للأرواح، فاشكر فبالشكر تزيد النعم، وبه ترزأ النقم، هذا سرُّ الحدث والقدم، قد شهد بعرفانه القدم. وتحققت حقيقة الوجود من العدم، وتبين لك أن الوجود هو الخير الخالص الغضُّ، وأن العدم هو الشر المحض. وكل شرٍ موجود فمشوب بالخير معقود، أيُّ بلاء أعظم من فناء العين، أيُّ شرٍّ أشد من عدم الكون، ما دام لك في<sup>(٣)</sup> الوجود رسم، وظهر لك فيه اسم، فقد أخذت بحظ وافر من الخير، وقد أدرى عنك ما في مقابلته من الضير فإنك لا تعرف قدر الشيء إلا بضدّه، كما لا تعرف مضاضة وعيده إلا بلذاذة وعده.

فالعالم كله في نعيم، من كان منه في الجنة ومن كان منه في الجحيم، نعيماً علمياً، وسروراً عقلياً لا جسدياً، ودع عنك بعد معرفة هذه الحقائق ما تحمله النفوس من نضج الجلود بين أطباق السعير، واستصراخهم لذلك بالويل والثبور، فقد حمله السعداء في العدو الدنيا، وقاسوا منه أعظم بلوى. هذا حظ النفوس والجسوم، فأين حظ المعارف والجسوم.

نحن ما تكلمنا في الإحساس، وإنما تكلمنا في رفع الالتباس، بصحيح القياس، هذا خطيب النعم قد وقف على أعواده، في محضر إشهداه معتمداً على عصاه، محرشاً على من عصاه. انظر كيف يدل على مواقعها في أوان الاضطرار، وكيف يريك لذاتها إذا جاءت على حكم

(١) في (ط): (حقيقي).

(٢) في (ط): (فجذت).

(٣) في (ط): (من).

الاختيار ليست الموعظة من الشعر فترمز، ولا من الخطابة فتلغز، وإنما هي من النعم المبسوطة على الدوام، على ممر الليالي والأيام.

كما قال المهيمن العلام:

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لتندر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾<sup>(١)</sup>.

كيف تصفو الأسرار والإنسان على قدم الغرور؟!

كيف تطرح العلالات<sup>(٢)</sup> وقد جهل المصير؟!

كيف يواصل من يهواه من لم يعر عن هواه؟!

عجباً لمن يستلذ عافية باطنها بلاء!

أو يتنعم براحة غايتها عناء!

عذب العذاب ولا عتاب العتبي، ووصل الوقت ولا القرب في العقبى، هذا حظ أصحاب العاجلة، اللاهية قلوبهم عن الآجلة، اختطفتهم عن طريق الهدى أغراضهم، وتوالت عليهم شكوكهم وأمراضهم، فيؤس عليهم لا يرتفع، وروح متوجه نحو الموعظة لا يتفجع، ومعشوق إن راح لم يرح خياله، ومحجوب إن ذهب لم يذهب مثاله. فالصباية [به]<sup>(٣)</sup> أبداً مقلقة، وزفرة وجده في ضلوعه محرقة، ولا بد من [الدهر]<sup>(٤)</sup> أن يبدي حكمه، ويظهر علمه، فشتت وجمع وجبر وصدع، وأمل مشتبه انتظر وطمع تحرك فاستنظر، فإما بالرجاء وإما باليأس، وكلاهما شديد على النفس. إذا جاد الواهب الوصول على الكبد المحرقة بنار الهوى بنسيم المنح، انزعجت النفوس وظهر عليها الترح، وإذا تسعر لهيب الطمع بريح الحدس، همدت من المحقق ييقين الهمس، وإذا جاء الخطاب باليسرى، فلا تغتر ففي طيه العُشرى، فإن هذه الدار الدنيا مشوبة إلا ربي بالشرى مبطونة الحرب في السلم، هي نشأة الأمشاج، ودار الامتزاج، فكيف يتخلص فيها خطاب، أو كيف يظهر فيها جواب، لو ظهر لكل عين لما كُذبت الرسل، ولو لاح لكل بصيرة لما اختلفت الشئيل، فلا يصفو فيها حب عن اعتلال، ولا صحة عن إخلال، ولا

(١) الآية رقم (٦٩) من سورة يس.

(٢) في (ط): (الملالات).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

وجد عن فقد، ولا صُخبة عن ملل، ولا مساعدة عن معاندة، ولا جهد عن فتور<sup>(١)</sup>، ولا حق عن زور، ولا رجاء عن قنوط، ولا طلوع عن هبوط، أه لعيون قد جمدت، وخواطر قد سكنت، ومحاسن قد سمجت، وسماحة قد عبست، وعزة قد ذلت، وحديث أفسده التكرار، «ويلٌ للشجّي من الخلي»<sup>(٢)</sup>، وبإذلة الفقير جانب عزة الغني، ما للوجد يجرعني كأسه، ما له تحرقني أنفاسه، ولا معين أعول عليه، ولا ركن أوي إليه، لعله يُهتئء أسباباً، ويفتح أبواباً، أو يذلل صعباً، أو يفرّج كرباً، أو يبدي أمراً، أو يُظهر عذراً. طالبت صحبتي لهذه البلايا، وعظمت محنتي بهذه الرزايا، فتأي يؤمن بي ولا يسلم، فإن وافقته في غرضه أعرض عني ومضى ولم يُسلم وهو معي يداً بيد، أنكر عليّ مسألة العدم، وقام إلى صك وجهي بالقدم، وما ارعوى عن ذلك ولا ندم، وقال هي مسألة معقولة فلا أسلم، وهكذا أكثر من يدعي في كمال العلم، وصحة الحكم، لا يقبل إلا ما يعطيه فهمه، وما يبلغه علمه، فهو مع نفسه لم يبرح، وعن موطنه لم ينزح، وهل التسليم والاستسلام إلا فيما تمجه النفوس، ويكاد يرده المحسوس، ولو كان به عليماً:

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾<sup>(٣)</sup>.

تالله ما غبت بوجهي إلا لما ترادف عليّ من الغير، وأحاطت بي من الفِكر، أولياء في جلود الأفاعي، وأعداء في صور الأحياء، ما ينفعني صحيح عقدهم في إذا قابلوني بالمكروه، ما عسى يبلغ مني ما أعرفه من احترامهم، إذا قالوا في مسألة أوردتها عليهم فتقصر أفهام بعضهم، عن إدراكها، لا يعتقد هذا معتوه، أين هنا الاحترام وقد ألحقوني بالحمقى؟ أين هنا الصدق وقد

(١) في (ط): (نفور).

(٢) (ويلٌ للشجّي من الخلي): وقصة هذا المثل:

أول من قال ذلك (أكنم بن صيفي التميمي) في بداية ظهور الدعوة الإسلامية وطلبه من أهل النبي (صلى الله عليه وسلم) القرشيين أن يقفوا مع الدعوة فقال: [ ... إن أحق الناس بمعونة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلاً كنتم أحق الناس بالكف عنه وبالستر عليه... وإن الذي يدعو إليه محمد (صلى الله عليه وسلم) لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً، ... فإنني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا دُل، ولا يُلزَمه ذليل إلا عَز، وهذا أمرٌ له ما بعده من سبق إليه غمر المعالي، واقتدى به التالي، وبالجزمة حزم، والاختلاف عجز. فقال (مالك بن نويرة): قد خَرَفَ شيخكم. فقال (أكنم):

(ويلٌ للشجّي من الخلي، والهفي على أمر لم أشهده ولم يسعني).

انظر الميداني: مجمع الأمثال ٤٣٣/٢، ٤٣٨٣.

وللمثل قصة أخرى قاله (لقمان) انظر ٢٢٣/٢.

(٣) الآية رقم (٦٥) من سورة النساء.

وعدوني بالفراق، وأسكنوني البقاء، إن لم آتتهم بطائر فأقول لهم هذه العنقاء فيصدّقوني، وإلا فلا يقربوني. أنبيّ أنا فيجب عليّ تعليمهم، أرسول أنا فيفرض عليّ تفهيمهم، من حسن الظن بي صدق فانتفع، وإن كنت كاذباً. ومن أساء الظن بي فليشمّر ثوبه، وليولّ عني هارباً، حذراً أن تحرقه ناري، ويذهبه أواري.

يا كعبة الحُسن:

إذا نورّ الله بصيرتك، وأراك السلامة في رأيك فأخبرني حتى أثبت نفسي في ديوان الشاكرين، وأقعد في مجلس الذاكرين، وأثني عليك في محافل المتناظرين فسروري بما يفتح عليك، وفرحي إنما هو بما ينزل من ربك إليك فتعرض للنفحات، وتُهيأ للسبحات. وأنا أتضرع وأسأل، وأرغب وأؤمل أن يوطئ لك أكنافه، ويمنحك ألطافه، ويطلعك على ودائع القلوب، ويسري بك في سماوات الغيوب، حتى تبلغ المنى في حضرة «أو أدنى» فتكون صاحب تدلٍ وتلقٍ، فإذا نزلت عن الاستواء، وأخبرتني بخلوص الولاء، وصدق الوفاء، وحسن المعاملة على الصفاء. حينئذٍ أسرُّ بك فإنك تعرف في ذلك الوقت على الكشف كيف صافيتك، وبأي صفة وافيتك، وتعثر على حركتي معك التي أنكرتها، وسكنتي عنك التي كفرتها، وتبدل الكفر بالشكر، ويقتل نبيّ العرفان دجال النكر، وتكون عيسوية الظهور مكتنفة بالنور، صائمة عن المحظور، موفاة من كل محذور. سهّل الله لنا ما تصعب من جنابك، وسرّنا بجميل إيابك، وأظفرنا بطاغية نفسك، وأسكنك حضرة قدسك، ونزهك في حظيرة فردوسك، وجلّلك بغلائل أنسك.

بعزّته لا ربّ غيره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

## ٧ . الرسالة العذرية

## توسّل بها عبد الودود إليها ونزل بها عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الودود، محمد بن علي، إلى كعبة الحُسن، وروضة المِزْن، سلامٌ عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد

الحمد لله الذي وصف نفسه بحبّ عباده، والصلاة على رسوله محمد الذي اتخذه حبيباً، واصطفاه وخصّه بليلة إشهداه. فإني أصف حالة عذرية، وأنوح نياحة قمرية فأقول:

يا ويح نفسي ماذا دهاها	آه من الوجود ثم آه
وزاد عن جفنها كراهها	تيمها حُسنٌ من تعالت
ولم يكن قبل ذأهاها	أتى إلى قلبها هواها
وعرس الوجود في ذأهاها	وخيم الشؤق في فآهاها
عن حُبّه أوترى مُناهاها	تراها يا عاذلي تنلر
والسقم قد دبّ في حشاها <sup>(١)</sup>	كيف لها بالشؤو عنه

يا كعبة الحُسن:

لا تسل عن شدّة ما لقيت بعد فراقك من الوبال، لما غاب الشخص وبقى الخيال، وتكدت النفس ليالي الأُنس والاتصال، وقد اشتمل عليها الحزن لذلك أيّ اشتمال، وخالطها الجنون والخيال، فهام سائحاً في بطون الأودية، وفتن<sup>(٢)</sup> الجبال شوقاً لذلك الجمال،

(١) هذه الأبيات جاءت منشورة في النسخة (ط).

(٢) في النسخة (ط): (قُلّل) ولعلها أصوب.



وهيماناً في ذلك الدلال. كم نور أظلمته سبحانه! كم روض أذبلته وجناتك! كم دم سفكته لحظاتك، واحز قلباه من قلب لم تؤله دواعي الأشواق، ولا أنضجته حرارة الفراق إلى متى آسى وتسلو، إلى كم أشكو وتلهو؟

تحليلي مهما جئتما علي<sup>(١)</sup> نجد  
وقولا لها رفقا بقلبٍ مُتئيم  
فلو كان من أهواه مثلي وعنده  
لما كنت أخشى أن أموت من النوى  
ولكنني آسى ويسلو وأشتكي  
تدكدت النفس أيماً سلفت فهامت فتلفت.

أما علمت يا كعبة الحُسن بأن الحبة المفرطة إذا مدها البث، والبث إذا صاحبه التوقان، والتوقان إذا خالطه الهيمان، والهيمان إذا مزجه الارتياح، والارتياح إذا طمع فخانته الأطماع يذوب لها الفؤاد، ويذهب لها السواد ويتصدع لها الجماد، وتنفطر لها السبع الشداد.

والحبة على قدر المحبوب، والطلب على قدر المطلوب وأي محبوب يا كعبة الحُسن يُعادللك، وأي مطلوب يا قرة العين يُمائللك. بلواك أعظم من أن تُحمل، وداؤك أعضل من أن يؤسى، ذهبت منك بداهية دهياء، وغارت عليّ منك كتيبة خرساء، فسببت الحريم، وقتلت النديم، وفرقت الحميم من الحميم، وأذهبت النعيم، وأضرمت نار الجحيم، ولساني عليك في هذا كله بالشكر ناطق، وبالثناء موافق، وكيف لا أشكر وهذا كان مرادك، وكيف لا أنني وهؤلاء هم أجنادك، ومن أنا وما خطري حتى تصرف همتك إليّ، وتنزل بأجناد بلائك عليّ، فتذيب العظم والشحم، وتذهب الدم واللحم، وتفني المهجة التي قد هُيئت في حُسنك، وتذبل الروضة التي قد أينعت بعيون مُزنيك، والله ما تعرضت لهذه البلية، ولا تطاولت حلول هذه الرزية، فاجزع من مضاضة فراقك، واجرع كؤوس مرارة أشواقك، ولكنه كان عن أمرك فبادرت امثاله، وأقبل به رسولك عن مسرة منك فسررت لسرورك بإقباله، وقال نفذ الأمر المطاع، من الأمر الذي لا يُستطاع، بالرحلة عن هذه البقاع، إلى الشعاب الموحشة واليفاع، فجردنا في حندس الليل الداج، وأسرعنا في الإدلاج، فما قاربت الغزالة الزوال، إلا والحال قد داخله الاعتلال، والجسم قد خالطه الانسلال، والعقل قد مزجه الخبال، ردّ الله عليّ شباب

(١) في (ط): (علمي).

(٢) في (ط): (فبلغ سلامي).

(٣) في (ط): (في الرّد).

تلك الأيام والليال، وأقر عيني بالتتزه في محاسن ذلك الجمال، يا طول حزني على الفؤت، ويا شرّ حياتي إن لم أرك قبل الموت. طال والله ما كنت فيك محسوداً، ومن أجلك مقصوداً، واليوم فقد ألحفت بالحاسدين، وحرمت السير مع القاصدين. أخبرني رسول الوداد الذي بيني وبينك أنك عتي سالية، وديارك من محبتي خالية، على عروشها خاوية، لا أحضر لك في جنان، ولا أخطر لك في لسان، ولا أتمثل لك في خيال، ولا أجرى لك على بال، وقد علمت يا قوة العين أنني قد قطعت المألوفات، وتركت المستحسنات، وقصدت من دون العالم أجمع، وخيئت بفنائك لأخصب وأربع، ورغبت في سلم الأعداء رغبة في جوارك، وأعطيت الرشوة الرقباء ليسمحوا لي في دنوّ مزارك. وأنت تأنف عن ذكري، وتتوقف عن ملاحظة سرّي، كان نعيمي بك طيباً فكدرته، وكان سرّيك مطلقاً فأسرته، فقلت هذا كله لإيثاري إياك على كل مصحوب، وتقديمي إياك على كل محبوب، وحلمي عظيم بلائك، وجهدي في بلوغ رضاك، لم أزل بين يديك منتصباً، أضرع إليك منتحياً.

أشكو منك إليك، وأماوت لك عليك، وأصعق عند رؤيتك وأفترق عند زورتك. يا قلباً تقلّب على جمر الغضا، أترى يعود إليك محبوبك بالرضا، يا نفساً غرقت في بحر الأسي، تعللي بذكره لعلّ وعسى، فربما يسمي عندك معرساً.

يا نظرة زوّدتنيها ليتها ما كانت، يا حسرة أورثنيها ليتها لو زالت. وردّ القال الذي هو لسان الزمان، أو أوان الوصال قد آن، وقد جاءت الرواحل بالبشائر، وانتظمت القبائل والعشائر.

فَدَيْتُكَ يَا كَعْبَةَ الْحُسْنِ:

ألا تُصغني لشرح حالي معك، لا قلاك ربي ولا ودّعك، لم أزل منك في كل لحظة وأوان، في وصف إلهي ﴿كل يوم هو في شأن﴾<sup>(١)</sup> ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾<sup>(٢)</sup>، كلما ظهرت لي منك آية، أعقبها عماية، ومتى تحققت منك صفاء تلاه كدر.

تشرب ربا بشري والهوى سبب<sup>(٣)</sup> لأن أذوق فيه الصاب والمسل

كيف يبقى جسم قد أنضجت كبده حرارة الاشتياق، وغشيت عيناه من البكا حذر الفراق، في أيام التلاق والعناق، إن باح خاف من الوشاة، وإن كتم هلك بتوالي الحسرات والزفرات، فلا أدري والله في أي وادٍ أهيّم، ولا على أي حالة أحوم، كلما باسطت انقبضت، وكلما

(١) الآية رقم (٢٩) من سورة الرحمن.

(٢) الآية رقم (٣١) من سورة الرحمن.

(٣) في النسخة (ط) جاء هذا الشطر كما يلي:

(تشوب ربا الشرى والهوى سبب).

أقبلت عليك أعرضت، أطلب أبلغ رضاك، ولا أنظر لجهلي بقضاك، أموري كلها بالبلايا  
معروفة، وعلى الرزايا موقوفة، أما تحنّ أما ترني، أما تنظر من حزني وبشي.

فأنا مائل بين يديك، ناظرٌ بعين الذلّة والمسكنة إليك، حيرانٌ لا دين لي، ولهان لا عقل لي،  
مبهوت بلا نفس، عين تجود، وحزن جديد لا يلى ولا يبيد، وأخ غير مساعد<sup>(١)</sup> ولا موافق،  
وليل لا صبح له، ولا قائل يقول:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ولا نسيم وصل يهب، وهذا كله ليس منك فأنسبك إلى الظلم والجور، فنعوذ بالله من الحور  
بعد الكور، وإنما هو منّي لمخالفتي أمرك، ونظري إلى غيرك، فجهلت عيبي، فما استغفرت من  
ذنيبي، وأنت تستدرجني من حيث لا أعلم، وتمزج لي العسل بالشّم، فأحسب أنني المقرب  
المشهود، وأنا الطريد المبعود، وأتخيّل أنني الموصول، وأنا بسهم الحجر مقتول، هجرت اسمي  
بكنيتي، فتخيّلت أن ذلك لمكتني، فقلت لي يا سيدي وأنا العبد، وتمثلت بين يديّ وكان ذلك  
عين الطرد، ويّضت وجهي حين توجتني، ولم أدر أن ذلك البياض سواد، إذ كنت قد  
استدرجتني وكلما رمت أن أنصح نفسي لم تقبل النصح وتقول:

ما أسوأ ظنك. ألسنت تدري أن ذكر الجفا في موطن الصفا جفا، أليست هذه كراماته عليه  
مترادفة، ومطالعته عليك متضاعفة، فإذا قامت عليّ بهذه البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة،  
انخدعت لبرهانها، ومرحت في ميدانها، ولم أنظر إلى شر المذهب، وسوء المنقلب، إذا بلغت  
النفس التراق، وقيل من راق، والتقت الساق بالساق. وزلزلت أرض الجسوم زلزالها، وبان  
للنفس ما عليها وما لها، وزلت بها القدم، حينئذ تندم ولا ينفعها الندم، يا نفس لا يفرّتك هذا  
البلد الأمين، ولا كمدك الذي لا يبين، واطلبي مشرباً آخر عذب العاقبة معصوماً من السهام  
الصائبة، والحظ ملاحظة حكيم، في ربّ منعم عظيم، أليس من أعطاك مما وهب فقد صبرك  
قربته، أليس من أطلعك على سره فقد أهلك لمؤانسته، أليس من اختصك بالاطلاع على حرمه  
فقد ارتضاك إلى مسامرته.

يا روحي ليس الأمر كما بدا، وقد تأتي الضلالة في صورة الهدى، الحق وراء ذلك كله  
ومعه، كالشخص مع ظله فلن يدعه. أين من يتناول إليه بهمه<sup>(٢)</sup>، أين من يقصده لقوة عزمه؟  
أين من يريد الظفر بمنيته؟ أين من يطلب الوصول إلى بغيته، هذه الأعلام مرفوعة، والآيات  
منصوبة موضوعة، والنبأ صحيح، والنبأ صحيح، والنبي بما قاله فصيح، آه لظاهر صاحبه العيب، ولباطن حشره

(١) في (ط): (ولا أخ مساعد).

(٢) في (ط): (بهمة).

ريب، وعين نومة معروفة بالأحلام، وقلب ملتد بعوافي الآلام، ونفس متبعة عند الأغراض، وهوى يلجأ إليه لرفع مرض الحاجات، وقساوة نيظت بالفؤاد، فألفها الجفا، ودين هجر بعادة سوء استمرت فدرس رسمه وعفا، وإصرار ثابت غابت عنه أعلام الشفا، وعلم رفيع شابه البلا، فطوبى لمن ناح على فائته وبكى، ولازم باب من سيرده عليه فحن وشكا. هذا أوان شق الجيوب، وضرب الحدود، وإقامة المآثم والمنائح، فهذا هو الرزء القادح.

يا كعبة الحُسن:

أما تراني أدير لك الدور على الدور، وأعطف لك الكور على الكور، وأرفع عنك الستر بعد الستر، وأكشف لك السرّ بعد السر، وأوضح لك الرمز بعد الرمز، وأنتقل لك من صفة إلى صفة. فعلي معك فعل ربي معي، وأنا لا أسمع، فإذا سمعت فلا أعي، اشتد وجعي لما دخل عليّ المتكلم والسامع يختصمان، وكلاهما يشكوان صدق الوجد ويعلنان، وقد احتاط السامع واسترسل القائل فذكر المنع والعتا، فسألاني الحكم بينهما على السواء، فأبرزت السلو، قد اعروى ظهر الغدر وامتطاه، وأبرزت الشوق فجال في ميدان الدل، ومدّ حُطاه، فتنزه السلو، وتدنس الشوق، وذلت حقيقة الصمت تحت سلطان النطق، وأمرت حاكم الشريعة والحقيقة فقاما بينهما مسدّدين حكيمين عدلين. فكانت الحقيقة الأول والآخر وكانت الشريعة الوسط فتميز الباطن من الظاهر، وعرف اليقين بالريب، والشهود بالغيب، فحكما بالفناء والبقاء في الفريقين ونصبا لهما العلم والعمل طريقين، فسلكا عليهما علماً وهماً ويقظة ونوماً. فتأمل عافاك الله حكمة قد رفعت عنك حجايها، ومددت لك أسبابها، وأقمت لك أعلامها، فابحث عليها فيها، وانظر معانيها في مغانيها، فإن الغريب إنما يطلب في الغربة، فإن شددت على نفسك مئزر الحذر، وأمعت فيما أورده عليك صحيح النظر، كنت المحرر من رق الكون، والمثبوت في مشاهدة العين، وجبّرت كسراً، ويسّرت ما كان عسراً، لا زالت قطوف الوصال دانية وجنّات الألفة عالية، ولا أذكرنا الأيام الخالية، فإنها الحسرة الباقية.

والسلام المعاد عليك ورحمة الله وبركاته.

## ٨ . الرسالة الوجودية

### توسّل بها عبد القادر إليها ونزل بها عليها

---

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد القادر محمد بن علي إلى كعبة الحُسن وروضة المزن. سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد

فإني أحمد إليك الله الذي ألهمّ وعلمّ ما لم أكن به عليمًا، وأصليّ على من أوتي جوامع الكلم وأسلمّ تسليمًا. أمّا بعد:

فإن العلم أشرف موهوب، وأجلّ مطلوب، وأعظم مصحوب، وإن كان شرفه بشرف معلومه، ورونقه البديع في حُسن تفهيمه.

فالشرف بالضدّ معروف، وبالنسبة إلى النقيض موصوف. فأشرف العلوم مرتبة، وأعظم المعارف منزلة معرفة النفس والرب، فإنها تؤدي إلى القرب، لحقيقة الصورة والمثّل، المتعالي عن الشكل، ولكن إعلام وإبهام.

يا كعبة الحُسن:

معناك ربّاني، وسرّك سرياني، فاسمع الرمز السرياني ألقك نازلة إليك، وميمك نازلة منك عليك، وأنت بينهما تأخذين وتُعطين، فهل تُصيبين أو تُخطئين، فمن تلقى منك كما تلقيت كان ممن قابل البيت بالبيت. ما أشرفك يا واسطة العقد. ما أكرمك يا خاتمة العقد.

آه يا كعبة الحُسن:

واحرّ قلباه، واثكلاه. وهبت العالم الطريق إليك، فباعوك بالإعراض عنك. ليس الشقي كل

الشقي من زلت قدمه عن الطريق، فإنه قد كان فيه فزل وإنما الشقي كل الشقي من ضلَّ عن الطريق ابتداءً ولم يزل.

يا كعبة الحُسن:

إذا أشرقت الآفاق بالنور اللامع، وصلصلت الألحان للسامع، طلبت الأرواح المعراج، وهبت بالانزعاج، فزلزلت الهياكل الأرضية وتداخلت الحركات العلوية.

يا كعبة الحُسن:

أنت الأولى فأين ثانيك، انظري إليه فإنه في مبانيك، ومدرج في معانيك، إذا انفعل عنك وظهر عينه، ولاح لعينك بينك وبينه، فأفيض عليه من أنوار غيب ذاتك، ونزهيه في جمال سُبحاتك، فستلوح بين فيضك وقبوله أنوار الأشكال والأمثال فتلك الأعراس الإلهية المستورة في الجلال.

يا كعبة الحُسن:

احذري النار المركبة على هذا المركب.

يا كعبة الحُسن:

حُلَّ الرمز، فقد جاءت دولة العزِّ. فلا يقوم تركيب إلاَّ بحلِّ تركيب، انظري في سرِّه، لما دُبِحت البقرة قام الميت بحياتها من قبره.

يا كعبة الحُسن:

الإعلام قبل الإلهام، وردَّ الرسول من جنابك برقعة من غدا في<sup>(١)</sup> إهابك. فقلت: يا للعجب! ركنٌ مُخلَّق وإهابٌ ممزَّق. حالة متناقضة الإحكام فقال الرسول لا تفعل هو إعلام، بأوان الإحرام، فتذكرت الشيبني في قصة، وجاءني الأمر من قصه فسأله عن الحال المعلوم، وما بقي من محاسن الرسوم، فقال: إن الزهو قد شمل الشمائل، وإن السعدان عشب الحمائل، مرت الخميطة وزهرها، ومارت السماء وزهرها، فقلت: لعل تجلبي مكان الخشوع، أو عساها بارقة لموع؟! فقال: لا والحب إلاَّ أن ورود الربيع أزهر، وليل السرور أقرم. فخرج الطائعون.

يا كعبة الحُسن للفرج، وبقيت معطلة العشار فأدركها الحرج، وقالت: عرفت من أين ذهبت، وعلمت من حيث أوتيت، ما هو إلاَّ ذلك الدَّعي في حبي، والشهي في قربي، أثر البهار على الترجس، وغاب عن صحيفة المتلمس. أما عرف كيدي، أما تحقق أنه صيدي، متى

(١) في (ط): (حوا في).

وقع السراح، متى ملك المفتاح. ألم يعلم بأني العراقية الحجازية، والحقيقة المجازية، لئن وقعت عيني عليه، لا جعلته مثلاً في السائرين ومثلة للناظرين، وخبراً للمسافرين.

هيهات اغتر بجنايبي وعطفي، وانخدع بإحساني ولطفي ما علم أن البطش شديد، ما تحقق أنه في لبس من خلقٍ جديد، فقلت للرسول: وقد ورد على آخر الفصول. ما هلك امرؤ عرف قدره. سلم عليها، وبلغ ما أرسلك به إليها.  
يا كعبة الحُسن:

بي عزّ وجودك، وبأخذي ظهر جودك، أنشأت ذاتك بيدي، وأوصيت بك ولدي، وتغربت إليك من بلدي، وجعلتك سلطانة، عليّ أخدم بابك، وألزم ركابك، وأقبل كل يوم يمينك. وأنت الثلث الآخر من الليل لتنزلي، وأنت الشوق الجناني لتشكلي في الصور وتحوّلي، غبت عن كونك محلاً.

يا محل التحجير والمنع، يا حضرة القدم والرفع، عزّ عليّ حيدك عن المعرفة، وجهلك بالنكتة المعرفة. أين حجري من حجرك. أين يميني من يمينك، أين مقامي من مقامك. يا نشأة جماد قامت على مهاد.

أَعَزُّكَ<sup>(١)</sup> مني أن حَبَّكَ قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل  
بعثت إليك بكتاب فناءٍ واتحادٍ، وحديث طيب غير معاد فلم تطيبي به نفساً، ولا رفعت به رأساً، ما ناديت أذنأ صماء، ولا أبرزت رقوماً لقلّة عمياء، ما رأيت لهذه الواقعة الشنعاء، سوى إظهار الأختين بالطائف<sup>(٢)</sup> وبإقليم صنعاء<sup>(٣)</sup>، وليس ذلك عن كفر بعد إيمان، ولا عن شبهة بعد برهان، ولكن معاملة بسريان المعبود في الوجود، وتصديق كلامه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه﴾<sup>(٤)</sup> لنفي الجحود.

وهنا بهذه الإشارة انتهت الرسالة.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

(١) في (ط): (أعزك).

(٢) مدينة بالمملكة العربية السعودية الآن.

(٣) صنعاء عاصمة اليمن الآن.

(٤) الآية رقم (٢٣) من سورة الإسراء.

## سماعات الكتاب

### السمع الأول

سمع جميع (تاج الرسائل) على منشئها الشيخ الإمام العامل العالم الأوحد الزاهد الورع الأرشد شيخ العارفين، وقدوة المحققين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي الطائفي رضي الله عنه.

الشيخ الأجل الكبير المحترم الزاهد الورع أبو بدر عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي عتيق أبي الغنائم بن أبي الفتوح الحرّاني رحمه الله.

والفقيه الإمام العالم العامل الأوحد سيف الدين أبو عبد الله محمد بن قمر بن كوكبري البغدادي.

بقراءة العبد الفقير إلى الله تعالى إسماعيل محمد بن يوسف الأنصاري.

وكان السماع بمنزل سيدنا الإمام بملطية حرمها الله تعالى في العشر الأول من شعبان من سنة ثلاث عشرة وستمائة والحمد لله وحده والصلاة على محمد النبي وآله.

### السمع الثاني

سمع، جميع هذا الكتاب، وهو (تاج الرسائل) على مصنفه الشيخ الإمام العالم الأوحد العارف العلامة محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائفي أثابه الله الجنة بقراءة الإمام شمس الدين أبي الحسن علي بن المظفر بن العالم النشبي الفقهاء وعبد الله ابن الحسين بن إبراهيم الأريلي - وأبو المعالي عبد العزيز بن عبد القوي بن الجباب السعدي، وأبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي - وأبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الشيباني - وأبو طاهر إسماعيل بن سودكين النوري - وأبو عبد الله محمد بن بريقش المعظمي،



وإبراهيم بن محمد بن محمد - وعلي بن أحمد بن علي القرطبي - ويوسف بن محمد بن عبد العزيز، ومحمد بن أحمد بن أبي عيسى المايرقيان - والخطيب يعقوب بن معاذ بن عبد الرحمن الوريي - وأبو سعد محمد بن المصنف - وأحمد بن موسى بن حسين التركماني - وحسين بن محمد بن علي الموصلبي - ومحمد بن إلياس بن الخضر النصيبي - ويونس بن عثمان بن أبي القاسم الدمشقي.

وكاتب السماع: إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشي.  
وسمع من موضع اسمه إلى آخر الكتاب أبو المعالي محمد بن المصنف وذلك في العشرين من محرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمنزل المسمع بدمشق.  
والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

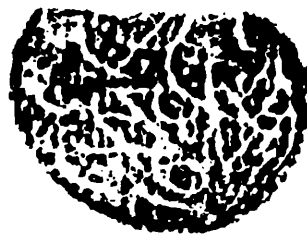


**كتاب التدبيرات الإلهية  
في إصلاح المملكة الإنسانية**

فنون  
عابد

كتاب

الامام المين الذين لا يدخله ريب ولا تحمين  
بالتدبيرات الالهية في اخلاص الملكة  
الاشانبة للشيخ الامام آغا العالم العلامة  
البحر الغمامه محمد ابن علي  
بن العزيمي الخامس بقعنا  
الله به وببركاته والذين  
والاشرف جاسم محمد  
سليمان عليه



---

كتاب الإمام المبين الذي لا يدخله ريب  
ولا تخمين<sup>(١)</sup> (المسمى)<sup>(٢)</sup> بالتدبيرات الإلهية في  
إصلاح المملكة الإنسانية للشيخ الإمام العالم  
العلامة البحر الفهامة محمد بن علي بن العربي الحاتمي  
نفعنا الله به وبركاته في الدين والدنيا والآخرة  
بجاه محمد (صلى الله عليه وسلم تسليماً)<sup>(٣)</sup>

م

م

---

(١) في النسخة (خ): (ولا تخمين).

(٢) زيادة من المحقق يقتضيها السياق.

(٣) سقط كل هذا من النسخة (ط).



## بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم<sup>(١)</sup>

قال العبد الفقير إلى الله - تعالى - محمد بن علي بن العربي الحاتمي الطائفي<sup>(٢)</sup>:  
الحمد لله الذي استخرج الإنسان من وجود علمه إلى وجود عينه في أول إبداعه، جوهره،  
فنظرها بعين الجلال، فذابت حياة منه، عندما حققت<sup>(٣)</sup> نظره فسالت ماءً، أكنّ فيه جواهر  
علمه، ودرره، ثم أرسل منه ميزاباً إلى مشربة غصن الامتزاج فأقام به صِعْرَهُ وسمى ذلك الغصن  
[إنساناً]<sup>(٤)</sup> فصوّره، وشق سمعه وبصره، وأحكم ترتيب [وجود]<sup>(٥)</sup> كل شيء في العالم الأكبر  
فيه<sup>(٦)</sup> ودبره [فقدره]<sup>(٧)</sup> وأشهد بشاهد الإحسان كل شيء فقرره<sup>(٨)</sup>، ورتق سماء عقله بعدما  
فتقه وفطره، وأبطن<sup>(٩)</sup> كونه في كونه وأظهره، وحجبه عن سره بما هو أخفى وستره، حكمة  
بالغة لمن دقق النظر فيه واعتبره، ثم تجلّى له من حضرة الاقتدار فبهره [فأجفل هارباً من نيران  
الهيبة فضمه وقهره وغمسه]<sup>(١٠)</sup> غمسة في البحر [الأخضر]<sup>(١١)</sup> من غير أن يشعره، فإذا سر

(١) هذه الفقرة سقطت من النسخة (ط).

(٢) زيادة من (ط).

(٣) في (خ): (حقق).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (خ)

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

(٦) في النسخة (خ): (منه).

(٧) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

(٨) توجد جملة (في العالم الأكبر فيه ودبره) مكررة في (خ).

(٩) في النسخة (خ): (أبان).

(١٠) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

(١١) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

القدرة الإلهية فيه ما زَجَتْ بشره، ثم كشف له عن حضرة الديومية فحقق بها عمره، وردّاه برداء الحياة الأبدية دون كون ضمه ولا أمد خصّره، وأعلى منارة للملائكة وأوضح غُزّره، فَبَايَعْتَهُ بالسجود<sup>(١)</sup> إذ أَمَدَّهُ بالأسماء، ونوَّره، وجعله في أرض الأجسام خليفة، فأَيَّدَهُ ونصره، ثم أبدع له العقل وزيراً فاستوزره، ووهبه سر الخطاب في نار الشجرة، وأعطاه عصى إعجازه - فأهلك بها الخواطر السحرة، ثم خوفه لدى قسطاس الانقسام وحذره، وقسم موارده عليه قسمة منتشرة، وأردفها بأجناد إشارات إلهية غير منحصرة، وأورد الخواطر على باب حضرته فمقبلة ومدبرة<sup>(٢)</sup>، فمنها قابلة لعيون الإشارات ومنها مستنفرة، وعمّر مدينته في النبط الأوسط<sup>(٣)</sup> ومنها أفقره، وأغناه بمطالعة أسرار الملكوت وبها أفقره<sup>(٤)</sup>، وأباح له التصرف في الأكوان بما به عنها نجوه، وسوى في قبضته الأخذ بين من آمن به وكفره، وأشهده على تلك القضية<sup>(٥)</sup> وقوَّره، ونصب ملكه جسراً للعبور فطوبى لمن عبّره، ثم شاء سبحانه أن يدنّسه بما به طهره، فجعله برزخاً جامعاً للكفرة والبررة، وأقامه في عالم التركيب داغياً على منابر التذكرة وأيده<sup>(٦)</sup> بالعلوم الإلهية وغمره، ونهاه عن إفشاء ما بظهوره أمره، فقال: ألا تنظرون في عوالمكم إلى سموات أفلاكها مسخرة، وأراضين بحارها مسجّرة، وفلك مشحون أجراه في بحر الكون عندما أوسقه وعمره، فهو يجري<sup>(٧)</sup> بين رجلي رجاء وخوف كتب عليها الصانع القديم بقلم العلم المحيط في الرجل الأيمن: ﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾<sup>(٨)</sup> وفي الرجل الأيسر ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾<sup>(٩)</sup>. فليبادر بالطاعة لمن هداه التجدين فبصره، وليشكره على رزق قسمه فيسره وعسره، وليبحث عن الكنز الذي حجبه بالجدار الجسماني وستره، ثم ليتدبر كيف أحياه حين أفبره، وأماته في الوقت الذي أنشره، وأظلمه بجلايب حنادس ملابس غيوب النور الذي به أقمره، ودلّ على النجى واللدني بآتي محو ومبصرة ثم صيّر آية الحو في بعض الأحايين منوَّرة، وذلك في الليالي المقمرة، عند تقابلهما في الكرة، ثم أظهر ذلك السرفيمن ضرب بعضا الاختيار حجر الأسرار ففجره.

(١) أي: بايعة الملائكة بالسجود لأمر الله تعالى.

(٢) في النسخة (ط): (مقبلة مدبرة).

(٣) في النسخة (خ): (النبط الأسود).

(٤) في (خ): (وما أفقره).

(٥) في النسخة (خ): (القضية).

(٦) في (خ): (وأيده).

(٧) في (خ): (يجري).

(٨) الآية رقم (٧) من سورة الزلزلة.

(٩) الآية رقم (٨) من سورة الزلزلة.



فانظر إلى شجر فاض على حجر وانظر إلى ضارب من خلف أستار فسبحان من أودع هذه الأسرار في وجود حضرة الإنسان المقدسة المطهرة فما أغفله عن القيام بشكرها ﴿قَتِيلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾<sup>(١)</sup> والويل لمن زهد في اعتبار وجوده وحقره، والصغار له فما أذله وأصغره، فليته كما كفره شكره، فيكون من الذين ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾<sup>(٢)</sup> فانتظموا في سلك عسى المدخرة في الدار الباقية المؤخرة، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ممن تابعه وآزره، الملتحقين في أبراد المعارف الربانية المحببة المطرزة بعلم العصمة<sup>(٣)</sup> المشهورة ما سبح الملك ربه وذكره، وزهد أهل العناية في الخلوة والحضرة. أما بعد:

حقق الله شرك بحقائق الوصال<sup>(٤)</sup> وجعلك من الساجدين له بالغدو والآصال، فإني بنيث هذا الكتاب الصغير الحجم، اللطيف الجرم، العظيم الفائدة الكثير العلم، المستخرج من العلم اللدني وألقابه العدناني المسمى في الإمام الميين الذي لا يدخله ريب ولا تخمين «بالتديرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية» وهو يشتمل على مقدمة، وتمهيد، وأحد وعشرين باباً من دقائق التوحيد في تدير الملك الذي لا يبيد، على التدير<sup>(٥)</sup> الحكمي والنظام الإلهي، وجاء غريباً في شأنه، ممزوجاً رمزه ببيانه، يقرأه الخاص العام، ومن كان في الحضيض الأوهى ومستوى الجلال والإكرام، ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾<sup>(٦)</sup> ففيه للخواص إشارة لائحة، والعوام طريقة واضحة، وهو لباب التصوف، وسبيل التصرف، لحضرة التروُّف والتعطف، يلهمج به الواصل والسالك، ويأخذ حظُّه منه المملوك والمالك، يُعرب عن حقيقة الإنسان وعلو منْصبه على سائر الحيوان، وأنه مختصر من العالم المحيط مركب من كثيف وبسيط، لم يبق في الإمكان شيء إلا أودع فيه، في أول منشئه ومبانيه، حتى برز على غاية الكمال وظهر في البرازخ بين الجلال والجمال، فليس في الجود بُخل، ولا في القدرة نقصان، صح ذلك عند ذوي العقول الراجحة بالدليل والبرهان، ولذا قال بعض الأئمة: وليس أبدع من هذا العالم في الإمكان<sup>(٧)</sup>، والله يؤيدنا بالعصمة ولطيف الحكمة، إنه فياض النور واسع الرحمة.

(١) الآية رقم (١٧) من سورة عبس.

(٢) انظر إلى نص الآية (١٠٢) من سورة التوبة تقول: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾.

(٣) في (ط): (الحشمة).

(٤) في (خ): (الرجال).

(٥) في (ط): (الترتيب).

(٦) الآية رقم (٦٠) من سورة البقرة.

(٧) انظر ما قاله الإمام أبو حامد الغزالي في (مشكاة الأنوار).



## تمهيد للكتاب

اعلم وفقك الله لطاعته أن الله سبحانه قد شاء أن يبرز العالم في الشفعية لينفرد سبحانه بالوترية فيصح اسم الواحد الفرد ويتميز السيد من العبد ولما وقفت، أوقفكم الله على حقائق نفوسكم وأطلعكم على ما أورده فيكم من لطيف حكمته، وغريب صنعته، على قوله تعالى: ﴿وهو الذي مَدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل والنهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾<sup>(١)</sup>.

فأخذت في الفكر والاعتبار في هذه الآية فرأيتُ [أن]<sup>(٢)</sup> الإنسان من جملة الثمرات، ينمو كتموها<sup>(٣)</sup>، يتغذى بغذائها، ثم ينتهي كنهايتها، فتؤخذ منه الفوائد كما تؤخذ منها، ثم يأخذ في النقص كالنقص منها ثم يهرم كهرمها، ثم يموت كموتها، ثم رأيناه يولد كتوليدها فيؤخذ بذر منها فيزرع. فتحدث فيه الشباب كذلك حتى يصير مثل حالها، فقد يؤخذ منه كما أخذ منها، وقد يترك فينقطع النسل من تلك الشجرة المعينة. وكذلك الإنسان في التوالد على ذلك الجميع، فقلنا هذه شجرة فأين أختها التي تصح بها شفيعتها، وإطلاق هذه الآية عليها فكراً واعتباراً فتبعنا وجود الإنسان وتفضيله على سائر الحيوان، وتَقَصَّينا أسرارته وحكمته، ولطائفه فرأيناها بأعيانها في العالم المحيط الأكبر قدماً بقدم، فلم نزل نقابله حرفاً حرفاً<sup>(٤)</sup> ومعنى معنى، حتى وجدناه كأنه هو فعلمنا أن الثمرة الواحدة العالم الأكبر<sup>(٥)</sup> المحيط، والثمرة الأخرى الإنسان الذي هو العالم الأصغر فطلبنا على ذلك تنبيهاً من الكتاب العزيز فوقفنا على آيات

(١) الآية رقم (٣) من سورة الرعد.

(٢) ما بين المقوفتين سقط من (خ).

(٣) في النسخة (ط): (كنمائها).

(٤) في النسخة (ط): (حرفاً بحرف).

(٥) في النسخة (ط): (الكبير ... الصغير).

نيرات منها: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾<sup>(١)</sup>، ﴿سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾<sup>(٣)</sup> ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾<sup>(٤)</sup> ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾<sup>(٥)</sup>.

فحمدنا الله سبحانه وتعالى على ما ألهم، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله علينا<sup>(٦)</sup>، فانظر نور الله بصيرتك إلى ما تفرّق في العالم الأكبر تجده في هذا العالم الإنساني من ملك وملكوت حتى إذا ظهر في العالم مثل النماء وجدته في الإنسان كالشعر والأظفار وشبه ذلك<sup>(٧)</sup>.

وكما أن<sup>(٨)</sup> في العالم ماء مالحاً وعذباً وزعاقاً<sup>(٩)</sup> وذلك موجود كله في الإنسان. فالمالح في عينيه.

والزعاق في منخره.

والمُرُّ في أذنيه. والعذب في فمه.

وكما أن في العالم تراباً، وماءً، وهواءً، وناراً، ففي الإنسان ذلك بعينه ومنها خلق جسمه، وقد نبّه عليها الحكيم في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلقكم من تراب﴾<sup>(١٠)</sup> ثم قال تعالى: ﴿من طين﴾<sup>(١١)</sup> وهو امتزاج الماء بالتراب ثم قال جلّ اسمه: ﴿من حملاً مسنون﴾<sup>(١٢)</sup> وهو المتغير بالريح وهو الجزء الهوائي الذي فيه، ثم قال: ﴿خلق الإنسان من

(١) الآية رقم (٢١) من سورة الذاريات.

(٢) الآية رقم (٥٣) من سورة فصلت.

(٣) الآية رقم (٢٧) من سورة ص.

(٤) الآية رقم (١١٥) من سورة المؤمنون.

(٥) الآية رقم (١٢) من سورة الطلاق.

(٦) في النسخة (ط) (عليك) والسياق يتطلب ما أثبتناه وقد سقطت من النسخة (خ).

(٧) في النسخة (ط): (ونحو ذلك).

(٨) في النسخة (خ): (وكان).

(٩) في النسخة (ط): (وزعاقاً ومرأ فذلك).

(١٠) الآية رقم (٦٧) من سورة غافر.

(١١) الآية رقم (٢) من سورة الأنعام.

ونصها: ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى ثم أنتم تموتون﴾.

(١٢) الآية رقم (٢٦) من سورة الحجر.

ونصها: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾.

صلصال<sup>(١)</sup> وهو الجزء الناري، وهذه حكمة منه سبحانه وتعالى ﴿يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾<sup>(٢)</sup> وكما أن في العالم أرياحاً أربعاً: شمالاً، وجنوباً، وصبا ودبور. ففي الإنسان أربع قوى: جاذبة، وماسكة، وهاضمة ودافعة. وكما أن في العالم أسباعاً وشياطين وبهائم.

ففي الإنسان الافتراس، وطلب القهر والغلبة والغضب، والحقد، والحسد، والفجور، والأكل والشرب، والنكاح، والتمتع كما قال عز وجل: ﴿يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾<sup>(٣)</sup>. وكما أن في العالم ملائكة بررة<sup>(٤)</sup> سفرة، ففي الإنسان طهارة، وطاعة، واستقامة، وكما أن في العالم من يظهر للأبصار<sup>(٥)</sup> ومن يخفى، فلإنسان ظاهر وباطن عالم الحس، وعالم القلب، فظاهره ملك وباطنه ملكوت. وكما أن في العالم علواً، وسفلاً<sup>(٦)</sup>. ففي الإنسان علو وسفل، وامش بهذا الاعتبار على العالم تجده نسخة إلهية<sup>(٧)</sup> صحيحة ما يختل<sup>(٨)</sup> حرف ولا نقص معنى، ولم نجد له في مقابلة الأزل إلا الأبد<sup>(٩)</sup> فهو غير متناهي الطرف الآخر شرعاً، وسبق في علم قديم باق بإبقاء الله عز وجل.

قال العبد: وجرت المتصوفة - رضي الله تعالى عنهم - في هذا النظر والاعتبار مجرى العرب في كلامها أن الاستعارات والجاز بأدنى شبه وأيسر صفة يجمع بينهما، وفي القرآن من هذا القبيل كثيراً إذ القرآن جاء على لغة العرب، كما قال عليه السلام: «إنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين»<sup>(٩)</sup> ومثل قوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾<sup>(١٠)</sup> ﴿كسراب بقيعه﴾<sup>(١١)</sup>،

(١) انظر الآية السابقة وفي النسخة (ط) «خلق الإنسان من صلصال كالفخار».

وهي الآية رقم (١٤) من سورة الرحمن.

(٢) الآية رقم (٥٤) من سورة الروم.

(٣) الآية رقم (١٢) من سورة محمد.

(٤) في نسخة المخطوط (خ): (نور).

(٥) في النسخة (خ): (للأعصار).

(٦) في (خ) (علو وسفل) وفي (ط): (سماة وأرضاً).

(٧) في (ط): تجد النسخة الإلهية صحيحة ما اختل.

(٨) في (خ): (الأجل).

(٩) حديث (إنما أنزل القرآن بلساني...).

أنظر: البخاري في المناقب ٣ وفضائل القرآن ٢. والترمذي: تفسير سورة ١٩/٩ المعجم المفهرس ١١٦/٦.

وانظر السيوطي: الدر المنثور تفسير سورة إبراهيم ٤/٥ ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾.

(١٠) الآية رقم (٤) من سورة مريم.

(١١) الآية رقم (٣٩) من سورة النور.

﴿كرماد اشتدت به الريح﴾<sup>(١)</sup> ﴿كمثل صفوان عليه تراب﴾<sup>(٢)</sup> ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾<sup>(٣)</sup> ﴿واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾<sup>(٤)</sup> ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾<sup>(٥)</sup>.

فلم يزل الصوفية - رضي الله عنهم - في اعتبارها على هذا النهج فلنلخص لك ولنقرب عليك<sup>(٦)</sup> كيف تنظر العالم في الإنسان على ما تقدم، وذلك أن تنظر إلى ما خرج<sup>(٧)</sup> عنك من الموجودات، وإذا وقعت عينك<sup>(٨)</sup> على موجود ما فاطلبه<sup>(٩)</sup> على الصفة التي غلبت على ذلك الموجود حتى شهر<sup>(١٠)</sup> بها، وإذا عرفت تلك الصفة التي انبأت عنه ودلت عليه، فإنها إما صفة النفسية<sup>(١١)</sup>، وإما صفة غالبية عليه، ثم تنظر تلك الصفة [بمعناها]<sup>(١٢)</sup> فنجدها في الإنسان لا محالة فتطلق على الإنسان عند مشاهدتك تلك الصفة اسم التي هي<sup>(١٣)</sup> صفته مثل البلادة التي هي غالبية على الحمار دون غيره من الحيوان، فتقول في الإنسان حماراً إذا رأيناه بليداً، أو أسداً إذا رأيناه شديداً طالب الافتراس.

ومثل هذا النظر<sup>(١٤)</sup> أيضاً في الأسرار الشريفة مثل: أن تنظر إلى الشمس والقمر، فتجعل الشمس للروح والقمر للنفس، وذلك أن النفس ذات كمال ونقص على حسب ما يرد في آخر<sup>(١٥)</sup> الكتاب، فكمالها بالعقل والعلم، ونقصانها بالجهل، والشهوات، وكما أن نقص القمر قد يكون سببه الأرض<sup>(١٦)</sup> وهو الأسفل من القائم<sup>(١٧)</sup> كذلك نقص النفس إنما هو من ارتكاب

(١) الآية رقم (١٨) من سورة إبراهيم.

(٢) الآية رقم (٢٦٤) من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم (٨٢) من سورة يوسف.

(٤) الآية رقم (٨٢) من سورة يوسف.

(٥) الآية رقم (١٤٣) من سورة الأعراف.

(٦) في النسخة (خ): (فلخص لك ولتعرف كيف).

(٧) في النسخة (خ): (خارج).

(٨) في (خ): (وقع عينك) وفي (ط): (وقعت عينك).

(٩) في النسخة (خ) غير واضحة، ومن (ط): (فاطلب الصفة).

(١٠) في النسخة (ط): (حتى شربها).

(١١) في (ط): (فإما صفة نفسية له) وفي (خ): (فإنها الصفة النفسية).

(١٢) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

(١٣) في (ط): (الذي هو).

(١٤) في (خ): (النطق).

(١٥) في (ط): (في داخل).

(١٦) في (ط): (الكسوف الأرض).

(١٧) في (ط): (العالم).

الشهوات ومحلها أسفل السافلين، وكما أشرقت الأرض بنور الشمس، كذلك أشرقت الأجسام بنور الروح، فكشفت الأشياء إلى ما بنى<sup>(١)</sup> عليه، إلى أمثال هذا مما يطول ذكره.

قال المؤلف - رضي الله عنه - لما أردنا أن نأخذ في مقابلة النسختين: العالم الأكبر والأصغر على الإطلاق من جميع الأسرار العامة والخاصة رأينا أن ذلك يطول، وعرضنا من العلوم ما يوصل إلى النجاة في الآخرة إذ الدنيا فانية دائرة فعدلها إلى أمر يكون فيه النجاة ويتمشى معه المراد الذي يتنا عليه كتابنا وهو أننا نظرنا الإنسان، فوجدناه مكلفاً مسخراً بين وعد ووعد، فسعينا في نجاته مما توعد به، وفي تخلصه لما وعد إليه فاضطرنا الحال في إقامة<sup>(٢)</sup> القسطاس عليه من العالم الأكبر<sup>(٣)</sup> فرأينا ذلك في حضرة الأمر والنهي وحضرة الإمامة، ومقر الخلافة [فوجدنا]<sup>(٤)</sup> الخليفة شاهداً، فيه ظهرت الحكمة، وآثار<sup>(٥)</sup> الأسماء على يديه تنفعل أكثر المكونات المخلوقات<sup>(٦)</sup> للبارئ - تعالى - فتقصينا الأثر وأمعنا النظر في حظ الإنسان من هذه الحضرة الامامية فوجدناه في الإنسان خليفة، ووزيراً، وقاضياً، وكاتباً، وقابض خراج وجبايات وأعواناً، ومقابلة<sup>(٧)</sup> أعداء وقتلاً وأسراً، إلى مثل هذا مما يليق بحضرة الخلافة التي هي محل الإرث، وفي الأنبياء انتشرت راياتها ولاحت أعلامها، وأذعن الكل لسلطانها ثم خفيت بعد الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين)<sup>(٨)</sup>، فلا تظهر<sup>(٩)</sup> إلى يوم القيامة عموماً، لكن قد تظهر خصوصاً فالقطب معلوم غير معين، وهو خليفة الزمان ومحل النظر والتجلي ومنه تصدر الآثار<sup>(١٠)</sup> على ظاهر العالم وباطنه، وبه يرحم من يرحم، ويعذب من يعذب، وله صفات إن اجتمعت في خليفة عصر فهو القطب، وعليه مدار الأمر الإلهي، وإن لم يجتمع فهو غيره ومنه تكون المادة لمثل ذلك الزمان<sup>(١١)</sup> وهذا كله في الإنسان موجود ونحن إن شاء الله نورده في

(١) في (ط): (على ما هي عليه).

(٢) ما أوردناه من (ط) أما (خ) فقير واضحة.

(٣) في النسخة (ط) زيد فيها.

[فتقلنا: أين ظهرت الحكمة من الخصاب والوعد والوعيد من العالم الكبير].

(٤) في (خ): (من أسباب).

(٥) في (ط): (وأثر).

(٦) في (ط): (المخلوقة).

(٧) (وأعراب، ونقابله) هكذا من (خ).

(٨) في (ط): (عم).

(٩) في (ط): (فلا تظهر أبداً).

(١٠) في (ط): (الأثر).

(١١) في (ط): (العصر).

هذا المجموع بأحسن إيراد مختصراً كافياً مقنعاً والله ينفع العبد بما قصد ويسلك به الطريق الأقوم<sup>(١)</sup> الأسد.

---

(١) في (خ): (الأقوم الأبد).

والأسد هنا من السديد.



## مقدمة الكتاب

التصوف، صافاك الله، أمره عجيب، وشأنه غريب، وسره لطيف، وليس يُمنح<sup>(١)</sup> إلا لصاحب عناية وقدم صدق له أمور وأسرار غطى عليها<sup>(٢)</sup> إقرار وإنكار. وسقنا هذه المقدمة توطئة لعلوم التصوف، فإن الإنكار عليه شديد، وشيطان المخالفة<sup>(٣)</sup> له مريد<sup>(٤)</sup> على أننا ما سقنا من هذه العلوم في هذا الكتاب إلا النذر اليسير في آخره وإشارات تتخلله، فسقنا هذه المقدمة لتلك الإشارات ومن أراد أن يقف من تواليها على جُلِّ أسرار هذه الطريقة الشريفة فليطالع كتاب: (منهاج الارتقاء إلى افتضاض أبقار البقاء المخدّرات بخيمات اللقاء)<sup>(٥)</sup>، وبنيناها على ثلاثمائة باب وثلاثة آلاف مقام، لكل باب عشرة مقامات كلها أسرار بعضها فوق بعض.

فوجدنا<sup>(٦)</sup>، وفقك الله في سياق هذه المقدمة في هذا الكتاب التي هي كالعلاوة عليه أن يقف عليها السالك ابتداءً فتكون له عصمة من الإنكار على كلام أهل هذه الطريقة وما يقف

(١) في (خ): وليست بمنهج.

(٢) في (ط): (عليهن).

(٣) في (ط): (والشيطان المخالف).

(٤) أي: من المردة.

(٥) كتاب [منهاج الارتقاء...].

يصف المؤلف هذا الكتاب في فهرسه بأنه: يحتوي على ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى وهو على ثلاثمائة باب. كل باب عشر مقامات ونفس هذا الوصف ذكره في مواضع آخر كما هنا بينما لا ينطبق هذا الوصف على ما رجعنا إليه من نسخ المخطوط. في ثلاث مواضع وهي نسخة (فيض الله ٢١١٩/٣٦٥ ب - ٣٩٦ ب).

نسخة (جامعة استانبول ٢٥٩٩ / ١ - ١٨ - سنة ١٠٦٣ هـ).

نسخة (أورهان، بروس ٤٢/٦٤٣ - ٦٤ سنة ٩٨٠ هـ).

انظر مؤلفات ابن عربي (د عثمان يحيى رقم ٨٩١ هـ، ص ٥٨٩).

(٦) في (ط): (فرجونا).

عليه في داخل هذا الكتاب فيقع منه التسليم فربما يفتح له قفل السر الذي وقف عنده وسلمه فلهذا أوردناه<sup>(١)</sup>، جعلنا الله ممن حسن إسلامه وسلم ما لم يبلغه علمه أمين بعزته.

فاعلم شرح الله صدرك أن مَبْتَنِي هذا الطريق على التسليم والتصديق حتى قال بعض السادة القادة: «لا يبلغ الإنسان درج<sup>(٢)</sup> الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنه زنديق» ثم يُؤَيَّد قول هذا السيد<sup>(٣)</sup> بقول الشريف الرضي حفيد علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما):

[إني لأكتنم من علمي جواهره كفي لا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتا  
فقد تقدم في هذا أبو حسنٍ إلى الحسين ووصى قبله الحسن<sup>(٤)</sup>  
يا رب جوهر علم لو أبوح به لقييل لي أنت ممن يعبد الوثنا  
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

فاشترط<sup>(٥)</sup> في إنكار هذا العلق<sup>(٦)</sup> النفيس رجالاً سماهم مسلمين قد وقفوا مع التخيل والتليس وكيف لا ينكر هذا الطريق وهل يبقى<sup>(٧)</sup> أثر للباطل عند ظهور الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾<sup>(٨)</sup>.

ألم تر أن الله أعطاك صورة<sup>(٩)</sup> ترى كل ملك دونها يتذبذب  
بأنك شمس والملك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب  
﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾<sup>(١٠)</sup>، «حسنات الأبرار سيئات المقربين»<sup>(١١)</sup> «إنه

(١) في (خ): (ما أوردناها).

(٢) في (خ): (وجه).

(٣) في (خ): (ثم تأيد نقل هذا السبب).

(٤) هذان البيتان سقطا من النسخة (خ).

(٥) في (خ): (واشترت).

(٦) بمعنى: التعليقة.

(٧) في (خ): (ينفا).

(٨) الآية رقم (٨١) من سورة الإسراء.

(٩) في (ط): (سورة).

(١٠) الآية رقم (٩١) من سورة الأنعام.

(١١) (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

هو من كلام أبي سعيد الخزاز كما رواه ابن عساكر في ترجمته، وهو من كبار الصوفية مات رحمه الله، سنة مائتين وثمانين، وعده بعضهم حديثاً، وليس كذلك. وحكاه بعضهم عن ذي النون المصري. وعزاه الزركشي في لقطته للجنيدي.

ليغان على قلبي فأستغفر الله مائة مرة»<sup>(١)</sup>، فانظر هذين الشيئين<sup>(٢)</sup> في عالم الحس الداخلى تحت كل الحصر فكيف بعالم الملكوت فكل من تكلم من غير هذا المقام فإنه صاحب أضغاث أحلام، ألم تر إلى قول الجنيد: إن المحدث إذا قورن بالقديم لم يبق له أثر وشتان بين من ينطق عن درسه ونفسه وبين من ينطق عن ربه ﴿وما ينطق عن الهوى﴾<sup>(٣)</sup> فأياك وطلب الدليل من خارج ففتقد إلى المعارج واطلبه من ذاتك لذاتك تجد الحق في ذاتك، أرايت لما ثبتت نبوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واستقر في نفوس العقلاء أنه (صلى الله عليه وسلم)، ينطق عن الله تعالى لا عن هوى نفسه كيف دخلوا في رق الانقياد والتسليم وتعرفت عليهم وظائف التكليف، ولم يسألوا ما الدليل ولا ما العلة، ولقد كان أصحابه - رضي الله عنهم - يسألون عن أشياء حتى نهوا عن ذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾<sup>(٤)</sup>، فقال الصحابي<sup>(٥)</sup>: نُهيينا أن نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن تعرض لك أيها الأخ المسترشد من يعمل<sup>(٦)</sup> عن الطريق فيقول لك طالبهم بالدليل والبرهان، يعني هل هذه الطريقة فيما يتكلمون<sup>(٧)</sup> به من الأسرار الإلهية فاعرض عنه وقل له مجابواً في مقابلة ذلك: ما الدليل على حلاوة العسل؟ ما الدليل على لذة الجماع؟ وأشباههما، وخيترني ماهية هذه الأشياء؟ فلا بد أن يقول لك هذا العلم لا يحصل إلا بالذوق فلا يدخل تحت حدّ ولا يقوم عليه دليل فقل له: وهذا مثل لك، ثم اضرب مثلاً وقل له: لو كان لك دار بنيتها بيدك وما اطلع عليها أحد غيرك ففشا ذكرها فاتصل بمسامع<sup>(٨)</sup> الناس خبرها ثم اصطفيت أحداً من

= وقال شيخ الإسلام:

الفرق بين الأبرار والمقربين، أن المقربين هم الذين أخذوا عن حظوظهم وإرادتهم، واستعملوا في القيام بحقوق مولاهم عبودية وطلباً لرضاه.

وإن الأبرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وإرادتهم وأقيموا في الأعمال الصالحة ومقامات اليقين ليجزوا على مجاهدتهم برفع الدرجات. انظر: العجلوني: كشف الحفاء ١/١١٣٧.

(١) حديث: (إنه ليغان على قلبي..).

أورده السيوطي وقال: رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، والإمام مسلم في صحيحه، وأبو داود في السنن، والنسائي في السنن انظر: جامع الأحاديث ٦/٦٤٧٦ ص ٥١٧.

(٢) في النسخة (خ): (هاذان البيتين).

(٣) الآية رقم (٣) من سورة النجم.

(٤) الآية رقم (١٠١) من سورة المائدة.

(٥) انظر ما قيل حول هذه الآية من أحاديث أوردها السيوطي، في الدرر المنتور في التفسير بالمأثور ٣/٢٠٤ وما بعدها.

(٦) في (ط): (ينفرك).

(٧) في (خ) (يتكلموا).

(٨) في (ط): (بأسماع).

خواصك فأدخلته إياها حتى عاينها وأحاط بما أطلقته منها عليها وهو بمراى من الناس عند إدخالك إياه ثم خرج إليهم وقعد يصف لهم ما رأى فيها، هل يصح أن يقال له في ذلك المقام: ما الدليل على ما تذكره أنها على هذه الصفة؟ هذا لا يصح ولو طالبه أحد بذلك حمقه الناس وسفهوه، وقالوا: هذا شيء لا يقوم عليه دليل غابتنا إن رأينا رجلاً أدخله صاحب الدار وخرج فوصف ما رأى فمن حسن الظن به وثبتت عنده عدالته صدقه في قوله: ومن لم فلا يلزمه ذلك ولا يحسن من أحد أن ينكر على مقاله فإذا أردت أن تقف على ما ادّعاه هذا الرجل فارغب إلى صاحبها يدخلك إياها فتشاهد ما شاهد لتتيقن [ليس] <sup>(١)</sup> غير ذلك، وكذلك يا أخي هذا العلم السني الذي هو نتيجة التقوى إذا رأينا رجلاً قد اتقى الله، ووقف عند حدوده واتصف بالزهد والورع، وأشابه هذه الصفة، ثم نطق بعد هذا بعلم لا نسمعه بعقولنا، وهبه الله سبحانه له، قالوا: وجب علينا التسليم والتصديق بما ادعى وتحسنا <sup>(٢)</sup> الظن به وترك الاعتراض عليه فإن الله تعالى قد يخص من يشاء من عبده بما يشاء من علومه كما قال: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ <sup>(٣)</sup> وقال: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ <sup>(٤)</sup>، ومثله موسى والخضر - صلى الله عليهما - فيهما مَفْتَعٌ أغنى في الاختصاص ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ <sup>(٥)</sup>.

هل صدر قط أو سمع عن الصحابة أنهم سألوا النبي (صلى الله عليه وسلم): ما العلة على أن الظهر أربع، والمغرب ثلاث؟ ولم أسرّ في بعض وأجهر في بعض؟ ما سمعنا بهذا، وإنما لم يكن ذلك لأنه قد ثبتت عصمته وبان صدقه وعلم أنه لا ينطق عن نفسه فمهما رأيناك تطلب الدليل والعلة على من ورثه ولازم التقوى الذي يدل على صحة علمه كدلالة المعجزة على صدق الرسول، علمنا أن صفة الصدق ما استقرت لديك ولا تبدت قط إليك فسلم لهم أحولهم، ولا تنكر أقوالهم ﴿وقل رب زدني علماً﴾ <sup>(٦)</sup> عسى الله أن يفتح لك باباً من عنده.

(١) في (ط): سقطت كلمة (لتتيقن).

وفي (خ) سقطت كلمة (ليس).

(٢) في (ط): (وتحسين).

(٣) الآية رقم (٢٦٩) من سورة البقرة.

(٤) الآية رقم (٦٥) من سورة الكهف.

(٥) الآية رقم (٢٣) من سورة الأنبياء.

(٦) الآية رقم (١١٤) من سورة طه.

## فصل من ذلك<sup>(١)</sup>

ولا تنكر عليهم وفقك الله النطق بالغيب مع إيمانك بأمثال المحسوس الذي نصب الله تعالى لك. وذلك<sup>(٢)</sup> أن المرأة إذا صقلت وجلي عنها الصدأ وتجلت صورة الناظر فيها، ليس يرى نفسه حسناً أم قبيحاً؟ فإن جاء أحد خلفه تجلت صورته في المرأة فعندما نظر إليها قال والحاضرون معه: خلفي إنسان أو شيء على صورة كذا وكذا حتى يستوفي ما رأى وهو لم يره بعينه الرؤية المعهودة والتصديق بهذا واجب فإنه محسوس كذلك المعقول نظير المحسوس، فيعمد الإنسان إلى مرآة قلبه فيجلبوها<sup>(٣)</sup> من صدأ الأغيار ويميط عنها كل حجاب يحجبها عن تجلي صور المعقولات والمغيبات بأنواع الرياضات، والمجاهدات، فإذا صفت وتجلت تجلي فيها كل ما يقابلها من المغيبات فنطق عما شاهد ووصف ما رأى ﴿وما كذب الفؤاد ما رأى﴾<sup>(٤)</sup>. وهذا مثال على التقريب ولولا التطويل لتكلمنا على ضروب المكاشفة وأصنافها لكن يكفي هذا القدر فمن أراد أن يقف على أنواعها على الكمال من تواليها فليقف على (جلاء القلوب)<sup>(٥)</sup> ثم يا ليت شعري طالب الدليل على هذا العلم المشاهد، هل أحاط علماً بما في<sup>(٦)</sup> الكتاب والسنة حتى يقال له هو من كذا هل أحاله دليل العقل، فغاية العاقل الذي حصل له عقل

(١) هذا العنوان سقط من النسخة (ط).

(٢) سقط من (ط).

(٣) في (خ): (فيجليها).

(٤) الآية رقم (١١) من سورة النجم.

(٥) جلاب القلوب لم نقف له على نسخة مخطوطة وأورد عثمان يحيى في مؤلفات ابن عربي تحت رقم (٢٣١) جلاء القلوب في أسرار علام الغيوب وذكر أن ابن عربي أورد إشارة عنه في الفهرس رقم (٢٠)، والإجازة رقم (٢٠)، وهنا في كتاب التديرات... وكتاب القول المبني للسخاوي مخطوط برلين ١٠٩/٧٩٠، والجاذب (أ٥).

(٦) في (ط): (بمعاني).

التكليف ووقف عند أحكامه من واجب وجائز ومستحيل أن يجعل ما نطق به هذا الصوفي من قبيل الجائز، وإنما صار واجباً عندهم لا من حيث نفسه إلا من حيث العلم القديم بأنه سيكون، فإذا أتى هذا الصوفي بالجائز أو بموافقات العقول إذ النبوة والولاية فوق طور العقل. فالعقل إنما يقف أو يجوز لأنه ما أتى بشيء يهديه ركناً من أركان التوحيد ولا ركناً من أركان الشريعة، فما جرم المستمتع له في معرض الإنكار إلا قلة التصديق، فالصفة راجعة عليه، والصوفي منزّه عما تُنسب إليه فداؤك يا أخي دواك قبل حلول الهلاك ويموت الإنسان على ما كان عليه ويُحشر على ما عليه مات، وحذار وحذار من فوات هذه الأسرار والاستضاءة بهذه الأنوار، فافتش أيها الطالب الحبيب بساط التسليم، واخرج بالحرية عن رقّ الإنكار، واقعد على كرسي الفكر وافرح عليك حلة المجاهدة، واجعل على رأسك تاج الموافقة، والمساعدة، وانظر النطق من غير محل الخطاب تجده الحق، وانظر المستمع تجده مستمعاً، ومسمعاً، مُخاطباً ومُخاطباً فإذا كان هو المتكلم [والمكلم]<sup>(١)</sup> والمستمع [والمسمع]<sup>(٢)</sup> فأنت عدم وإذا كنت موجوداً كما أنت حاضر، وإن كنت مفقوداً وكذلك أشار (صلى الله عليه وسلم) مخبراً عن ربه «ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره»<sup>(٣)</sup>. الحديث.

فمن يكن الحق بصره فكيف يخفى عليه شيء، ومن كان لسانه كيف ينتهي كلامه، فتحقق هذه المقدمة وقف عندها تُرشد وتُحمد عاقبة أمرِك إن شاء الله - تعالى - فوفر دواعيك وفقك الله لما يودعه إليك في هذا الكتاب. والله ينفعنا وإياك بالعلم ويجعلنا من أهله. آمين. آمين بعزته (وقدرته)<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام المؤلف<sup>(٥)</sup> رضي الله عنه لما فرغنا من هذه المقدمة والتمهيد رأينا أن نقدم فصلاً في فهرست الأبواب رغبة في التيسير لمن أراد أن يقف على سر معين منها فينظر بابه في الفهرسة فيسهل عليه مطلبه إن شاء الله تعالى.

(١) ما بينهما سقط من (خ).

(٢) ما بينهما سقط من (خ).

(٣) حديث: (لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل...). رواه ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٥٨٠، وانظر أيضاً فيض القدير ج ٢ ص ٢٤١ وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٩٩.

(٤) ما بينهما زيادة من النسخة (خ).

(٥) هذا العنوان سقط من (ط).

## فصل في فهرسة الأبواب

---

### الباب الأول:

في وجود الخليفة الذي هو ملك البدن، وأغراض المتصوفة فيه وتعبيرهم عنه وهو الروح.

### الباب الثاني:

في اختلاف العلماء في ماهيته وحقيقته.

### الباب الثالث:

في إقامة مدينة الجسم وتفصيلها الذي هو ملك هذا الخليفة.

### الباب الرابع:

في ذكر السبب الذي لأجله وقع الحرب بين العقل والهوى.

### الباب الخامس:

في الاسم الذي يخص الإمام وحده وفي صفاته وأحواله، وأن الإمام لا يخلو أن يكون واحداً من أربعة.

### الباب السادس:

في العدل وهو قاضي هذه المدينة.

### الباب السابع:

في معرفة الوزير وصفاته وكيف يجب أن يكون.

الباب الثامن:

في الفراسة الحكيمة والشرعية<sup>(١)</sup>.

الباب التاسع:

في الكاتب وصفاته وكتبه.

الباب العاشر:

في المسددين العاملين أصحاب الجبايات والخراج.

الباب الحادي عشر:

في رفع الجبايات إلى الحضرة ووقوف الإمام عليها ورفعها إلى الملك الحق سبحانه.

الباب الثاني عشر:

في السفر أو الرسل الموجهين إلى الثائرين بمدينة البدن.

الباب الثالث عشر:

في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم.

الباب الرابع عشر:

في سياسة الحروب والمكائد وترتيب الجيوش عند اللقاء.

الباب الخامس عشر:

في ذكر السر الذي يغلب به أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه.

الباب السادس عشر:

في ترتيب الغذاء الجسماني والروحاني على فصول السنة لإقامة هذا الملك وبقائه.

الباب السابع عشر:

في خواص الأسرار المودعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله. وفي هذا الباب أودعت مضاهاة نفس الإنسان وحضرة البارئ تعالى - وهو على خمسة أبواب:

الباب الأول:

كيف إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب.

(١) في (ط): الشرعية والحكيمة.



الباب الثاني:

في الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت.

الباب الثالث:

في اللوح المحفوظ الذي هو الإمام المبين ولوح المحو والإثبات.

الباب الرابع:

في أسباب الزفريات والوجبات والتحرك عند السماع.

الباب الخامس:

في الوصية للمريد السالك وهو على فصول، وبه ختم الكتاب فجميع أبواب هذا الكتاب أحد وعشرين باباً نذكرها إن شاء الله في داخل الكتاب على ما هي عليه في الفهرسة. وهذا حين ابتدائي. وبالله أستعين.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>

### الباب الأول:

في وجود الخليفة الذي هو ملك البدن وأغراض الصوفية  
رضي الله عنهم - فيه، وتعبيرهم عنه، وهو الروح الكلي

قد نبه سبحانه عليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٢)</sup> واعتباره في العالم الأصغر استخلاف الروح في أرض البدن قد قدمنا في صدر هذا الكتاب قصدنا فيما أشرنا إليه وعزمنا على إخراجه في هذا المجموع ومهدناه مخافة الطعن من النقاد الغمي الذين ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وأعرينا عن حقيقة ما أردنا حتى لا يجد الناقد إليه مساعاً، فنقول على بركة الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾<sup>(٤)</sup>.

كان سبب تأليفنا لهذا الكتاب أنه لما زرت الشيخ الصالح «أبا محمد الموروري» بمدينة «مورور»: وجدت عنده سر الأسرار صنعة<sup>(٥)</sup> الحكيم لذي القرنين لما ضعف عن المشي معه فقال لي أبو محمد: هذا المؤلف قد نظر في تدبير هذه المملكة الدنياوية، فكنت أريد منك أن تقابله بسياسة المملكة الإنسانية التي فيها سعادتنا فأجبتته وأودعت هذا الكتاب من معاني تدبير الملك

(١) في (ط): (عونك اللهم يا معين).

(٢) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.

(٣) الآية رقم (٧) من سورة الروم.

(٤) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.

(٥) في النسخة (ط): (صنعة).

أكثر من الذي أودعه الحكيم، وبنيت فيه أشياء أغفلها الحكيم في تديير الملك الكبير، وعلقتة من دون الأربعة أيام بمدينة «مورور»، ويجيء جزم كتاب الحكيم في الربع أو الثلث من جزم هذا الكتاب، فهذا الكتاب ينتفع به خادام الملوك في خدمته وصاحب طريق الآخرة في نفسه وكل يُحشر على نيته وقصده والله المستعان.

اعلم نور الله بصيرتك أن أول موجود اخترعه الله تعالى - جوهر بسيط روحاني فرد غير متحيز في مذهب قوم، ومتحيز في مذهب آخرين على حسب ما يرد الكلام على ماهيته في الباب الثاني من هذا الكتاب إرادة واختياراً، ولو شاء - سبحانه - لاخترع موجودات متعددة دفعة واحدة خلافاً لما تدعيه الفلاسفة<sup>(١)</sup> من أنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد، ولو كان هذا لكانت الإرادة قاصرة، والقدرة ناقصة، إذ وجود أشياء متعددة دفعة واحدة ممكن لنفسه غير ممتنع، والممكن محل تعلق القدرة، فإن ثبت أن أول موجود واحد فاختياراً منه تعالى.

قال محمد بن علي<sup>(٢)</sup>: وعبر أهل الحقائق عن هذا الخليفة بعبارات مختلفة لكل عبارة منها معنى.

فمنهم: من عبر عنه بالإمام المين، ومنهم من عبر عنه بالعرش، ومنهم: من عبر عنه بمرآة الحق، إلى أشباه ذلك.

فلنذكر الآن تعبيرهم عنه ولأي معنى خصوه بتلك العبارات على حسب ما ظهر من الاعتبار في صفاته التي وهبه الله - تعالى - وخصه بها.

## فصل

قال محمد<sup>(٣)</sup>: ذكر القوم - رضي الله عنهم - ومنهم الإمام أبو حامد الغزالي<sup>(٤)</sup> - رضي الله عنه - أن هذا الخليفة الذي هو الروح من عالم الأمد وليس من عالم الخلق اصطلاحاً واحتجوا بقوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾<sup>(٥)</sup> وجعلوا من هنا للتبيين، وأرادوا بعالم الأمر

(١) في النسخة (ط): (بعض الناس).

(٢) أي: المؤلف.

(٣) نفس الإشارة السابقة.

(٤) (الإمام أبو حامد الغزالي): متكلم، لقب «حجة الإسلام» ولد بالقرب من طوس (خراسان) نشأ أولاً نشأة صوفية ثم انصرف إلى دراسة الفقه والكلام والفلسفة، علم في المدرسة النظامية ببغداد، وكتب «تهافت الفلاسفة» - فيه كفر الفلاسفة أو بدعهم، ثم مرّ بمرحلة من الشك قادتة إلى الصوفية فترك التدريس وتبع طريق الصوفية. وبعد عشر سنوات تجول فيها بين دمشق والقاهرة ومكة وعاد إلى نيسابور ومنها إلى طوس حيث توفي ٥٠٥ هـ/١١١١ م. له «إحياء سوم الدين» و«المنقذ من الضلال».

(٥) الآية رقم (٨٥) من سورة الإسراء.

كل من صدر عن الله بلا واسطة إلا بمشاقهة من العزيز، وهو السبب الثاني بالإضافة إلى الموجود المطلق، والسبب الأول بالإضافة إلى الموجود المقيد فهو أول في المبدعات وعالم الخلق كل موجود صدر عن سبب متقدم من غير مشاقهة الأمر التي هي الكلمة قال الله - تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾<sup>(١)</sup> إشارة إلى أنه سيد العالم، وخالقه، ومريه فإذا تقرر هذا فلا مُشاحهة في الألفاظ إذا عرف حقيقة المعنى، ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾<sup>(٢)</sup>.

### العبارات المصطلح عليها

قال محمد<sup>(٣)</sup>: فأما ما أطلق عيه بعض المحققين من أهل المعاني - رضي الله عنهم: المادة الأولى، وكان الأولى أن يطلقوا عليه الممد الأول في المحدثات لكنهم سموه بالصفة التي أوجده الله سبحانه - لها، وهذا ليس ببعيد أن يسمى الشيء بما قام به من الصفات. قال محمد: وإنما عبر عنه بالمادة الأولى لأن الله تعالى خلق الأشياء على ضربين منها ما خلق من غير واسطة سبب وجعله سبباً لخلق شيء آخر، والاعتقاد الصحيح أنه تعالى يفعل الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب خلافاً لمخالفي أهل الحق، والذي يصح أن أول موجود مخلوق من غير سبب متقدم، ثم صار سبباً لغيره، ومادة له ومتوقفاً ذلك الغير عليه على العقد الذي تقدم كتوقف الشيع على الأكل، والري على الشرب عادة، وكتوقف العالم على العلم، والحي على الحياة عقلاً، وأمثال هذا، وكتوقف الثواب على فعل الطاعة، والعقاب على المعصية شرعاً فلما لحظوا هذا المعنى سموه المادة الأولى وهو حسن ولا حرج عليهم في ذلك شرعاً ولا عقلاً.

وعبر عنه بعضهم بالعرش:

قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنه لما كان العرش محيطاً بالعالم في قول أو هو جملة العالم في قول آخر وهو منبع إيجاد الأمر والنهي، ووجدوا هذا الموجود المذكور آنفاً يشبه العرش من هذا الوجه، أعني الإيجاد والإحاطة، فكما أن العرش محيط بالعالم وهو الفلك التاسع، كذلك هذا الخلق محيط بعالم الإنسان ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾<sup>(٤)</sup> استوى في معرض التمدح، فلو كان في المخلوقات أعظم منه لم يكن ذلك تمداحاً.

(١) الآية رقم (٥٤) من سورة الأعراف.

(٢) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.

(٣) في (ط): (قال المؤلف).

(٤) الآية رقم (٥) من سورة طه.

## سرّ للخواص:

هنا سرّ نرّمزه، ليلتذ به صاحبه إذا وقف عليه وهو قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، فالعرش المذكور في هذه الآية مستوى الرحمن وهو محل الصفة والخليفة الذي سميّناه عرشاً حملاً على هذا مستوى الله - جلّ جلاله - فبين العرشين باين الله والرحمن. وإن كان ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾<sup>(١)</sup> فلا خفاء عند أهل الأسرار فيما ذكرناه، وجدّ الاستواء من هذا العرش الرموز قوله (صلى الله عليه وسلم): «إن الله خلق آدم على صورته»<sup>(٢)</sup>، فالعرش الحامل للذات والمحمول عليه للصفة فتحقق أيها العارف وتنبه أيها الواقف، وانعم أيها الوارث ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾<sup>(٣)</sup>.

## وعبر عنه بعضهم بالمعلم الأول:

قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنه لما تحققت عندهم خلافتُهُ وأنه حامل الأمانة الإلهية، ونسبته من العالم الأصغر نسبة آدم من العالم الأكبر، وقد قيل في آدم: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾<sup>(٤)</sup> كذلك هذا الموجود ثم خاطب الملائكة: ﴿فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾<sup>(٥)</sup>. فأمر الخليفة أن يعلمهم ما لم يعلموا فأمرهم سبحانه بالسجود لمعلمهم سجد أمر كسجود الناس للكعبة، وتشريف لا سجود عبادة نعوذ بالله لا أشرك به أحداً، ويكون في هذا العالم الإنساني ثمرة السجود ولا نفس السجود إنما هو التواضع والخضوع والإقرار بالسبق والعجز والشرف له والتقدم كتواضع التلميذ لمعلمه، وإذا حصل موجود في مقام يعلم منه الملائكة فأحرى من دونهم وذلك تشريف من الله سبحانه، ودليل قاطع على ثبوت إرادته يختص برحمته من عباده من يشاء.

## سر للخواص:

وهو حين أوقع الأسماء هل عاين المسميات أم لا؟ وإلا كيف يصح إطلاق اسم من غير مسمى، وهذا موضع نظر وفكر، وسر السجود هنا لا يمكن إيضاحه وقد ذكرناه (في مطالع

(١) الآية رقم (١١٠) من سورة الإسراء.

(٢) حديث: (إن الله خلق آدم على صورته): أورده الحميدي في مسنده عن سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله (ص). انظر مسند الحميدي ج ٢ ص ٤٧٦. صحيح ابن حبان ج ١٢ ص ٤١٩ مسند ابن حنبل ج ٢ ص ٥١٩.

(٣) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.

(٤) الآية رقم (٣١) من سورة البقرة.

(٥) الآيتان (٣١، ٣٢) من سورة البقرة.

الأنوار الإلهية<sup>(١)</sup> فأما هل عاين المسميات [فقد نبه على ذلك تعالى بقوله: ﴿بأسماء هؤلاء﴾<sup>(٢)</sup> فالهاء للإشارة والتنبيه<sup>(٣)</sup> ولا تقع إشارة إلا على حاضر، وإن كانت الإشارة في هذا الطريق نداء على رأس البعد وبوح بعين العلة، فنقول: إنه عاين المسميات لكن على صورة ما وذلك أنه عاينها في نفسه من حيث أنه مجمع أسرار العالم، ونسخته الصغرى، وبرنامجه الجامع لفوائده وهذه فائدة الإشارة بقوله تعالى ﴿هؤلاء﴾ في حقنا [وهو المطلوب والغرض في هذا الكتاب]<sup>(٤)</sup>.

وعبر عنه بعضهم:

مرآة الحق والحقيقة قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنه لما رأوها<sup>(٥)</sup> موضع تجلي الحقائق والعلوم الإلهية، والحكم الربانية، وأن الباطل لا سبيل له إليها إذ الباطل هو العدم المحض ولا يصح في العدم تجلي ولا كشف، فالحق كلما ظهر في الوجود وفي إيراد الشبهات المعارضة للأدلة يتضح ما أردنا.

سر للخواص:

السبب الموجب لكونه مرآة الحق قوله (صلى الله عليه وسلم): «المؤمن مرآة أخيه»<sup>(٥)</sup> والأخوة هنا عبارة عن المثلية اللغوية في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>(٦)</sup> وذلك عند بروز هذا الموجود في أقصى ما يمكن وأجلى ظهر فيه الحق بذاته وصفاته المعنوية لا النفسية وتجلي له حضرة الجود، وفي هذا الظهور الكريم قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾<sup>(٧)</sup> فتأمل هذه الإشارة فإنها لباب المعرفة وينبوع الحكمة.

وعبر عنه الشيخ العارف أبو الحكيم بن برجان رضي الله عنه:

بالإمام المبين وهو اللوح المحفوظ المعبر عنه بكل شيء في قوله تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح

(١) كتاب: مطالع الأنوار الإلهية. لم نقف على نسخته المخطوطة، انظر رقم (٨٣٠) من كتاب مؤلفات ابن عربي عثمان يحيى ص ٥٦٤.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من النسخة (خ).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من النسخة (ط).

(٤) أي: الخلافة للخليفة.

(٥) حديث: (المؤمن مرآة أخيه).

رواه العسكري في الأمثال عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر السيوطي: جامع الأحاديث ٦/٦٩٢ حديث رقم (٢٣٥٩٨) وانظر أحاديث كثيرة حول (المؤمن مرآة المؤمن).

(٦) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

(٧) الآية رقم (٤) من سورة التين.

من كل شيء ﴿١﴾. وهو اللوح المحفوظ ﴿موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ ﴿١﴾ وهو اللوح المحفوظ، هذا دليل أبي الحكيم - رحمه الله - على تسميته كل شيء، والذي حمله على ذلك قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ ﴿٢﴾ ووجدنا العالم كله أسفله وأعلاه محصى في الإنسان فسميناه الإمام المبين، وأخذناه تنبيهاً من الإمام المبين الذي عند الله - تعالى - فهذا هو حفظاً منه، فتدبر هذا وتحققه.

### سر للخواص:

قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ﴿٣﴾ اعتبره الذي هو الإنسان من شيء تفضل في العالم بأسره، الإمام على الحقيقة المبين من كان كل شيء مأموماً به، وهذا لا يصح في موجود ما لم يصح له المثلية اللغوية الفرقانية، فإذا صحت المثلية صح وجود الإمام، وإذا صح وجود الإمام بطلب الإمامة في حق غيره. ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ ﴿٤﴾ فإذا نظرنا في هذا الإمام المبين نظرنا بما استوجب الإمامة فوجدناه استوجبها بأسرار وصفات هو عليها فقلنا: هي من نفسه أو من غيره فوجدناها أمانة بيده فقرأنا: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ ﴿٥﴾ فلاحت مرآة الحق المتقدمة. فضربنا الإمام المبين في المؤمن مرآة أخيه، فخرج لنا واحد في الخارج فسماه بعضهم مرآة، وبعضهم إماماً فالإمام كتابي والمرآة سنية.

### وعبر عنه بعضهم بالمفيض

وبه كان يقول شيخنا وعمادنا (أبو مدين) ﴿٦﴾ شيخ الشيوخ - رضي الله عنه - أخبرني بذلك عنه غير واحد ممن أثق به.

قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنه لما رأوا الأجسام بيوتاً مظلمة وأقطاراً سوداً مدلهمة ﴿٧﴾ فإذا غشيها نور الروح أضاءت، وأشرقت كالأقطار إذا غشيها نور الشمس، وبالضرورة نعلم أن النور الذي في بغداد غير النور الذي في مكة، فالنور الذي في موضع ما غير النور الذي في غيره، ثم نظرنا في السبب لوجود تلك الأنوار التي خلقها الله - تعالى - عنده لا

(١) الآية رقم (١٤٥) من سورة الأعراف.

(٢) الآية رقم (١٢) من سورة يس.

(٣) الآية رقم (٣٨) من سورة الأنعام.

(٤) الآية رقم (٢٢) من سورة الأنبياء.

(٥) الآية رقم (٥٨) من سورة النساء.

(٦) (أبو مدين): شيخ المشايخ شعيب بن الحسين الأندلسي توفي بعباد تلمسان سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

(٧) في (ط): (مدلهمة).

به فوجدناه جسماً كروياً نورانياً يقال له: الشمس فكل موضع يقابلها من الأرض يخلق الله فيه نوراً يسمى شمساً، فكما تطلق على كل نور خلق في الأرض في مقابلة الشمس شمساً ليس يبعد، ولا يمنع أن تطلق على كل نور أضاءت به أرض الأبدان روحاً، وكما تختلف قبول الأماكن لهذا النور لاختلافها فلا يكون قبول الأجسام الصقيلة للنور كقبول الأجسام الدرنة كذلك يختلف قبول أماكن الأبدان لفيضان الروح لاختلافها فلا يكون قبول البهيمة لفيضانه كقبول الإنسان، ولا قبول الإنسان كقبول الملك، فلو سمينا الشمس بالمفيضة صدقنا، وحقيقة الإفاضة في الماء وهو مجاز من غيره، ونسبة هذه الأرواح عندهم إلى الروح الكلي كنسبة ولاة الأمصار إلى الإمام، وكذلك يثابون إن عدلوا ويعاقبون إن جاروا.

### سر للخواص:

قال الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾<sup>(١)</sup> اعتبار الربوبية هنا سيادة المعلم الأول وترتيبه وتأثير سببته وهو المرجوع إليه في قوله تعالى على طريق التنبيه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك﴾<sup>(٢)</sup> ونور هذا الرب المنبه عليه هو الروح الحيواني الذي به تشترك البهيمة والإنسان، فاعتبار الموت فيه بحجاب الغمام، واعتبار النوم بغروب الشمس، واعتبار الغفلة بالحجاب الهلالي، ثم قد يغرب الإمام ويبقى الوزير بدله يفيض على المملكة كالقمر ليلاً، وليس كفيضان الإمام، وفيض مادة الوزير وفيضانه أنه فيض بالنظر إلى النفس النباتية، وهي الحجاب لمادة النفس المطمئنة، وقد يغيبان<sup>(٣)</sup> أعني الإمام والوزير فيبقى الفقهاء نجوم علوم الأحكام، فلا يستطيعون إفاضة لقهرة النفس الحيوانية البهيمية، والنفس السبعية واستيلاء سلطانهما، فتأمل هذا السر تبدُّ لك الحكمة الإلهية.

### وعبّر عنه بعضهم بمركز الدائرة

[وبه يقول بعض أصحابنا، ولقد أنشدني أبياتاً في هذا الغرض المذكور فمنها قوله:

يا سائلي ما الحكمة الظاهرة	قلت له كرية دائره
فقال هل في غيبها مثلها	قلت له بسيطة باهره
قسمها الحق لنا قسمة	وكلة النور لها سافره
أركانها قد قسمت أربعا	إحدى زوايانا لها قاهره <sup>(٤)</sup>

(١) الآية رقم (٦٩) من سورة الزمر.

(٢) الآية رقم (٢٧، ٢٨) من سورة الفجر.

(٣) في النسخة (ط): (بضيطان).

(٤) هذا البيت سقط من السياق ومستدرك من الناسخ.



ومركز الروح لها بداءة ودورة الجسم لها آخره  
 فالفطرة الأولى لها أول وصبغة الله بها سافره  
 والكون والتكوين في ربعمها وربعمها أعمارنا السائره  
 وربعمها الرابع دار البقا ورؤية الحق بها باهره

فصرح - رضي الله عنه -: ومن سلك ذلك المسلك بأن هذا الخليفة هو مركز الدائرة أعني دائرة الكون، إلى هنا ليس من الأصل<sup>(١)</sup>.

قال محمد: والذي حملهم على ذلك أنهم لما نظروا - رضي الله عنهم - إلى عدل هذا الخليفة في ملكه واستقامة طريقته في هباته وأحكامه وقضاياه سمّوه مركز دائرة الكون لوجود العدل به وإنما حملوه على مركز الكرة نظراً إلى أن كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساوياً لصاحبه، رأوا ذلك غاية العدل فسموه مركز الدائرة لهذا المعنى.

### سر للخواص:

وذلك أن نقطة الدائرة أصل في وجود المحيط ومهما قدرت كرة وجوداً أو تقديراً فلا بد أن تقدر لها نقطة في مركزها ولا يلزم من وجود النقطة وجود المحيط. ووجود الفاعل من هذه الدائرة رأس الضابط ولا دائرة في الوجود، كان الله ولا شيء معه<sup>(٢)</sup> وفخذه يدها المبسوطتان جيداً وأمجاداً، والفخذ المختصة بالنقطة يد الغيب والملكوت الأعلى، والفخذ المختصة بالمحيط يد عالم الملك والشهادة، فالواحدة للأمر والأخرى للخلق والله بكل شيء محيط، ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾<sup>(٣)</sup> فيدُ المركز معرّاة عن الحركة القاطعة الأحياز، ويد المحيط متحركة فتأمل نور الله بصيرتك لهذه الإشارات فقد مُهّد لك السبيل.

قال محمد<sup>(٤)</sup>: ولو تقصيت آثاره وتتبع خصائصه وأطلقت<sup>(٥)</sup> عليه من ذلك ألقاباً<sup>(٦)</sup> لما وسعها ديوان فاقصرنا من هذا الإيجاز على هذا القدر لنلدل بذلك على شرفه واجتباؤه من بين سائر المحدثات.

(١) ما بين المعقوفين كما هو واضح من الناسخ، لأن الناسخ، كان أميناً وكتب هذه العبارة [إلى هنا ليس من الأصل] وهو أيضاً غير موجود في النسخة (ط).

(٢) هذه العبارة كتبت في (ط):

(وكان الله فلا شيء معه).

(٣) الآية رقم (٩) من سورة مريم.

(٤) في (ط): (قال المؤلف).

(٥) في (خ): (وأطلق).

(٦) في (خ): (ألقاب).

## الباب الثاني: في الكلام على ماهيته وحقيقته

اختلف العلماء - رضي الله عنهم - في هذا الروح الذي عبرنا عنه بالخليفة فمنهم من قال: إنه جوهر فرد متحيز، وزعموا أنه خلاف الحياة القائمة بالجسم الحيواني، وأنه حامل الصفات المعنوية، وزعم قوم أن الإدراكات مختصة بمخآلها لكن الله - تعالى - قد ربط وجودها في الجسم وبقائها ببقاء الروح، فإذا فارق الروح الجسد ذهبت الإدراكات لذهابه، وزعم قوم أنه جسم لطيف يتشبث بأجزاء البدن متخللها كتخلل الماء الصوفة، وأنه ليس له محل من الجسم يخصه.

وقال (عبد الملك بن حبيب)<sup>(١)</sup>: إنه صورة لطيفة على صورة الجسم، لها عينان، وأذنان، ويدان، ورجلان في داخل الجسم يقابل كل عضو وجزء منه نظيره من البدن وهؤلاء كلهم أحوالوا أن يكون عَرَضاً، فقيل لهم: وما المانع من ذلك؟ فقالوا: لم يكن يعد عندنا ذلك لنفسه، لكن السمع منع من ذلك في قوله: «إن الأرواح تنعم وتتعذب وإنها باقية»، وهاتان الصفتان ليستا من صفة العرض، فإن النعيم يؤدي إلى قيام المعنى بالمعنى، وهذا محال عقلاً عند أكثر العقلاء والشرع ليس يأتي بالمحال، والحديث الثاني في بقائها يناقض دليل العقل لو كان عرضاً لاستحالة بقاء الأعراض، فإنها تجدد في كل زمان ولكان للحيوان على هذا القول أرواح متعددة بعدد أزماته المارة عليه، وهذا كله باطل، والذي زعم أنه ليس بجوهر دليله على ذلك مماثل

(١) (عبد الملك بن حبيب): الفقيه الكبير عالم الأندلس أبو مروان السلمي ثم المرادسي الأندلسي القرطبي. ولد بعد السبعين ومائة، وأخذ عن صعصعة بن سلام والغازي بن قيس، وحج فأخذ عن عبد الملك بن الماجشون وأسد السنة وأصبح بن الفرج وطبقتهم، ورجع إلى الأندلس بعلم جم روى عنه كثيرون. قال ابن الفرضي: كان قبيهاً نحوياً شاعراً إخبارياً نشابة، طويل اللسان متصرفاً في فنون العلم. مات في رابع رمضان سنة ثمان رحمه الله تعالى (تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥٢٧).

الجواهر، فلو جاز أن جوهر واحد روحاً لكان كل جوهر روحاً وقد قام الدليل على بطلان هذا في مسألة العقل فإن الذي زعم أن الروح جوهر أحال أن يكون العقل جوهرًا للتمائل، وإذا بطل أن يكون جوهرًا بطل أن يكون جسمًا، لأن الجسم جواهر مؤتلفة جوهران فصاعداً. وزعم قوم أنه جوهر محدث قائم لنفسه غير متحيز وهو من أحد أقوال الإمام أبي حامد الغزالي<sup>(١)</sup> فيه المنسوبة إليه، وأنه لا داخل الجسم ولا خارج عنه ولا متصل به ولا منفصل عنه، وذلك لعدم التحيز الذي يكون به التصرف في الجهات وهو المصحح<sup>(٢)</sup> للاتصال والانفصال واعترض عليهم بأنه لا يخلو عن الشيء أو ضده إن كان له ضد فقالوا: يُعزَى عنهما إذا كان وجود كل واحد منهما للشيء مشروطاً بشرط، فمتى انعدم الشرط، انعدم المشروط، والشرط المصحح للاتصال والانفصال التحيز، وقد انعدم في حق هذا الموجود، كما تقول في الجماد لا عالم ولا جاهل ولا ضد من أضدادها، فإن الشرط المصحح لقيام العلم أو أضداده بالجسم إنما هي الحياة ولا حياة في الجماد، فقيل لهذا: وما المانع أن يكون عرضاً؟ فاستدل بذلك من قال: إنه جوهر وأبطل أن يكون عرضاً، فقيل له: فهو جوهر فاستدل بدليل من قال: إنه عرض، وأبطل أن يكون جوهرًا مع اعتقاد حصر المحدثات في جوهر متحيز وعرض، ثم قال لهم: فقد بطل أن يكون جوهرًا، وبطل أن يكون عرضاً ومتحيزاً أو قائماً بمتحيز وهو موجود ليس هو الله سبحانه، وقد بطل حصركم ولأخ موجود خامس، وهو ما ذكرناه على الوصف الذي ادعينا قلنا: ولم نرجح أحد هذه الأقوال مع العلم أن الحق في أحدها لقول القائل (شعر):

إن الخليفة قد أبأ وإذا أبأ شيئاً أبأ به

لكن ذكرنا ذلك في غير هذا الكتاب، قلنا: فلما وجدنا هذا الخليفة على حسب ما أوجده قال له: أنت المرأة وبك ننظر إلى الموجودات، وفيك ظهرت الأسماء والصفات أنت الدليل عليّ وجهتك خليفة في عالمك تظهر فيهم بما أعطيتك تمدهم بأنوارى، وتغذيهم بأسراري وأنت المطالب بجميع ما يطرأ في الملك.

استدراك:

قلنا: هذا خلاف لا يضر ولا يهد ركناً من أركان الشريعة إذ قال كل واحد على مذهبه فيه أنه محدث وإذا كان هذا فهو المراد، والله يوفق الجميع. ويقول الحق وهو يهدي السبيل<sup>(٣)</sup> هـ.

(١) (تقدمت ترجمته).

(٢) في (ط): (وهو الشرط المصحح).

(٣) في (ط): (والله يوفق الجميع).

## الباب الثالث:

### في إقامة مدينة الجسم وتفصيلها من جهة كونها مُلكاً لهذا الخليفة

اعلم أن الله - تعالى - لما أوجد هذا الخليفة الذي ذكرناه آنفاً بنى له سبحانه مدينة يسكنها رعيته، وأرباب دولته تسمى حضرة الجسم أو البدن، وعين للخليفة منها موضعاً إما أن يستقر فيه على مذهب من قال: إنه متحيز أو يحل فيه على من قال: قائم بمتحيز، وإما أن يكون ذلك الموضع المعين له موضع أمره وخطابه، ونفوذ أحكامه، وقضاياه على من أثبتته غير متحيز، ولا قائم بمتحيز، فأقام له - سبحانه - مدينة الجسم على أربعة أعمدة، وهي: الاسطقسات<sup>(١)</sup> والعناصر.

وسمى - سبحانه - الموضع المعين للخليفة منه القلب، وجعله مسكن الخليفة، أو موضع أمره على ما ذكرناه من الخلاف.

وقال قوم: إن موضعه الدماغ والأظهر عندي من طريق التثبيته والاستقراء لا من جهة البرهان أنه القلب شرعاً، لقوله (صلى الله عليه وسلم) مخبراً عن ربه: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي»<sup>(٢)</sup> وقال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإسطقسات: الإسقطس هو الأصل والعنصر، وهي الماء والأرض والهواء والنار على زعم الأقدمين (يونانية).

(٢) حديث: (ما وسعني أرضي ولا سمائي) انظر جامع العلوم والحكم ج ١ ص ٣٥٦. فيض القدير ج ٢ ص ٤٩٦ وكشف الحفاء ج ٢ ص ١٢٩ و ٢٥٥ و ٤٣١.

(٣) حديث: (إن الله لا ينظر إلى صوركم...) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ج ٤ ح ٢٥٦٤، وابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٤٤٩ وج ٤ ص ٢١٨.

وذلك أن المستخلف إنما نظره أبداً في خليفته ما يفعله فيما قلده، والله - سبحانه - قد استخلف الأرواح على الأجسام، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قوله - تعالى: ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾<sup>(١)</sup>. وليست الإشارة للقلب النباتي، فإن الأنعام يشاركوننا في ذلك لكن للسر المدوع فيه وهو الخليفة، والقلب النباتي قصره.

وقال (صلى الله عليه وسلم): «إن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسدت سائر الجسد ألا وهي القلب»<sup>(٢)</sup>.

فالقلب النباتي لا فائدة له إلا من حيث هو مكان لهذا السر المطلوب المتوجه عليه الخطاب والمجيب إذا ورد السؤال والباقي إذا فني الجسم، والقلب النباتي، فتقول: كذلك إذا صلح الإمام صلحت الرعية، وإذا فسدت فسدت. بدا جرت العادة وارتبطت الحكمة الإلهية.

[قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه -]<sup>(٣)</sup>: سر فساده، وصلاحه المرتبط بصلاح الرعية وفسادها سبب ذلك أن الله - تعالى - إذا ولى خليفة قوماً فإنه يعطيهم أسرارهم، وعقولهم، فيكون إذ ذاك مجموع رعيته فمتى خانهم في أسرارهم [وعقولهم]<sup>(٤)</sup> ظهر ذلك فيهم، وإن اتقى الله في ذلك ظهر ذلك عليهم، وقد تكون أسرار رعيته حين تعطاه رذلة ناقصة، ولهذه الإشارة مثل ما تكونوا يوئى عليكم فإن غلب عليها صلاح الإمام، صلحت، وظهر آثار ذلك في الرعية وأرباب الدولة تمشية غيبية إلهية يجدها الإنسان في نفسه بعد أن لم تكن، ولا يدري من أين وردت عليه، ولا كيف حصلت له فهذا هو سرُّ قوله (صلى الله عليه وسلم): «إذا صلحت صلح سائر الجسد» الحديث.

قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>: ثم بنى الله سبحانه - له منتزهاً عجباً عالياً مشرفاً في أرفع مكان في هذه المدينة سماه الدماغ، وفتح له فيه طاقات وخوحدات<sup>(٦)</sup> يشرف منها على ملكه وهي: الأذنان والعينان والأنف والفم، ثم بنى له في مقدم ذلك المنزه خزانة سماها خزانة الخيال جعلها مستقر جباياته، وموضع رفع ولات الحس وفيها مخزن جبايات المبصرات

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة الحج.

(٢) حديث: (إن في الجسد مضغة...) رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٢٨ حديث ٥٢ ومسلم ج ١ ص ١٨٨ حديث ١٥٩٩.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

(٤) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

(٥) في (ط): (قال المؤلف) فقط.

(٦) في (خ): (وخاحات). (والخوخة) هي: باب صغير كالنافذة الكبيرة وتكون بين بيتين، ينصب عليها باب. وفي الحديث: ولا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكره (النهاية في غريب الأثر ج ٢ ص ٨٦).

والمسموعات والمشمومات، والمطعموات، والملموسات وما يتعلق بها. ومن تلك الخزانة تكون المراثي، والأحلام التي يراها النائم وكما أن في الجبايات حلالاً وحراماً، كذلك في المراثي مبشرات وأضغاث أحلام.

وبنى في وسط هذا المنتزه خزانة الفكر الذي يرتفع إليه المتخيلات فيقبل منها الصحيح، ويرد الفاسد، وبني له في آخر هذا المنتزه خزانة الحفظ وجعل مسكن هذا الدماغ الوزير الذي هو العقل، وله باب في داخل الكتاب يَخُصُّه فأضربنا هنا عن ذكره.

ثم أوجد له النفس:

وهي محل التغيير، والتطهير ومقر الأمر والنهي وهي الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وحظها من العالم العلوي الكرسي، كما أن الروح محله العرش من ذلك العالم، والنفس هي كريمة هذا الخليفة وحرته.

وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو حامد<sup>(١)</sup> في قوله: إن الروح نكح النفس فتولد ما بينهما الجسم، فقال مشيراً إلى ذلك في خطبه لباب الحكمة له ربنا ورب آبائنا العلويات وأمهاتنا السفليات.

لكن المتصوفة اصطلمحوا على كل فعل فيه حظُّ لكون من الأكوان أنه نفس العين أنه عن أمر النفس سواء كان ذلك العقل محموداً أو مذموماً وكل ما ليس فيه حظُّ إلاَّ الله تعالى - فهو روح، وأن الإنسان له ثلاث أنفس: نفس نباتية، وبها يشترك مع الجمادات، ونفس حيوانية، وبها يشترك مع البهائم، ونفس ناطقة وبها ينفصل عن هذين الموجودين، ويصح عليه اسم الإنسانية وبها يتميز في الملكوت، وهي الكريمة التي ذكرناها تحت هذا الخليفة.

[قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه]<sup>(٢)</sup>: ثم أوجد الله من تمام النعمة على الإنسان، وإكمال النسخة على الاستيفاء في هذه المملكة أميراً قوياً مطاعاً كثير الرجل والنحول قوي العدد، والتعدد منازعاً لهذا الخليفة سماه: الهوى، ووزيراً سماه: الشهوة، فبرز يوماً في أجناده وخوله يتنزه في بعض بساتينه، فأشرفت النفس التي هي حرة الخليفة عليه، ونظر كل واحد منهما لصاحبه فعشقها الهوى فأعمل الحيلة في الاجتماع بها، فما زال يستنزلها، ويستعطفها، ويسيطر لها حضرته ويهاديها بأحسن ما عنده ولم تزل رسل الأمانني وسفراء الغرور تمشي بينهما حتى مالت إليه، وانقادت. وملكها الإحسان والخليفة غافل عن هذا، والعقل الذي هو وزيره قد يشعر

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من النسخة (ط).

بذلك وهو يسوس الأمر، ويخفيه عسى ألا يشعر بذلك الخليفة وترجع عما هي عليه فصارت النفس بين أمرين قويين مطاعين، هذا يناديها، وهذا يناديها، والكل بإذن الله - تعالى - الأصلي ﴿قل كل من عند الله﴾<sup>(١)</sup>.

﴿كَلَّا تُمَدُّ هُوَلاءُ وهؤلاء من عطاء ربك﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾<sup>(٣)</sup> في أثر قوله: ﴿ونفس وما سواها﴾<sup>(٤)</sup>. ولهذا جعلناها محل التطهير والتغيير فإن أجابت الهوى كان التغيير، وحصل لها اسم الأثارة بالسوء، وإن خالفت العقل كان التطهير وضح لها اسم المطمئنة شرعاً لا توحيداً، ووقوع هذا الأمر لحكمة لطيفة وسر عجيب، وهو أن الله سبحانه لما أوجد هذا الخليفة على ما وصفناه من الكمال أراد أن يعرفه سبحانه مع ذلك أنه فقير ولا حول ولا قوة إلاّ لسيدته الرب تعالى - فهذا أوجد منازعاً ينازعه فيه قلده، فلما رأى الروح أنه يُنادي، والنفس لا تجيبه، وقد قيل له: هو ملكك، قال لوزيره: ما السبب المانع لها من إجابتي؟ فقال له العقل: أيها السيد الكريم إن في مقابلتك موجوداً قام لها مقامك أميراً قوياً<sup>(٥)</sup> مطاعاً صعب المرتقى، عزيز المنال، يقال له: الهوى عطيته معجلة مشهودة، فأرسل وزيره إليها فبسط لها حضرتة وعجل لها أمنيته في أوحى زمان، فأجابت لدعائه، وانقادت له، وحصلت تحت قهره، واتبعها أجنادك وبادية رعيتك، وما بقي لك من مملكتك إلاّ أرباب دولتك المتحققون بحقائقك والمختصون بك وها هو قد نزل بفناء قصرك ليخربه ويخرجك عن ملكك ويستولي على عرشك فدرّك درّك قبل نزول الهلاك.

[قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه -]<sup>(٥)</sup>: فرجع الروح بالشكوى إلى الله القديم - سبحانه - فثبتت له في نفسه عبوديته بالافتقار، والعجز، والذلة، وتحقق التمييز، وعرف قدره، وذلك كان المراد، فإن الإنسان لو نشأ على الخير والنعم طول عمره لم يعرف قدر ما هو فيه حتى يُبتلى، فإذا مسّه الضر عرف قدر ما هو فيه من النعم والخيرات عند ذلك عرف قدر المنعم.

[قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه -]<sup>(٦)</sup>: فلما رجع الروح بالشكوى إلى ربه صار - سبحانه - واسطة بينها وبينه فقال لها: ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية

(١) الآية رقم (٧٨) من سورة النساء.

(٢) الآية رقم (٢٠) من سورة الإسراء.

(٣) الآيتان رقم (٧، ٨) من سورة الشمس.

(٤) في (خ): (قواماً).

(٥) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من (ط).

فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴿١﴾ فلما أتاها النداء برفع الوسائط حنَّت وأنت، واشتاتت فأجابت وأنابت بالعناية الإلهية.

سؤال: فإن قيل: لم سماها مطمئنة وقال لها ﴿راضية مرضية﴾ وهي الآن أمانة بالسوء؟ قلنا: إنما سماها مطمئنة لتحقيق إيمانها أن منادي الهوى لم يكن منادياً بنفسه، وإنما كان منادياً بموجده حيث علمت معنى قوله: ﴿قل كل من عند الله﴾ ﴿٢﴾ و﴿كلأ نمد هؤلاء وهؤلاء﴾ ﴿٣﴾ فاطمأنت للنداء لتحقيقها بالابتداء وقد تقدم السبب والعلة، وقوله ﴿راضية مرضية﴾ يريد بالنداءين، مرضية عندنا لتحقيق إيمانها وتوحيدها.

﴿فادخلي في عبادي﴾: يعني عباد الاختصاص أهل الحضرة الإلهية ﴿وادخلي جنتي﴾: يريد المكاره التي هم نعم الخليفة إذ الشهوات جنة الكافر، وهي نار على الحقيقة، ظاهرها نعم وباطنها جحيم، وقد نبه على ذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: «حُفَّت الجنة بالمكارة، وحفَّت النار بالشهوات» ﴿٤﴾. ويظهر ذلك الله - عزَّ وجلَّ - عند خروج الدجال، فذكر النبي (صلى الله عليه وسلم): «أن له واديين من نار وماء، فمن قصد النار وجد الماء، ومن قصد الماء وجد النار».

فإن قيل: وكذلك أيضاً كانت تجيب داعي العقل وتسمعه من الحق كما ذكرت، فلما أجابت داعي الهوى ومرقت، قلنا: الجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أنا فرضنا الكلام من أوله على أن الحق - تعالى - أراد أن يعرف الروح قدره للسبب الذي ذكرناه فأسمعها نداء الهوى، وأصمها عن داعي العقل ليقع ما أرادته سبحانه.

والوجه الآخر: أن النفس بعض الروح كما كانت حواء بعض آدم فصار منادي الروح أصلاً من نفسها، ومنادي الهوى أجنبياً عنها، فالأصل حاصل والأجنبي غير حاصل فاشتاتت أن تعرف ما لم تعرف، فأجابته لترى ما ثم كما أجابت هوى إبليس في أكل الشجرة، ومن هنا وقعت بين الهوى والعقل الوقائع، والحروب، والفتن على هذا الملك الإنساني وقد يستولي

(١) الآية رقم (٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠) من سورة الفجر.

(٢) الآية (٧٨) من سورة النساء.

(٣) الآية رقم (٢٠) من سورة الإسراء.

(٤) حديث: «حفَّت الجنة بالمكارة»..

متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، لكن للبخاري حجت بدل (حفت) في الموضعين. وعزاه في الدرر للشيخين عن أنس رضي الله عنه. والموجود فيهما عزوه لأبي هريرة رضي الله عنه.

انظر ما دار من ذلك حول (حجبت) و(حفت) في كشف الحفاء للعجلوني حديث رقم (١١٥٢) / ٣٦٢/١.



أحدهما عليه، وقد يؤخذ منه فيعزله، ويأسره، وربما يقتله في حق شخص ما. هكذا استمرت الحكمة الإلهية حتى العرض الأكبر وربما يملك أحدهما البادئة والآخر الحاضرة، وقد يملك أحدها الملك كله ظاهراً وباطناً، فأما العصاة فإن سلطان الهوى مالك باديتهم وسلطان العقل مالك حاضرتهم وأما المنافقون، فإن العقل مالك باديتهم والهوى مالك حاضرتهم، وأما المؤمنون المعصومون، والمحفوظون، فالعقل مالكهم بادية وحاضرة، وأما الكافرون فالهوى مالكهم بادية وحاضرة، وإذا كان في الدار الآخرة، وذبح الموت، وتميز الفريقان، ونفذ حكم الله ألحق العصاة بالمؤمنين المعصومين، فحصل لهم النعيم الدائم وألحق المنافقين بالكافرين، فحصل لهم العذاب اللازم، فلم يُغن المنافق عمله من الله شيئاً.

فإن التوحيد أصل والعمل فرع، فإن اتفق على الفرع شيء يفسده ويهلكه جبره الأصل كالعصاة، وإذا حزب الأصل لم يجبره الفرع كالمنافق، فهذا الملك الإنساني يصرفه في الدنيا على أربعة أطباق لا بد من أحدهما في حق كل شخص: إما مؤمن معصوم أو محفوظ، وإما كافر أو مشرك أصلاً، وإما منافق وإما عاص، وإذا قد تقرّر هذا وثبت فلتذكر الآن السبب الذي لأجله نشأت الحروب والفتن بين العقل والهوى إذ هذا موضعه. ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

## الباب الرابع:

### في ذكر السبب الذي لأجله وقع الحرب بين العقل والهوى

اعلم، وفقك الله - أن السيد الذي لأجله نشأت الفتن ووقعت الحروب حتى كشفت عن ساقها وعمت الوقائع جميع أقطار المملكة وآفاقها هو طلب الرياسة على هذا الملك الإنساني ليخلصه من حصل بيده إلى النجاة إذ لا يصح عقلاً ولا شرعاً تدبير ملك بين أمرين متناقضين من أحكامهما ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾<sup>(١)</sup> وإن فُرض اتحاد الإرادة في حق المخلوقين، فإن حكم العادة يأبى ذلك والشرع في حق هذين الأمرين وما سمعنا بخرقها في حق شخص قط وإذا كان هذا فلم يرد الله أن يدبر هذا الملك إلا واحداً وخرج بذلك على لسان رسوله (صلى الله عليه وسلم): «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»<sup>(٢)</sup>.

والخلافة ظاهرة، وباطنة، وقد تقررت الظاهرة وثبتت وكلامنا هنا في الخلافة الباطنة على حسب الظاهرة أنبؤاً على أنبوب وجزياً على ذلك الأسلوب.

### اعتراض لكشف أسرار

قال الإمام المؤلف رضي الله عنه: وربما للمنازع أن يستروح من هذا الحديث شيئاً ما، فيقول: قد قال: اقتلوا الآخر منهما، وما يدريك لعل الهوى تقدم والعقل تأخر، فيكون الهوى

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة الأنبياء.

(٢) حديث: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما).

رواه الإمام مسلم، والإمام أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري عن علي والعباس معاً.

انظر ما قيل في ذلك في كشف الخفاء للعجلوني ٨٤/١. حديث رقم (٢١٢).

وانظر السيوطي: جامع الأحاديث وقال: رواه أحمد بن حنبل والإمام مسلم عن أبي سعيد أيضاً الحديث رقم (١١٥١) ٢٣٣/١.

صاحب الخلافة، فنقول: ليس التقدم والتأخر هنا بالزمان، وإنما التقدم هنا بإحصاء الشرائط أعني شرائط الإمامة، ففي من وجدت كان المقدم للإمامة ويُخلع من لم تكمل فيه تلك الشرائط، ويُقبل إن عاند ولم يدخل في الأمر فلم يلتفت للزمان.

قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه: وشرائط الإمامة على ما ذكرته العلماء عشرة: ستة منها خلقية لا تكتسب، وأربعة منها مكتسبة.

فأما الخلقية: فالبلوغ، والعقل، والحرية، والذكورية ونسب قريش وفيه خلاف، ولم يره بعض العلماء وسلامة حاسة السمع، والبصر.

وأما الأربعة المكتسبة: فالنجدة أو الكفاية، والعلم، والورع قال: وهذه الشرائط كلها موجودة في هذا الخليفة والهوى مُعزى عنها. نعوذ بالله لا أشرك به أحداً، فلنذكرها شريطة شريطة حتى نستوفيها ونبين أن الروح قد جمعها.

### الشرط الأول في الخلافة:

#### البلوغ:

فإن الإمامة لا تتعقد لصبي اعتبره في الروح البلوغ - نور الله بصيرتك - أمر شرعي، وبلوغ الروح اتصاله بالإلهية، وقد ثبت اتصاله على ما ذكرناه، اتصال شرف، ورفعة، وبلوغ مقام كريم حين أخذ عليها الميثاق فقال لها: ألسنت بربكم قالت بلى، فلو كانت الأرواح غير بالغة لما تصور منها هذا الجواب ولا توجه عليها هذا الخطاب شرعاً.

### الشرط الثاني:

#### العقل:

فإن الإمامة لا تتعقد لمجنون، إذ هو غير مخاطب، ولا تكليف عليه، والإمام مكلف، اعتبره الروح يعقل عن الله - تعالى - ما يرد عليه منه ولذلك قال: بلى، وهي صفة قائمة بها، عنها صدر العقل الذي جعلناه وزيراً له فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

### الشرط الثالث:

#### الحرية:

فإن الإمامة لا تتعقد لرقيق، وذلك أن الإمامة تستدعي أن يستغرق الإمام أوقاته في أمور الخلق، وهذا لا يتفق للعبد إذ سيده مالك له، يقطع عليه النظر في مهمات الخلق بأشغاله في تصرفاته، اعتبره لا يوجد أشد حرية منه ولا أكمل، إذ ليس لأحد عليه ملك إلا الله - تعالى - وكيف يتصور ذلك وهو أول المحدثات، وكون الإمام مستغرقاً في مهمات [الخلق، فكذلك

الروح مستغرق في مهمات] <sup>(١)</sup> مُلكه قال الله تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار ولا يفترون﴾ <sup>(٢)</sup>.

### الشرط الرابع:

#### الذكورية:

فإن الإمامة لا تنعقد لامرأة، والذي منع من ذلك أنه ليس لها منصب القضاء، ولا منصب الشهادات في أكثر الحكومات شرعاً، اعتباره هذا يبين بنفسه لا يحتاج إلى شرح، والذي منع أن تكون النفس، وإن اتصفت بصفات الكمال، فإنها في الكون تحت حجاب الصون وهي كريمة هذا الإمام وهي محل الفجور والتقوى والعلة مطردة في الخلافتين معاً.

### الشرط الخامس:

#### النسب:

اعتباره الدخول في المقامات المحمدية وهي الدورة الثانية الإلهية التي حضرت الأولية والآخرية بعث آخراً قيل له، متى كنت نبياً قال (صلى الله عليه وسلم): «وآدم بين الماء والطين» <sup>(٣)</sup>، فانتهت في عيسى - عليه السلام - الدورة من آدم ولذلك جعله في كتابه.

كما قال: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ <sup>(٤)</sup> فحتم بمثل ما بدىء واختصت الدورة الثانية الحاكمة على الكل المحمدية المحيطة بجوامع الكلم وهي الدورة التي من الشرق إلى الغرب فكما أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) أرسل إلى الكافة، كذلك الروح أرسل إلى كافة البدن، وفي هذا سر عجيب نذكره في غير هذا الكتاب، فهذا فائدة النسب للروح.

### الشرط السادس:

#### سلامة حاسة السمع والبصر:

إذ الأعمى والأصم لا يتمكن من تدبير نفسه فكيف يدبر غيره اعتباره في الروح سماعه بالحق، ونظره بالحق، فتقدس عن الآفات وتنزه. قال (صلى الله عليه وسلم) مخبراً عن ربه: «ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره

(١) ما بين المعقوفين سقط من النسخة (ح).

(٢) الآية رقم (٢٠) من سورة الأنبياء.

(٣) حديث: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين). قال العلقمي في شرح الجامع الصغير حديث صحيح. انظر كشف الحفاء ج ٢ ص ١٧٣ حديث ٢٠١٧.

(٤) الآية رقم (٥٩) من سورة آل عمران.

الذي يبصر به»<sup>(١)</sup> وهنا سر يبحث عنه فإنه كذلك كان فمن كان الحق سمعه وبصره كيف لا يدبر نفسه وغيره.

### الشرط السابع والثامن: النجدة والكفاية:

وهما من صفات الأرواح ألا ترى أن الله تعالى إذ أراد نصرة عباده أمدهم بملائكته، وأيدهم بهم قال تعالى: ﴿إِنِّي مُدَكِّمٌ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿وَأَيُّدُهُمْ مِنْهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

### الشرط التاسع: العلم:

وهذا قد ظهر في آدم - عليه السلام - حين علم الأسماء كلها فلا يحتاج إلى ذكره.

### الشرط العاشر: الورع:

وهو منبعه وإليه مرجعه إذ الشريعة رداؤه، والحقيقة إزاره، فقد تكملت الشرائط في هذا الخليفة وصحت خلافته وانعقدت إمامته.

قلنا: فلنرجع إلى السبب الذي لأجله وقعت الحروب والفتن بينهما؟ فأقول: إن السبب في ذلك طلب الرئاسة على هذا الملك الإنساني، فإذا صحت الرئاسة لأحدهما عليه سعى في نجاته، وإقامته، وحمى داره، وأعلى مناره وحجبه عن الأسباب الرديئة في الدارين، على حسب ما يتخيل له أو يعلمه.

واعلم أن سبب نجاته من كل أمر مُهلك هو طاعته لأمر داع من خارج يقال له: الشرع، عرفه الروح إذ هو من جنسه وجهله الهوى، فالهوى يتخيل له أن النجاة في حيزه، والروح يعلم أن النجاة في حيزه، فنشأ الخلاف، ووقع الشتات والذي دعا إلى ذلك أن حقيقة الأمرين مختلفتان فلما جاء الداعي من خارج نظر إلى نتيجة ذلك الأمر فوجد له نتيجتين في الواحدة الهلاك، وفي الأخرى النجاة، فطلب كل واحد منهما سبيل النجاة، وتجنب المهلكات على حسب ما اقتضته الحكمة الإلهية، وكل لو تُرك والاعتذار لكانت لهم حجة ولكن حسمها

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الآية رقم (٩) من سورة الأنفال.

(٣) الآية رقم (٢٢) من سورة المجادلة.

الحق - جلَّ اسمه - بحجته البالغة حيث قال: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، «وهؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي»<sup>(٢)</sup>، «وجف القلم»<sup>(٣)</sup>.

فنقول: إن الروح حقيقته نور، والهوى حقيقته نار. وكل واحد منهما يتنعم بوجوده في وجوده إذ هي صفته النفسية وإلا لو تيقن من حقيقته نار أنه يعذب بها، وأن الفاعل قادر على ذلك لطلب الفرار إلى محل وجود النور لو تحقق فيه النجاة، لكن جهل ذلك، فكل دعا إلى مقامه بل النار تتعذب بالنور.

### كما تضر رياح الورد بالجـمـل

فإذا كان يتعذب بالنور يتخيل أن هذا الملك الإنساني يتعذب أيضاً بالنور فهو أبداً يطلب أن يخرج من النور، ويحجبه عنه بالأفعال التي تؤدّيه إلى الخروج عنه، وهي الشهوات التي حُفَّت النار بها، فمن ورد بها، فقد ورد النار ويطلب أيضاً الروح الذي هو نور مثل ذلك فكل واحد منهما ينظر في الأسباب الموصلة هذا الملك الإنساني إلى حزبه فيعرضها عليه ويحليه بها. وقد صح عندهما أنه متى تحلّى أو اتصف بوصف ما كان ملكاً لصاحب ذلك الوصف، وكان المستولي عليه فوَقعت الفتن والحروب، ولو ترك كل واحد منهما النظر من نفسه ونظر إلى هذا الداعي من خارج الذي هو الشارع وقال: وجدت داعياً من خارج ثبت صدقه مما قام فيه النجاة فهو كذلك، وما قال منه الهلاك فهو ذلك، لو وقع التسليم والانقياد وارتفعت الفتن وحصل الملك في حزب النجاة، لكن هذا لا يصح إذ كانت تزول حقيقة الهوى فإنه عين المخالفة، فلو انعدمت انعدم وزهب، لكن لله - تعالى - في هذا تدبير عجيب يحجب من شاء، ويكشف لمن شاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾<sup>(٦)</sup> وهم أهل الجمع ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> لتظهر أسماؤه في الوجود، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾<sup>(٧)</sup> والحمد لله وحده.

(١) الآية رقم (٢٣) من سورة الأنبياء.

(٢) حديث قدسي (هؤلاء للجنة ولا أبالي...) رواه عبد الرحمن بن قتادة السلمي وكان من أصحاب النبي(ص) في المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٢٦٩ حديث ٨٤. وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٦٩ وفي القدير ج ٢ ص ٢٣٠.

(٣) حديث (وجف القلم...) رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ج ٥ ص ١٩٥٣، ج ٦ ص ٢٤٣٤ والقرطبي في تفسيره ج ٦ ص ٣٩٨ وابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٢٩٢ و ٥٤٩.

(٤) الآية رقم (٢٠) من سورة الأنبياء.

(٥) الآية رقم (١٤٩) من سورة الأنعام.

(٦) الآيتان (١١٨، ١١٩) من سورة هود.

(٧) الآية رقم (٤) من سورة الأحزاب.

## الباب الخامس:

### في الاسم الذي يخص الإمام وحده وفي صفاته وأحواله

جرت الحكمة الإلهية في العالم أن يكون للخليفة عليه اسم يُخَصُّ به وحده دون غيره لا سبيل أن يتسمى به أحد حتى إذا ذكر تميز وعُرِف، ولم يعط اللفظ على مجرى العادة أن يفهم منه غير الإمام، ولا عليه من بقية أسمائه ولو كانت ألفاً بوقوع الاشتراك تأسياً بمن استخلفه وهو الله - تعالى - فإنه سبحانه - اختص باسم الألوهية حتى إذا قال أحد (الله)، لم يفهم من هذا الإطلاق سوى الفاعل سبحانه ألا ترى لما أنزل - تعالى - قوله: ﴿اعبدوا الله﴾<sup>(١)</sup> لم يقولوا: وما الله، ولما قيل لهم: ﴿اعبدوا الرحمن﴾ قالوا: ﴿وما الرحمن﴾<sup>(٢)</sup>.

قلنا: إن ننظر أي اسم يختص به هذا الإمام نطلق عليه فلم نجد شيئاً إلا ما سماه به الله تعالى - في قوله: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾<sup>(٣)</sup>، وقد منع سبحانه أن يوجد منه في زمان واحد اثنان فحسم ذلك بقوله: ﴿إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما﴾<sup>(٤)</sup>.

فلا يصح إقامة ملك بين مدبرين وإن اتحدت إرادتهما قال الله - تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾<sup>(٥)</sup> لأنه قد يأمر أحد الخليفتين بغير ما ينهى عنه الآخر، ولا بد من امتثال أمر أحدهما، إذ لا يسوغ امتثال الأمرين فإن تركوا عوقبوا، وإن أطاعوا أحدهما عاقبهم الآخر إذ

(١) الآية رقم (٧٢) من سورة المائدة والآيات كثيرة جداً.

(٢) صحيح الآية هو قوله تعالى:

﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا﴾. وهي الآية رقم (٦٠) من سورة الفرقان.

(٣) الآية رقم (٣٠) من سورة البقرة.

(٤) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٥) الآية رقم (٢٢) من سورة الأنبياء.

بنفس ما يطيعون الواحد عصوا الآخر، وعاقبهم من عصوه، فوجب على من أطاعوه نصرتهم فأدّى ذلك إلى حروب وفتن تشغل عن تدبير الملك، فيخرب، فلهذا نصّ على خليفة واحد.

اعتراض:

فإن قيل: قد سمعت الله - تعالى - يقول ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾<sup>(١)</sup> وقد قلت: إنه واحد شرعاً، فكيف الجمع؟

فتقول: إن سر الخلافة واحد، وهو متوارث، تتوارثه هذه الأشباح، فإذا ظهرت في شخص ما دام ذلك الشخص متصفاً به من المحال شرعاً أن توجد لذلك القبيل في ذلك الزمان بعينه في شخص آخر، وإن ادعاه أحد فهو باطل ودعواه مردودة، وهو دجال ذلك الزمان، فإذا فقد ذلك الشخص انتقل ذلك السر إلى شخص آخر فانتقل معه اسم الخليفة، فلهذا قيل: خلائف.

فانظر في هذا الفصل فقد نبهت فيه على أسرار لم أجزم على إيضاها.

تنبية:

فإذا تقرر هذا وثبت فينبغي لهذا الخليفة أن يتخلق بأسماء من استخلفه حتى يظهر ذلك في أخلاق رعيته وفي أفعالهم، وقد ذكرنا معنى التخلق بالأسماء الربانية في كتابنا المترجم (بكشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى)<sup>(٢)</sup>.

يا أيها السيد الكريم، حافظ على شريعتك، واجعل ملكك خادماً لها، ولا تعكس فيعكس عليك، ولا تغفل عن النظر في كل حين في رعاية الأحكام الظاهرة والأسرار الباطنة المتولدة التي وهبها الله - تعالى - لك على طبقات العوالم الذين ذكرناهم في الإنسان، ثم يتدرج الأمر إلى وزيرك فيكون على هذه الحالة إلى كاتبك إلى كل وال في مملكته، فعليك بكظم الغيظ وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، ورؤية إحسان المحسن والغض عن سيئاته، والتغافل عن الزلة والسقطة وذلك بأن تزل العين يوماً بنظرة في فضول واللسان في لفظة فضول فيكظم الغيظ بالاستغفار والإنابة فما وقع فيه، لكن غمض عينه، أو صمت من غير استغفار زماناً، وإما توقير الكبير فليس في الباطن للسن حظ، وإنما هو الكبير بالشرف والمرتبة والصغير على هذه النسبة.

(١) الآية رقم (٣٩) من سورة فاطر. والآية بها نقص في (ط) (في الأرض).

(٢) كتاب [كشف المعنى عن سر أسماء الله الحسنى] وله عنوانان آخران هما: (شرح الأسماء الحسنى) و(منافع الأسماء الحسنى).



وأما رؤية إحسان المحسن، فإذا أحسن إليك عامل من عمالك مثل البين والسمع، فلك أن تجزل له العطاء على ذلك من مقابلة، وما يليق به.

### تذكرة:

والذي أوصيك به أيها السيد الكريم أن لا تنفذ أمراً في ملكك حتى تنظر إلى عاقبة ذلك الأمر، فإن أعقب خيراً مضيت وإلا أمسكت فتأن في أمورك، أعني في الطاعات، إذ العلل كثيرة، فإن النفس قد تأمر بالطاعة لأمر ما تجب مخالفتها فيه، وهذا عند أرباب النفس، باب متسع فيه عبرة.

يا أيها السيد الكريم: والذي أوصيك به أن لا تتجلى لرعيتك إلا لمحّة بارقي أو خيال طارق، فإنهم لا يعرفون قدر الخلافة لقصورهم، فرمما بإدامة التجلي أسأؤوا الأدب، بل لا يكون إلا كذلك قال الله - تعالى - ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾<sup>(١)</sup> فقد نبه على مقام القبض والتجلي هنا إنما هو إظهار التوحيد يوماً ما أو في نازلة ما، لا في كل الأيام، ولا في كل النوازل، لأن استدامة التجلي تؤدي إلى تعطيل الأحكام والدييات وإذا كان ذلك كذلك خرب الملك عاجلاً وأجلاً فالله الله ولا لمحّة بارق التوحيد.

### سياسة:

يا أيها السيد الكريم؛ اصغ إلى سياسة مدنية من أخ شفيق عليك، رفيق بك، بل ينبغي لك عندما تريد أن تبرز لأهل مملكتك، وتظهر في عالمك المتصل والمنفصل من عالم الملكوت، والجيروت والشهادة فليقدم وزيرك العقل - رضي الله عنه - إلى جميع مملكتك يقوم فيه مقامك، وتعرفهم بتجليك لهم، ويقر في نفوسهم من هيبتك وجلالك وعظم سطوتك ما لا تنفر به نفوسهم عنك، ويقرر أيضاً في قلوبهم من حنانك، ولطفك، ورحمتك، وجودك، وجسيم منتك ما لا يؤديهم إلى الإدلال عليك فيلقونك في حدّ الاعتدال لا قانطين ولا مدلين بل معتدلين، إن أرادوا الانبساط عليك قبضهم ما وقر في نفوسهم من جيروتك، وعظيم سطوتك، وإن أرادوا الانقباض بسطهم ما وقر في نفوسهم من حنانك ورأفتك فهم في شهودك بين الخوف، والرجاء في مقام الهيبة والأنس قد أمثوا العقاب وخافوا الإجلال.

كأنما الطير منهم فوق رؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

وهذا مقام لا يصح إلا في الطائفة الملكوتية والكروبية، وأما من دونهم فمشاهدة العقاب

(١) الآية رقم (٢٧) من سورة الشورى.

تمنعهم من الإدلال قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

يا أيها السيد واجعل عقوبة من عصاك على قدر مرتبته منك وقرب منزلته، ألا ترى أبا يزيد البسطامي<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنه - كيف أقام سنة ما سقى نفسه شربة ماء عقوبة لها حين امتنعت عليه لأمر أراده منها لله تعالى.

### تكملة حكمية:

أيها السيد الكريم نزه نفسك عن الدنيا وأوضارها واجعلها خادمة لك ولرعبتك، وما الدنيا إلا جانب منصبك الذي أهلك الله إليه المقدس عن تعلق الكونين به، فكيف عن الدنيا التي مقتها الله تعالى - وما نظر إليها من حين خلقها، ناهيك من تشبيه النبي (صلى الله عليه وسلم) إياها بالجيفة<sup>(٤)</sup> والمزبلة<sup>(٥)</sup>، مع إخباره أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيه من ذكر الله<sup>(٦)</sup>، أفيحمل بهمة خليفة مثلك قد خلقه الله نوراً، جوهرة يتيمة، أن يلحظ بنظره<sup>(٧)</sup> أو بطرف إلى جيفة أو مزبلة، أو يتكالب عليها، وقد قال - تعالى: (يا دنيا اخدمني من خدمني، واستخدمني من خدمك).

فالدنيا - وفقك الله - تطلبك حتى توفيك ما قدره لك من استخلفك من جاهك، ورزقك، وأرزاق رعبتك، فاجمل في الطلب، واسع في تخليص رعبتك وتخليص نفسك باشتغالك بما كلفك من استخلفك من الأوامر، والنواهي والحدود، فعليك بالإعراض عن الدنيا، تأتيك راغمة خادمة والذي يصل إليك منها وأنت مقبل عليها، هو الذي يصل إليك وأنت معرض عنها.

(١) الآية رقم (٣٧) من سورة النور .

(٢) الآية رقم (٥٠) من سورة النحل.

(٣) أبو يزيد البسطامي: تقدمت ترجمته سابقاً

(٤) حديث: (الدنيا جيفة). انظر فيض القدير ج ١ ص ١١٢. حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٣٨ وكشف الخفاء ج ١ ص ٤٩٢، ٤٩٣.

(٥) حديث: الدنيا مزبلة: انظر حلية الأولياء ج ٥ ص ١٥٥ وج ١٠ ص ٢٢.

(٦) حديث: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها...) انظر شعب الإيمان ج ٧ ص ٣٤٢، وكشف الخفاء ج ١ ص ٤٩٦.

(٧) في (ط): (يلحظ ببصره).

## ذكر كعب الأبحار:

إن الله - تعالى - ذكر في التوراة (يا ابن آدم، إن رضيت بما قسمت لك، أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البرية، ثم وعزتي وجلالي لا تنال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم).

فعلق الراحة بالقلب مع البدن، إذ لا يصح طلب شيء من غير إرادة؛ إذ هي المحركة للباحث على البحث والتفتيش والإرادة من خاصتك المصروفة لعامتك، فإن تصرفت في المضمون تصرفاً كلياً لم يتهياً لامثال أوامرك عليها وعند عدولها عن ذلك كنت لثيماً على رعيتك، على ما يريد في داخل الباب.

فالله الله اجهد أن لا تتعلق لك إرادة إلا بمراد محبوبك ومطلوبك من جهة ظاهر الأمر، وباطن الإرادة، بعد وقوع المراد المؤدي إلى العلم، بأن ذلك الواقع لولا ما سبق في العالم على ذلك، وتعلقت به الإرادة لما وقع على ذلك الوصف مع جواز تبدُّله في نفسه في وقوعه على غير ذلك، فإذا تقرر هذا فإنني أضرب مثلاً لمن لم يفهم من عمالك، وولاتك فيما تقدم من طلب الرزق الذي لا بد منه مثلك في طلب الدنيا والإعراض عنها، والقوت منها والحق - سبحانه - والله - المثل الأعلى - رجل صرف وجهه للشمس فرجع ظله خلفه فقصد نحو الشمس فاتبعه ظله ولم يلحقه ولا نال منه إلا ما حصل تحت قدميه، وفي الاستواء أعني استواء الشمس في قبة الفلك على رأس الرجل سر لا ينكشف ولا تُودعه كتاباً وهو موجود في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

[قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه -]<sup>(٢)</sup>:

ثم نرجع إلى المثال فنقول: ثم هذا الرجل إن أقبل بوجهه على ظله واستدبر الشمس وجرى ليلحق ظله، فلا هو يلحق الظل وقد فاتته حظه من الشمس، وهم الذين قال الله - جل اسمه - فيهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾<sup>(٣)</sup> وما لحق من الظل إلا ما تحت قدميه وهو الحاصل له في استدباره الظل فأنت ذلك الرجل، والشمس وجود الحق، والظل الدنيا، وما حصل تحت قدميك القوت الذي لا بد منه.

يا أيها السيد الكريم وهل خلقت الدنيا إلا من أجلك وخلقك سبحانه - من أجله فأوجدك له، وأوجد الأشياء لك.

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة الفرقان.

(٢) سقط ما بين المعقوفين من (ط).

(٣) الآية رقم (١٣) من سورة الحديد.

أنزل في التوراة: (يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك)<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى في القرآن العظيم: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق﴾<sup>(٢)</sup>. وقال: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾<sup>(٤)</sup> ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها﴾<sup>(٥)</sup> إلى أمثال هذا مما لا يحصى في القرآن.

تتميم:

يا أيها السيد الكريم تحبب إلى رعيتك واجزل العطايا لهم لكل صنف ما يصلح به وذلك بأن تمنعهم من المحارم وتجزل لهم مواهب الطاعات على قدر الاستطاعات، وتذكر قول من استخلفك ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم﴾<sup>(٦)</sup> ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾<sup>(٧)</sup> فهاتان الآيتان شملتا خاصتك وعامتك ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾<sup>(٨)</sup> ﴿وامر بالمعروف وانه عن المنكر﴾<sup>(٩)</sup> وتفقد النفس الأمانة، واللومة، واجعل وزيرك يتلطفها<sup>(١٠)</sup> في كل حين، ويسوسها؛ فإنها مدبرة<sup>(١١)</sup> مملكتك فإنها لا تلقي للحواس إلا ما تلقي إليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فتصلح عند ذلك مملكتك وتكثر جباياتك وتظفر بأعدائك، فاجعل أبداً همتك في إصلاح الأقرب فالأقرب يقل شغبك وتعبك وسلط الصالح على الفاسد يصلحه، وإياك أن يكون ذلك بالخوف الشديد فيزيدهم نفوراً ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾<sup>(١٢)</sup> فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

(١) «يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي..» انظر فيض القدير ج ٥ ص ٣٦٦.

(٢) الآية رقم (٥٦) من سورة الذاريات.

(٣) الآية رقم (٧٣) من سورة القصص.

(٤) الآية رقم (٧٩) من سورة غافر.

(٥) الآية رقم (٨) من سورة النحل.

(٦) الآية رقم (٢٤) من سورة النور.

(٧) الآية رقم (٣٦) من سورة الإسراء.

(٨) الآية رقم (٣٧) من سورة الإسراء.

(٩) الآية رقم (١٧) من سورة لقمان.

(١٠) في النسخة (ط): (يتلطف لها).

(١١) في النسخة (ط): (فإنها مدبرة بادية مملكتك).

(١٢) الآية رقم (١٥٩) من سورة آل عمران.

## سياسة:

يا أيها السيد الكريم، ينبغي لك، بل هو أكد عليك أن لا تضع شيئاً في غير موضعه، ولا تبرز شيئاً إلا في وقته المعهود عندهم، وإياك وخرق العادة، وعند ميسس الحاجة إليه ليكون القبول عليه أشد، إذ العادة وفّرت الدواعي إلى ذلك الوقت لظهور ذلك الأمر المنتظر مثل لو حرق الله العادة بنزول المطر في غير وقته، واستدامة الصحو في غير وقته أدى ذلك إلى القنوط والكفران فهم مع الإحسان ييغون<sup>(١)</sup> في الأرض، فكيف بالإساءة، وإن ظهر مثل هذا في سنة فلأمر ما وعدل منه ابحت عنه تجده، فتخلق بهذه الأوصاف تكن لك السلامة دنيا وأخرة.

[قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه -] <sup>(٢)</sup>: إذا هممت بأمر فقل: إن شاء الله كما قال تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾<sup>(٣)</sup> ولا تتألّ على الله، ﴿ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها﴾<sup>(٤)</sup> ﴿ولا تتخذوا إيمانكم دخلاً بينكم﴾<sup>(٥)</sup> واحذر القرناء السوء، فإنهم يأكلون درهمك ويقربون للنار لحمك، ودمك، فلا تصحب إلا خليلاً تجد معه الزيادة في دينك، فإن رأيت في صحبة النقص في ذلك فبئس القرين فيك وهو أكبر عدو لك فاحترز منه في ملكك فإنه يكون سبب خرابه، وهذا القرين فيك هوأكبر عدو لك فاحترز منه أعدائك وقال تعالى: ﴿قالوا الذين يلونكم من الكفار﴾<sup>(٦)</sup> وهذا أقرب الكفار إليك فاشتغل به، وإلا اشتغل بك، فإن السباع العادية تهدم بادية مملكتك، وتورثك النعيم الدائم وهذا يهدم دينك.

أيها السيد الكريم، أوصِ وزيرك وحاجبك أن لا يدخل عليك من الصفات التي هي جباياتك إلا صفة تتحقق فيها أنها نتيجة عن مقدمتين صحيحتين ضرورتين وفرع عن أصلين كريمين مستقيمين، فإن من الصفات ما ترد عليك به النفس مما يعطيها الهوى لتهلك فيها فتأتي إليك بها في أحسن صورة، وباطنها ضد ذلك حتى إن اخترت ذلك وجدت صحته فتحفظ فإذا جاءتك بصفقة ودخلت عليك فانظر سابقتها وعاقبتها بالأدلة الواضحة الشرعية والعقلية والعادية واسبرها في محك النظر ومجاري الفكر وزنها بعميار العلم، وتفرّس فيها ما تعطيك

(١) في النسخة (ط): (يقون).

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من (ط).

(٣) الآية رقم (٢٣) من سورة الكهف.

(٤) الآية رقم (٩١) من سورة النحل.

(٥) الآية رقم (٩٤) من سورة النحل.

(٦) الآية رقم (١٩٣) من سورة التوبة.

الأدل المنصوبة للفراسة ، فإن كانت تعقب خيراً فتحلى بها وإن كانت خلاف ذلك فاقتلها فتلك الصفة هي التي نبهنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله: «إياكم وخضراء الدّمن»<sup>(١)</sup> فالشيء ضرورة إنما يعقب بحسب أصله وإليه يرجع.  
تنبيه:

حافظ على ذاتك الشريفة الروحانية واعرف قدرها لأي شيء وجدت، وما المراد منها، وإن أمكنك أن لا تصرفها في قيام، وقعود وحركة وسكون وأشباه ذلك من جميع أفعالك إلا عن أمر إلهي علوي فتحقق. كما قال الخضر: ﴿وما فعلته عن أمري﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وما ينطق عن الهوى﴾<sup>(٤)</sup> وإياك وإنفاد أمر في مملكتك حتى تشاور فيه وزيرك، فإن في مشاورتك إياه تثبيت مودتك في قلبه، والمودة تورث الشفقة، والشفقة تورث النصح، والنصح يورث العدل، والعدل بقاء المملكة هذه ينبغي أن تكون صفات الإمام وأحواله وإلا يهلك وتهلك<sup>(٥)</sup>.

(١) الحديث: (إياكم وخضراء الدّمن).

رواه الدارقطني في الأفراد، والرامهرمزي، والعسكري في الأمثال، وابن عدي في الكامل، والقضاعي في مسند الشهاب، والخطيب في إيضاح الملبس، والديلملي من حديث الواقدي عن أبي سعيد مرفوعاً، لكن بزيادة: (قيل: وماذا يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء..) قال عدي: تفرد به الواقدي، وذكره أبو عبيد في الغريب.

انظر ما قاله العجلوني في كشف الخفاء حول هذا الحديث ٢٧٢/١ رقم (٨٥٥)، وانظر السيوطي: جامع الأحاديث ٣/٤١٦، حديث رقم (٩٤٨٤).

(٢) الآية رقم (٨٢) من سورة الكهف.

(٣) الآية رقم (٨٩) من سورة الصافات.

(٤) الآية رقم (٣) من سورة النجم.

(٥) في النسخة (ط): (وإلا هلك ويُهلك).

## باب (١):

### لا يخلو الإمام أن يكون واحداً من الأربعة وبالجملة أظهر الوجود ودام

قالت الحكماء: الملوك أربعة لا خامس لها: ملك سخيّ على نفسه سخيّ على رعيته، وملك لئيم على نفسه لئيم على رعيته وملك سخيّ على نفسه لئيم على رعيته، وملك لئيم على نفسه سخيّ على رعيته، ولا يخلو ملك من أحد هذه الأوصاف.

كذلك هذا الخليفة لا يخلو من أحدها ولم يزل العارفون بالله - تعالى - على قديم الزمان يتبعون أنفسهم بالنظر والاعتبار لتصحيح النسختين، فتقول: ظهر لنا في الوجود الإنساني علم، وهو مقام الجمع، وعمل وهو مقام التفرقة، وهو حد الكرسي، والأول حد العرش فيرد الوتر إلى الكرسي الذي هو موضع القدمين فتكتسب الشفعية إلى الأرض، وهذا الملك هو الليلة المباركة التي يُغرق فيها كل أمر حكيم.

فيا أيها السيد الكريم: إن كنت صاحب علم وعمل فأنت سخيّ على نفسك سخيّ على رعيته، وإن كنت لا صاحب علم ولا عمل، فأنت لئيم على نفسك ورعيته وإن كنت صاحب علم لا صاحب عمل، فأنت سخي على نفسك لئيم على رعيته، وإن كنت صاحب عمل لا صاحب علم فأنت لئيم على نفسك سخي على رعيته.

وهنا سر مُنغنا عن كشفه تركناه لأهل الأذواق والتحقيق وانحصرت الأقسام، ولعل معترضاً يقول تسلم القسمين وهما قولك: صاحب عمل وعلم فإنه العالم العامل، ولا صاحب علم ولا عمل، وهو عكسه ولا يسلم القسمين الآخرين.

فنقول له: الأقسام صحيحة واضحة وذلك أن الأرواح نعيمها بالعلوم والمكاشفات، والأجسام نعيمها بالمحسوسات من المطعومات والمشروبات وعذابها بأضداد هذا فإذا سلمت

(١) في النسخة (ط): (فصل).

القسمين فيلزمك أن تسلم القسمين الآخرين وذلك أن الذي هو صاحب عمل لا صاحب علم، فإنه المقلد وهو صاحب عمل وليس لروحه علوم يلتذ بها إنما هي مسجونة مقيدة بالنظر إلى ما يؤول إليه محلها من نعيم الجنان ولا تقول: إن هذا صاحب علم، وأما القسم الآخر وهو صاحب علم لا صاحب عمل فهو العالم المرتكب الشهوات، والمسخر في المحرمات فإن روح هذا متعمم بما يكشف له من العلوم ورعيته معذبة بما ارتكب من المحارم المؤدية إلى دار البوار فتدبر هذه الأقسام ترى الحكمة البالغة، ثم لنا أن نبين ما نريده بالسخاء واللؤم في هذه المواضع، وفي حق هذا العالم المودع في هذا الكتاب، فنقول: إن السخاء بذل الشيء عند الحاجة إليه من غير زيادة ولا نقصان، واللؤم في هذا منع الشيء مع الحاجة إليه فمن جاوز فقد أفرط، ومن قصر فقد ورط وكلا طرفي قصر الأمور ذميم وفي ذلك أقول:

جرى مثل ذل السماع مع الحجى عليه على مر الزمان القديم

توسط إذا ما شئت أمراً فإنه كلاترقي قصر الأمور ذميم

قف رحمك الله - عند هذا الحد، فظاهر الخليفة عمل وباطنه علم، وظاهره حد، وباطنه مطلع، والرعيّة على قسمين: بادية، حاضرة.

فالبادية: عالم الشهادة المنفصل في حق المتبوع المحمدي.

والحاضرة على قسمين: خواص وعوام، فالعوام: عالم الشهادة المتصل، وهي البادية في حق غير المتبوع؛ والخواص على قسمين: عالم العقل وعالم النفس، فعالم النفس ينقسم قسمين: مطيع، وعاص، فالمطيع يسمى عالم الجبروت وعالم النفس على الجملة هو البرزخ عندهم، والمعاصي هم أعداء هذه المدينة الذين ذكرناهم.

وعالم العقل على قسمين: محجوب وغير محجوب، فأصحاب الأوصاف محجوبون، وهم عالم الملكوت أصحاب المقامات قال الله - تعالى - ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾<sup>(١)</sup> وغير المحجوب هم أصحاب السلب عرائس الله الخجأون عنده في خزائن غيوبه، حجبههم غيره عليهم حتى لا يعرفهم سواه كما لا يعرفون إلا إياه، وهم في المقام الذي يعبر عنه المحققون بالفناء الثالث المحق الكلي، وهم خواص هذه المدينة. فانظر في هذه الأقسام ترشد إن شاء الله. يا أيها السيد الكريم، إذا تحققت هذا فابذل لكل عالم ما يحتاج إليه على حسب ما حددت آنفاً لك وكذلك لنفسك فتكون في المقام المحمدي صاحب علم وعمل، وهو الكمال والسخاء كل السخاء الزهد فيما في أيدي الناس فما أحبت رعية مليكها حتى زهد فيما عندها، والسخاء

(١) الآية رقم (١٦٤) من سورة الصافات.



يورث المحبة، والمحبة تورث القربة، والقربة تورث الوصلة، والوصلة تورث الجمع. وهنا إشارة مضمونة تحت حجاب الغيرة فكذلك ينبغي لك أن ترهد في جميع أفعالك وأقوالك واعتقاداتك وتبني البيت، وتوقد السراج، وتضرب الستارة وتبرز الصور، تبدو لك الحكمة الإلهية، وتلوح لك الحقائق على ما هي عليه.

وموضع هذا من الكتاب العزيز: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾<sup>(١)</sup>. فكما أن الإنسان إذا ترك ما للناس عند الناس أحبه الناس، كذلك إذا تركت ما لله عند الله ولم تطمع فيه ولا أضفت شيئاً إلى نفسك من جميع أفعالك وكنت على الحقيقة زاهداً وعلى التوحيد راشداً، فاسع في اكتساب هذه الأوصاف تكن من أهل الإنصاف.

وقديماً خبرت الناس في أوطاننا، وأوطانهم، فلم أرَ لديهم أعظم قدراً ولا أكبر خطراً ولا أجلاً في نفوسهم من رجل طال صمته، وقلّ كلامه، وإن تكلم بالحكمة فإن القلة منها أحسن من الكثرة، وأقبل لنفوسهم حذر السامة، وهو حد السخاء المتقدم.

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «يتخلل أصحابه بالموعظة بمخافة السامة عليهم».

وكذلك ينبغي للوارثين أن يكونوا كذلك، لم أرَ أعظم عندهم وأجل في نفوسهم، وأحب إليهم من رجل زهد فيما في أيديهم واحتجب عنهم، ولم يظهر لهم إلا عندما يعرف أن الحاجة قد مستهم للنظر إليه فحينئذٍ يظهر لهم على ما قدمت لك في أول الباب فكل شيء تعدده في ذلك المقام قبل تعطش النفوس إليه فإن أقبلوا عليك بشيء من دنياهم، فارغب عنها وردة على فقرائهم، فإن أبوا إلا بواسطة فخذ منهم وادفعه لفقرائهم على علم منهم بذلك. هكذا يكون حالة الإمام وبها يعظم عند أهل مملكته.

(١) الآية رقم (٩٦) من سورة الصافات.

## الباب السادس: في العدل

وهو قاضي هذه المدينة القائم بأحكامها أيّد الله السيد الهمام الأعدل الأكمل، ينبغي لك إن أردت بقاء مُلكك عليك، والظفر بأعدائك أن تكون متولي أحكام رعيتك، ومنفذ قضايك العدل، فإنه أبقاه الله عليك ما وُلّي مدينة قط ولا مملكة إلاّ ظهرت فيها البركة ونمت فيها الأرزاق، وعمت الخيرات جميعها وهو جود محمود محبوب على ممر الدهور والأعصار وهو الميزان الموضوع في الأرض، وبه يكون الفصل في العرض الأكبر بين العباد وهو الحاكم في ذلك اليوم، وهو المأمور به شرعاً، وأن الملك جسد روحه العدل، ومتى لم يكن العدل حزب الملك. وكانت الحكماء تقول: عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان، وقد أمر الله - تبارك وتعالى - عباده فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾<sup>(١)</sup> وذم من لم يتصف به ولا جعله حاكماً عليه فقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَنَوْهُمْ يَخْسِرُونَ أَلَا يُظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقال لقمان لابنه: ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> وهو العدل.

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الآية رقم (٩٠) من سورة النحل.

(٢) الآيات رقم (١ - ٥) من سورة المطففين.

(٣) الآية رقم (١٩) من سورة لقمان.

(٤) الآية رقم (١١٠) من سورة الإسراء.

(٥) الآية رقم (٢٩) من سورة الإسراء.

وقال (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر: «ارفع من صوتك ولعمر: اخفض - رضي الله عنهما»<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله (صلى الله عليه وسلم) وقد انقطعت إحدى نعليه فنزع الأخرى ومشى حافياً حتى يعدل في أقدامه. وعليه أنشأه الله وصوره.

ومن وصايا بعض الحكماء: لا تكن حلواً فتشترط ولا مُتراً فتُغنى، فالعدل سار في جميع الأشياء، فاجعل العدل حاكماً على نفسك، وأهلك، ورجلك، وخولك وعبيدك، وأصحابك وجميع من توجه عليه حكمك وفي كلامك وفعلك ظاهراً وباطناً.

---

(١) حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر (ارفع صوتك، ولعمر أخفض). رواه الطبراني في تفسيره عن محمد بن سيرين انظر ج ٥ ص ١٨٦ وانظر أيضاً صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ١٨٩ وصحيح ابن حبان ج ٣ ص ٧ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٣٧ وتحفة الأحوذى ج ٢ ص ٤٣٣.

## الباب السابع:

### في ذكر الوزير وصفته وكيف يجب أن يكون

جرى التدبير الرباني الحكمي في العادة أن لا يستقيم أمر ملك في ملكه إلا بوزير يدبره يكون واسطة بين المالك والمملوك، فكذلك اقتضت الحكمة لما أبرزنا هذا الخليفة المذكور أن يجعل له وزيراً يسمى عقلاً، وعليه يتوجه الخطاب من الله - تعالى - إذ هو مدبر المملكة قال الله تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup> و﴿لَأُولِي النِّهْيِ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾<sup>(٣)</sup> أي: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فأوجد الله - سبحانه - لهذا الإمام هذا الوزير الذي يقال له: العقل، وإنما سُمِّي عقلاً لأنه يعقل عن الله تعالى - كلما يلقي إليه وهو على المملكة كالعقل على الدابة ويحفظها حذر الخراب، ولهذا سماه عقلاً، واصطفاه له وزيراً (فعيلاً) يحتمل أن يكون من الوزير والوزير وكلاهما موجود فيه، فإن كان من الوزير الذي هو الثقل فإنه حامل أثقال المملكة، وأعبائها، وإن كان من الوزير الذي هو الملجأ فإنه يلجأ إليه في جميع الأشياء إذ هو لسان الخليفة، والمنقذ عنه أوامره.

فلهذا المعنى صح عليه اسم الوزارة لما لم يكن أيضاً بد من وجود معنى هذا اللفظ، وهو موجود عجيب ومخترع لطيف أوجده الباري في ثاني مقام من الإمام وأنزله من الخليفة منزلة القمر من الشمس على مذهب من يقول بالاستمداد، ولهذا تراه عند حضور الملك وتجليه ليست له تلك الصولة ولا يبصر لأن الأمر هناك صادر عن الإمام بارتفاع الوسائط وهيبة المشاهدة عظيمة وحظها من كتاب الله قوله - تعالى: ﴿لَمَّا مَلَكَ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدَ الْقَهَّارِ﴾<sup>(٤)</sup>،

(١) الآية رقم (٢١) من سورة الزمر. وفي (ط)، (خ): (إن في ذلك الآيات).

(٢) وهو نص الآية ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولِي النِّهْيِ﴾ آية رقم (٥٤) من سورة طه. ورقم (١٢٨).

(٣) الآية رقم (٢٧) من سورة ق.

(٤) ما بين المعقوفتين سقط من (خ) وهو استكمال الآية السابقة.

(٥) الآية رقم (١٦) من سورة غافر.

وفي وقت الحجاب وقعت الدعوى، نعوذ بالله من حجاب الدعوى، فمتى احتجب الخليفة كان للوزير الظهور وإنفاذ الأوامر، والإعطاء والمنع إذ هو لسان الخليفة والمترجم عنه، وهذا موجود في سر روحانية القمر والشمس.

ألا ترى القمر إذا حصل في قبضة الشمس ليس له نور ولا ظهور لاستيلاء الشمس عليه، فإذا كانت الليالي البيض كان له الظهور التام بمغيب الشمس عن مرأى أعين الناظرين، فالقمر في ذلك الوقت يشاهد الشمس، والعالم والناس لا يشاهدون إلا القمر، وهذا سر عجيب، وهذا باب عظيم للحقائق فيه مجال وانفساح، ولأرباب القلوب فيه اعتبار بين اندماج واتضاح، لأن الحكمة غريبة في إبداره على قدر سراره ثلاث بثلاث، وقد ذكرنا هذا السر في غير هذا الموضوع مستوفى في كتاب [المثلثات]<sup>(١)</sup> لنا وحظّه من الكتاب العزيز: ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس﴾<sup>(٢)</sup>.

وكان شيخنا أبو مدين<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنه - ما حصل له من سر الوجود عن التجلي المحمدي إلا مقام ملك الناس ولهذا كان يصرح بأن سورته من القرآن ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾<sup>(٤)</sup> ومقام إله الناس انفرده به القطب. ولذلك كان أبو مدين أحد الإمامين الموجودين في العالم ثم نرجع ونقول:

فلما أبدع بنيته وسوى جوهريته أودع فيه حسن التدبير والسياسة، وجميع الأمور اللاتقة بالمملكة من مقامه إلى أدنى موجود من رعيته أو على هذا المهيع وردت الشرائع، ثم نقش سبحانه وتعالى - جميع العلوم في جوهره ذاته، فصار محلاً للعلوم مع أنه لا يدري أين تصرفها ولا الحالات التي يصرفها فيها، وذلك حكمة منه - تعالى - ليكون مضطراً إلى الخليفة، كما فعل بالخليفة فيما تقدم عارفاً بنفسه وقدره، وعارفاً بمخدمه الذي أوجده من أجله، ثم أقعد - سبحانه - الخليفة على عرش الوجدانية وردّاه برداء الفردانية، وحلّاه بالصفات الإلهية فاكتمى من الإجلال والهيبة، والعظمة، ما لو ظهر لعالم الشهرة منها مقدار سم الخياط لبهرهم،

(١) كتاب [المثلثات].

يقول عنه د. عثمان يحيى في كتابه مؤلفات ابن عربي: هو كتاب تفسير يوضح فيه الآيات القرآنية ذوات التقسيم الثلاثي مثل قوله تعالى: ﴿ولا فارض ولا بكر عوان بين عوان بين ذلك﴾ (البقرة: ٦٨).  
وقوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ (الإسراء: ١١٠).

انظر مؤلفات ابن عربي رقم ٥٤٢/٧٨٤.

(٢) الآيتان (١، ٢) من سورة الناس.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) الآية رقم (١) من سورة الملك.

ولصُعبقوا من حينهم وشلبوا عن نفوسهم، وهذا مقام الخليفة، فكيف بنا بمشاهدة الحق - سبحانه - في دار الكرامة، فانظر وفقك الله، ما أعظم هذه القدرة العجيبة التي يؤيدنا الله بها في إدراكنا عند النظر إليه جلَّ جلاله في الدار الآخرة!

فلما قام الخليفة في هذا المقام أدخل عليه العقل فلما أدخل عليه تجلت له صورة العقل في جوهرية في ذات الخليفة فلاح له الأسرار والعلوم المنقوشة فيه والناس يغلطون في هذا المقام فيطلبون من خارج ما هم فيه فيتعبون ولو وقفوا عند قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾<sup>(١)</sup> لاستراحوا.

### قَدْ يَزْحَلُ الْمَرْءُ لِمَطْلُوبِهِ وَالسَّبَبُ الْمَطْلُوبُ فِي الرَّاحِلِ

فإذا أراد العقل معرفة شيء في تدبير الملك وإصلاحه افتقر عند ذلك إلى مشاهدة الإمام، فعند المشاهدة يلوح له المراد فيه فيقوم له التجلي منزلة الخطاب من الملك إلى الوزير إذ المراد حصول العلم وبهذا يعبر عن مخاطبة المعقولات فإنهم ليسوا بأجسام يكون فيها أصوات وحروف فإذا لم تكن أصوات وحروف ورقام إلى غير ذلك من الدلائل فلك أن تنظر إلى ما يؤدي إليه تلك الأدلة من الأصوات وغيرها في قلب السامع فهو حصول المعنى وهو أثر الكلام من المخاطب، وكذلك إذا حصل للعقل آثار العلوم في قلبه من فيض الروح الكلي عبرنا عنه بالكلام والقول والخطاب فلما أوجده على هذه الصفة جعل مسكنه الدماغ، ليشرق على أقطار المملكة، وأن يكون قريباً من خزانة الخيال التي هي مستقر جبايات البادية، وقريباً من خزانة الفكر والحفظ حتى يقرب عليه النظر في جميع مهماته. فينبغي لك أيها الخليفة الأكرم أن تحافظ على وزيرك وتسايسه، وتتحجب إليه، فإن في بقائه صلاح ملكك، ومدينتك، ألا ترى إذا اتفق في العقل شيء وهلك بفساد محلّه كيف تخرب مدينة الجسم ولا يقدر الروح على تليقيها فحافظ على الوزير حفظك على نفسك فهو يدك التي بها تبطش، وعينك التي بها تبصر، فمتى هممت بإمضاء أمر في ملكك فقرب العقل وتدبر معه وشاوره، وانظر إلى ما يصدر عنه فيه، واعمل بما يشير به عليك فإن الله - تعالى - قد أودع الصواب في رأيه، وتحفظ من الوهم، فإن الوهم موجود يبرز للنفس على صورة العقل فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع له في الإنسان تأثير عظيم. وهو المستولي على الناس، والباعث على الأفكار المردية وهو يورث الوسوسة فتحفظ منه، ومير وزيرك عيناً واسماً ولا تستبد بنفسك فلا خير في أمر ولا ملك لا يديره عقل، ولما كان الوزير قد يشتبه به من أكثر وجوهه وصفاته لا من كلها اضطربنا إلى نعته بالنعوت الكاملة التي لا يمكن للوهم أن يشتبه بها على الكمال، فانظر إلى النعوت التي أنا

(١) الآية رقم (٢١) من سورة الذاريات.

أذكرها - إن شاء الله - فإذا رأيتها قد قامت بوجود ما فذلك وزيرك وهو المراد فاحفظها وحصلها تغتبط - إن شاء الله - تعالى وتقدس.

### تفصيل خلق الوزير وصفاته

فاعلم - رحمك الله - أن العدل شخصه والحكمة رأسه والجمال وجهه، والحفظ حاجباه، والحياء عيناه والطلاقة جبينه، والعزة أنفه، والصدق فمه والحكمة لسانه، والنية عنقه، والسعة واحتمال الأذى صدره، والشجاعة عضده، والتوكل مرفقه والعصمة معصمه، والكرم كفه، والإيثار بنانه والجود يده، واليمن يمينه، واليسر يساره، والورع بطنه، والعفة فزجه، والاستقامة ساقه، والرجاء والخوف قدماه، والفطنة قلبه والعلم روحه، والأمانة حياته، والزهد لباسه والتواضع تاجه، والخشية إكليله، والحلم خاتمه والأنس بيته، والهدى طريقه، والشريعة مصباحه والفهم دثاره، والنصح شعاره، والفراصة علمه، والفقر كسبه، والعقل اسمه، والحق سمعه، فإذا رأيت هذه الأوصاف فاتخذه وزيراً وليلك سميراً.

قال الإمام المؤلف - رضي الله عنه:

ولما كانت الفراسة علم هذا الوزير المذكور ومحل كشفه وإطلاعه على مكمنات الخواطر ومغيبات الأمور احتجنا أن نسوق طرفاً مختصراً عقيب هذا الباب حكيمية وشرعية إن شاء الله تعالى.

## الباب الثامن:

### في الفراسة الشرعية والحكمية

قال الله - عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وقال (صلى الله عليه وسلم): «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»<sup>(٢)</sup>.

فالفراسة أكرمك الله نور من أنوار الله - عزَّ وجلَّ - يهدي له عباده ولها دلائل في ظاهر الخلق، جرت الحكمة الإلهية بارتباط مدلولاتها بها، وقد تشد، ولكن ذلك نادراً في الفراسة الحكمية، إذ هي موقوفة على أدلة عادية ضعيفة وأما الرعية فلا تشد لأنها عن أمر إلهي كما قال: ﴿وما فعلته من أمري﴾<sup>(٣)</sup> فهي مستمرة عند أهلها لأن دلائلها في نفس من قامت به خلاف الحكمية، فإذا أدلتها في نفس المتفرس فيه، فرأينا أن نسوق في هذا الباب الفراستين معاً على أحصر ما يمكن وأتمه.

### الفراسة الحكمية

أعزك الله من المعارف الفكرية، والعلوم النظرية، والأحكام التجريبية، وإنما مست الحاجة إليها في هذا الكتاب إذ ليس كل أحد يهبه الله - تعالى - نور اليقين ويزيل حجاب

(١) الآية رقم (٧٥) من سورة الحجر.

(٢) حديث: (اتقوا فراسة المؤمن...).

رواه الترمذي والبخاري عن أبي سعيد الحكيم وسمويه ورواه الطبراني، وابن عدي عن أبي أمامة ورواه ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهم. انظر السيوطي في جامع الأحاديث ٧٩/١، حديث رقم (٣٢١).

وانظر شرح الحديث الطويل والتعليقات الهامة التي أوردها، وطرقه العجلوني في كتابه كشف الخفاء ٤١/١، الحديث رقم (٨٠).

(٣) الآية رقم (٨٢) من سورة الكهف.



الريون<sup>(١)</sup> من عين بصيرته فينتظم في سلك أهل الفراسة الشرعية، فلما لم يتمكن هذا لكل أحد لكونها موهوبة من الله فلا يفوز بها إلا الخواص من عباده وكتابنا هذا موضوع للخاص والعام فيما يحتاج إليه، وهذا الباب من أكثر ما يحتاج إليه ويعول عليه لكن الإنسان مضطراً إلى معايشة الناس ومخالطتهم<sup>(٢)</sup> كل إنسان في صنفه وفي علمه وإذا كان هذا الاضطرار وليس عنده من الفراسة الشرعية مما يميز بين إخوانه، سقنا فصلاً كافياً من الفراسة الحكيمة، ليقف الإنسان عنده ويصرفه في مهماته ويشغل بضروب الطاعات عسى الله أن يفتح له باباً من عنده إلى نور اليقين، وملاحظة الملكوت الأعلى.

فاعلم: يا أخي وقفنا وإيّاك أن أحسن الهيئات وأعدل النشآت الذي ينبغي لك أن تتخذه سجيراً<sup>(٣)</sup> وللئليك سميراً<sup>(٤)</sup> وللملك وزيراً من ليس بالطويل ولا بالقصير، لين اللحم رطبه، بين الغلظ والرقّة، أبيض مشرب بحمرة وصفرة معتدل الشعر طويله ليس بالسبط ولا الجعد القطط، في شعره حمرة ليس بذاك السواد أسيل الوجه، أعين مائلة إلى الغور، والسواد، معتدل عظم الرأس، سائل الأكتاف في عنقه استواء، معتدل اللبة ليس في وركه ولا صلبه لحم خفي الصوت صاف ما غلظ منه وما رق مما يستحب غلظه، أو رفته في اعتدال طويل البنان للرقّة، سبط الكف، قليل الكلام والضحك إلا عند الحاجة، ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء في نظره فرح وسرور، قليل الطمع في المال، ليس يريد التحكم عليك ولا الرياسة ليس بعجلان ولا بطيء، فهذا قالت الحكماء: أعدل الخلق وأحكمها وفيها خلق سيدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى صح له الكمال ظاهراً وباطناً، فإن قدرت أن لا تصحب إلا مثل هذا فافعل، ولا تقف مع شهوتك إذا لم ينور الله بصيرتك فإن رزقت النور الإلهي، فأنت إذ ذاك سلطان العالمين الحقيقيين الوجود تحت قهرك، ورياستك وأمرك.

واعلم يا أخي أن الحكماء زعموا في مقالاتهم في الفراسة ورأيت ذلك تجربة أن أعدل الخلق ما تقدم وصفه، ومما ذكروا في مقاماتهم أن البياض الصادق مع الزرقة والشقرة الكثيرة دليل

(١) الريون: جمع (ران) وهو سواد يتكثف على صفحة القلب فيحجب شفافية الرؤية. وانظر ذلك في نص الآية في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ كلاً إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿﴾.

الآيات (١٤، ١٥) من سورة المطففين.

(٢) في النسخة (ط): (مخالطتهم) وهي بعيدة فقيه اضطراد.

(٣) (سجيراً) أي: خليلاً وصفيّاً.

فقد ذكر في اللسان أن الشجير للرجل هو خليله وصفيّه. والجمع: سُجْرَاء.

وساخزّه: صاحبه، وصافاه.

(٤) والسمير في الليل معروف من المسامرة.

على القحة والخيانة والفسق وخفة العقل فإن كان مع ذلك واسع الجبهة ضيق الذقن أزرع أوجن كثير الشعر على الرأس فقالت الحكماء: إن التحفظ ممن هذه صفته كالتحفظ من الأفاعي القتالة.

### الشَّعْرُ:

واعلم أن الحكماء قالوا: إن الشعر الخشن يدل على الشجاعة، وصحة الدماغ والشعر اللين يدل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة، وكثرة الشعر على الكتفين والعنق يدل على الحمق والجرأة، وكثرة الشعر على الصدر والبطن يدل على وحشية الطبع، وقلة الفهم، وحبُّ الجور، والشقرة دليل على الحمق وكثرة الغضب وسرعته والتسلط، والأسود من الشعر يدل على العقل والأناة وحب العدل، والمتوسط من هذين يدل على الاعتدال.

### الجبهة:

قالت الحكماء: الجبهة المنبسطة التي لا غضون فيها يدل على الخصومة والشغب، والرقاعة، والصلف، ومن كانت جبهته متوسطة في التواء والسعة وكانت فيها غضون فهو صدوق، محب، فهم، عالم، يقظان، مدير حاذق.

### الأذنان:

ومن كان عظيم الأذنين فهو جاهل إلا أنه يكون حافظاً ومن كان صغير الأذنين فهو أحمق سارق.

### الحاجب:

والحاجب الكثير الشعر يدل على العي وغث الكلام، فإن امتد الحاجب إلى الصدغ فصاحبه تياه صلف، ومن رق حاجبه فاعتدل في الطول والقصر وكانت سوداً فهو يقظان فهم.

### العين:

أردأ العيون الزُّرق [وأردأ الزُّرق] <sup>(١)</sup> الغير وزجبية، فمن عظمت عيناه وجحظت فهو حسود، وقح، كسلان، غير مأمون وإن كانت زرقاً كان حسوداً وقد يكون غاشاً، ومن كانت عيناه متوسطة مائلة إلى الغور والكحلة والسواد فهو يقظان، فهم، ثقة، فإن أخذت في طول البدن فصاحبها خبيث، ومن كانت عينه جامدة قليلة الحركة كالبهيمة، ميت النظر، فهو جاهل، غليظ الطبع، ومن كانت في عينه حركة بسرعة وحدة نظر فهو محتال لص غادر، ومن كانت عينه حمراء فهو شجاع مقدام فإن كانت حوالها نقط صفر فصاحبها أشر الناس وأردأهم.

(١) ما بين المعقوفين سقط من النسخة (خ).

## الأنف:

إذا كان رقيقاً فصاحبه تَزَقُّ، ومن كان أنفه يكاد يدخل في فمه فهو شجاع، ومن كان أفطس فهو شبق، ومن كان ثقب أنفه شديد الانتفاخ فهو غضوب، وإذا كان غليظ الوسط مائلاً إلى الفطوسة فهو كذوب، مهذار، وأعدل الأنف ما طال غير طول فاحش ومن كان أنفه متوسط الغلظ وقناه غير فاحش فهو دليل على العقل والفهم.

## الفم:

ومن كان واسع الفم فهو شجاع، ومن كان غليظ الشفتين فهو أحمق، ومن كان متوسط الشفتين في الغلظ مع حرمة صادقة فهو معتدل، ومن كانت أسنانه ملتوية أو نائمة فهو خداع متحيل غير مأمون، ومن كانت أسنانه منبسطة خفافاً بينهما فلج فهو عاقل، ثقه مأمون مدبر، ومن كان لحم الوجه منه منتفخ الشدقين، فهو جاهل غليظ الطبع، ومن كان نحيف الوجه أصفر، فهو رديء، خبيث، خداع شكس، من طال وجهه فهو وقح أو من كانت أصداعه منتفخة، وأوداجه ممتلئة فهو غضوب من نظرته فاحمر وخجل، وربما دمعت عيناه أو تبسم لا يريده فهو لك متودد، ومحب فيك، ولك في نفسه مهابة.

## الصوت:

الجهير يدل على الشجاعة، والمعتدل بين الكد والتأني، والغلظ والرقعة يدل على العقل والتدبير والصدق.

سرعة الكلام؛ ورقته تدل على القِحة والكذب والحيل، الغلظ في الصوت يدل على الغضب، وسوء الخلق الغنة في الصوت دلالة<sup>(١)</sup> على الحمق وقلة الفطنة وكيد النفس.

## التحرك:

الكثير دليل على الصلف، والهذر، والخداع.

الوقار في الجلسة وتدارك اللفظ وتحريك اليد في فصول الكلام دليل على تمام العقل والتدبير، وصحة العقل.

## العُنُق:

قصر العنق دليل على الخبث والمكر.

(١) في النسخة (خ): (دلية).

وطول العنق ورقته دليل على الحمق والجبن والصياح، فإن انضاف إليهما الرأس فإنه يدل على الحمق والسخف.

غلظ العنق: يدل على الجهل وكثرة الأكل.

اعتدال العنق في الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة والثقة والصدق.

**البطن:**

الكبير يدل على الحمق، والجهل والجبن.

لطافة البطن: وضيق الصدر يدلان على جودة العقل وحسن الرأي.

**عرض الكتفين والظهر:**

يدلان على الشجاعة وخفة العقل انحناء الظهر دليل على الشكاسة والنزاقة.

استواء الظهر علامة محمودة.

بروز الكتفين: دليل على سوء النية، وقبح المذهب.

إذا طالت الذراعان: حتى تبلغ الكف الركبة دلّ على شجاعة وكرم، وتُبل نفس، وإذا

قصرت فصاحبها جبان محب في الشر.

**الكف:**

الطويلة مع الأصابع الطوال تدل على النفوذ في الصناعة وإحكام الأعمال وتدير الرياسة.

**القدم:**

اللحم الغليظ في القدم يدل على الجهل وحب الجور القدم الصغير اللين يدل على الفجور.

رقة العقب: يدل على الحسن، وغلظه يدل على الشجاعة.

**الساق:**

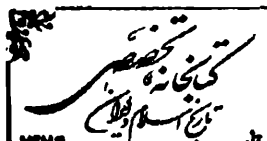
غلظ الساقين مع العرقوبين دليل على البله والقيحة. من كانت خطاه واسعة بطيئة فهو مُنْجَح

من جميع أعماله ومفكر في عواقبه، والضد للضد. فهذا وفقك الله فصل مختصر من الفراسة

الحكمية على ما وصفته الحكماء فتحققه وترشد في معارف الناس. إن شاء الله قال الإمام

المؤلف رضي الله عنه:

ولنعمد في هذا الفصل الذي ذكرته الحكماء إلى النشأة المعتدلة<sup>(١)</sup> المذكورة في أول هذا



(١) في النسخة (خ): (الروحانية المعتدلة).

الباب، ولنمش عليها النشأة الروحانية حرفاً حرفاً.

فأقول: اعلم أن الروح الإنساني لما كان له وجه إلى النور المحض ووجه إلى الظلمة المحضة، وهي الطبيعة كانت ذاته متوسطة بين النور والظلمة، وسبب ذلك أنه خلق مدبراً لنشأة طبيعية عنصرية كالنفس الكلية التي بين الهباء والعقل فالهباء ظلمة محضة، والعقل نور محض والنفس بينهما كالسُدفة، فمتى ما لم يغلب على اللطيفة الإنسانية أحد الوصفين كانت معتدلاً يُؤتي كل ذي حق حقه، ومتى ما غلب عليه النور المحض أو الظلمة المحض كان لما غلب عليه كما ذكر في النشأة الجسمية من الطول المفرط، أو القصر المفرط، والبياض المفرط، والسواد المفرط، وكل ضدّين على التفاوت في أحد الطرفين.

فأقول: أما البياض المفرط فاستفراغه للنظر في عالم النور بحيث لا يبقى فيه ما يدبر به عالم طبيعته فيفسد سريعاً قبل حصول الكمال فكان مذموماً، وكذلك في الجانب الآخر وهو السواد المفرط بحيث يمنعه النظر في طبيعته عن عالم النور، فذلك أيضاً مذموم، فإذا كان وقتاً ووقتاً كما قال عليه السلام: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي»<sup>(١)</sup>، وكان له وقت مع أصحابه ووقت مع أهله، وكذلك الطول والقصر مدة إقامته في النظر في أحد الجانبين فينبغي أن تكون المدة بقدر الحاجة.

وأما اعتدال اللحم في الرطوبة بين الغلظ والرقه هو اعتداله في البرزخيات بين المعنى والحس كاللحم بين الجلد والعظم.

وأما اعتدال الشعر، فكونه بين القبض والبسط، وأما كونه أسيل الوجه فهي الطلاقة والبشاشة.

وأما كونه أعين فصحة النظر في الأمور، وأما كون عينه مائلة إلى الغور والسواد فاستخراج الأمور الخفية والعلوم الغيبية، وأما كونه معتدل عظم الرأس فتوفير العقل، وأما كونه مائل الأكتاف، فاحتمال الأذى من غير أثر، وأما كونه مستوي العُنُق، فاستشرافه على الأشياء من غير ميل إليها، وأما كونه معتدل اللبة الذي هو مجرى النفس لاستقامة الأصوات، فاستقامة الكلام في الخطاب بما يليق بالخطاب وأما كونه ليس في وركه ولا صلبه لحم فنظر إلى الأمور التي يلجأ إليها، ويتورك عليها أن يكون تخلّصه لأحد الطرفين فإنه إن كانت برزخية قد تغدر به في غالب الأمر، وأما كونه خفي الصوت فهو حفظ السر وأما صفاء الصوت، فهو أن لا يزيد

(١) حديث: (لي وقت لا يسعني فيه غير ربي) رواه إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي في كشف الحفاء ج ٢ ص ٢٢٦ حديث ٢١٥٩ ويقرب منه ما رواه الترمذي في شمائله وابن راهويه في مسنده عن علي في حديث: كان (ص) إذا أتى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء... وزاد فيها ورواه الخطيب بسند قال فيه الحافظ الدماطي إنه على رسم الصحيح.

فيه شيئاً.

وأما طول البنان فلطافة التناول، وأما بسط الكف فرمي الدنيا من غير تعلق، وأما قلة الكلام والضحك فنظره إلى مواضع الحكمة، فيتكلم ويضحك بحسب الحاجة، وأما كونه ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء فهو أن يغلب عليه الجنوح إلى العالم العلوي، وأما كونه في نظره فرح وسرور فهو استجلاب نفوس الغير عليه بالحبّة، وأما كونه قليل الطمع في المال فهو البعد عن الغاية.

وأما كونه ليس يريد التحكم عليك ولا الرياسة فهو شغله بكمال نفسه لا بك.

وأما كونه ليس بعجلان، ولا بطيء أي ليس بسريع الأخذ مع القدرة ولا عاجز.

فهذا قد ذكرنا اعتدال النشأة اللطيفة الإنسانية، حرفاً بحرف على النشأة المعتدلة الطينية التي ذكرناها عن الحكماء القائلين نأخذ بتفصيل الأعضاء على هذا المثل بقدر ما يوفق للنظر السديد في ذلك ولم نودعه هنا لكلا يطول الكتاب فلنرجع إلى الفراسة الشرعية فأقول:

### الفراسة الشرعية

اعلم - رحمك الله - ونور بصيرتك، أن عالم الملكوت هو المحرك لعالم الشهادة وهو تحت قهره وتسخييره حكمة من الله - تعالى - لا لنفسه استحق ذلك، فعالم الشهادة لا تصدر منه حركة، ولا سكون، ولا أكل ولا شرب، ولا كلام، ولا صمت إلا عن عالم الغيب، وذلك أن الحيوان لا يتحرك إلا عن قصد وإرادة وهما من عمل القلب، وهو من عالم الغيب. والحركة، وما شاكلها من عالم الشهادة. وعالم الشهادة عندنا كل ما أدركناه بالحس عادة، وعالم الغيب ما أدركناه بالخبر الشرعي والنظر الفكري فيما لا يظهر للحس عادة. فنقول: إن عالم الغيب يدرك بعين البصيرة كما أن عالم الشهادة يدرك بعين البصر، وكما أن البصر لا يدرك عالم الشهادة ما لم يرتفع عنه حجاب الظلم أو ما أشبهه من الموانع، فإذا ارتفعت الموانع، وانبسقت الأنوار على المحسوسات أدرك البصر المبصرات فإدراكها مقرون بنور البصر، ونور الشمس والسراج وأشباهها من الأنوار كذلك عين البصيرة حجابها الريون<sup>(١)</sup> والشهوات ملاحظات الأغيار إلى مثل هذه من الحجب، فيحول بينه وبين إدراك الملكوت أعني عالم الغيب، فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه وجلاها بأنواع الرياضات، والمجاهدات حتى زال عنها كل حجاب، واجتمع نورها مع النور الذي ينبسط على عالم الغيب، وهو النور الذي يتراءى به أهل الملكوت وهو بمنزلة الشمس في المحسوس، اجتمع عند ذلك نور عين البصيرة مع نور التمييز فكشف

(١) الريون، جمع: ران، وتقدم شرح معناها.

المغيبات على ما هي عليه غير أن بينهما لطيفة معنى، وذلك أن الحس يحجبه الجدار والبعد المفرط والقرب المفرط، والأجسام الكثيفة الحائلة بينه وبين من يريد إدراكه وهذا لقصور عادة، وقد تنخرق لنبيّ أو وليّ كقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «إني أراكم من وراء ظهري»<sup>(١)</sup>.

ومن الأولياء ابتداء المكاشفات لهم في أول سلوكهم فإن المرید أول ما يكشف له عن المحسوسات فيرى رجلاً مقبلاً أو على حالة ما وبينهما البعد المفرط والأجسام الكثيفة بحيث أن يراه بمكة أو يرى الكعبة وهو بأقصى المغرب، وهذا كثير عند المريرين في أول أحوالهم ذقت ذلك ولله الحمد. ثم ينتقلون عن ذلك إن كانوا من أهل العناية والاختصاص بالوراثة النبوية وإن بقي عليهم ذلك أعني خرق العادة على الدوام فهم المعبر عنهم بالبدلاء وإن تخللهم ذلك في وقت دون وقت فهو إما وارث، وإما عابد صاحب فترات، وأما عالم البصيرة فلا. إذ عالم الغيب ليس بينه وبين عين البصيرة مسافة ولا بُعد ولا قرب مفرط وحجابه إنما هو الران والقفل والكن وقد ارتفعت المجاهدات فلاحت أعلام الغيوب. لكن ثم أمر تذكره وهو إن تجلّت عين البصيرة كما ذكرناه، فإن ثم حجاباً آخر إلهياً وهو أن النور الذي ينسبط من حضرة الجود على المغيبات في الحضرات الوجودية ليس يعمها إلا على قدر ما يريد الله - تعالى - أن يكشف لك منها مع أنك في غاية الصفاء والجلاء وذلك هو مقام الوحي، دليلنا على ذلك لأنفسنا ذوقنا له ولغيرنا قوله تعالى: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾<sup>(٢)</sup>. غاية الصفاء النبوي فكيف بالوليّ الذي ما فتح له من الطريق خُوت<sup>(٣)</sup> إبرة فهذا هو الحجاب الإلهي وهو في الكتاب العزيز: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب﴾<sup>(٤)</sup>.

فقلوه: ﴿أن أتبع إلاّ ما يوحى إليّ﴾<sup>(٥)</sup> هو قدر ما يكشف له من عالم الغيب فيرى تأثيره في عالم الشهادة فيتكلم به على ذلك الحد فنقول: يكون كذا ولا يكون كذا وعاقبة أمر ما إلى كذا على قدر الكشف، وهذا الحجاب الإلهي لا يمكن رفعه عقلاً ولو بلغ المرء أعلى الغايات

(١) حديث: (إني أراكم من وراء ظهري). رواه عمرو خالد عن زهير عن حميد عن أنس عن النبي (ص) انظر الجامع الصحيح المختصر ج ١ ص ٣٥٤. مسند أبي يعلى ج ٦ ص ٣٨٢.

(٢) الآية رقم (٩) من سورة الأحقاف.

(٣) (الخزوت)، و(الخزوت): الثقب في الأذن، والإبرة، والفأس، وغيرها.

انظر: اللسان. مادة (خزوت).

(٤) الآية رقم (٥١) من سورة الشورى.

(٥) الآية رقم (٩) من سورة الأحقاف. استكمال جزء الآية قبل السابقة.

بدليل أن الحجاب إنما هو العلم الأزلي المتعلق بمعلومات غير متناهية، وكلما حضره الوجود فهو متناهٍ ولا تكشف عين البصيرة إلا ما دخل في الوجود بوجه ما من أوجه مراتب الوجود فلا حجة لك في قوله - تعالى - ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿ما نفدت كلمات الله﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿نفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾<sup>(٣)</sup> وذلك لعدم التناهي، فإذا تقدر هذا وصح لنا حد الكشف عن عالم الغيب فمهما ظهر ممن حصل في هذا المقام شيء من ذلك على ظاهره في حق شخص ما، فتلك الفراسة وهي أعلى درجات المكاشفة، وحظها من الكتاب المبين ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾<sup>(٤)</sup> وذلك لها علامات في الحس بينها وبين عالم الغيب ارتباط، وهذا عالم موقوف على الذوق خلاف الفراسة الحكمية فإنها موقوفة على التجربة والعادة، وقد لا تصدق وهذا لا سبيل عند أهل الشأن إلى تكذيبه فإنه نور الله - تعالى - فلا يعطي إلا الحقائق، هكذا تكون الفراسة الشرعية وسبب حصولها ما ذكرناه وقد جعل الله لعالم علمها علامات في ظاهر الموجودات كما جاء عن عثمان<sup>(٥)</sup> - رضي الله عنه - حين أخذ على الرجل في نظره إلى ما يحل له فقال له الرجل: أوحى بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»<sup>(٦)</sup>. رأيت ذلك في عينيك وهذه العلامات إنما هي حجب نصبها الله - تعالى - لأعين الغير لتأنيس القلوب الضعيفة واستمالتها حتى تطمئن ولو قال غير النبي إنما رأيت ذلك لما انبسطت نور اليقين على الكتاب الحفيظ فنظرت فعلق فيه فقضيت عليك محبة الأذان لُقُبِضت عنه النفوس مع صدقه في ذلك، فلما علقته بعلامات ظاهرة سكن القلب والخاطر الضعيف إلى ذلك مع قوة دليل الشرع في قوله: «اتقوا فراسة المؤمن». فاجتمع من ذلك بعض إيمان ومع ذلك قد يُتهم ويقال لعله كاهن أو صاحب رأي فالعمل كثيرة.

تبيه:

بقي لنا من الباب شيء في الغرض الذي قصدنا وهو تصحيح النسختين بالمقابلة في

(١) الآية رقم (١٢) من سورة يس.

(٢) الآية رقم (٢٧) من سورة لقمان.

(٣) الآية رقم (١٠٩) من سورة الكهف.

(٤) الآية رقم (٨٥) من سورة الحجر.

(٥) عثمان بن عفان) رضي الله عنه ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو عبدالله وأبو عمر، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، ولد بعد الفيل بست سنين على الصحيح. وزوجه النبي (ص) ابنته رقية وماتت عنده في أيام بدر، فزوجه بعدها أختها أم كلثوم فلذلك كان يلقب ذا النورين. انظر الإصابة ج ٢ ص ٥٦١.

(٦) تقدم تخريج هذا الحديث أول الباب.



الفراسيتين الشرعية والحكمية، وذلك أن للقائل أن يقول إذ ولا بد عندكم من المقابلة فأين حَظُّ الأشقر والأزرق، والعظيم الأنف والمعتدل الكحول من هذه الفراسة الشرعية؟

فنقول: سألت سؤال عارف ونحن - إن شاء الله - نلخصه لك تلخضة بأيسر شيء، وإنا نظرنا إلى الفراسة الحكمية، فرأينا أربابها والقائلين بها والقاطعين بحكمها راجعين إلى طرفين وواسطة، وقسموا الأشياء إلى محمود ومذموم، فجعلوا الخير كله والمحمود في الوسط، وجعلوا الدم والشر في الطرفين فقالوا في الأبيض الشديد والأشقر الأزرق ما سمعت من الدم وأنه غير محمود، وكذلك الأكلح الشديد السواد، والرقيق الأنف جداً مذموم كل هذا، والمعتدل بينهما الغير مائل إلى أحد الطرفين ميلاً كلياً هو المحمود على حسب ما تقدم في الفراسة الحكمية، فلما رأيناهم قد حصروا هذه الأشياء وقصروها على هذا القدر نظرنا ذلك في هذا العالم أين ظهر الحسن والقبيح، فقلنا: لا حسن ولا قبح إلا شرعاً على هذا قام لنا الدليل، فلما رأينا أن الحمد والدم على الفعل من جهة ما شرعاً نظرنا كيف نجتمع طرفين وواسطة نجعل الطرفين مذموماً ونجعل الواسطة محموداً الذي هو محل الاعتدال.

فنقول: الإنسان لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة بالنظر إلى الشرع، وهو إما أن يكون باطنياً محضاً وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالاً وفعلاً، وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرائع وقلب أعيانها، وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة من قواعد الدين فهو مذموم بإطلاق - عصمنا الله وإياكم من ذلك.

وإما أن يكون ظاهراً محضاً متغلباً بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم، والتشبيه فهذا مثل ذلك ملحق بالدم شرعاً وإما أن يكون جارياً مع الشريعة على فهم اللسان حيث ما مشى الشارع مشى، وحيث ما وقف وقف وهذا هو الوسط وبهذا يصح محبة الله له قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يَحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فباتباع الشارع صحة محبة الله وغفران الذنوب وحصلت السعادة الدائمة، فهذا - أعزك الله - وجه مقابلة التسخين.

فإن قال قائل: سلمنا هذا التقابل وهو صحيح فكيف نميزه من الإنسان على التعيين.

وإذا رأيت رجلاً ساكناً يشهد الصلوات والجماعات وهو مع ذلك منافق؟ قلنا: قد تقدم مكان هذا في الباب ولكن لا بد أن نجيبك على ما سألت، وذلك أن السكون وشهود الصلوات وأشباههما من عالم الشهادة وكونه كافراً بها في سره فهو من عالم الغيب ونحن إذا تحصل لنا

(١) الآية رقم (٣١) من سورة آل عمران.

الفراسة الشرعية حكماً بكونه كافراً في نفوسنا، واتقينا ماله ودمه معصوماً شرعاً لظهور الكلمة التوحيدية<sup>(١)</sup>، فمعاملتنا على هذا النسق وما كلفنا غير هذا فهذا - وفقك الله تلخيص الفراسة الشرعية والحكمية قد أوضحتها لك غاية الإيضاح والتبيين - والله سبحانه - يوفق سيرنا للعمل بأسباب حصولها في نفسه ويحاييه بالوقوف عليها إنه القادر على ذلك والمليء به.

---

(١) في (ط): (كلمة التوحيد).

## الباب التاسع:

### في معرفة الكاتب وصفاته وكتبه

عليك بكاتب لبق، رشيق      ذكي في شمائله، حرارة  
تناجيه بطرفك من بعيد      فيفهم رجوع لحظك بالإشارة

الكاتب - وفق الله الإمام وسلك به حيث لا خلف ولا إقام موجود لطيف كريم شريف أصفق، عالم الغيب على شرفه، واعتلائه نجى إدريس النبي - عليه السلام. وهو أول من خط بالقلم، وهو صاحب جلاء القلب وغطائه ويده زمام منع الخير وإعطائه تجول بين سناه الباهر وسنائه ويتردد بين شعاعه وضياؤه، منفذ الأوامر على القرب، والبعده، عالم بسر من له الأمر من قبل ومن بعد، يغني ويفقر، ويشح ويؤثر سجله ذات النفس الكلية، وهي حرة الإمام الزكية الموصوفة بالمطمئنة الراضية المرضية. كتب في رقه المنشور العلوم البرزخية فعندما تظهر آثاره على صفحات قراطيس الأجسام عبر عن ذلك بنفوذ أمر الإمام ونحن إن شاء الله نذكر في هذا الباب صفة الكاتب والكاتب في فصلين. والله المؤيد لا رب غيره.

### فصل في الكتاب

اعلم - وفقك الله - أن الله تعالى جعل في المملكة الكبرى لوحاً محفوظاً وقلماً معلوماً علياً يمين مقدسة عن التأليف، والتعبير، فنفذ أمر الإرادة بالعلم من الحق إلى اليمين بتحريك القلم على سطح اللوح المحفوظ بعلم ما كان وما هو كائن، وما يكون وما لا يكون ولما أثبتنا هذا الكتاب على مقابلة النسختين ومقابلتهما على النشاطين أردنا أن نعرف أين الكاتب منا:

قلمي ولوحي في الوجود يمده      قلم الإله ولوحة المحفوظ  
ويدي يمين الله في ملكوته      ما شئت أجرى والرسوم حظوظ

(١) في النسخة (خ): (قد يتا أن نذكر).

فالكاتب صفة لطيفة علمية تسمى اليمين لها، عين ومادتها من عليين وهو مقام الأبرار، صاحبُ الشراب المزوج فإذا أراد الإمام أن يظهر أمراً من الملكوت في عالم الشهادة تجلّي للقلب فانشرح الصدر وذلك عبارة عن كشف الغطاء، فارتقم فيه مراد الإمام وذلك القلب هو مرآة العقل، فرأى العقل في مرآته ما لم يكن رآه قبل ذلك فعرف أنه مراد الإمام فاستدعى الكاتب فأطلقه على المراد وقال له: في ذات النفس كذا وكذا فإذا حصل في النفس خرج على الجوارح، فلماذا قلنا فيه إن شرابه ممزوج لأنه امتزج بعين المقربين وهو العقل فلماذا حصل له الشرف الكامل في حقه.

فإن قيل: ما مقام هذا الكاتب، العرش أو الكرسي أو بينهما وقد علمنا على ما قدرنا في مواضعنا أن الكرسي هو محل الفرقان وهو النفس قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾<sup>(١)</sup>، فهذا فرقان والكاتب مرتبته أن يكتب في محمود ومذموم على اختلاف الأحوال وليس مقامه بحيث كتابته فخر في كيف يتفق هذا؟ قلنا: قولك صحيح فاعلم أنه ليس من العرش إلى الكرسي مدح ولا ذم سوى علوم مقدسة وتنزلات نزيهة عن الانصاف والفرقان والعرش مقام الإمام والكرسي مقام النفس وهي محل التغيير والتطهير حالاً ومقاماً، فإذا نفذ الأمر إلى الكاتب فإنه ينفذ واحداً مقدساً لا يتصف بحمد ولا ذم، والكاتب إنما يكتب من الخزانة المحمدية وهي التي يغرق فيها كل أمر حكيم، فيأخذ ذلك الأمر من الخزانة المحمدية على ما وضع لمتعلقه فإن كان حمداً فهو ذاك فيحصل عند ذلك الكاتب علماً وعيناً لا حالاً ولا مقالاً، لأنه فوق ما يكتب، فما يصدر عنه إلا حسن فهو بذاته على الإرادة تصرفه في شغله التي هي الكتابة من الخزانة المحمدية فالذي حصل الأمر ورده أمرين إنما الرسول بذلك الأمر والمخاطب، فالكتابة من ظاهره، والكتاب من باطنه. فحقيقة الرسول هي الممدة لحال الكاتب في حاله ومقامه، وحاله أو حقه هو الممد له في رقومه وأفعاله، فهو فزق من حيث هو مشرف وهو واحد من حيث ذاته، وهذا كله ليس لنفسه لأنه لو أراد الله - تعالى - أن يبدله بالتقديس تغييراً، وبعليين سجيناً لما منعه من ذلك مانع لكن هنا سر نسوقه في معرض السؤال لترتفع الهمة إلى طلبه وهو أن نقول: أمِنَ المُحَال أن يُوجد هذا الكاتب في سجين حتى نقول إن بعض أبي جهل وغيره من الفراعنة في عليين أعني كاتبه، وحقيقته وبعضه في سجين، أو يكون المشتبه في حق المعتنى به فقدس كاتبه وحقيقته، وغير المعتنى به في سجين وإن كان محالاً ارتفاعه عقلاً فقد شقي الشقي بكليته فانظروا من كشف السر المستور وفتح هذا الباب المقفل من أنفسكم لا من غيركم!

(١) الآيتان رقم (٧، ٨) من سورة الشمس.

قلنا: فهذا الكاتب موجود شريف اصطنعه الخليفة لنفسه واتخذه سميراً لأنسه فمما يجب عليه أن يكون حسن الخلق صبوراً حمولاً للأذى كاتماً للأسرار الملكوتية فصيحاً بليغاً يستدرج المعاني الكثيرة في عبارات وجيزة تُبني عنها صريحاً لا يسوق نصاً في كتابه إلا في مقام يأمن عقابه فإن لم يأمن فليسق من الألفاظ في كتابه ما يحتمل معنيين فصاعداً حتى لو ظهر على الإمام في بعض كتبه شيء يعطيه أحد احتمالات اللفظ وكره الإمام ذلك عدل الإمام إلى الاحتمال الثاني الذي يحتمله ذلك اللفظ والله كثير العفو والتجاوز فإنه إذا دخله الاحتمال سقط كونه دليلاً على شيء معين فهذا من مهارة الكاتب وثقافته وأن يجمع بين اعتدال حروفه ومعانيه ولا يستعمل في كتابه إلا الألفاظ الصقيلة المعتادة الخطابية التي لها وقع في النفس وتعلق بالقلب وأن يبدأ في سجلاته بالحمد، والثناء والصلاة، ثم يأخذ في عدل الإمام وأوصافه الحسنة الشريفة ومقامه المنيف، ويرغب فيه ثم بعد ذلك يذكر ما أمر به فإن كان خيراً فهو المرغوب، وإن كان غير ذلك فقد قيل لأبي يزيد: يعصي العارف؟ قال: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾<sup>(١)</sup>.

واعلم يا أخي أن الكاتب إذا كان على ما ذكرناه فهو فرع باب الشريعة ومن ثم يحصل له ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله.

## فصل في الكتاب

ولما كانت اليمين الكاتبة افتقرنا إلى قلم أو دواة واستمداد ولوح يقع فيه الخط كالحق واليمين، والنون، والقلم الأعلى، واللوح المحفوظ، وهو ما مثل التخطيط في الحال، وارتقام<sup>(٢)</sup> الأمثلة في اللوح، ومثل ما يكون إيجاد العوامل الصادرة عن الأمثلة المرموقة في اللوح فافهم اللوح المحفوظ هنا ولوح المحو، والإثبات، وانظر كيف أثبتناه حاوياً لما لا يتناهى في رقمه، وكل ما دخل في الوجود متناه فابحث كيف لا يتناهى وما هو في العالم الأصغر، كالقطب، ولعله السر المرقوم في الصدر، وهو موضع يحتاج العارف الالتجاء في معرفته. فاللوح هو محل الكتابة فلنسميه الكتاب.

ونقول: إنه ينقسم قسمين: كتاب مرقوم، وكتاب مسطور قال الله تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿كتاب مرقوم﴾<sup>(٤)</sup>، فأقسم بالمسطور وأخبر عن المرقوم أنه في المحلين في

(١) الآية رقم (٣٨) من سورة الأحزاب.

(٢) في (خ): (أن تمام).

(٣) الآية رقم (١) من سورة الطور.

(٤) الآيات رقم (٧، ٨، ٩) من سورة المطففين ونصها: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب =

سجين وعلين، فالمسطور في عالم الأرواح والمرقوم في عالم الغيب والشهادة. ومن جانب الحقائق أن المرقوم هو المسطور عينه من جانب الكشف الصحيح، لكن لما لم يعاين منه الملائ الأعلی إلا الوجه الواحد الذي من قبلها وهو لعالم الأمر كان مسطوراً، ولما كان الإنسان قد جمع العلو والسفل أشرف على الوجهين. فكان له مرقوماً فما ولي الراقم فهو المسطور وهو الموضوع المشكل موضع انعقاد الخيوط وتداخل بعضها على بعض، وما ولي الأرض من الكتاب كان مسطوراً أيضاً ومرقوماً باعتبار الوجه الذي يلي الراقم في حق من شاهدهما فهذا المسطور الأرضي هو علم الفقهاء أصحاب علوم الأحكام المحجوبة قلوبهم يحجب الدنيا عن معاينة الملكوت. فالملائكة في المسطور من عالم الأمر العلوي، والفقهاء المحجوبون في المسطور من عالم الخلق السفلي، والمحققون في المرقوم بمشاهدة الوجهين فما ولي الأرض شاهده حساً وما ولي الراقم وهو ما فوق العرش في حق سر المحقق وما فوق السماء في حق بعض عوالم الأمر شاهده قلباً وِعقلاً ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾<sup>(١)</sup> تجلى لهم فخطبوه فخطبهم فأنحسبوا لماذا خرقوا الحجاب، وانعدمت في حقهم الأسباب نظروا إلى سر القدر كيف تحكم في الخلائق ولحظوا الأمر على مبدئه فإن شأؤوا صمتوا، وإن شأؤوا نطقوا فخطابه لهم كتابه في قلوبهم وهي الألواح المحفوظة المكتوب فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء وفيها يقرأون وعنهما يخبرون، وتلك الخواطر الربانية. فيا أيها السيد، تفتن لهذا الكاتب، فإنه وإن كان لك منصب الإمامة فله منصب الخطابة لا تستقل بها دونه فهو الإمام فيها لو حصلت معه فيها لخدمته، ولكن لإقامة الحق لك في الإمامة الإحاطية دخل هذا وغيره في حزبها فراع حرمة فهو صاحب طابعك والمخاطب عنك فتحجب إليه وإلا أفسد عليك ملكك، فإن الوزير مفتقر إليه، فغايتك وغاية وزيرك تدبير حضرة مسكنك وكتبه تمشي في باديتك بما يريد لا بما تريده أنت إن شاء ذلك.

واعلم، أن الحضرة لا معنى لها إلا بباديتها فإن فسدت البادية وثار عليك أدى ذلك إلى فساد ملكك وأنى لك بتلافيه فهو الأمين على الفجور والتقوى وملكك يقبل الصفتين معاً وقد نصحتك فالزم.

### توقيع رباني:

نفذ الأمر المطاع الإلهي إلى الخليفة الإنساني المبثوث فيه سر ألوهيتي بالتردد بين إيتي

= مرقوم. ﴿أما الآية (٢٠) من السورة نفسها أيضاً فيها الآيات (١٨، ١٩، ٢٠) ونصها: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي علين، وما أدراك ما علين، كتاب مرقوم﴾.

(١) الآية رقم (٢٣) من سورة سبأ.

وهوئتي وقد أبحت وجهي لمن أراده بلا إرادة، ومزقت الحجب تمزيقاً لا يقبل توقيعاً ولا تليفقاً، وفزعت عن القلوب فترينت بمعالم الغيوب فاعكف في حضرتي ساجداً فإنك لا تزال مشاهداً فإن الرؤية في السجود والحجاب في الوقوف فإني القيوم القائم على كل نفس بما كسبت، فافهم ما سطرته، وانظر فيما رسمته، فإنه لا خطاب في الرؤية، ولا رؤية في الخطاب، والسلام عليك سلام من لم ينفصل عنك ولا اتصل بك ورحمة الشهود وبركات الوجود.

### توقيع ملكي:

نقد الأمر الحتم إلى الملك الكريم انزل على قلب الخليفة الإنساني فإنك تجده على أحد ثلاثة أحوال: إما معي، أو مع نفسه أو مع عدوه إبليس، فإن وجدته معي فلا تُلَق إليه شيئاً مما أوقعت لك في هذا التوقيع فإني أتولاه بنفسي لا أكِل مَنْ تَوَجَّه إليّ وآثرني على كل واحد إلى غيبي فأنا أتولى سياسة قلب عبدي - فتأدب أيها الملك الكريم ولا تشعره بنزولك فيفرق ويبادر إليك لمعرفة بأنك من عندي من جهة أسمى فتواري عنه واحفظه من نفسه وشيطانه وجاهدتهما ما استطعت. وإن وجدته مع نفسه فأخطر له محادثة منك في سره من غير أن يشعر بك القرين العدو ولا النفس أن بأقل أنفاسك محسوبة عليك، وأوقاتك عليك شهداء، فإيتاك والمباح فتندم، وإيتاك والمحظور والمكروه فتشقى عليك بالحجة البيضاء وأداء ما افترض الله عليك وإذا أردت فعل مباح من المباحات من أكل وشرب ونوم وغير ذلك فلا تتناوله تناول العامة، فتندم أو تشقى، ولكن تناوله بتزنيه وعبادة.

أمَّا التزنيه: فأن تناوله برؤية نقصك، وافتقارك إلى الحق فيه، وتزنيه الحق عن حاجته كذلك كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾<sup>(١)</sup> فقد نبهك وعلمك.

وأمَّا العبادة: فأن تنظر في ذلك من جهة ما يليق فتتخذة عوناً على عبادتك كالأكل للقوة على أداء الصلاة والفرائض من جهاد وغيره<sup>(٢)</sup>، والنوم للقوة على قيام الليل، والنكاح لإنزال الشهوة ولكن لولد صالح، أو اعتصام عن موقعة محرم، والفرجة للاعتبار وإماطة الأذى وإرشاد الضال وإغاثة الملهوف وما أشبه ذلك، فهذه خواطر الملك بالتوقيع الإلهي.

### توقيع نفساني:

نقد الأمر الإلهي الذي لا يرد إلى النفس البرزخية أخطري إلى الخليفة الإنساني أن يفعل ما فيه راحته في الدنيا ولا طلب عليه في الأخرى ولا له فيه أجر عندنا، فإن أجابك فهو لك لا

(١) الآية رقم (١٤) من سورة الأنعام.

(٢) في (خ): (ومن غيره).

لي، وإن أعرض عنك فهو لي لا لك، أو لمن هو له على حسب وقته وإنك ستجده على إحدى ثلاث: إما معي، أو مع الملك، أو مع الشيطان، فإن وجدته معي فتعرضي إليه فإنه يصير فراغك شغلاً، ويرفع حجابك وتسعدين به أو إن وجدته مع الملك فتأديي وقفي حتى ينفصل الملك بالنوم أو بالغفلة والسهو وحينئذٍ تخطرین له ذلك، وإن وجدته مع الشيطان فراحميه وحولي بينهما وآتیه باللازمة ولا يغلبنك عليه، وامض في سلطانك فيه وكيديه فإن كيده ضعيف واثبتني على ما جئته به ولا تتنوعي عليه فإنه سيعود إليك.

### توقيع شيطاني:

نقد الأمر الإلهي الإرادي لا الأمري، انزل على الخليفة الإنساني بتعدي الحدود، وانتهاك المحارم والكفر أو الشرك، والبغي والحسد والفحشاء، وعبادة غيري، فإن توقف لك في أمر ما فاعدل عنه إلى أمر آخر ولا بُدَّ لك أن تجده على إحدى ثلاث:

إمّا معي، أو مع المَلَك، أو مع النفس، فإن وجدته معي فانظر أي باب هو، وفي أي اسم وانزله في مملكته التي ملكتك إياها من عالم الخيال من جنس الحقيقة التي هو معي فيها، حتى تري عصمتي لأوليائي وحفظي لهم، وغيرتي عليهم كيف هو، فإذا نزل إلى أفعالي، وصفاتي فألق له مما في توقيعك، فإن قبله فهو لك في ذلك الوقت ثم يتوب فيحوز وزره عليك تعذب به في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، وإن أشرك فهو لك، وعذابه عليه وعليك.

وإن وجدته مع الملك فحاربه فإن غلبته بقيت أنا فإن خذلت عبيدي ملكتك ناصيته، وإن نصرته فأمران: إما أن لا يقبل منك وإن قبل: قلب عينها فعاد ما نصبت له بعداً قرية إليّ وصار<sup>(١)</sup> كيدك عليك وإن وجدته مع النفس فزين لها العاجلة وابسط لها الأمل فإن استقلت به فالقه فإنه عبد مطيع لك في الحال وأنا معه بين الخذلان والنصرة احكم بعلمي فيه، وأنا العليم القدير.

فهذا أيها السيد الكريم توقيعات الحق في الوجود المعبر عنها بالخواطر قد أوضحت لك مكائنتها. وإن كاتبك من أعرف الناس بها وهؤلاء الثلاثة تحت تسخيرها والحق - تعالى - يجيبه فقد حاز العلم الإحاطي والمقام فاعرف قدره ولا تنزل به عن درجته فإن هذه التوقيعات بيده، وأمرها لا يرد، وما أتى على الملوك قديماً إلا من مجالسها ولا تغير حالها إلا من بسائطها فتفقد بساطك الكريم وميز بين الولي والعدو فيه بفعلك معه والإحسان في الجملة مقيد ومسدد يذهب بالضغائن ويزيل الحقد ويثمر المودة والغيرة والسلام.

(١) في النسخة (ط): (وجان).



## الباب العاشر:

### في المسددين والعاملين أصحاب الجبايات والخراج

اعلم أيها السيد الكريم حفظ الله سلطانك عليك أن الله تعالى قدر في الموجودات بعضها على بعض، وجعلها رئيسة مرؤوسة، ومالكة مملوكة وأن الله - تبارك وتعالى - يطالبك يوم القيامة بالعدل في رعيته باديتها وحاضرتها، وأن سيسألهم عنك كما قال: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾<sup>(٢)</sup> يعني بها وقال: ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾<sup>(٣)</sup>، وقال بين الحقائق: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾<sup>(٤)</sup> وأمثال هذا.

فالعين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج والرجل من عمالك وأمنائك من أهل باديتك وكل واحد منهم رئيس وخازن على صنف من أصناف المال الذي تجبیه، ورئيسهم وإمامهم الحس الذي ترجع إليه هذه الحواس كلها بأعمالها وأن الحس برئاسته ومملكته مرؤوس تحت سلطان الخيال، والخيال بما فيه من صحة وفساد مرؤوس تحت سلطان الذكر والذكر مرؤوس تحت سلطان الفكر، والفكر مرؤوس تحت سلطان العقل، والعقل وزيرك وأنت الرئيس الإمام المعبر عنه بالروح القدسي.

والذي ينبغي لك أيها الإمام الكريم إذ لا تتمكن أن تباشر الأشياء بنفسك أن تجعل الأمر متحداً فتنظر في أمين ثقة قوي الجأش، ينظر في استخراج هذه الجبايات من أيدي الرعية على

(١) الآية رقم (٣٦) من سورة الإسراء.

(٢) الآية رقم (٢٤) من سورة النور.

(٣) الآية رقم (٢٠) من سورة فصلت.

(٤) الآية رقم (٢٢) من سورة فصلت.

طريق العدل والسياسة فإنك لا بقاء لك دون بيت مال ولا غنى عنه ألبتة وأنت مطالب بجميعها تطلبك الرعية بالرفق، وحسن المعاشرة، ويطلبك من استخلفك بامتثال الأمر وتمشية العدل فاحذر هذين المقامين ولا تولي مسدداً ولا عاملاً إلاّ عارفاً بقدر ما له وعليه شحيحاً، وليكن واحداً فإن الكثرة تؤدي إلى الفساد في الأمر الواحد، فإنك إن وليت أكثر من واحد طلب كل واحد منهم الجاه عندك والظهور على صاحبه فيظهرون الاجتهاد والرعية ضعيفة وربما حملوا عليها ما لا تحمله فيكون ذلك سبباً إلى قطعهم وهلاكهم فالذي تفسده بهذا النظر أكثر مما تصلحه، وقد قال عليه السلام: «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى». وقال: «من يشاد هذا الرسم يغلبه»<sup>(١)</sup>. وقال: من استخلفك: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾<sup>(٢)</sup> فصم وافطر، وقم، ونم وقد اخترت لك مسدداً لن تقدم خيراً ما دام معك، وقد نظرت له في وَرَعَة<sup>(٣)</sup> يمشون معه فابعثه على هذه الجباية بوزعته فإنك تحمد سيرته وتشكر بصيرته ألا وهو العلم ووزعته الثبات، والاقتصاد، والحزم، والرفق، فإنه إذا دخل إلى عمالتك مع وزعته أقام ميزان العدل وحسن السياسة فإنه نافذ البصيرة يعرف خبث الرعية ومكائدها فيأخذ ما يجب له، ويكلف على قدر المصلحة والوسع، ولم يتجاوز فاعتمد عليه وأمره على من ذكرناه من الرؤساء من أصحاب الخراج فإنك تحمد عاقبته إن شاء الله تعالى.

(١) حديث: (من يشاد هذا الدين يغلبه) رواه بريدة عن النبي(ص). انظر مسند الشهاب ج ١ ص ٣٤٧ حديث ٣٩٨.

(٢) الآية رقم (٢٩) من سورة الإسراء.

(٣) وَرَعَة: يقال وَرَعَهُ وَرَعَهُ وزعاً فهو وازع، إذا كَفَّهُ ومنعه. ومنه الحديث: إن إبليس رأى جبريل عليه السلام يوم بدر يزع الملائكة أي يرتهم ويسويهم ويصفهم للحرب فكانه يكفهم عن التفرق والانتشار (النهاية في غريب الأثر ج ٥ ص ١٨٠).

## الباب الحادي عشر: في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهية

في رفع الجبايات إلى الحضرة الإلهية ووقوف الإمام القدسي عليها ورفعها إلى الملك الحق سبحانه.

أعلم أيها السيد الكريم إعلام تنبيهه، لا إعلام تعليم أن الله - سبحانه وتعالى - هو ملك الأملاك، ورب الأرباب، وسيد السادات والكل عدم بوجوده إذ هو الموجود على الإطلاق الذي لا بداية لوجوده، ولا نهاية لبقائه، ولا ظاهر ولا باطن في علمه في حقه بل الأشياء كلها قديمها وحديثها، أولها وآخرها أسفلها وأعلاها إنما ظهرت به، وإنما رجعت إليه منه لا يخرج شيء منه إلا إليه فجميع أعمالك كلها خفيها وجليها هو سبحانه مطلع عليها فلا يطلع لك على ما يكرهه منك ولا يجدرك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك وأنت سميع مطيع.

أيها السيد الكريم؛ تعين علينا التنبيه على كيفية وصول جباياتك إليك من الحضرة القلبية والحسية ومنك إلى الله - تعالى - أما الحضرة الحسية فإنها تجبي المحسوسات التي ذكرناها والخيال أميرها وصاحب خواجه الحس، فتأخذ الحواس جميع المحسوسات على اختلاف أصنافها، وتؤديها إلى الحس صاحب الخراج فيدفعها في خزانة الخيال فتكتسب هناك اسماً من جنس ما رفعت إليه، وزال عنها اسم المحسوسات وانطلق عليها اسم المتخيلات، ثم يكون الخيال أيضاً صاحب خراج تحت سلطان الذكر فيحفظها وتنقل هنالك اسم المتخيلات عنها إلى المذكورات والمحفوظات ثم يرجع الذكر صاحب خراج تحت سلطان الذكر فيعرضها عليه فيسيرها ويخلصها ويسأل الرعية عنها ويفرق بين الحق والباطل في ذلك فإن الحس له أغاليط كثيرة وينتقل لهم اسم المذكورات عنها إلى المتفكرات فإذا سبرها ورد منها إلى الحس ما غلط فيه وأخذ منها ما صح، ورحل به إلى حضرة العقل صار الفكر صاحب خراج تحت سلطان العقل، فلما وصل إلى حضرة العقل دخل عليه، وعرض عليه ما جاء به من العلوم والأعمال

مفضلة هذا عمل السمع، هذا عمل البصر، هذا عمل اللسان حتى يستوفي جميع ذلك، وينتقل اسمها إلى المعقولات فيأخذها العقل الذي هو الوزير ويأتي به إلى الروح الكلي القدسي، فتستأذن له النفس الناطقة فيدخل فيضع جميع المعقولات بين يديه.

ويقول له: السلام على السيد الكريم والخليفة هذا وصل إليك من بادية حضرت على يدي عمالك فيأخذها الروح فينطلق حضرة القدس فيختر ساجداً، وتلك السجدة قرب، وقرع لباب الحق حضرة القبول فيفتح فيرفع رأسه فتقع الأعمال من يده للدهش الذي يحصل له في ذلك التجلي فينادي من جاء بك فيقول: أعمال فلان ابن فلان الذي جعلني سلطانك خليفة عليه قد رفع إليّ جميع الخراج الذي أمرتني بقبضه من بادية الحضرة فيقول الحق: قابله بالإمام المبين الذي كتبه قبل أن أخلقه فلا يغادر حرفاً واحداً، فيقول: ارفعوا زمامه في عليين فيرفع، فهذا في سدره المنتهى. وأما إذا كان في تلك الأعمال مظالم وما لا يليق فلا تفتح لها أبواب السماء، ومحل وصولها الفلك الأثير وهناك يقع الخطاب كما وقع في الأول، ثم يؤمر بها فتودع في سجين قال: ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾<sup>(٢)</sup> ويقول الحق للروح القدس في سدره المنتهى: (يا عبدي هذه الأعمال رفعتك إلينا، وأحلتك هذا المحل الأسنى، انظر أخاك وصاحبك دون السماء فينظر إليه فيعرف منه الله عليه فيشتغل بالجنة عن المشاهدة، فيقول الحق: قد شغله فضلي عني، فيحتجب). ولولا هذا ما صح أن يزول من تلك الحضرة، ولكن قد جعل الله لكل شيء سبباً لتتم الكلمة قال تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾<sup>(٤)</sup>.

وانتقل اسم الأعمال عندما وصلت إلى الروح من المعقولات فأطلق عليها الأرواح وكساها سبحانه، لما نظر إليها، حلة البهاء، وأقعداها على منبر الجلال، ونقل اسمها من الأرواح إلى الأسرار فهذا معنى قول القائل: تزكو الأعمال أي تنظهر أو تنمو فتنتقل عليها الأسماء بانتقالها وهي واحدة في ذاتها فانظر ما أشرف حركة العبد في الطاعة وهناك يجتمع الظاهر، والباطن، والشريعة والحقيقة، وعمل الجوارح وعمل القلوب أعني في حضرة العقل، وأما أعمالك السيئات فإنها تفرق من الصالحات في خزنة الخيال، ومن العالم العلوي في الفلك الأثير.

فعليك أيها السيد بهذه الأعمال التي تخترق السموات العلاء. وأما العلوم، فليست من

(١) الآية رقم (٧) من سورة المطففين.

(٢) الآية رقم (١٨) من سورة المطففين.

(٣) الآية رقم (١٧١) من سورة النساء.

(٤) الآية رقم (١٠) من سورة فاطر.

الأعمال التي ذكرناها فإن العلوم بحيث معلوماتها، فإذا صعّدت المعارف وقفت كل معرفة بمعرفها فاجعل عملك بالله يكون علمك مقدساً منزهاً عن النقائص، ولله الحمد ولله در القائل:

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه      فكان بلا كون لأنك كنته

## الباب الثاني عشر:

### في السُّفراء والرسل المتوجهين إلى الثائرين بمدينة البدن

اعلم أيها السيد الكريم أن الحكمة أعطت<sup>(١)</sup> عقد من غلب عقله<sup>(٢)</sup> على شهوته من الملوك أنه لا يوجه رسولاً إلى عدو من أعدائه، إلا إذا فطنة وذكاء، وشجاعة، ووفاء، وسخاء وصدق، وديانة، وأمانة، وعلم بالحجة، ومواقع الكلام فإن الرسول دليل على مرسله ومنزلته، فإن كان على هذه الأوصاف عُلِمَ أن مرسله بهذه المثابة وأعلى، فإنه لولا عِلْمَ من أرسله وعقله لما ميّر هذا الرسول من غيره، وإن كان بضد ما وصفنا كاذباً، خائناً، كثير الهوس، سخيلاً علم أن الذي أرسله أسخف منه.

فإذا تقرر هذا فلتكن رسلك أيها السيد إلى الهوى الملك المطاع الثائر بمدينتك التوفيق، والهدى، والفكر، والاعتبار، والتدبر، والثبات، والقصد، والحزم، والاستبصار، والتذكر، والخوف، والرجاء، والإنصاف وما شاكل هذه الأوصاف، فهذا ينبغي أن تكون رُسلك فأفصح، وريح، وعظم ملك كانت رسله هؤلاء إلى أعدائه فإنه يعلم الضرورة أنهم يجمعوا عدوه بالحجة القاطعة، وربما أسلم ويرجع الهوى الذي كان يقصد الشر يقصد الخير، وتكفي مؤونة المقابلة والمقاتلة، فإن قدمت رسل الهوى الذي هو الثائر عليك والساعي في فساد ملكك فلا تُغْلِظْ عليهم فإن إهانة الرسل من عدم السياسة، ورسله الحرص، والكذب، والخيانة والغدر، والجبن، والبخل، والجهل، والشرة، والعي والبلادة وما شاكل هذا الصنف فمن جاء منهم إليك فلا تنفر عنهم ابتداء ولا تنهرهم وقل لهم قولاً كريماً فإنك تأخذ بأسماعهم وأبصارهم واقعد على سرير ملكك واخل لهم مجلسك وأمر وزيرك العقل يترجم لهم عنك فإنه سؤوس فإن كان الحرص من جملة الرسل وتكلم فإنه لا يتكلم إلا بحقيقة فيقول لك إن هذا الملك المطاع الذي اسمه

(١) في النسخة (ط): (قد أعطت).

(٢) في النسخة (ط): (غلب عليه عقله).

الهوى قد أرسلنا إليك لتدخل تحت سلطانه وإلا فتأذن بحرب وقد أمرك بأن تحرص على جمع الأموال والادخار، ومخالفة ما جاءت به الشريعة فتقول له أيها الرسول، مكانتك عندنا عظيمة ومنزلتك كريمة فإنه إذا سمع هذا منك، سُرَّ به فإنه لا يسمع مثل هذا من سلطانه ولكن أيها الرسول انظر هذا بفعلك وانصف من نفسك ما تقول في الله هو ربنا أم لا؟ فيقول: نعم هو ربنا، فتقول له: أيها الرسول هذه الدار التي نحن فيها نحن راحلون عنها أم لا؟ فيقول: بلى راحلون عنها، فنقول له: انقلابنا ورحلتنا إلى الله أم إلى غيره؟ فيقول لك: [إلى الله. فتقول<sup>(١)</sup>] بماذا وصف من خالف شرعه ودينه؟ فيقول: بالشقاء. فتقول له: ومن أطاعه؟ فيقول: بالسعادة، فتقول له: وهل يغني عنك أحد من الله شيئاً؟ فيقول: لا، فتقول له: أنت أيها الحرص رسول هذا الهوى تعلم أنني أدعو إلى ما فيه مرضاة الله هيك تحرص على طلب المال هل يصح لك منه إلا ما كتب لك ولو لم تحرص؟ فيقول: نعم، فتقول حقيقتك باقية أيها الحرص ولكن اصرفه إلى الطاعات ومرضاة الرب، واحرص عليها تسعد بها، ومتاع الدنيا قليل ومع قتلها فإنها فانية والدار الآخرة خير وأكبر وأنت احرص هنا ما انتقص لك من منزلتك فيقول: نعم، ويتوجه الحرص على طريق العلم والدين فيقوى ملكك ويضعف ملك الهوى وهكذا تفعل مع كل رسول منهم مثل الخيانة، والكذب والفجور إلى آخرها.

ولولا التطويل لذكرنا كيف تقام الحجج على كل رسول منهم بما تقتضيه منزلته حتى يسلم الكل فإن الإسلام هو الأصل فيرجعون إلى أصولهم، بخلاف رسلك فإنهم لا يرتدون عليك أبداً وغايتهم أن لا يقبل الهوى كلامهم فينصرفون خائبين، فاعرف هذه الحقائق وقد بينت لك كيف تكلم ارسال عدوك، ومن ذلك الواحد فتستدل على ما بقي ولهذا ترى المريدين اليوم يقل كلامهم بعدم محاضرة مثل هذا المجلس، وإنما هم يغلظون بالقول على هؤلاء ارسال من غير سياسة فلماذا تراه له دخول في طريق الخير وليس له ثبوت ويسخر منه الشيطان وهنا حقائق متسقة لا ينحصر بابها فتركنا الخوض فيها مخافة أن يتخرق علينا ما يخرجنا عن مقصودنا من الاختصار، وهذا القدر كافٍ فاستعمله<sup>(٢)</sup>.

(١) ما بين المعقوفتين سقط من (خ).

(٢) في النسخة (ط) خاتمة زائدة [والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه].

## الباب الثالث عشر: في سياسة القواد والأجناد ومراتبهم

اعلم أيها السيد الكريم أن الأجناد هم الأعمدة التي يقوم عليها فسطاط الملك، والأوتاد الذين يسكونه واعلم أن الملك بيت فلا بد له من أربعة أركان تمسكه وأنا أبينها لك إن شاء الله. وهي أوصافك المحمودة وخلقت الرفيعة فلتصطف منهم أربعة خواص يدور عليهم أفلاك مملكتك، ورحى سلطانك وما بقي من الأجناد فتحت أمر هؤلاء الأربعة فينحصر لك النظر فيهم وهم يدبرون ملكك وكل واحد بطائفة معلومة، وإنما جعلناها أربعة لأمرين:

**الأمر الواحد:** أن الأربعة أصل الثاني من البسائط العديدة والبسائط أصل في تركيب الأعداد إلى ما لا يتناهى، وذلك أن ببسائط العدد من واحد إلى عشرة، وليس في البسائط من يجمع العشرة إلا أربعة، فإن الأربعة حقيقتها أربعة وفيها الثلاثة فكانت سبعة وفيها الثنتان فكانت تسعة، وفيها الواحد، فكان العشرة وليس في العدد عدد يتضمن العشرة غيره فلهذا اصطفيناه لتضمنها هذه الحكمة، وعملها قوي ما بقي بالقوة فعلمنا أن الأربعة يقومون بالملك ولهذا كانت حملة العرش ثمانية كما قال تعالى، وهم اليوم أربعة كذا قال - عليه السلام.

ولهذا قال - تعالى - لما وصف يوم القيامة ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾<sup>(١)</sup> فقال: يومئذ يشير إلى يوم القيامة.

ووجدنا ملك هذا العالم الحيواني وهو ملكك قد قام على أربعة طبائع، والعالم الكبير قد قام على أربعة عناصر، وهذا باب الأربعين والأربع باب واسع يخرجنا إيرادك عن المقصود في الفائدة.

وأما الأمر الآخر: الذي لأجله أمرناك أن تختص أربعة لأن الجهات التي يدخل عليك الخلل

(١) الآية رقم (١٧) من سورة الحاقة.



منها ويفسد ملكك أربع جهات: اليمين، والشمال، والخلف، والأمام فمن ثم يأتيك الخلل قال الله - تعالى - ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم، ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾<sup>(١)</sup>. ولم يذكر أكثر ولا يصح فإنه ما بقي إلا الاثنين الفوق والتحت، فأما التحت فإنه يدعو، وأما الفوق فهو محل طريق التنزل الإلهي فلا تقربه لئلا تهلك هو طريق القضاء والقدر الذي اختص الله به فلا مدخل لمخلوق فيه، فينبغي لك أيها السيد الكريم أن تنظر في هذه الجهات الأربع التي يدخل عليك الفساد منها وتجعل على كل جهة منها واحداً من هؤلاء الأربعة بأتباعهم وأجنادهم يحمون الملك وتعيش هنيئاً في عافية آمناً، فإن عدوك جبان، لا يقوى على القتال، وإنما يطعم في الغدر فإذا جعلت المراقبة عطايا هؤلاء الأربعة صلح أمرك ومهما جاءك العدو من أي ناحية وجد من يمنعه من الوصول إلى مراده فيك فلتجعل الخوف عن يمينك، والرجاء عن شمالك والعلم من بين يديك، والتفكر من خلفك، فإذا جاءك العدو من عن يمينك وجد الخوف بأجناده ولا يستطيع معه دفاعاً، وكذلك ما بقي.

وإنما رتبنا هذا الترتيب لأن العدو إنما يأتي من هذه الجهات فخصصنا الخوف باليمين وذلك أن اليمين موضع الجند، والشمال موضع النار فإذا جاء العدو من قبل اليمين إنما يأتي بالحنة العاجلة وهي الشهوات واللذات فيزينها له ويحببها إليه فيعرض له الخوف فيدراه عنها ولولاه لوقع فيها، وبوقوعه يكون الهلاك في ملكك فلا يجب أن يكون الخوف إلا في هذا الموضع فلا يستعمله في غيرها من الجهات فيقع اليأس والقنط ومن الحكمة وضع الأشياء في مواضعها، فالخوف للإنسان كالعدة للجندي، فلا يأخذها إلا عند مباشرة العدو، أو يتوقى نزوله، وإن أخذها في غير هذا الموطن سخرية وكان سخيلاً جاهلاً. وإن أتاك العدو من جهة الشمال فإنه لا يأتيك إلا بالقنوط والإياس، وسوء الظن بالله - عز وجل - وغلبة المقت لبوقوع بك فتهلك، فيقوم لك<sup>(٢)</sup> الرجاء بحسن الظن بالله فيدفعه ويقمعه. وكذلك إذا أتاك من بين يديك أتاك بظاهر القول فأذاك إلى التجسم والتشبيه فيقوم له العلم فيمنعه أن يصل إليك فهذا فيكون من الخاسرين.

وكذلك إذا أتاه من خلفه أتاه بشبه وأمور من جهة الخيالات الفاسدة فيقوم التفكير فيدفعه فإنه إن لم ينفك ويبحث حتى يعثر على أن تلك الأشياء شبهات وإلا هلك ملكك ولا سبيل إلى العدو في قتال هذه المدينة التي هي سلطانتك إلا من هذه الأربع الجهات فإذا رتبت هؤلاء

(١) الآية رقم (١٧) من سورة الأعراف.

(٢) في النسخة (خ): (فيقول له الرجاء). وبقية الصياغة في (خ) في هذا الجزء صاغها على ضمير الغائب وهي هنا على ضمير المخاطب وسأترك بقية الكلام على ما في النسخة (خ) فليلاحظ ذلك، بعد الثلاث جمل التالية.

كما ذكرت لك امتنع بلدك واحتمى، ولم يستطع العدو مدافعتهم فإن زدت ولا بد على هؤلاء فلا تزد على العشرة يكونوا في بساطك تلقي إليهم وإنما جعلناهم عشرة من أجل حفظ العقائد فإن الحدود عشرة التي هي رأس تنزيه الحق وهي: أمام، وخلف، ويمين، وشمال، وفوق، وتحت، وقبل، وبعد، وكل، وبعض. فمن نزه ربّه عن هذه الحدود التي مدار السلامة عليها وبقاء الملك في دار البقاء فقد نزهه ونال السعادة الأبدية فإن غرض العدو في هدم قاعدة من قواعدها التي ذكرناها فاحذروا واجعل تحت أيدي هؤلاء القواد من الأجناد ما يحتاج إليه وتخصه بحد ما من هذه الحدود لكل حد أمير بأصحابه يقف عنده بنقبائهم وعرفائهم فإذا جاء العدو سهّل عليك المرام ونظرت من أي ناحية وصل فتدعو بالأمير الذي في تلك الناحية وتأمره في البروز، فإنه يكفيك همه، وهكذا في جميع النواحي فتحقق أيها السيد الكريم ما رسمنا وحافظ على هذا الترتيب تسعد وتغبط إن شاء الله تعالى.

## الباب الرابع عشر:

### في سياسة الحروب وترتيب الجيوش عند اللقاء

عليك أيها السيد الكريم بالمحافظة على ذاتك الشريفة فاقصد أنزه موضع عندك واحصنه فالزمه، واجعله موضع سكنك ألا وهو الكرسي موضع القدمين وذلك المنزل هو دار السنة وحصن الشرع الحامي المانع العالي الذروة ولا تباشر الحروب بنفسك فإنك إذا هلكت هلك ملكك، وإن بقيت في حضرتك وتوجه لمباشرة الحروب بعض قوادك، وأمرائك الذين ذكرناهم ورتبناهم لك فإن هزمه أبقيت أنت وبقي ملكك وعندك من الرجال والأجناد بما تمدهم ألا ترى إذا يبس الفرع فانقطع وهلك ملكه جبره الأصل وتفرعت الشجرة فإن هلك الأصل فسدت الشجرة كلها فالملك أصل ملكه في بقاءه وعدله بقاء ملكه وبهلاكه وجوره هلاك ملكه.

والدولة جسم روحه الملك فمتى هلك الروح هلك الجسم وإذا انفسد في الجسم شيء والروح باقي أصلحه الطبيب والتدبير هو طبيبك، فحافظ على نفسك ولا تباشر بها عدوك.

مكيدة: إذا نزل بك عدو والتقى الجمعان فقف على ساحل العلم ثم اضرب بعصى الهمة متى ذلك البحر العلمي فإذا انفتح لك طريق فادخل فيه فإن عدوك سيقفوا أترك، فإن العلم باب الرياسة والعجب والشيطان يطمع فيه، فإذا توسط العدو بحر العلم خلقت فإنه ضرورة ينطبق عليه فيغرق من غير قتال ولا خداع<sup>(١)</sup>.

ولهذا قال بعض العلماء: طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يردنا إلا إلى الله وهذا من أحسن مكر الله والله خير الماكرين، فإن فرعون اقتفى أثر موسى وغاب عن مكر الله، فهلك فإذا قال لك عدوك: اطلب العلم لتسود به على أبناء زمانك وتخضع لك الملوك ويفتقر إليك الخلق فلا تقل: هذا خاطر شيطاني فيتفطن لك عدوك، ولكن اشرع في طلب العلم فإن

(١) في (ط): (صداع).

الشیطان وهواک یفرحان بعملك، فی غیر معمل، وغاب عنهم أن العلم یأبى إلا أن یعطى حقیقته، والجهل طراً علی إبلیس فی هذه المسألة أنه تخیل أن بالعلم ضل فظن قوله: ﴿أنا خیر منه خلقتنی من نار وخلقته من طین﴾<sup>(١)</sup>. وأن السجود لغير الله علی طریق العبودية لذلك، وهذا كله جهل محض لا علم وهو یتخیل أنه علم فقال: بالعلم ضللت. فلهذا یحرض علی طلب العلم ولا یعلم أن العلم یشرف عورته وجهله.

وهكذا أیها السید جمیع مطالب الخیرات إذا حرص علیها عدوك بالمقاصد الفاسدة فلا ترجع عنها فإن المُرثی العامل أحسن من المخلص البطلال. فإن العمل إذا استمر ولم یكن خالصاً لا بد من نور یحصل للقلب یرده فی لحظة إلى الإخلاص فتقبل جمیع أعماله السالفة.

ولهذا یكثر حزن العدو وأسفه فإنه المحرض لك علی هذه الأفعال التي انقلبت فی حقك حسنی فاعلم. وأماً ترتیب الجيش عند اللقاء فكما ذكرنا لك فی الباب قبل هذا ولتكن أنت فی القلب مع خواصك فإن هذا مما یهول العدو منظره فإنه لعنه الله لا یقاتلك أبداً، وإنما یرید غدرك فإن مقاتلته إنما هی مع الملك علیك ولك أنت الرذُّ والقبول وترتیه علی التفصیل تضیف هذه العجالة عن بسطه، ولا فائدة فی عدم القتال من العدو فغایتك معه أن تحذر مواضع الغدر، فافهم.

(١) الآية رقم (١٢) من سورة الأعراف.

## الباب الخامس عشر:

### في ذكر السر الذي يغلب عليه أعداء هذه المدينة والتنبيه عليه

اعلم أن العدد سرّ من أسرار الله - تعالى - في الوجود وكل عدد مذكور في القرآن وفي الشرع فلمعنى وهكذا، وخلق الله الموجودات متعددة من اثنين إلى اثني عشر وهي نهاية مراتب العدد، فإن مراتب العدد أربع: آحاد، وعشرات، ومئون، وآلاف. والأربعة أكمل العدد، ونهاية كل واحد منها إلى تسعة، ويأخذ في التكرار، وإنما قلنا: إن الاثني عشر هي النهاية، فإن العالم الإنساني نهاية تركيبه بوجه ما من اثني عشر، فإنه مركب من أمهات أربع، ومولدات أربع، ونفس، وعقل، والإنسان والمرتبة، وقد تولع قوم بهذه الأعداد واستخرجوا منها علوماً كثيرة ودلّوا على التوحيد وشرح ذلك يطول في هذا المختصر فلنرجع ونقول:

إن الواحد إذا حملته على مثله بواسطة الواو لا بواسطة في يظهر وجود الاثنين، والواحد ليس بعدد ومنه ينشأ العدد، وبعده يفنى فتركبه على الاثنين فيظهر وجود الثلاثة، وعلى الثلاثة، فيظهر وجود الأربعة وتنقصه من الألف فيزول الألف فهو أصل. فأول الأعداد الشفعية: الاثنان وأول الأعداد الفردية: الثلاثة، فالاثنان أصل لكل شفع أو زوج، والثلاثة أصل لكل فرد أو وتر فالزوج مقدم على الفرد تقدماً طبيعياً لا يمكن خلافه، فإن تقدمه تقدم طبيعي لا يمكن أبداً أن توجد الأربعة قبل الثلاثة ولا الخمسة قبل الأربعة فإذا تقرر هذا العدد محصوراً في زوج وفرد فتم مواطن يغلب الزوج فيها الفرد، وتم مواطن يغلب الفرد فيها الزوج وعلى الإنسان أن يحارب هواه، أو هوى غيره وإذا حاربه فلا يخلو أن يحاربه في مباح أو في معصية، فإن حارب هواه فليغلب الزوج على الفرد في معصية كان أو مباح فإن حارب هوى غيره، فليغلب الفرد على الزوج إلا إذا كان في معصيته، فإنه يغلب الزوج على الفرد فإن التوحيد توحيدان توحيد الأحدية، وهو توحيد العصاة من الأمة الإسلامية وهو توحيد صحيح مركب على أصل فاسد.

وتوحيد الفردانية، وهو توحيد محمد وموسى - عليهما السلام - والعارفين والعلماء من الأمة الإسلامية وهو توحيد صحيح مركب على أصل صحيح.

فتوحيد الأحدية يغلب كل شيء في كل موطن فتحفظ منه أن يصرفه عليك عدوك، وتوحيد الفردانية يغلب في موطن ويُغلب في موطن فالتزمه في موطن غلبته، فإذا غلب فالتزم توحيد الأحدية، وهذا الباب يحتوي على أسرار عظيمة تركناها طلباً للاختصار فإنها متسقة يتعلق بعضها ببعض ويتوقف فهم بعضها على فهم بعض فيكتفى هذه الإشارة للعارف.

## الباب السادس عشر:

### في ترتيب الغذاء الروحاني على فصول السنة لإقامة هذا الملك الإنساني وبقائه

اعلم أن الغذاء سبب إلهي موضوع لبقاء كل متغذ لا غنى عنه، وما بقي بيننا وبين الطبيعيين إلا في الأشياء التي اعتيدت غذاء فنحن نجوز عدمها وتلك استعمالها الشهور والسنين مع بقاء الحياة في المتغذي ببقاء الحرارة والرطوبة الذي هو طبع الحياة بصورة ما، فما دام الحق يغذيه بخلق الحياة فيه بقي وهم يرون هذه الأطعمة التي هي عندهم أسباب وجود الحياة، وهذا الفصل لا يحتاج للكلام مع المخالفين فيه فإن طريق التصوف ليس مبنياً على مجادلة المخالفين لأنهم في عين الجمع مشغولون بقلوبهم مع الله كيف ينبغي أن تكون.

زمان الربيع<sup>(١)</sup>:

فاعلم أن فصل الربيع حارّ رطب، وهو طبع الحياة وأن النفس تنشط<sup>(٢)</sup> فيه للحركة والأشجار، والفُرج والنزاهات فإن ذلك زمان الحركة الطبيعية في جميع الحيوانات والنباتات، فتهتز النفس الحيوانية لذلك فإن سامحها المرید أخطأ.

فالله أيها السيد الكريم إذا أعطى الزمان شيئاً بطبعه ورأيت أهل مملكته يشاكل طبعه ذلك فلا تتركه وطبعه، ولكن مرّ وزيرك العقل يأمر خديمه الفكر يأخذ من القوة الحافظة ما عندها من الأمور الشرعية مثل قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله: ﴿حتى إذا أخذت

(١) في النسخة (ط): (فصل الربيع).

(٢) في النسخة (خ): (تبسط).

(٣) في النسخة (خ): ﴿آيات الأولى الأبصار﴾.

والصحيح ما أثبت فهي نص الآية رقم (١٣) من سورة آل عمران.

(٤) الآية رقم (٥) من سورة الحج.

الأرض زخر فيها وازينت ﴿١﴾ وجعل ذلك حياتها فتكون حركة النفس في هذا الفصل الربيعي في طلب الغذاء الذي يوافق هذا الزمان فتأخذ من أسرار المعاملات ما ليس للنفس منها تلك المجاهدة الشاقة فيشرع في السنن والشرعيات التي تعطىها المقامات العلية<sup>(٢)</sup> مع عدم الشدة والضيق كالأعتبارات والأفكار في المصنوعات وإجالة البصيرة على [شهود]<sup>(٣)</sup> الصانع عند إجالة البصر في المصنوعات فإذا تحققت بهذا النظر سامحها في الخروج إلى الفرج والأنهار، والمروج، ومواضع النواوير، والأزهار من الجبال، والغياض فلا تزال تجني ثمر الاعتبار والفكر والاستبصار على كثرة مشاهدته من عوالم الأزهار والنوار في الجبال والقفار، وشواطئ الأنهار والتفكر في الجنة، وما أعد الله لأولياته، فإن زمان الربيع زمانها وهي الدار الحيوان فهي حارة رطبة طبع الحياة فإذا فكر في هذا كله حرصه على الأعمال وهون عليه شدائدنا لعظيم ما يرجوه من النعيم الدائم عند الله فهذا هو زمان الشباب والإقبال<sup>(٤)</sup> وليس آخره كأوله.

### وأما زمان القيظ:

فهو حار يابس طبع النار، فينبغي لك أن تكون الغالب عليك أيها السيد في هذا الفصل الفكر في حال الشيخوخة والضعف عن الأعمال التي لا يقدر عليها من كبر سنه، والفكرة في جهنم، وشدتها، وسعيرها وتنظر في آية قوله: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سَعَتْ﴾<sup>(٥)</sup> وتفكر في حر يوم القيامة، وعطشه وطرده الناس عن الحوض، وإلجام العرق، وأمثال هذا ينبغي أن يكون غذاء نفسك في هذا الفصل فإنه يلائمه للالتحاق بالعالم السعادي هذه حالة جيدة.

### وأما زمان الخريف:

وهو الفصل الثالث، فهو بارد يابس وهذا طبع الموت فينبغي لك أن يكون الغالب عليك في هذا الفصل في غذائك التفكير في الموت وسكراته، وغمراته وهل مختم<sup>(٦)</sup> لك بالتوحيد أو بالشرك وما تلقاه من خصميك ومن نزع الملك روحك الطيبة أو الخبيثة وهل يفتح لها أبواب السماء أو لا؟ وهل تكون عند موتها في عليين أو في سجين؟ وإن ذلك أول موطن من ولادة الآخرة، وأن الدنيا اليوم حاملة بك وهذا الجسم كالمشيمة للمولود، وبالموت تقع الولادة، ولهذا

(١) الآية رقم (٢٤) من سورة يونس.

(٢) في (ط): العلمية.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (خ).

(٤) في (ط): (الشباب والاقبال).

(٥) الآية رقم (١٢) من سورة التكوين.

(٦) في (ط): (يُختم).



قال: ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾<sup>(١)</sup>. وكذلك أنت اليوم، بالإضافة إلى ما يفتح لك من علوم الآخرة وما تعانیه وما أعدّ الله لعبيده من الوعد والوعيد فمثل هذا الفكر يكون الغالب عليك في زمان الخريف.

وأما زمان الشتاء:

فإنه بارد رطب وهو طبع البرزخ، فينبغي أن يكون غذاؤك في هذا الزمان الفكر في البرزخ بين المنزلتين، هل أنت ممن يعرض على النار غدواً وعشياً كآل فرعون أو ممن يعرض على الجنان يعلق من رياض الجنة ويتبوأ منها حيث يشاء كالمؤمنين، وتفكر في الحسرة المستصحبة لك في البرزخ على ما ضيعت من الأنفاس والأوقات إما في المخالفات أو في المباحات فتمنى في ذلك الوقت أن يردك الله إلى الدنيا وليس ذلك التمني ينافع لك وليس الله يبرئك فتكثر حسراتك وتتوالى عليك فإذا تيقنت بالفكر الصحيح، والعلم الراجح أن ذلك وقت الحسرة والتغابن، ولا ينفع فيحرضك على الجهد والاجتهاد في هذا الوقت في حياتك الدنيا حيث ينفعك حسراتك إن تحسرت، وتوبت إن تبت وندمت إن ندمت كما قال تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾<sup>(٣)</sup> فإن ذلك الجزء من الحياة الدنيا ليس منها وإنما هو من البرزخ من الدار التي لا ينفع فيها ما عمل فيها فليكن غذاء نفسك هذا الغذاء في هذا الفصل فإنه نافعك - إن شاء الله تعالى - فإذا جمعت بين الغذاءين فقد صح جسمك للمعاملات وصح عقلك للواردات وكنت في كل زمان صاحب علم وعمل وهو الذي حرضك الشرع إليه وأمرك به، وندبك إليه، فاسع أيها السيد في نجاة نفسك، ونجاة رعيتك، واعلم أن أهل دولتك إن عاشرتهم في الدنيا بالحق، والعدل، والإنصاف، ومشيت بهم على الطريقة الواضحة الشرعية فإن الله - تعالى - يقيهم لك يوم القيامة شهداء لك بالعدل، وحسن النقية والسيرة، والمعاشرة، وإن عدلت بهم إلى طريق المخالفات والمحظورات انعكس عليك وأوقفهم الحق شهداء عليك بقبیح السيرة، وسوء المعاشرة، فالله الله تحفظ. قال الله - تعالى - ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾<sup>(٤)</sup>، وقال: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾<sup>(٥)</sup> وقال: ﴿إن السمع

(١) الآية رقم (٧٨) من سورة النحل

(٢) الآية رقم (٧٠) من سورة الفرقان.

(٣) الآية رقم (١٨) من سورة النساء.

(٤) الآية رقم (٦٥) من سورة يس.

(٥) الآية رقم (٢٤) من سورة النور.

والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴿١﴾.

وكما أنه لكل فصل من فصول السنة علل وأمراض يحدث فيها في الأبدان وعلى حساب السن كذلك يكون في الروحانيين علل فلننظر إلى الأغذية الروحانية التي رسمنا لك في كل فصل فإن الشيء الذي يحول بينك وبين تناولها والأخذ فيها فهو علتك في ذلك كائناً ما كان من غير تعيين أنت تعينه لنفسك فإنك تدري السبب الذي حال بينك وبين أخذ هذا الغذاء الذي فيه حياتك، وصحتك، وبقاؤك وإنما ذكرنا العلوم في الأغذية وسكتنا عن الأعمال، ولم نجعل العمل غذاءً فإن العمل (لا يجيء به) <sup>(٢)</sup> الروح وإنما (يجيء) <sup>(٣)</sup> بالعلم الإلهي في هذه الأزمان المختلفة فإذا أمرت باكتساب هذه العلوم الإلهية في هذه الأزمان المختلفة، فقد أمرت بالأعمال كما يقول الطبيب. يكون غذاؤك زيرباجاً ومن المحال أن يتغذى بقوله زيرباجاً، وإنما في الزيرباج روحانية مودعة يؤدّيها إليك فيقوم الجسم فيأخذ اللحم ويضيف إليه السكر واللوز والزعفران والحل والقلقل ومن أفاوه الطيب ما تيسر ويركبه على النار اللينة المعتدلة حتى يكون طبخه معتدلاً فإذا استوى أنزلته وتناولته فأعطاك روحانيته، وهي الأمانة التي أودع الله فيه لك فحييت بها، وتقوت صحتك، وبقي كل ما عمله الجسم، وخدم فيه خرج تفلأ ترميه في المرحاض، كذلك الأعمال تعملها فتأخذ روحانيتها من العلوم والدرجات، وتتركها كما تركت تفل ذلك الطعام في جهنم على الكفار وهي المشاق والشدائد التي نلت في تلك الأعمال من القيام في الأسحار والسعي إلى المساجد وفي سبيل الله، وإسباغ الوضوء في السبرات، وجميع المكاره، وهي هذه الأعمال الشرعية في الدنيا فتركها كلها ولا تنقلب إلى الآخرة، إلاّ بلطائفها التي أودع الله فيها التي قد رأيت هنا عيونها في قوله: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ <sup>(٥)</sup>. فكما أن الغذاء الجسماني لم تقدر أن تصل إليه عمل سببه كذلك هذا الغذاء الروحاني لا تصل إليه حتى تعلمه وأيسر أعماله أن تأكله فأكله عمل، وإن عمله خادم فلا بد من تحرك أسنانك فيه، وتسخير اللسان، والأحنك، والأسنان والحلقوم والمريء، والمعدة، والمعى والكبد، وحينئذ يسري منه فيك روح حياة وليس إذا أكله غيرك يحصل لك فيه شيء فكذلك هذا الغذاء الروحاني لا بد أن تكون أنت المتناول له بنفسك، وحينئذ يعطيه الله لك فما أعمى أكثر الناس، عن إقامة هذه النشأة الروحانية بهذا الغذاء الإلهي عن هذا العمل الشرعي وقد علمنا قطعاً أن الجسم يحشر يوم القيامة على صورة

(١) الآية رقم (٣٦) من سورة الإسراء.

(٢) في النسخين هكذا وأظنه (تحيا به).

(٣) الآية رقم (٦٩) من سورة العنكبوت.

(٤) الآية رقم (٢٨٢) من سورة البقرة.

عمله والنفس على صورة عملها، والسعيد من حسن صورته وجمع بين كلمته، فهذا هو الغذاء الذي يحصل من جهة الأعمال.

واعلم - وفقك الله وسددك - أن كل محدث فلا بد له من غذاء يتغذى به فيه بقاؤه، واعلم أن ميكائيل هو الأمين على الأرزاق، والأغذية كلها المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذي يعطي الغذاء لجميع البدن، وكذلك إسرافيل يغذي الأشباح بالأرواح، وجبريل يغذي الأرواح بالعلوم والمعارف فكل موجود يكون بقاؤه مربوطاً بأمر ما، فكذلك الأمر هو غذاؤه كالجوهر غذاؤه بالعرض فلا بقاء له دونه، وكذلك الجسم بالتأليف، وكذلك العقل ببعض العلوم الضرورية وكذلك الهيولى بالصّور، فلا يزال الروح القدسي متعطشاً لبقائه في وجوده، وبقاؤه بالعلوم الإلهية فهي غذاؤه، ولهذا قال الله - تعالى - لنبيه «عليه السلام» ﴿وقل رب زدني علماً﴾<sup>(١)</sup> ثم رآه في صورة الغذاء المحسوس على ما خرجه البخاري في صحيحه قال: قال رسول الله: (صلى الله عليه وسلم) «رأيت كأني أتيت بقدح لبن فشربته حتى خرج الري من أظفاري، ثم أعطيت فضلتي عمر قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم»<sup>(٢)</sup>. وشربه ليلة أسري به<sup>(٣)</sup> وقيل له: هو القطرة أصاب الله بك أمتك فينبغي لك أيها السيد الكريم أن تكون مع الله تعالى على حكم تدييره سبحانه في بادئة ملكه ولا تتأني في استجلاب غذاء الأرواح فإنك مأمور بسؤال الزيادة، فإن الأرواح لا تشبع من العلوم أبداً، وقد عرفنا ذلك فقال - عليه السلام: «منهومان لا يشبعان: طالب عمل، وطالب دنيا»<sup>(٤)</sup> ولا تطلب من العلم ما تأخذه من تحت قدمك، وإنما اطلب من الرحمة التي اختص بها عباده الذين أقودهم إليه والعلم الذي خصهم به، وهو العلم اللدني فإن علوم المعاملة، وإن لطفت وعلت، فإنما علوها وجمالها وحسنها ولطفها بالنظر إلى علوم الأفكار المدنسة بحكم النظر العقلي، والافتكار، وهذه وراء طور العقل فنورها أجلى ومرآتها أصفى، ولكن العلوم اللدنية التي لم تقترن بتحصيلها عمل مع استصحاب العمل والفرقان بينها يين، فإن علوم الأعمال الهمم متعلقة بها ولهذا أنت على مدرجة من مدارجها وهي علوم السعادة وهي العلوم الذي نهتكت عليها؛ علوم لدنية موقوفة على الامتثال المطلق الذي لم يدنس الخلق بكده، وإن كان الحق أكده، ولكن ثم لطيفة الكشف تطلع سحابة على مرآة الروح انبعث سفلي من عالم الهوي حيث صعود الأبخرة

(١) الآية رقم (١١٤) من سورة طه.

(٢) حديث: (رأيت كأني أتيت بقدح). انظر تحفة الأحوزي ج ١٠ ص ١١٩.

(٣) في (ط): (إسرائه).

(٤) حديث: (منهومان لا يشبعان). رواه أنس عن قتادة عن أبي عوانة انظر المستدرک على الصحيحين ج ١ ص ١٦٩ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٨ مجمع الزوائد ج ١ ص ١٣٥ وكشف الحفاء ج ١ ص ١١٦.

وتولد السحاب وكلما دخل تحت العناصر فإن التغيير يسرع إليه إلا أن يكون صاحبه قوي المحافظة على الموازنة في الحركات والسكنات والمطاعم والمشارب، يحفظ بذلك رتبة الاعتدال فحينئذ إذا تخلص له هذا المقام يكون سعيداً، وهذه العلوم لا تحتاج إلى شيء من هذا الحفظ البشري من أجل العناية. والسلام.

## الباب السابع عشر:

### في خواص الأسرار المودعة في الإنسان وكيف ينبغي أن يكون السالك في أحواله

وفي هذا الباب أودعت المضاهاة وهو على خمسة أبواب.

اعلموا يا أصحاب القلوب المتعطشة إلى أسرار الغيوب لأنه ما أضيف شيء إلى شيء بأي وجه كان من وجوه الإضافات من إضافة تشريف أو اختصاص أو ملك، أو استحقاق ولا دل دليل على مدلول ولا رأى رأي لمرئي، ولا سمع سامع لمسموع إلا لمناسبة غير أنه قد تظهر فيعرف لقربها، وقد تختفي فتجهل لبعدها، وهي على قسمين: ظاهرة، وباطنة.

فالظاهرة يعرفها أهل الظاهر إذا نظروا وحققوا. والباطنة لا تعرف أبداً بالنظر فإن معرفتها موقوفة على الوهب الإلهي، وهذا هو طور النبوة والولاية والفصل بينهما لا خفاء به، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) متبوع تابعه الولي، ومقتبس من مكاشفاته وبظاهر من ضرب المناسبة الظاهرة ووقع الخطاب ثبتت العقائد التي تعمد الخلق بها فقالوا: الله موجود، ونحن موجودون، فلولا معرفتنا بوجودنا ما عرفنا معنى الوجود حتى نقول: إن الباريء موجود. وكذلك لما خلق الله فينا صفة العلم أثبتنا له العلم وأنه عالم. وهكذا الحياة بحياتنا والسمع والبصر، والكلام بكلام نفوسنا لا بأصواتنا، وحروفنا والقدرة والإرادة. وكذلك سائر الأسماء كلها من الغنى والكرم والجود والعفو والرحمة كلها موجودة عندنا فلما سمى لنا نفسه بها عقلناها فما عقلنا منه غير ما أوجده فينا، وما عدا ذلك فعلمنا به من جهة السلب وهو ليس كالقَدَم ليس بصفة إثبات وإنما معناه الأول له في وجوده، فتعلق العلم بنفي الأولية عنه وعلمناها أيضاً، فإن الأولية موجودة عندنا حقيقة والنفي عندنا معلوم منا بفقد أشياء منا بعد وجودها فينا أوضحها انتقلنا من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان، ومن نظر إلى نظر، فقد عرفنا حقيقة لنفي وحقيقة الأولية، ثم حملنا النفي على الأولية ووصفنا الحقُّ بها، وهي صفة سلب وقد يعلم لشيء بنظيره وبضده وقال عليه السلام: «من عرف نفسه عرف ربه» فأثبت له من الصفات ما

خلق في لا غير، فهذه معرفة وبقيت معرفة السلب التي بها امتاز عنا فأخذنا الصفات التي ثبت بها حدودنا وعبوديتنا وإخراجنا من العدم إلى الوجود ونفيناها عنه، ولم نجد له صفة إثبات معينة ليست عندنا نعرفه بها لكن نعرف أنه على حكم ليس نحن عليه ثابت له فلولا هذه المناسبة ما صحت لنا عقيدة ولا عرفنا أصلاً ثم بعد هذا، وإن عرفناه بما وصفنا فإن هذه الصفات في حقنا تعقبها الآفات والأضداد وهي له باقية لا يعقبها ضد ولا آفة. وعرفنا هذا بيقائنا عليها زمانين فصاعداً، فقد عرفنا صفة البقاء فأصبحناه تلك الصفة التزيهة المقدسة، وهذا الباب يطول، وقد أوضحناه بيناً في كتاب (إنشاء الجداول) وهو كتاب شريف يثبت فيه المعارف بالأشكال ليقرّب إلى الأفهام، فهذا ضرب من المناسبة الظاهرة والمضاهاة في الحضرة الإلهية.

وأما المناسبة الباطنة:

فوكلتناك فيها إلى نفسك فإنها تدرك بالمجاهدات والمشاهدات وبقيت لنا المضاهاة الثانية التي بين الإنسان والعالم وقد بسطنا القول فيه في أكثر كتبنا ولنذكر منه هنا فصلاً قريباً جامعاً يحوي على كلياته وأجناسه، وأمرائه الذين لهم التأثير في غيرهم ولولا ما قصدنا في كتابنا هذا طريق الإشارة والتنبه لضربنا له دوائر على صور الأفلاك وترتيبها ونجعل لكل فلك في العالم ما يقابلها من الإنسان بخاصية ذلك الفلك ويدور الخلق كله على أربعة عوالم:

العالم الأعلى، وعالم الاستحالة، وعالم عمارة الأمكنة، وعالم النسب. ولكل واحد من هؤلاء العوالم غاية فجميع ما يحتوي عليه العالم الأعلى من العالم الكبير عشرون حقيقة، وعالم الاستحالة خمس عشرة حقيقة وعالم عمارة الأمكنة أربع حقائق، وعالم النسب عشر حقائق وهي كلها في الإنسان موجودة وهذه هي الأمهات وهي تسع وأربعون حقيقة. وكذلك الإنسان فالعالم محصور في ثمان وتسعين حقيقة مما تقتضيه خلقه ثم زاد الإنسان على العالم بالسر الإلهي الميثوث فيه الذي صح له به الاستخلاف وتسخير ما في السموات وما في الأرض، فجاء الأمر كله تسع وتسعون من أحصاها دخل الجنة، والموفي مائة المهيمن على كل شيء، وهو الحق فالوجود كله مائة الموفي مائة منها الاسم الأعظم وكذلك الجنة مائة درجة الموفي مائة منها جنة الكتيب الذي ليس فيه نعيم إلا الرؤية، وليس لمخلوق فيه دخول إلا وقت النظر وهو حضرة الحق وهذه أسرار عجيبة نبهناك عليها لتعرف منزلتك من الموجودات.

وأن النار مائة درك الموفي مائة منها درك الحجاب وهو محل المشاهد إذا ارتد ورجع فإنه يهوي في جهنم ويترك في دركاتها على مقابلة الدرج التي سقط منه، فأعلى عليين يقابل أسفل سافلين قال الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾<sup>(١)</sup> فما بعده أحسن منه ﴿ثم

(١) الآية رقم (٤) من سورة التين.

رددناه أسفل سافلين ﴿١﴾ فما بعده أسفل منه.

ثم نرجع ونقول: فأما العالم الأعلى فأعلاه لطيفة الاستواء وهي الحقيقة الكلية المحمدية وفلكها الحياة ينظر إليها من الإنسان لطيفته، والروح القدس ثم في العالم العرش ينظر إليه من الإنسان الجسم ثم في العالم الكرسي بنجومه ينظر إليه من الإنسان النفس بقواها، ولما كان موضع القدمين فكذلك النفس محل الأمر والنهي، والمدح، والذم.

ثم في العالم البيت المعمور ينظر إليه من الإنسان القلب ثم في العالم الملائكة ينظر إليها من الإنسان أرواحه والمراتب كالمراتب، ثم في العالم زحل وملكه ينظر إليها من الإنسان (القوة العلمية والنفس) <sup>(٢)</sup> ثم في العالم المشتري وملكه ينظر إليها (القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ) <sup>(٣)</sup> ثم في العالم الأحمر وملكه ينظر إليها من الإنسان (القوة المفكرة ووسط الدماغ) <sup>(٤)</sup> ثم في <sup>(٥)</sup> العالم الزهرة وملكها ينظر إليهما من الإنسان القوة الوهمية والروح الحيواني <sup>(٦)</sup>، ثم في العالم عطارد وملكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الخيالية ومقدم الدماغ، ثم في العالم القمر وملكه ينظر إليهما من الإنسان القوة الحسية والحواس. فهذه طبقات العالم الأعلى ونظائره من الإنسان.

وأما عالم الاستحالة:

فمنه الفلك الأثير وروحه الحرارة واليبوسة ينظر إليهما من الإنسان الصفراء وروحها القوة الهاضمة ثم في العالم فلك الهوى وروحه الحرارة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان الدم وروحه القوة الجاذبة ثم في العالم فلك الماء وروحه البرودة والرطوبة ينظر إليهما من الإنسان البلغم وروحه الدافعة ثم في العالم فلك التراب وروحه البرودة واليبوسة ينظر إليهما من الإنسان السوداء وروحها القوة الماسكة.

وأما الأرض سبع طباق:

أرض سوداء، وأرض غبراء، وأرض حمراء، وأرض صفراء، وأرض بيضاء، وأرض زرقاء، وأرض خضراء، فينظر إليها من الإنسان طبقات الجسم والجلد والشحم، واللحم، والعروق، والعصب، والعضلات والعظام.

(١) الآية رقم (٥) من سورة التين.

(٢) في النسخة (ط): (القوة الذاكرة ومؤخر الدماغ).

(٣) في النسخة (ط): (القوة العاقلة واليافوخ).

(٤) في النسخة (ط): (القوة الغضبية والكبد).

(٥) سقط من (خ): [ثم في العالم الشمس وملكها ينظر إليهما من الإنسان القوة المفكرة ووسط الدماغ].

(٦) في النسخة (خ): (الروحاني).

## وأما عمارة الأمكنة:

فمنه الروحانيون ينظر إليهما من الإنسان القوى التي فيه، ثم في العالم الحيوان ينظر إليه ما يحس من الإنسان ثم في العالم النبات ينظر إليه ما ينمو من الإنسان، ثم في العالم الجماد ينظر إليه ما لا يحس من الإنسان.

## وأما عالم النسب:

فمنه العَرَض ينظر إليه من الإنسان أسود، وأبيض وما أشبه ذلك، ثم في العالم الكيف ينظر إليه من الإنسان صحيح وسقيم، ثم في العالم الكم ينظر إليه من الإنسان سنُّه عشرة أعوام وطوله خمسة أذرع، ثم العالم الأين ينظر إليه من الإنسان الأصابع موضعها الكف الذراع موضع لليد، ثم في العالم الزمان ينظر إليه من الإنسان تحرك وجهي وقت تحريك رأسي. ثم في العالم الإضافة ينظر إليه من الإنسان هذا أعلاه هذا أسفله، ثم في العالم الوضع ينظر إليه من الإنسان لغته، ودينه، ثم في العالم أن يفعل ينظر إليه من الإنسان أكله، ثم في العالم أن يتفعل ينظر إليه من الإنسان ذبح فمات، وشرب فروي، وأكل فشيخ، ثم في العالم اختلاف الصور في الأمهات كالفيل، والحمار، والأسد والصرصر ينظر إليه من الإنسان القوة التي تقبل الصور المعنوية من مذموم، ومحمود، هذا فطن فهو فيل هذا بليد فهو حمار، هذا شجاع فهو أسد، هذا جبان فهو صرصر.

فهذه مضاهاة الإنسان بالعالم الكبير مستوفى مختصر فما بقي له شيء فما له لا يسعى في تخليص نفسه من رق الشهوات كما حصل له أشرف المراتب في الوجود فيحصل أسنى المراتب السعادية.

## وأما الأسرار المودعة في الإنسان:

فكثيرة جداً منها ما يرجع إلى مزاجه ووضعه الطبيعي ومنها ما يرجع إلى حاله ووضع الإلهي ونحن نحتاج في هذا الكتاب إلى ذكر بعض من أسراره الإلهية الروحانية وإن خالطها من المزاج أمر يسير فليس غرضنا.

ويظهر سلطان هذه الأسرار بالتنزلات الإلهية بواسطة روح القدس على الروح بأسرار الولاية على الولي وأسرار النبوة على النبي: ﴿كل قد علم صلاته وتسيبته﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) ضروب التنزلات بالغت والغط وجعل أشده عليه فيه

(١) الآية رقم (٤١) من سورة النور.



صلصة الجرس لاختراق النور الملكي ظلمة هذا التركيب الطبيعي حتى يصل بذاته إلى النور الروحي الذي في الإنسان فيلقى إليه فباشتغال الروح معه فتحذر الجوارح، وينحرق الطبع، ويتغير المزاج، فإن الجسم اشتغل عنه حافظه بما يلقي إليه. فإذا انصرف عنه النور الملكي سُري عنه، وقد عرق جبينه، واحمر وجهه، وقام كأنه نشط من عقال وهو قوله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾<sup>(١)</sup> وكان أهون ما يلقي إليه إذا تمثل له رجلاً فيأخذ من جهة سمعه وهي المحادثة. ولأولياء الله في هذا مشرب شهوي، ومتى اشتد الحال على الإنسان وغاب عن الوجود الحسي فإن حصل له في تلك الغيبة علم يعقله هنا، ويعقله إذا رجع ويعبر عنه على قدر ما أعطاه الله من العبادة، فذلك هو الحال الإلهي، ويجد القلب عند الإفاقة سروراً، وربما عزته أبرد، فذلك حال صحيح، وإن غيب ثم رد ولم يجد شيئاً إلا أنه أخذ عنه بقبضة، قبض عليه لم يثمر له فائدة ولكن غاب عن حسه فهذا حال من المزاج لما حمي القلب بالذكر أو بالتخييل صعد منه بخار من التجويف الكبير الروح إلى الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيواني من الشريان ورمى بصاحبه كالمصروع، فهذا حال صحيح ولكن من المزاج ليس فيه فائدة، وبهذا إذا سأله يقول لك: رأيت كأنني كسيت بُرُوساً أسود وسحابة مرت على عيني فغبت وهو ذلك البخار الذي ذكرناه.

وأما الحال الثالث الكذاب هو الذي يعقل صاحبه اهل مجلسه ولم يغب عن نفسه، ولا عن حسه ويتحرك ولا سيما في مجلس السماع، فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس سَخَرَ به الشيطان فكل ما يلقي إليه يتخيل أنها علوم، وهي سموم فلا يعول على كل ما يخاطب به في هذه الحالة فإنها حالة شيطانية وإنه ليس في قوة شيطان أن يفنيك عن حسك، ثم يلقي إليك وتغفل عنه، وإنما هو على وجهين على البذل: إما أن يفنيك مثل الصرع، ولكن لا يلقي إليك شيئاً لأنه لا يجد من يأخذ عنه، وإما أن لا يفنيك ويلقي إليك وأنت مع حسك وقد كسا باطنك شيئاً من حرارة، وتوهم، واستطلاع إلى بعد وضرب من استعداد الخطاب، فإذا عرف أنه قد تمكن منك في هذا المقام ألقى عليك خطاباً فتحس بمواقع الخطاب في نفسك على حسب ما يلقي إليك فتخبر عما وجدته فأخبارك أنك وجدت هذا في نفسك صحيح وكونك أن تنسب ذلك إلى الحق باطل، وربما يقول لك من مواقع خطابه «عبدني أنا ربك لا تنظر إلى غيري فأحجبك ولا تنظر إليّ إلا بي، فإن نظرت إليّ بك أشركت، فأنا الناظر والمنظور». وما أشبه هذا النوع من الخطاب، ويقنع إبليس منك أن تعتقد أن ذلك من الله فيستولي عليك فتصير محلاً له طول عمرك، فلو علمت أن مخاطبة الحق لا تترك إحساساً وليست بالوهم ولا

(١) الآية رقم (١٩٣) من سورة الشعراء.

بالتخيل، ولا بالاستعداد والانتظار لعلمت ببقاء حسك معه أنك مع من يجانسك محدث مثلك يريد أن يسخر بك وأكثر ما يوجد هذا أصحاب السماع والوجد ومن غلب عليه الوهم والتخيل فعليك بالفناء المحض، وإن لم تجد شيئاً فهو أسلم من الفتنة فإن وجدت فيه شيئاً فهو المطلوب وارتفع التلبس فلا مدخل هنالك لإبليس.

فهكذا ينبغي أن تكون أيها المريد وأن تعرف هذه الأسرار من نفسك ولا تكن من الجهالة بحيث أن يعرف منك غيرك ما لا تعرفه من نفسك، ثم لتعلم أن الروحانيين ليس لهم إلقاء الأمر والنهي، وإنما لهم التخضيس والإخبار لأنه لا فائدة لأمرهم فإذا استولت عليك روحانية تدريك فانظر فيني أمزتك ونهيتك بضرب من العبادات فتلك شيطانية فاضرب عنها وأكثر من الذكر وقراءة آية الكرسي وسورة البقرة، فإن لم تأمرك ولكن تخبرك فأنت فيها على الاحتمال بين أن يكون شيطاناً أو غير ذلك وتميز بينهما سرعة التنوع في الإلقاء بأن يلقي شيئاً ثم شيئاً آخر فهو روح شيطاني، وإن استمر أمر واحد فإنك معه في حال الفتنة أيضاً فلا تقبل من الإلقاء، فإن أردت الصحيح إلا ما حصل لك في حال الفناء الكلي من غير تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك بما يكون منه، وسر المشاهدة للبهت، وسر الكشف للعلم وسر البقاء للأدب، وسر الفناء للتوحيد، وسر القبض للافتقار وسر البسط للسؤال، والأسرار كثيرة.

وفيما ذكرناه دواء نافع لمن استعمله فلنذكر خواص الأحجار الإنسانية.

### فمن ذلك حَجَرُ البَهْتِ:

وهو حجر عزيز فيه عُبْرَةٌ، ومحلّه بحر الظلمات وله أسرار عجيبة وهو نكتة ذاتية في القلب كمثل الإنسان في العين الذي هو محل الرؤية وكالساعة في الجمعة كما قال عليه السلام: «وقد مثلت له الجمعة مرآة وفيها نكتة سوداء فأخبر أنها الساعة التي في الجمعة».

فإذا كان الران على القلب لم يظهر لهذا الحجر وجود وجميع الأرواح التي في الإنسان من عقل وغيره إنما هو مترقب لمشاهدة تلك النقطة، فإن انصقل القلب بالمراقبة والذكر والتلاوة بدت تلك النقطة فإذا بدت ما لها ما تقابل سوى حضرة الحق الذاتية فينتشر من ذلك الحجر نور من أجل التجلي فيرى في زوايا الجسم فيبهت العقل وغيره وينهزم ذلك النور المنفهد من ذلك الحجر وشعشعته فلا يظهر لهم تصريف ولا حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولهذا سمي حجر البهت فإذا أراد الله أن يبقى هذا لعبد أرسل على القلب سحابة كون ما تحول بين النور المنفهد من تلك النكتة وبين القلب فيتسمر النور إليها منعكساً وتشرح الأرواح والجوارح وذلك هو الثبيت فيبقى العبد مشاهداً من وراء تلك السحابة لبقاء الرسم ويبقى التجلي دائماً لا يزول أبداً

في ذلك الحجر ولهذا نقول كثيراً: إن الحق ما تجلى لشيء قط ثم انحجب عنه بعد ذلك ولكن تختلف الصفات ولنا في هذا المعنى أبيات منها:

لما لزمتم قرع باب الله كنت المراقب لم أكن باللاهي  
حتى بدت للعين سُبحة وجهه وإلى هَلُمَّ لم تكن إلهي

وكذلك من كتب الله في قلبه الإيمان فإنه لا يحويه أبداً ولهذا قال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾<sup>(١)</sup> فهذا هو الحجر النافع المطلوب الذي يطلعك على مشاهدة المحبوب فاعلم ذلك، وآية هذا السر من القرآن ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا الحق﴾<sup>(٢)</sup> وخاصيته أنه إذا قام بالعبد في وقت ما فإنه يقهر كل ما تعرض له من غير التفات ولا معرفة به. ومن ذلك حجر الزمرد:

آيته من كتاب الله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾<sup>(٣)</sup> فالقوة المذكورة خاصيتها أن تعمي إبليس عن ملاحظة كيدته في الحال وتُدْهشه فلا يلحق يرجع إليه بصره إلا والمؤمن على إحدى حالتين إما في غفلة فتمسه مرة أخرى، وإما في حضور فيحترق إن دنا منه، وقد رأيت - لعنه الله - لا يجروء على دخول بيت فيه عارف بالله سوى نام العارف أم كان مستيقظاً.

ومن ذلك حجر الياقوت الأحمر:

وآيته من كتاب الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>(٤)</sup>، وخاصيته إذا كان الإنسان مشاهداً له من جهة روح قدس فإنه يعلم من العلوم المتعلقة بذات الحق ما لا يطلع عليه غيره، فإن كان مشاهداً له من جهة نفسه الغضبية، وصادف جباراً من الجبابة فإنه يذل له ويخضع لما يجد له في نفسه من التعظيم وإن كان توعدده عفا عنه.

ومن ذلك حجر الياقوت الأزرق:

آيته من كتاب الله تعالى: ﴿لا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾<sup>(٥)</sup> هو الذي يعطي الرياسة للإنسان مخصوص بأصحاب الأحوال والخلق.

(١) الآية رقم (٢٢) من سورة المجادلة.

(٢) الآية رقم (٢٣) من سورة سبأ.

(٣) الآية رقم (٢٠١) من سورة الأعراف.

(٤) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

(٥) الآية رقم (٤١) من سورة الرعد.

## حجر الياقوت الأصفر:

آيته من كتاب الله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾<sup>(١)</sup> مخصوص بأصحاب المقامات وخاصيته العبودية، والذلة، والافتقار، ومقام مشترك من حصل له جهل حاله.

## الحجر المكرم:

آيته من كتاب الله - تعالى - ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾<sup>(٢)</sup> يدور به فلك الحياة في كل موجود وفي كل شيء خاصيته قلب الأعيان إذا دبر، وأحكم وأقيمت منه أدنى شيء على ما شئت قلت عينه لما نعطيه حقيقة ذلك الشيء كالإكسير عند أهل الكيمياء تأخذه فتحمله على القصدير والحديد فتقليهما فضة، وعلى النحاس والرصاص فتقليهما ذهباً وهو واحد. واختلف القبول لاختلاف الطبائع كذلك هذه الحقيقة تلقيها على العاصي فيصير طائعاً، وعلى الكافر فيصير مؤمناً، وهذا هو الكبريت الأحمر العزيز الوجود الذي جعله الله من ضنائه وأودعه في أرفع خزائنه من وصل إليه لا ترى أثره عليه، فإن الحاصل عليه به ضنين ولنا في معناه أبيات منها:

مُدْعِي الصُّنْعَةِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ	عَشَّتْ فِي زُورٍ وَذَغَوَى وَكَذِبٍ
فاسمع قول محب ناصح	صادق اللهجة محفوظ الطلب
نزل النير من أفلاكه	واسع في تحصيل تركيب النسب
وخذ الأبق من معدنه	وأعط عنه الفؤاد المكتسب
فإذا ما رضته واحتملت	ذاته التركيب فيها ورَسَب
صعد الفاضل وانظر حاله	بامتزاج النيرات في لهب
فإذا أفناه يبقى سبب	يقلب إنانك في العين ذهب

## إزالة الظل وقطع التصير:

قال الله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾<sup>(٣)</sup>. وإنما يبقى الظل لعله في الصنعة فما دام الظل كان في الأمر تدليس وحرمة التصرف فيه، وإزالته إن لم تكن عندك سر الحجر المكرم، ولا تنتج الحقائق الأربعة فلا بد طلب إمام فإن لم تجد فأخْلِ بيتاً من جميع الأشياء واتخذة خلوة وليكن ذكرك الله لا غير وتفرغ من هم المطعم والمشرب باستعدادك قبل ذلك واجعل

(١) الآية رقم (٩٦) من سورة الصافات.

(٢) الآية رقم (٣٠) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية رقم (٤٦) من سورة الفرقان.

مستندك هذه الآية: ﴿ليس كمثله شيء﴾<sup>(١)</sup> فإنه لا بد من زوال الظل<sup>(٢)</sup> أقربه في سبعة وأبعده في أربعين يوماً. وأما التصيير فسببه انضغاط النفس بين عالم الملكوت والشهادة وهو باب الأحوال فاعمل عليها قوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾<sup>(٣)</sup>، فإنه ينقطع تصريره إن شاء الله تعالى.

---

(١) الآية رقم (١١) من سورة الشورى.

(٢) في النسخة (في): (الكل).

(٣) الآية رقم (٢٨) من سورة الرعد.

## الباب الأول من الباب السابع عشر وهو الباب الثامن عشر من أبواب الكتاب في معرفة إفاضة العقل نور اليقين على ساحة القلب

نقدم مثلاً للتقريب فيما نذكره، وذلك أن الشمس إذا قابلت الجسم الصقيل فإنه ينبعث من ذلك الجسم نور يضيء به موضع لا تقابله الشمس بانعكاس الشعاع كضوء القمر الذي هو انعكاس ضوء الشمس فمن أراد أن يرى الشمس فليجعل عينه في الموضع الذي يضرب فيه النور المنعكس، وينظر في الجسم الصقيل فإنه يكشف الشمس ويجيء من هذا الترتيب شكل مثلث الركن الواحد الشمس والركن الثاني الجسم الصقيل، والركن الثالث موضع ضرب الشعاع المنعكس.

واعلم بعد أن ضربت لك المثال أن النفس الحيوانية يفيض عنها نور من جانب التجويف الذي فيه الروح الكثير من القلب فيصل إلى أقصى أماكن الجسد ثم ينعكس ذلك النور مثل حركة الفلك فيرقى حتى يتصل بالدماغ فيتصل بالعقل اتصال سريان يكون له تأثير استفاضة على غير البصيرة فإذا ظهر ذلك النور لعين البصيرة كالشمس للبصر هو المخاطب بقوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾<sup>(١)</sup>. فلا معنى للحس ها هنا فينعكس الشعاع من عين البصيرة على ساحل القلب كانعكاس الشعاع من العين على المبصرات فينظر إلى عجائب الملكوت ويتصل الأنوار وتفتح عند ذلك العين الثانية من القلب وهي عين اليقين وهي الناظرة إلى نور اليقين فإن لله تعالى - نورين: نوراً يهدي به، ونوراً يهدي إليه، وله في القلب عينان: عين بصيرة وهو علم اليقين، والعين الأخرى عين اليقين، فعين البصيرة تنظر بالنور الذي يهدي به وعين اليقين تنظر بالنور الذي يهدي إليه قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup> وهو نور اليقين وقال في النور الآخر: ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، فإذا اتصل النور الذي

(١) الآية رقم (٣٧) من سورة ق.

(٢) الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

(٣) الآية رقم (٢٨) من سورة الحديد.

كتاب التديرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية

يهدي به بالنور الذي يهدي إليه عاين الإنسان ملكوت السموات والأرض ولاحظ سر القدر كيف يحكم في الخلائق وهو قوله: ﴿نور على نور﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) الآية رقم (٣٥) من سورة النور.

## الباب الثاني من السابع عشر وهو الباب التاسع عشر من أبواب الكتاب في الحجب المانعة من إدراك عين القلب الملكوت

قد قدمنا أن الأنوار ثلاثة: نور الحياة، ونور العقل، ونور اليقين. فأما نور الحياة الذي هو انعكاس شعاع النفس الحيوانية فعليه ثلاث: الرّان، والحجاب، والعقل. وكلها مذكورة في القرآن، وموادها من الصفات البشرية الظاهرة في عالم الشهادة فهذه الأمراض التي حصلت للقلب في هذا المقام إنما ذلك من جهة النفس الأتّارة البهيمية. وأما النور الذي يحصل للقلب بانعكاس شعاعه من جوهر العقل فعِلُّهُ النفس الغضبية لها نار تطبخ القلب وتحرقه فيصعد منه دخان على القلب يجول بين العقل والقلب فتقطع المادة فيظلم القلب وذلك الدخان هو الغطاء والكن والغشاوة فإن تكاثف أدى إلى العمى ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾<sup>(١)</sup>، وفي ذكر الصدور هنا إشارة تركناها لك.

وأما لنور اليقين الذي هو الأمد الأقصى فالعلة التي تحول بينه وبين عين اليقين من القلب عدم الإخلاص، والقبض بالنظر إلى الأعمال المحمودة والمدمومة فلو انحرق لزال الحجاب ووقع الانسراح واتصلت الأنوار وظهرت الآيات والعجائب. وتحقيق هذا الفصل فيمن نظر في قوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ إلى قوله: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾<sup>(٢)</sup> هنالك تبدو لك الحجب في مقابلة الأنوار آيات بيتات لقوم يعقلون.

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة الحج.

(٢) الآية رقم (٣٥) من سورة النور.



## **الباب الثالث من السابع عشر**

### **وهو الباب الموفي عشرين من أبواب الكتاب**

### **في اللوح المحفوظ الذي هو الإمام المبين ولوح المحو والإثبات**

---

وهذا المقام هو الذي يجمع الولي والنبى، وهو الذي يفرق بينهما فجعل الله القلم ترجمان الدواة ومفصل علومها بالرسوم فهو العالم المحفوظ، وهو المثبت، والمأحي، وأم الكتاب، وهو المسطر علومه في قوته مجمله لا تفعل عنه حتى يفصح.

وأما لوح المحو والإثبات فهو لوح الدفتين الزمردتين المودع كائنات العالم إلى يوم التبديل فهو لوح محصور وعليه اعتكفت ملائكة التسخير ومنظره منك في العالم الإيمان، وفي اللوح تنوع الأحوال بتنوع الأزمان بتنوع الأماكن بتنوع الأوضاع بتنوع الأعراض فينسخ الآخر الأول أبدأ وهو المحو والإثبات، فإذا رجعوا إلى تماثلهم حُشروا في القلم الأعلى فاستعلوا السموات العلى فيخرج النبى والوارث بالقلم الأعلى، ويختلف الإلقاء لأن قلم النبى له طرفان، وقلم الولي له طرف واحد، ويخرج الولي للعارف والمؤمن باللوح فتمتاز المراتب. والله عليم حكيم.

## الباب الرابع من الباب السابع عشر وهو الباب الحادي والعشرون من أبواب الكتاب في أسباب الزفرات والوجبات والتحرك عند السماع

السماع سرّ من أسرار الله - تعالى - في الوجود العلية واحد في نفسه، والسامعون شخصان: شخص يسمع بنفسه، وشخص يسمع بعقله، وليس ثم سامع آخر.

ومن قال: إنه يسمع بربه فإنه نهاية درج سمع العقل لكن العقل سمعان: سمع من حيث فطرته، وسمع من حيث الوضع، فالذي له من حيث الوضع هو الذي قيل عنه، يسمع بربه وقوفاً عند قوله - عليه الصلاة والسلام - عن ربه: «كنت سمعه الذي يسمع به»<sup>(١)</sup> فالذي يسمع بعقله يسمع في كل شيء ومن كل شيء وعلى كل شيء لا يتقيد، وعلامته في ذلك البهت وخمود البشرية، والذي يسمع بنفسه لا بعقله لا يسمع إلا في النغمات والأصوات العذبة الشهية وعلامته أن يتحرك عند السماع بحالة فناء عن الإحساس ومهما أحس المتحرك في السماع فإنه مسخرة الشيطان، وإن لم يحس، وفني كل شيء فهو صاحب نفس وتحت سلطانها وحاله صحيح صَحَّحَه الفناء ولا يأتي بعلم أبداً عقيب هذا الفناء، والحركة في السماع فإن ادعى أنه أتى بعلم فلم يكن فانياً، ولم يكن سمع بعقله، فإنه قد تحرك فلم يبق له أن يكون إلا كاذباً، فإن سماع النفس لا يأتي بعلم ألبتة، وسماع العقل لا يكون معه حركة فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق.

واعلم أنه إذا أراد الله تنزل المعارف على قلب عبده بضرب من ضروب الوجد أرسل برد القرب على القلب المعقول فيبرد سماع القلب فيأخذ سفلأ فيجد الحرارة الغريزية صاعدة إلى الدماغ فيعتمد عليها فتعكس الحرارة فتأخذ سفلأ حتى تحمل بساحة القلب فيتولد عن ذلك الحل نار فتصعد فإن وجدت في سحاب برد اليقين والقرب خللاً صعدت فكان ذلك التأوه الذي يسمى الزفرة، وإن لم تجد خللاً حللت رطوبات السحاب الأعلى من جمده فمن ذلك

(١) حديث: «كنت سمعه الذي يسمع به» تقدم تخريجه.

هو البكاء الذي يطرأ على صاحب الحال في حاله، فإن ذلك النار قد أنضح الكبد يشم في ذلك التأوه رائحة الحرق، ويصدع تلك النار في تجويف القلب بالانضغاط الذي هو فيه فيسمع له في ذلك الوقت أزيز يسمى الوجبة والصيحة والرّجفة، وفي ذلك الوقت تقع الصيحة من صاحب الحال فمن كان في قلبه جلاء من الحاضرين صعق من حينه لتلك الصيحة وهي صلصلة الفكر الطبيعي بالقلب وينصدع لها القلوب إذا قويت عليها، ومن كثرت الريون على قلبه من الحاضرين أحمده لتلك رعدة وقرع ووقع الإنكار منه على صاحب الحال، وقال: هذا ما سمعنا عنه أنه كان في السلف وقد كانت الموارد ترد على النبي (صلى الله عليه وسلم) وما سمعنا أنه صاح ولا صعق فلا يلتفت إلى قوله، فإن قلبه مطبوع، وقد فرقنا بين سماع العقل وسماع النفس وكل في بابه صحيح، وفي خروج تلك الزفرات تكون حياة العارف فإذا أرادت النار الخروج من خلل السحاب الذي ذكرناه ووجدته متراكماً ما فيه خلل انعكست وطبخت القلب والكبد في الحين، وأحرقتهما، فمات صاحب الحال من فوره، وعند زج تلك النار من القلب إلى الدماغ يكون الحركة والشطح من صاحب الحال وأكثر خروجها متلوية متداخلة متلوية، فتكون حركات صاحب الحال غير موزونة ولا مربوطة بطريقة، وأكثر ما يظهر منهم الدوران لأن شكل الإنسان في الحقيقة مستدير، والنار مجرى على شكله فإن ذلك السحاب رقيقاً، واسع الخلال، فإن الحرارة تنفس فيه فلا يظهر من صاحبه زفرة ولا يسمع لقلبه وجبة، ولكن يغلب عليه الضحك ما دام في ذلك الحال للاتساع الذي يجده فلا تغالط نفسك أيها المرید، فقد أثبت لك صورة الأمر، فإن شئت أن تكون صاحب عقل، وإن شئت أن تكون صاحب نفس. والله تعالى يصلحنا وإياك وجميع المسلمين.

## الباب الخامس من السابع عشر:

### في الوصية للمريد السالك وهو على فصول وبه ختم الكتاب

اعلم أيها المريد نجاة نفسه أنه أول ما يجب عليك قبل كل شيء طلب أستاذ يُصْرِك عيوب نفسك ويخرجك عن طاعة نفسك ولو رحلت في طلبه إلى أقصى الأماكن، وأنا أوصيك - إن شاء الله تعالى - ما تفعله في مدة طلبك الشيخ حتى تجده، فإذا وجدته فانقد إليه وكن في خدمته فالحاضر أَبْصِر من الغائب فكن بين يديه كالميت بين يدي الغاسل، ولا يخطر لك عليه خاطر اعتراض ولو عاينته وقد خالف الشريعة فإن الإنسان ليس بمعصوم، ولا تكتم عنه كل ما يقع لك في نفسك من محمود ومذموم في كل من كان، ولا تقعد في مكانه ولا تلبس ثوبه، ولا تجلس إلا أنت بين يديه مستوفراً جلوس العبد بين يدي سيده، وإذا أمرك بفعل شيء فثبت فيه حتى تعرف ما أمرك به، ولا تبادر وأنت غير عارف بما أمرك به فلا تأتي بشيء ولا تسأله عن سبب ما أمرك به، وإذا وصفت له حالاً من أحوالك في رؤيا أو غيرها فلا تسأله عن شرحها، وإذا كلمته في أمر فلا تطلب منه الجواب عليه، ولا تحتمل فيه قولة قائل وإذا عرفت عدواً له فاهجره في الله ولا تجالسه ولا تعاشره، وإذا رأيت من يحبه ويثني عليه فحبه واقض حوائجه، وإن طلق شيخك امرأة فلا تتزوجها، وإياك أن تدخل بيت خلوة الشيخ ولا تبيت معه في بيته أو حيث يبيت، وكن قريباً منه حيث لا تراه، فإذا دعاك سمعته، ولا تشاوره في أمر تفعله، فإنك تناقض أصلك، فإن الأصل الذي ربطت عليه أمرك ألا تريد إلا ما أرادته شيخك، فإذا خطر لك شيء فاتركه عن نفسك، والتفت لما يرسمه لك وعليه اعتمد فإن من الشيوخ من إذا شاورته في أمر قال لك: افعله، وإن كان لا يريد ذلك فإن الحال يعطيهم ذلك، وهو يضربك، فإن قال لك: لا تفعله ففعلك وأضر نفسه وصلاح نفسه عنده أولى فما تسلم من هذا الضرر إلا بأن لا تشاوره في أمر خطر لك أن تفعله، ولكن اترك ذلك الخاطر ولا تفعله، فإن وقتك قد عمره ما كلفك به شيخك، وإنما تقع الخواطر للمريد السوء البطال الفارغ ظاهراً وباطناً. ولا تعترض عليه في فعل من أفعاله، ولا تسأله لم فعلت ذلك؟ وتَلَمَّذ واخدم كل من

قدمه عليك شيخك ولا تقعد مقعداً حيث كنت إلا وتبين أن الشيخ يراك فالزم الأدب، ولا تمس أمامه في طريق إلا لبيل، ولا تدم النظر إليه، فإن ذلك يورث قلة الحياء، ويخرج الاحترام من القلب، ولا تكثر مجالسته، وليكن جلوسك في بيت خلوتك أو خلف باب بيت الشيخ حتى إذا أرادك وجدك. ولا تقض لأحد حاجة ولو كان أباك حتى تشاور شيخك، ولا تدخل عليه متى ما دخلت إلا قبلت يده وأطرقت وتجب إليه بامثال أمره ونهيه لك، وكن حافظاً شحيحاً على عرضه، وإذا قدمت له طعاماً فألقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه وقف خلف الباب فإن دعاك أجبه وإلا فاتركه حتى يفرغ فإذا فرغ أزل المائدة أو السفارة إذا أمرك فإن بقي من طعامه شيء وأمرك بالأكل فكله، ولا تؤثر بنصيبه أحداً، وإياك أن تحدث نفسك أن الشيخ يأكل وحده فتستعظم أكله إن كان طعاماً كثيراً فيفرغ أو يقع فيه من أجل الخبر فيمن أكل وحده، واجهد أن لا يراك فيما لا يسره منك، ولا تتمن عليه، واحذر مكر الشيوخ فإنهم يمكرون بالطالب في أوقات فحافظ على أنفاسك في الحضور معهم فإن وقعت منك زلة في حق أدب مع الشيخ وعرفت أنه قد عرف بها وسامحك فيها ولم يعاقبك، فاعلم أنه قد مكر بك، وقد علم أنه لا يجيء منك شيء ولهذا سكت عنك، وإذا عاقبك على الخطرة واللحظة، وضايق عليك أنفاسك فأبشر بالقبول والفتح والرضى لا يدللك عليه بسطه، بل كلما انبسط فتردد في قلبك المهابة والإجلال وتعظيم الاحترام والاحتشام.

كلما ازداد بسطة وخضوعاً زدت فيه مهابة وجلالاً

وإن سافر شيخك، وتركك في موضعك فلازم الموضوع الذي كان يقعد فيه بالسلام عليه في كل يوم في الأوقات التي كنت تأتي إليه فيها، فإنه ما غاب وارع من حرمة في غيبته رعايتك في حضوره، وإذا رأيته يريد الخروج إلى موضع فلا تقل له في ذلك: إلى أين؟ ولا تدخل عليه رأياً من أفعاله، وإن شاورك فرد الأمر إليه فإن مشورته إياك ليست من افتقاره إلى رأيك وإنما شاورك تحبباً لك وسياسة، وإذا رأيته يلزم موضعاً فلا تقل له في ذلك، ولا تحدث نفسك أن تلك عادة منه وإذا انتقل عن موضع كان يلزمه فلا تذكره به، ولا تتأول عليه كلامه فيما أمرك أو يحدثك به، وقف عند ظاهر ما تسمع وافعله إذا أمرك وإن تيقنت أنه خطأ فامض لما أمرك ولا تقدم على تأويل فيه تأولت أمره، وأصبت فهو خطأ كما أنك إذا لم تتأول وفعلته كما أمرك، وكان ذلك أصبت فإن الهداية في الطريق عندنا في حق المرید مع الشيخ، والشيخ مع الله ليس هي في إصابة التأويل في الأمر يوجه العلم الصحيح، وإنما الهداية في امثال الأمر من غير تأويل ألبتة وسره عندنا بين ظاهر في الحضرة الإلهية، ومتى تأولت على الشيخ ما أمرك به أو يقول له تخيلت أنك أردت كذا فاعلم أنك في إدبار فإبك على نفسك، وما أتى على أكثر المریدين إلا من التأويل، فإن التأويل حظ النفس، والعقل ظاهر لا يتأول ولا يتيسر على أمر، بل

الأمر كله على الوجوب فهو يبادر إليه إذا خوطب به، ولا تصل في موضع تستدبر فيه شيخك إن كان حاضراً واجمع بين الأديين ولا تفس له حديثاً إلاً بأمره، ولا تقف له على أكل ولا نوم ولا حالة من أحوال العادة فإنه أنفع لك إلاً إن دعاك إلى ذلك، وصورة دعائه لك في ذلك أن لا تتعرض له بمشورة مثل أن تقول له: يا سيدنا تأمرني أن آكل معك، أو تأمرني أن أنام معك في بيت واحد، أو أنصرف فإني أخاف أن يقول لك كُلْ معي أو نم عندي، وهذا غاية الإبعاد عندنا فإنه داعية الإدلال، وإسقاط الحرمة والهيبة، ومتى ما عدم هذا من المرید فإنه لا يفلح ولا بد منه ألبتة. ومن قال خلاف هذا فلا يعرف نفسه.

وهكذا أيها المرید فلتكن حالتك مع الشيخ، إن شاء الله، فأول ذلك التوبة بإرضاء الخصوم ورد المظالم التي تستطيع على ردها، والبكاء على ما فات من أوقاتك في المخالفات ومصاحبتك للعلم بأنك من ذنوبك على يقين ومن قبول توبتك على خطر ولا تقعد إلاً على طهارة كاملة، ومتى ما أحدثت توضأت، ومتى ما توضأت صليت ركعتين والمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والتنفل في بيتك.

### فصل الصلاة

وإذا توضأت فاسع في الخروج من الخلاف وتوضأ أسبغ وضوء يتوضأه أحدٌ للصلاة، وأتمه، وسمَّ الله في بدء كل حركة من حركاتك، واغسل يديك بترك الدنيا منها، ومضمض بالذکر والتلاوة، واستنشق بشم الروائح الإلهية، واستنثر بالخضوع وطرح الكبير، واغسل وجهك بالحياء، وذراعيك إلى مرفقيك بالتوكل وامسح رأسك بالذلة، والافتقار والاعتراف امسح أذنيك باستماع القول واتباع أحسنه، واغسل قدميك لإبطاء كثيب المشاهدة ثم اثنِ على الله بما هو أهله وصل على رسوله الذي أوضح لك سنن الهدى (صلى الله عليه وسلم) وقف في مصلاك بين يدي ربك من غير تحديد ولا تشبيه وواجهه بقلبك كما تواجه الكعبة بوجهك وتحقق أن ما في الوجود أحد إلاً هو وأنت فتخلص ضرورة، وكبَّره بالتعظيم، ومشاهدة عبوديتك وإذا تلوت فكن على حسب الآية المتلوة فإن كانت ثناء على الله فكن المحدث وهو الذي يتلو كتابه عليك، فعليك<sup>(١)</sup> الثناء عليه فيما يثني به على نفسه، وكذلك في آية الأمر والنهي وغير ذلك لتقف عند حدوده، وتعرف ما وجه عليك سيدك من الحقوق فتحضرها في قلبك لأدائها، والمحافظة عليها، والحظ ناصيتك بيده في ركوعك، ورفعك وسجودك، وجميع حركاتك فتسقط لك الدعوة في هذه الملاحظة حتى تسلم، فإذا سلمت فابقِ على عقدك أنه ما ثم أحد غيرك وربك سبحانه. وسلم باللفظ على من أمرك فإن سلامك على نفسك ﴿فإذا

(١) في النسخة (ط): (فليعلمك).

دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم<sup>(١)</sup> ومتى دخلت بيتك فحيّه بركعتين، وكذلك كل موضع تدخله.

## فصل الأكل والشرب

ولا تأكل إلا عن<sup>(٢)</sup> فاقة، ولا تشبع ولا تكثر شرب الماء ولا تأكل تصنعاً ولا تعزراً، ولكن كل على قدر حاجتك إلى الطعام ولا بشره إليه بجوعك، بل خذ اللقمة متوسطة، وإذا جعلتها في فيك فاشدد مضغها وسّم الله عليها، فإذا مضغتها فابتلعها ثم احمد الله الذي سوغكها، وحيثئذ تمد يدك إلى لقمة أخرى فتسّم الله أيضاً مثل الأولى حتى تبتلعها، وتحمد الله، وحيثئذ تمد يدك إلى غيرها حتى تأخذ حاجتك، وكل مما يليك ولو كنت وحدك لئلا تعتاد سوء الأدب، واحذر الشهوة ولا تنظر إلى وجه أكيلك، ولا إلى يده ولتنظر بقلبك في ذلك إلى تنزيه من يطعم ولا يطعم فيبين لك نقصك وعجزك، فتكون في عبادة في أكلك ولا تلتفت ولا تصغ لمن يقول لك إنك تأكل قليلاً فيؤذيك ذلك إلى أن تتركه رياء حتى يقال إنك تأكل قليلاً، وإذا حضرت على مائدة طعام فكن آخر من يرفع يده ولا تقم حتى ترفع المائدة ولا تأكل في بيتك ثم تأتي إلى الجماعة فتأكل معها بالتقزز كأنك قليل الأكل فإن ذلك من شيم المنافقين وليكن أكلك من وقت إلى وقت.

## فصل الكسب والتوكل

ولتحترف إن عدمت اليقين، ولا تظهر التوكل وليس عندك منه شيء وتتخيل أن عجزك من قوة يقينك وحسن توكلك، وإنما هو من نقص همتك ودناءة أصلك، وقلة معرفتك، فاحترف على حد الورع واجهد في ذلك جهدك فإن طالبتك نفسك بالعقود، والتوكل فلا تجاهدها في ذلك واسمح لها في دعواها وارحل بها عن المواطن التي تُعرف فيها إلى الأمصار الكبار الذي لا يعرف فيه الغريب من البلدي، ولا تقعدتها في موضع واحد من ذلك البلد، بل خالف بها المواضع، ولا تعاشر أحداً، ولا تتعرف إليه، فإذا رأيت إنساناً وتوسمت فيه أنه قد جاءك بشيء أو سمعت حركته ولم تره، وقالت لك النفس: هذا فتح من الله فدخل عليك ذلك بذلك الفتح فلا تقبله وردّه عليه فإنه أتاك باستشراف ولتعلقها بالرزق حتى كوشفت عليه فأين الله منها في ذلك الوقت فلا تقبله، ولو كنت على الهلاك فإذا أتاك الشيء من غير استشراف وحصل بين يديك فانظر على الفور ما تجدد في نفسك في أول خاطر عند رؤية ذلك الفتح فإن وجدت في

(١) الآية رقم (٦١) من سورة النور.

(٢) في النسخة (ط): (من فاقة).

نفسك انقباضاً منه فردّه عليه، ودع ما يريك وإن لم تجد انقباضاً منه، ووجدت شرحاً فإن صاحبه شره، فردّه ولا تقبله، وإن لم يصحبه شره فحينئذٍ خذ منه قدر ما تحتاج إليه في ذلك الوقت ورد عليه ما بقي ولا تقعد في ذلك الموضوع وارحل عنه إن كان المصر كبيراً جداً ولا ترد المواضع التي جرت العادة بإتيان الفتوح إليها كالروابط والمساجد وما أشبه ذلك، وهذا كله حتى يتقوى يقينك وإن لم تفعل هذا، وإلا فقد خنت نفسك ولا تسمع من صوفي نطق من مقامه فقال لا أرى غيري ما قالها حتى قاسى ما ذكرته لك وحينئذٍ، وإما أن تفعل ذلك ابتداء فشغل البطالين.

## فصل في الصحبة

والصحبة أشرف شيء على المرید فإن الطريق مبني على قطع المألوفات وترك المستحسنات، ولما كانت الصحبة تؤدي إلى الألفة والأنس، وتغيير المحل بوجود الألم عند وقوع المفارقة لهذا كرهناها ولهذا يقول المشيخة: من وجد الأنس في الخلوة والوحشة في الملاء. فأنسه بالخلوة لا بالله، وإنما التبس عليه، فالأولى بالمرید الاعتزال عن الصحبة جملة، ولتكن همته في طلب الشيخ، فإن وجد الشيخ فلا يلحظ غيره، ولا يصاحب إخوته من تلامذة الشيخ، ولا يجالسهم إلا إذا أمره الشيخ بذلك فينبغي للمرید أن يكون مع الخلق مع جنسه وغيره كالوحش يطلب بذلك الأنس بالله، ويكثر الذكر ويستهرت فيه ولا يبايت أحداً، فإن اضطر في الصحبة فليقرب نفسه مع صاحبه، فإن وجد عنده مغيبه وحثه إليه فليتحل عن صحبته فإن تبعه ذلك وطالبه فليفرّ من البلد، وكذلك في ثوبه ومسكنه إذا أحس من نفسه أنه أحب ثوبه باعه واشترى غيره وإن استغنى عنه أعطاه وإن أحب مكانه تحول عنه ولا يبقى مع شيء يأخذ من قلبه نصيباً حتى يكون فردانياً في الوجود فإن الحق سبحانه لا يتجلى لقلب له أنس بغيره لا من الطائعين ولا من غيرهم ولولا أن الشيخ له طبيب ووجود العلة التي فيها الهلاك المرید عنه لم يجز له أن يجلس معه ولكن يجلس معه لا على وجه الأنس به، ولكن على وجه تعليم الأدب فإن الطالب إذا تعلق أنسه بالشيخ طال عليه الطريق وصعب على الشيخ طبه، وتعدّر عليه، واستتبأ البرء من علقته وذلك لأنسه به وغرض الشيخ من التلميذ أن يجده في كل وقت معمور القلب بالذكر حتى إذا ألقى عليه ما يؤديه إلى مجالسة أحد في فعله زماناً واحداً يراه يتألم، فيعرف الشيخ أن المرید قد فتح عليه، واعتنى به، وليكن معاشرته بالإيثار، والفترة، وسخاوة النفس وترك طلب الحقوق منهم، ويرى الفضل لهم، ولا يرى لنفسه حقاً عندهم فكيف فضلاً عليهم، ولهذه العلة أمرنا المرید بترك الصحبة، فإن للصحبة حقوقاً يجب عليه أداؤها تشغله عن أداء حقوق الله تعالى في قلبه وهو ضعيف فالعزلة به، والفرار أولى، فإن الصحبة من شيم المتمكنين الأكبر،



وكن معهم على نفسك إن ذموك فأنت للذم أهل، وإن صدوك فأوصافهم تكلمت عنهم، وستر الله عليهم أمرك، ولو كشفه لهم رأوا عورة فلا تفرح بحمدهم وثنائهم عليك.

## فصل: السعي إلى المساجد

وينبغي للمريد أن لا يكثر الحركة فإنها مفرقة ولهذا منعناه من السفر لتشوش حاله إلا في طلب شيخ يرشده، فإذا خرج إلى المساجد، أو إلى ضرورة فلا يلتفت يميناً ولا شمالاً، وليجعل بصره حيث يجعل قدميه مخافة النظرة الأولى، ويكون مشتغلاً بالذكر في مشيه ويرد السلام على من سلم عليه، ولا يقف مع أحد ولا يقل لأحد كيف حالك؟ وليحذر من هذا فإنه صعب عندنا ويزيل من طريقه كل ما يجده من أذى من حجر أو شوك، أو عذرة، ولا يجد رقعة في الأرض إلا يرفعها في كوة، ولا يتركها تداس بالأرجل ويرشد الضال ويعين الضعيف، ويحمل عن المثقل، هذا كله واجب عليه.

وإذا سلم فليسلم على كل عبد صالح لله في الأرض والسماء من ذلك المقام يرد عليك، وإياك والسعي في مشيك، ولكن بالتأني من غير عجب فإنه أوفر لهمك، وإذا كنت حاملاً شيئاً فأردت الراحة فابعد عن طريق الناس، ولا تضيق عليهم طرقهم، وإياك وحضور مجالس السماع، فإن أشار عليك شيخك بحضورها فاحضر ولا تسمع واشتغل بالذكر، فإن سماعك من ذكرك أولى من سماعك من الشعر ولا سيما والقوال قل ما ينشد إلا في باب الجنة، والشوق، والنفس تهتز عند ذلك وتورث الدعوى عندك، فإن أنشد القوال في الموت وما يردك إلى الخوف والقبض والحزن والبكاء في ذكر جهنم أو ذهاب العمر والموت وكرباته، والحساب، والقصاص أو مواقف القيامة فاصغ إليه، وفكر فيما جاء به، فإن غلب عليك حال يغنيك عن إحساسك، وقمت فليس قيامك لك، وإنما أقامك وأردك فمتى ما رجعت إلى إحساسك فاقعد من حينك، وارجع إلى هيئة اعتدالك فإن الحركة في السماع انحراف عن مجرى الاعتدال وتتنوع بحسب القصد، فإن تحركت، وأنت تحس بحركتك، فحركتك إلى أسفل كمن ينزل من علو إلى شغل حتى تستقر في سجين، نسأل الله العفو والعافية.

وإن تحركت، وأنت فإن عن نفسك وإحساسك، فإن فנית في الله تعالى باستيلاء عظمته في قلبك أو في الجنان أو في النار فحركتك علوية حتى تستقر في عليين، وإن فנית في معشوق من امرأة أو حدث فحركتك في جهنم في سجين مع كونك فانياً، وحالك حال صحيح ولكن في الفساد ويتوهم الناس أنك في حق الله تعالى فנית فإياك وحضور مجالس السماع فإن اضطرت إلى الصحبة، ولا بد فصاحب العباد المجتهدين من أهل المعاملة حتى تجد الشيخ فإن لم تجدهم في المدن فاطلبهم بالسواحل والمساجد الخربة فإنهم يطرقونها وقن الجبال،

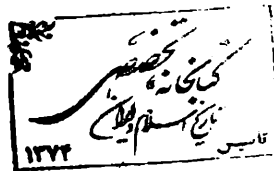
وبطون الأودية، وإذا عزمت على أن تكون معهم فإياك أن يدخل عليك وقت الصلاة إلا وأنت في المسجد والصلاة تقام، فقد فرطت غاية التفريط ولست منهم، وإما أن تفوتك تكبيرة الإحرام أو ركعة مع الإمام، فلا يتكلم على هذا فإن هذا من علم العامة المطعون في إيمانهم، فنب إلى الله واستأنف وإياك وملازمة مسجد واحد ولا صف واحد في المسجد.

### فصل الخواطر

واعلم أنك إن عاشرت الفقراء، وخدمتهم فلا ترد خاطراً يخطر لك في مصالحهم من خدمتهم فإن خواطرهم رسل إليك، فافعل كل ما يخطر لك من غسل ثياب أو طبخ طعام أو شيء من هذه المنافع، فإن الفقراء الصالحين تخطر لهم الخواطر ومجاهدتهم تمنعهم من التحدث بها حتى لا يسعى لنفسه في شهوته، والله سبحانه يريد أن يجمع بين الأمرين معاً يصدقهم فيلقي في نفسك فعل ما خطر لهم فقم عند ذلك وافعله وآت به إليهم فيحصل لهم درجة المجاهدة ونيل المطلوب وتعلم أنت تصديق الخواطر سوى ما لك من الأجر في ذلك ولا تحقر بشيء من الخير فإن هذا الطريق طريق الأرباح، فلا يهلك على الله إلا هالك وأربعة من أحكمها، فقد فاز بجميع الخيرات: خدمة الفقراء، وسلامة الصدر، والدعاء للمسلمين بظهر الغيب وأن تكون معهم على نفسك، وقل ما يسلم مرید في ابتداء حاله من الخواطر الرديئة، في كل جانب من جانب الحق ومن جانب الخلق فأكد ما على المرید السعي في أن يسلم الناس من سوء ظنه بهم، وإن كنت صادقاً صحيح الخاطر والكشف بالعادة والتجربة لذلك، فيخطر لك خاطر سوء في واحد وهو كما خطر لك، فاعلم أنه من إلقاء الشيطان. وتب إلى الله تعالى منه واستغفر الله، وسله أن يعتمر باطنك لا بالاشتغال بخلقه وكيف وقد شغلك بمساوئهم، وإنما الشيطان يحب أن يستدرجك، ويصدقك ليكذبك، ويكرمك ليهينك فتحقق. وإنما ينقطع هذا بالذكر وينقطع ما كان في جانب الحق عنك بالعلم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً على يد أقل عبید الله وأحوجهم إلى عفوه. الحقيير حسن ابن المرحوم أبي المسعود المالكي غفر الله لهما ولجميع المسلمين. والحمد لله وحده.





# رسائل ابن عربي

## القطب والنقباء وعقلة المستوفز

### ورسالة الأنوار والتدبيرات الالهية ورسائل أخرى

بنى ابن عربي كتابه هذا على فكرة النقباء الاثني عشر، وهي فكرة موجودة وقائمة. لكن الفرق بين وجودها ظاهراً ووجودها باطناً، أن النقباء الظاهرون يمكن معرفتهم أما النقباء الباطنون لا يمكن معرفتهم إلا إذا أظهرهم الله لك وذلك اعتماداً على نص الآية في قوله تعالى: ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم﴾، يشتمل الكتاب على بابين ومفتتح ثم اثني عشر باباً أخرى كل باب فيها لتقيب من النقباء وشرح حال كل تقيب ودلالته، ومهمته، وإشارة إلى ما من به الله عليه من الأسرار والعلوم والمعارف.

ويحتوي هذا الجزء الثاني بالاضافة إلى هذه الرسالة مجموعة أخرى من الرسائل هي: عقلة المستوفز ورسالة الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار ورسالة ابن عربي إلى الفخر الرازي وتاج الرسائل ومنهاج الوسائل وكتاب التدبيرات الالهية في اصلاح المملكة الانسانية.